



# الإهداء

أهدي ثمرة هذا العمل

إلى أسرتي الكريمة خاصة أمي.. ثم أمي.. ثم أمي التي آمنت بالله ثم بي أكثر من نفسي، وقدمت فوق طاقتها لإنجاحي وجعلتني أحقق شيئاً يذكر في هذه الحياة، ثم أبي الغالي أطل الله في عمره.

إلى إخوتي السند

إلى خالي الحاج "محمد عامرة"، الذي كان لدعمه عظيم الأثر في إتمام هذا العمل.

إلى كل أساتذتي بجامعة "حمة لخضر" بوادي سوف"

إلى كل أساتذتي بجامعة مولود معمري بتيزي وزو

خاصة أساتذتي المكونين بمخبر تحليل الخطاب

إلى الطاقم الإداري والتربوي والمهني

إلى الصديقات اللواتي جمعنتني بهنّ الإقامة الجامعية: فيروز، أحلام، نبيلة

إلى الأصدقاء والزملاء الذين جمعتنا بهم أيام الدراسة

إلى كل من تعلمت على يده حرفاً أو عملاً من معلم القرآن إلى مرحلة الدكتوراه

إلى كل طلاب العلم

إلى مكتبة الأدب الشعبي الجزائري التي تحتضن كل عمل في التخصص

# شكرو عرفان

نحمد الله ونشكره على توفيقه وعونه لنا

أتقدم بجزيل الشكر ووافر الامتنان إلى الأساتذة الأفاضل:

مشرفتي القديرة "زهية طراحة" التي أشرفت على الأطروحة بكل حب ومهنية  
المشرف المساعد معلمي القدير "أحمد زغب" الذي لولا الله ثم هو لما كنت في

مقامي هذا

إلى فريق التكوين بمخبر تحليل الخطاب بجامعة مولود معمري

إلى الرواة الذين زودونا بالمادة الخام الأساسية لهذا البحث

إلى الزملاء بمنطقة تيزي وزو الذين تكلفوا عناء نقل المعلومات وتسجيلها

من عند معارفهم من الرواة

# مقدمة

يُمثل الفولكلور فيما يمثل العقل الباطني للمجتمع، الذي يؤثر بطريقة مباشرة حينا وغير مباشرة أحيانا في سلوكات أفرادهِ سلبا وإيجابا، ويكشف بطرائق صريحة حينا وضمنية أحيانا عن شخصية المجتمع، تلك الشخصية التي يحاول بعض من النخبة المتمزّمة إخفاءها، بينما وصل العالم في دراساته لفولكلور الأمم إلى نتائج جد مهمة مكنتهم من فهم الكثير من الظواهر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية. وفي وطننا الجزائر نعيش تناقضا رهيبا في موقفنا من الفولكلور، ذلك أن هذا الموقف يكون غالبا مشحونا بالإيديولوجية، فمن جهة يدعي الإشادة بالموروث الشعبي ويزعم ضرورة حفظه والعناية به، ومن جهة يستهجنه وينعت كل شيء حقير بالفولكلوري.

من هنا بدأ اهتمامنا بالفولكلور والثقافة الشعبية، بهدف التقريب بين المناطق المتباعدة، بالوصل بين الثقافة الوطنية الواحدة مهما حاولت الأيديولوجيات المتمزّمة فصلها، ويبدو لنا من أهم الممارسات الفولكلورية في بلادنا "الاحتفالات الموسمية والدينية".

ويبدو أن الاحتفالات الموسمية والدينية هي ظاهرة اجتماعية إنسانية، فهي موجودة ومنتشرة في كل الثقافات الإنسانية، فمنذ القدم تنبه الإنسان إلى التغيرات التي تطرأ على الطبيعة، وبالتالي كان همه إيجاد قناة تواصل مع العالم الخارجي (الطبيعي)، حتى يحسن التكيف معه من جهة، واستغلاله فيما ينفعه من جهة أخرى خاصة بعد اكتشافه الزراعة ونظام الخصوبة، حينها أصبح اهتمام الإنسان منصبا على الأرض وماء السماء والتغيرات المناخية والطبيعية، ومن خلال المحاولة والخطأ لخص الإنسان تجاربه في قانون سمّاه التّقاويم، هذا القانون يرشد -المجتمعات الزراعية خصوصا- إلى معرفة عدد الشهور وأيامها، كما يرشدها إلى معرفة مواسم الحرث والزراعة والحصاد وغيرها، فأصبح بذلك يعرف موسم الشتاء البارد والصيف الحار، والخريف، وكذلك الربيع المعتدل، وذلك بتتبع حركة الشمس عن طريق الملاحظة، كما اهتدى إلى معرفة فنّ الفلاحة، حين أصبح يعرف نظام وتدابير زراعة الفواكه والخضر والحبوب والأزهار والنباتات والقمح والشعير وغرس النخيل... وغيرها، التي تلائم كل

فصل، ومنه أعلن الإنسان عن نوع من التقاويم يُسمى "التقويم الفلاحي الشمسي"، وبما أن لكل منطقة خصائصها الجغرافية والطبيعية والبشرية اختلفت مواقيت التقاويم حسب الخبرات الشعبية لكل ثقافة.

وبما أن التحوّل من موسم إلى آخر يخلق في نفس الإنسان الشّعبي الخشية والاضطراب، فإنه لجأ إلى ممارسة الاحتفالات التي تقلل حسبه من وطأة الاضطراب من جهة فتساعده على استرجاع التوازن الداخلي، ومن جهة أخرى يُصرح الإنسان من خلال الاحتفال عن سعادته بالموسم الجديد الذي يحمل له الكثير من الخيرات. ونلاحظ في الثقافات الإنسانية، أن كل الشعوب مارست الاحتفالات الموسمية بطرق جدّ متنوعة، وهذه الاحتفالات في أغلب الظن هي تعبير عن عجز الإنسان وقلقه اتجاه الطبيعة الصامدة والعنيفة، وهي لجوء إلى القوى الخفية العظمى المتحكمة في مجريات الطبيعة، لذلك فإنه مارس طقوسا سحرية غرضها في معتقداته التّحكم في الطبيعة، وتقرير مصائر السنة، كما مارس طقوسا تأثيرية غرضها التّزلف للقوى الخفية لتلبية حاجاته الضرورية، كالّتحكم في المطر وفي الريح وتجديد النباتات والحصول على الغذاء وغيرها.

ولإقامة التوازن بين العالم الطبيعي والعالم الماورائي مارس الإنسان احتفالات دينية موجهة أساسا إلى القوى الخفية العظمى، وهي عبارة عن اعتراف صريح بإنسانية الإنسان الناقص المقصر وبألوهية الإله الكامل. وهذه الاحتفالات سواء أكانت وضعية كما هو الحال معروف في الثقافات البدائية، أو سماوية كما هو الحال معروف في الديانة اليهودية والمسيحية والإسلامية، فإن الأمر مشترك بينها، وهي تهدف إلى التطهير وطلب المغفرة ومشاركة الآلهة عملها الأول. وتعتبر الاحتفالات الدينية في الثقافة الإسلامية من العبادات التي تقرب إلى الله، لذلك وجب تعظيمها مصداقا لقوله تعالى في سورة الحج الآية 32 ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْمِ شَعَائِرَ

اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾. ويزخر التراث المحلي والإسلامي بالعديد من الاحتفالات الدينية الرسمية والشعبية التي يكون مصدرها التّشريع الإسلامي حيناً، والتقاليد الشعبية حيناً آخر كالعيدين الفطر والأضحى، والمولد النبوي الشريف، ليلة القدر، وعاشوراء، والاحتفال بشخصية مقدسة مثل احتفالات زيارة الأولياء، ويُحدد زمن هذه الاحتفالات التقويم الهجري (القمري). وترتبط هذه الاحتفالات بجملة من الطابوهات الدينية والاجتماعية، وإذا كان الفقهاء والعلماء

يحددون \_ على حسب علمهم \_ طرق الاحتفاء الصحيح بشعائر الله، كالصلاة والصيام والزكاة والذكر، فإن الجماعات الشعبية تُضفي طابعها الخاص بناء على ما توارثته من ممارسات، قد يكون بعضها رواسب ثقافية لأديان بدائية قديمة، أو بقايا مسيحية ويهودية، مازالت تشتغل إلى جانب الثقافة الإسلامية المهيمنة، وبالتالي فقد لفت انتباهنا هذا التّشابه في الطقوس الممارسة، وفكرنا أن يكون مشروع بحثنا في هذا النّحو والاتجاه، بعنوان "فولكلور الاحتفالات الموسمية والدينية في منطقتي وادي سوف والقبائل-دراسة أنثروبولوجية-"، وبسبب أن مجال البحث وتوقيتته لم يسمح لنا بالإبحار في جميع مناطق الوطن، فإننا اكتفينا بالوصف والمقارنة بين منطقتين لأسباب ذاتية وموضوعية. تتمثل الأسباب الذاتية في نشأتي الأولى بمنطقة وادي سوف، وتواجدي ودراستي الحالية في منطقة القبائل، مما يجعل المعطيات العلمية التي نخضعها للوصف والتحليل قريبة منّا، ومن الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع كونه مشروعاً فكرياً عملياً يهدف إلى تدوين الفولكلور الشّعبي في منطقتي الدراسة بخاصة وإضاءة عما هو في باقي مناطق الوطن.

أما الأسباب الموضوعية (العلمية) فتتمثل في تخصيص دراسة علمية لمنطقتين متباعدتين جغرافياً ولغوياً: وادي سوف ومنطقة القبائل في الجغرافيا واختلاف اللسان، مما يعطي الانطباع لكثير من الناس الذين ينظرون إلى المنطقتين نظرة سطحية، بأنهما مختلفتين تماماً؛ بحكم اختلاف اللسان واختلاف البيئة الطبيعية والبشرية، فمنطقة وادي سوف صحراوية تسكنها قبائل بدوية نمطها الأصلي الحل والترحال، ومنطقة القبائل جبلية كثيرة المياه، كثيرة النباتات والأشجار، يسكنها مزارعون مستقرون في قراهم ومزارعهم، إضافة أن هذا الموضوع لم يحظ بالكثير من الدراسات الأكاديمية، فحين باشرنا الاطلاع على الدراسات السابقة التي تناولت موضوع الاحتفالات الموسمية والدينية فإننا صراحة لم نحصل إلا على القليل منها، والتي أفادتنا في الحصول على معلومات تخص الجانب الأثنوغرافي، وأما الدراسة الأنثروبولوجية بين منطقتين متباعدتين والمقارنة بينهما فهي إضافة هذا البحث، وهو موضوع جديد يستحق البحث العلمي والدراسة.

والغرض من هذا البحث هو إيجاد المشترك الثقافي -بصفة أخص- في المجتمع الجزائري مهما تنوعت بيئاته الطبيعية وألسنته اللغوية، هذا المشترك يمكن أن نجده من خلال

الحفر في الطقوس والممارسات التي حفظها لنا الكبار وتمسكوا بها ودافعوا بشدة على المعتقدات التي وإن كانت عمليا تُعاني التهميش أو التقليل من القيمة، إلا أنها تبقى عمليا تكشف عن المركز وهي وحدة الثقافة بين الجزائريين التي تزيح كل الحدود السياسية والجغرافية والطبيعية لهذا الوطن على اختلاف جهاته. ويرمي البحث من جهة أخرى إلى الانفتاح على الثقافات المغايرة القريبة والبعيدة في الزمان والمكان، القديمة والحديثة، التي تكشف عن وحدة الإنسان الذي يفكر بطريقة مشابهة وبالتالي فإن الثقافة دائما تدفعنا بالحاح إلى التقارب والتعارف وخلق مناخ يستوعب اختلافاتنا وتشابهاتنا.

قادنا البحث في هذا الموضوع إلى طرح إشكالية نوردتها على النحو الآتي: إلى أي مدى يمكن القول بالتشابه والاختلاف في فولكلور الاحتفالات الموسمية والدينية في منطقتي وادي سوف والقبائل؟ وتحت هذه الإشكالية نطرح التساؤلات التالية: كيف تمارس الاحتفالات الموسمية والدينية في منطقتي الدراسة (وادي سوف ومنطقة القبائل)؟ كيف يمكن للعادات والممارسات الموسمية والدينية أن تتشابه في منطقتين متباعدين جغرافيا، وكيف لها أن تختلف؟ وهل يفسر التشابه بالبعد الثقافي الأمازيغي -الأصلي- باعتباره المكون الأنتروبولوجي الأول، أم للتأثير والتأثر بين الأمازيغية والعربية، أم لأبعاد إنسانية أخرى؟

وكفرضيات أولية يمكن إرجاع التشابه بين الاحتفالات الموسمية والدينية بين المنطقتين إلى التناقص بين الثقافتين الأمازيغية والعربية بحكم التجاور، فالإرث الثقافي الأمازيغي منتشرًا منطقتي وادي ريغ وأوراس النمامشة المتاخمتين لمنطقة وادي سوف. وقد يعود التشابه إلى المرجعية الإنسانية المشتركة بين ثقافات الشعوب، خاصة وأنه لدينا مؤشرات كثيرة يمكن أن تعدّ من قبيل الرواسب الثقافية الإنسانية الغابرة أو تلك التي مرّت عبر فضاءنا الجغرافي. أمّا الاختلافات الطفيفة بين احتفالات المنطقتين فقد تعود إلى الخصوصية الجغرافية حينًا والثقافية حينًا آخر.

وللتأكد من صحة الفرضيات السابقة تمّ الاعتماد على النظرية الأنثروبولوجية التطورية بدرجة أساسية، بآلتي الوصف والمقارنة، لأنها نظرية مناسبة لموضوع البحث، حيث اشغلت

على الأساطير والاحتفالات الطقوسية المشتركة بين شعوب مختلفة، خاصة ثقافات بلدان المتوسط. والأهم في هذه النظرية أنها تتبّع ترسّبات المعتقدات الدينية الغابرة كالسحر والدين في ثقافات متنوعة، ترسّبات ثقافية قديمة تمثّل جزءاً متجذراً في فلكلور الاحتفالات الموسمية والدينية بمنطقتي الباحث. كما استعان البحث بنظريات أنثروبولوجية أخرى كالنظرية الأنثروبولوجية الرمزية وغيرها.

وأما أهم المصادر والمراجع المعتمد عليها في دراسة الموضوع، فهي كثيرة ومتنوعة، منها ما هو مقابلات شخصية في الميدان أجريت مع موردين يمتلكون الخبرة، ويحفظون الموروث المحلي، ومختصين بالحساب التقويم الشعبي، إضافة إلى بعض الكتب أهمها:

- جيمس جورج فرايزر، الغصن الذهبي، تر: نايف الخوص

- إدموند دوتي، السحر والدين في شمال إفريقيا، تر: فريد الزاهي

- مرسيا الياد، المقدس والمدنس، تر: عبد الهادي عباس

أسطورة العود الأبدي، تر: نهاد خياطة

مظاهر الأسطورة، تر: نهاد خياطة

- فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، الشعوب البدائية والعصر الحجري

دين الإنسان، بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني

- خزعل الماجدي، أدب الكالا... أدب النّار دراسة في الأدب والفن والجنس في العالم القديم

- جيلبير دوران، الأنثروبولوجيا رموزها أساطيرها أنساقها، تر: مصباح الصمد

- محمد أسوس، كوكرا في الميثولوجيا الأمازيغية

ولمعالجة هذه الإشكالية رتبنا بحثنا إلى عناصر مقسمة إلى مقدمة ومدخل وأربعة فصول وخاتمة وفهارس. أما المقدمة فقد مهدنا فيها لموضوع البحث، ثم بينا أهميته محليا وعالميا، وطرحنا عدة إشكاليات وقدمنا الفرضيات ونظريات الدراسة، كما ذكرنا أهم المصادر التي

استفدنا منها ثم حددنا عناصر البحث وبعض الصعوبات التي واجهت بحثنا. عرفنا في المدخل بمصطلحاتٍ تعتبر مفتاحاً لفهم الموضوع، مثل مصطلح الفولكلور في الثقافة الغربية والثقافة العربية، والاحتفال والاحتفالات الشعبية باعتبارها ظاهرة اجتماعية محلية وعالمية، ومصطلح "الأنثروبولوجيا" وعلاقته بمصطلح الفولكلور، وللضرورة البحثية قدمنا تعريفاً لمنطقتي الدراسة من الناحية الطبيعية والجغرافية والمناخية والاقتصادية والثقافية.

**فالفصل الأول الموسوم بـ "أثوغرافيا بعض الاحتفالات الموسمية والدينية في منطقتي وادي سوف والقبائل"،** حاولنا فيه الإلمام بأهم الاحتفالات الموسمية والدينية في منطقتي الدراسة.

**وأما الفصل الثاني فيحمل عنوان " أنثروبولوجيا احتفالات السنة الجديدة" في منطقتي وادي سوف والقبائل"،** قمنا فيه بجمع المادة من الميدان "ينأير" في منطقة القبائل، "خُشوش العُام" في منطقة سوف، وقدمنا دراسة أنثولوجية وحللنا الرموز التي تحملها مواد الطقوس، وعلاقتها بهندسة الثقافة المجتمعية، وقارنا بين احتفالات المنطقتين ثم توسعنا أنثروبولوجياً، وبيننا المشتركات الثقافية الإنسانية.

**وجاء الفصل الثالث بعنوان "أنثروبولوجيا احتفالات استحضر المطر" في منطقتي وادي سوف والقبائل" في هذا الفصل جمعنا الممارسات السحرية الشعبية لاستحضر المطر في منطقتي الدراسة، ثم انتقلنا إلى التحليل الأنثولوجي لطقوس الممارسة في احتفالات استحضر المطر، وقارنا بين طقوس المنطقتين، لنبحث عن دلالات التشابهات والاختلافات، وحاولنا أن نربط بين احتفالات المطر المحلية والعالمية على سبيل التحليل الأنثروبولوجي المتوسّع.**

**وقد جاء الفصل الرابع تحت عنوان "أنثروبولوجيا احتفالات عاشوراء" في منطقتي وادي سوف والقبائل" وفي هذا الفصل جمعنا طقوس احتفالات عاشوراء في المنطقتين، وحللنا الطقوس وحاولنا ربطها بالطقوس الإنسانية والعالمية، لنبحث عن الدلالات الرمزية للاحتفالات، وعن الرواسب الثقافية التي بقيت حية. وقد اخترنا من الاحتفالات الدينية "عاشوراء" فقط؛ لأنها ثرية بالممارسات الشعبية، وبالتالي فهي شديدة التشابه من حيث طقوس الأداء بين المنطقتين**

بصفة خاصة، وباقي المناطق بل حتى في العالم الإسلامي أجمع. وكوننا في بحثنا هذا نبحت عن المعنى، فإن احتفالات عاشوراء يبرز فيها الاختلاف الذي يخلق المعاني، وقد اخترنا دراسة عاشوراء ذلك أنّ هذا الاحتفال يجمع أغلب الطقوس التي تمارس في الاحتفالات الدينية الرسمية كالصيام، والزكاة، والذبيحة، وزيارة الموتى، وطقوس البركة كالحنّاء وغيرها.

وأهينا البحث بخاتمة ذكرنا فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، والنتائج جاءت على شكل أجوبة مباشرة عن الإشكاليات، حيث خلص البحث إلى إبراز الاحتفالات الموسمية والدينية في منطقتي الدراسة، وأنّ هناك تشابهاً جلياً في معظم الممارسات الطقوسية في احتفالات المنطقتين، ومرد هذا التشابه إلى الأرض والمعتقد المشترك، كما خلص البحث إلى تأكيد بأن لكل ثقافة أسلوبها الخاص في التفاعل مع الطبيعة وما وراء الطبيعة، وعقد الصلة بهما، فكل شعب يحاول استغلال إمكانياته الطبيعية والجغرافية والثقافية... الخ المتاحة، ومخزونه الثقافي المتراكم المتعايش مع الوافد دون إغفال البصمة الشخصية، هكذا يحدد معالم بطاقته الشخصية ويثبت وجوده داخل الحيز الجغرافي الواحد، ثم يعبر المجالات الجغرافية لعوالم أخرى، بناء على هذا لا يمكن الركن إلى الثقافة لإيجاد ثقافة خالصة، بل إنها تعمل دائماً على إثبات وحدانية الإنسان، وتعتبر الاحتفالات إحدى الظواهر الإنسانية التي يترجم الإنسان من خلالها إحساساته وإدراكاته، وهي تُساهم بشكل كبير في هندسة المجتمع، من خلال الارتكاز على المعتقدات والعادات والتأبوهات والأساطير المؤسسة، التي تحين النواميس الطبيعية والثقافية.

واجهتنا صعوبات جمة في إنجاز هذا البحث، أبرزها جائحة الكوفيد 19 لسنوات 2020، 2021، 2022، فمن الإجراءات الوقائية التي اتخذتها الدولة الجزائرية للحد من انتشار الوباء حظر كل الاحتفالات الجماعية، هذا ما عرقل مسار بحثنا الأثنوغرافي خاصة في منطقة القبائل، وأيضاً قلة المصادر المتخصصة في موضوع دراستنا، و صعوبة البحث الميداني في منطقة القبائل بسبب صعوبة التواصل، إضافة إلى عوائق ميدانية أخرى واجهتنا بمنطقة "وادي سوف" منها بعد المسافة بين التجمعات الشعبية، وهذا ما حرمانا من الحضور والمشاركة في احتفالات شعبية متنوعة، وأحياناً ننتقل من منطقة لأخرى بشق الأنفس، ونتوسط لإجراء

المقابلات وفي آخر المطاف لا نُستقبل أو نهمش ويُشك في نياتنا، وأيضا امتناع بعض الرواة عن الإدلاء بأسمائهم، واعتراض بعضهم عن التصوير والتسجيل، بسبب ثقافة المنطقة، حيث النساء الحافظات للثقافة الشعبية يخفن من أزواجهن. وبسبب الحدود المرسومة بين الجنسين في منطقة "وادي سوف" فإن بعض الرجال رفضوا مقابلتنا، وهناك من يطلب مقابلا ماديا كشرط لقبول المقابلات، ومع ذلك عوضنا الحاجة الماسة للاتصالات بالموردين ببحوث سابقة تناولت منطقة القبائل نذكر منها:

-Camille Lacoste-Dujardin: Dictionnaire de la culture berbère en kabylie

-Gean Servier: Tradition et civilisation Berbère, éditions du Rocher

-خالد عيقون، عجوز يناير دراسة ميدانية أنثروبولوجية

-شهيرة بوخنوف، طقس انزار في منطقة خراطة ببجاية- مقارنة أنثولوجية-

-نبيل حويلي، منظومة الأسطورة في منطقة القبائل

كما أننا كلفنا بعض الزملاء بنقل أو تسجيل المعلومات التي تخص بحثنا من عند الكبار الذين يعرفونهم، وقد اعتمدنا على مراجع عن المنطقتين بعضها في التاريخ والاجتماع والأنثروبولوجيا، وبعضها في الثقافة الشعبية، وقد تجاوزنا صعوبة البحث الميداني في منطقة "وادي سوف" بزيارة أماكن يُعرف أهلها بالمرونة في التعامل، واستخدمنا أسلوب الشحن مع الجماعات المحافظة في مناطق أخرى، فقد كُنّا نحاول استفزازهم بمقارنتهم بعروش أخرى، أو التشكيك علميا في معتقداتهم، حتى نحصل على تسهيلات لإجراء المقابلات، وقد بلغ الأمر بهم إلى دعوتنا لحضور احتفالات حتى نرى بأعيننا طرق إحيائهم للاحتفال.

ولا يسعني إلا أن أوجه شكري لأساتذتنا ولفريق تكوين "دكتوراه دراسات أدبية" في جامعة تيزي وزو على التعاون المفيد، وأخص بالشكر الأستاذة الكريمة "زهية طراحة" فقد كانت نعم المشرفة بتوجيهاتها وحرصها على متابعة البحث بكل جدية ومهنية، ونشكرها على الجانب

الإنساني الخلاق، فقد كانت متفهمة لظروف الباحثة، ولا تتوانى في تقديم الدعم المعنوي، كما أتقدم بأسمى عبارات الشكر والامتنان للأستاذ المشرف المساعد "أحمد زغب" الذي يعتبر الأب الروحي للباحثة، فقد كان شديد الحرص على متابعة سيرورة البحث، وقد أفادني كثيرا من الناحية العلمية والعملية في مسيرتي البحثية، وأشكرهما على مساعدتي في ترجمة بعض النصوص الفرنسية، كما لا يفوتنا أن نشكر كل من ساعدنا وأمدنا بتوجيهات سديدة لهذا البحث من زملاء وأساتذة والطاقم الإداري بالقسم، وعمال الإقامة الجامعية، ونأمل أن يكون هذا البحث إضافة إلى مكتبة الأدب الشعبي في الجزائر، والله الموفق.

# مدخل:

## مصطلحات البحث

أولاً: مفهوم الفولكلور

ثانياً: تعريف الاحتفال والاحتفالات الشعبية

ثالثاً: الأنثروبولوجيا

رابعاً: منطقة وادي سوف

خامساً: منطقة القبائل

## تقديم

قبلولوج في عملية البحث والتحليل والدراسة، وجب تقديم مصطلحات البحث ومفاهيمه؛ فهي الكلمات المفتاحية التي تُساعد في ضبط الموضوع، ومعرفة بوصلة البحث وفهم المطلوب، وفي هذه الدراسة هناك عدة مصطلحات أساسية يركز عليها البحث، وهي: الفولكلور، الاحتفال، الأنثروبولوجيا، منطقتا الدراسة: وادي سوف، القبائل. فكيف عزّف الدارسون والمختصون هذه المصطلحات؟

## أولاً: مفهوم الفولكلور

الفولكلور قضية كانت في البداية جدلية حيث درست في ألمانيا تحت مسمى فولكسكندة Volkskunde، وهي موجودة منذ عام 1806، وتعني فولكسكندة علم "دراسة الشعب"<sup>1</sup>، وفي سنة 1846 راسل "وليام جون تومز" W.J. Thoms الإنجليزي صحيفة "ذي أثنيوم - The Athenaeum" مقترحا استخدام مصطلح فولكلور Feolklor، هذا المصطلح يتألف من مقطعين folk بمعنى "النّاس" وlore بمعنى معرفة أو حكمة، فالفولكلور حرفياً: "معارف النّاس" أو "حكمة الشعب"<sup>2</sup>، وهذا المفهوم حلّ ليخلف المصطلح القديم "الآثار الشعبية"، حيث ادعى "تومز" أن هذا المصطلح يحوي شوائب كصعوبة جريانها على الألسن<sup>3</sup>، ويُعرف "تومز" الفولكلور عموماً بأنه المعتقدات والأساطير والعادات التقليدية الشائعة بين عامة الناس، وأنه آداب السلوك وما يراعيه الناس، والخرافات والأغاني الروائية، والأمثال ... التي ترجع إلى العصور السالفة<sup>4</sup>.

وبسبب مرونة المصطلح-مادة وعلماء-، نجد هذا التعريف زاده العلماء الكثير من التعديلات والإضافات، نظراً لتشابهه مع باقي العلوم الإنسانية الأخرى، كما أن هذا التعدد راجع إلى اختلاف البيئات والثقافات حتى داخل البلد أو المجتمع الواحد، وبالتالي فإن السبيل الوحيد الذي أوجده

<sup>1</sup> ينظر: ايكة هولتكرانس، قاموس مصطلحات الأنثولوجيا والفولكلور، تر: محمد الجوهري، حسن الشامي، دار المعارف، مصر، ط1، 1972، ص 268.

<sup>2</sup> فوزي العنتيل، الفولكلور، ما هو؟، دراسات في التراث الشعبي، دار الميسرة، القاهرة، ط2، 1407 هـ - 1987، ص 15.

<sup>3</sup> ينظر: محمد الجوهري وآخرون، النظرية في علم الفولكلور، الأسس العامة ودراسات تطبيقية، القاهرة، 2003، د. ط، ص9.

<sup>4</sup> ايكة هولتكرانس، مرجع سابق، ص 280.

العلماء لرسم حدود واضحة لهذا العلم، هو تتابع إنمائته ومطارحته من حين لآخر، إلى أن تتضح معالمه ويفقهه الناس ويسلموا بأهميته، وقد أثمر هذا الخلاف عدة تعاريف تستقرئ هذا المصطلح، وتحادثه من جوانب عدة:

هناك جملة من التعريفات التي توحى بأن الفولكلور هو عبارة عن مخلفات سالفة أبت أن تمّحي في بيئة المدينة الحديثة، فهو ماضٍ رفض أن يُتلف، ففي القاموس الأمريكي يُعرف الفولكلور على أنه المآثورات من عادات وتقاليد وأعراف ومعتقدات شعبية قديمة استمرت متوارثة بين العناصر الأدنى ثقافة، في المجتمعات المتحضرة حتى الوقت الحاضر<sup>1</sup>، وقد عضد "أندرو لانج" A.Lang من هذا المفهوم واعتبر الفولكلور يصب اهتمامه على دراسة البقايا الثقافية، وهذه الفكرة مازالت موجودة إلى يومنا هذا<sup>2</sup>.

غير أن هذا التعريف لم يُرضِ جميع الدارسين، وأخذ بعضهم يعدل من مفهوم الفولكلور الذي لم يعد مقصوراً حسبهم على الرّواسب الثقافيّة، فهناك الكثير من التعريفات التي توحى أن الفولكلور هو "ذلك الجزء التقليدي من الثقافة الشعبيّة"<sup>3</sup>، فهو عند "باليس" Balys "يشمل الإبداع التقليدي للشعوب البدائية والمتحضرة على السواء"<sup>4</sup>، وإذا نظرنا في مجموعة أخرى من التعريفات نجدها توسع من دائرة الفولكلور فقد أصبح "يستوعب أيضاً المواد المشكلة التي يحكم عليها بأنها شعبية، وخصوصاً تلك التي لها وظائف حيوية واجتماعية كالنقوش والصور والتماثيل والعمارة"<sup>5</sup>.

وأما الدراسات الأنثروبولوجية فقد ضيقت من مفهوم الفولكلور، ودعت إلى إخراجها من دائرة الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية على اعتبار أنه أميل للأدب والفلسفة لذلك فهو غير منفصل عنهما، وبالتالي فإن مجاله الفنون الكلامية والآداب الشعبية والحكايات والأساطير، إلا أن هذا الموقف عدل حين استبدل مصطلح الفولكلور بمصطلح الأثنوغرافيا كمفهوم جديد في حقل العلوم

<sup>1</sup> فوزي العنتيل، الفولكلور، ما هو؟، ص 36.

<sup>2</sup> ينظر: ايكة هولتكرانس، مرجع سابق، ص 280.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 281.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>5</sup> عبد الحميد يونس، معجم الفولكلور مع مسرد انجليزي عربي، كتب عربية، د.ط، د. ت، ص 348.

الاجتماعية<sup>1</sup>، كما أن هناك من الفولكلوريين من تبنّى هذا التعريف، كالأمريكي أتلي utley، الذي نعت الفولكلور بأنه "أدب انتقل مشافهة"<sup>2</sup>، وهناك أيضا من فهم الفولكلور على أنه "حصيلة ثقافة العامة من الناس كمقابل أو مباين لثقافة الطبقات الراقية وهذه الفكرة قد تطورت ببسر في أوربا كتوسع وظيفي لتعريف تومز"<sup>3</sup>.

من خلال ما تقدم يمكننا ملاحظة الجدل القائم حول تعريف الفولكلور في الثقافة الغربية الأوربية والأمريكية، ولقد طرح "طومسون" قضية الاختلاف في إيجاد تعريف يستوعب جميع آراء علماء الفولكلور، ويظهر ذلك في قوله: "على الرغم من أن كلمة فولكلور قد مضى عليها أكثر من قرن، فليس هناك اتفاق تام على ما تعنيه هذه الكلمة"<sup>4</sup>، فتحديد تعريف لمصطلح الفولكلور في المنطقة الأوربية بقي عبارة عن أطروحات مفتوحة.

عدوى الاختلاف هذه أصابت الثقافة العربية أيضا، حيث لم يتفق المهتمون على معنى محدد يستوعب الآثار الشعبية، ولهذا استحسن بعض العلماء ترجمة مصطلح الفولكلور، في حين فضل آخرون مصطلح التراث الشعبي، ومنهم من استخدم المأثور الشعبي، ومنهم من رجح مصطلح الفنون الشعبية على ما تقصده الآن صيغة فولكلور<sup>5</sup>.

ومنه إذا أردنا إمطة اللثام عن تعريف الفولكلور، فيمكننا القول: إن هذا المصطلح حمّال أوجه، إذ لم يتفق الدارسون الغربيون ولا العرب على تعريف شامل يستند إليه، فالكل ينظر إليه من زاوية معينة قد تتفق مع آرائه أو ثقافات بلده، وما اتفق عليه الدارسون من أن الفولكلور يصب اهتمامه على كل قديم ومتداول، فهو يستوعب كل ما عدده الدارسون من عاداتٍ وتقاليده وسلوكٍ، ومعارفٍ وحكمٍ وأساطيرٍ وحكاياتٍ شعبيةٍ وحرفٍ وأزياءٍ وزينةٍ وحليٍّ وفنٍّ ومسرحٍ وسحرٍ ودينٍ وموسيقى... الخ، أي أن الفولكلور يضم كل ما يصدر من الإنسان في مختلف جوانب حياته،

<sup>1</sup> ينظر: شوقي عبد الحكيم، مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، د. ط، 2012، ص 10.

<sup>2</sup> فوزي العنتيل، الفولكلور، ما هو؟، ص 40.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 42.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 35.

<sup>5</sup> ينظر: عبد الحميد يونس، معجم الفولكلور مع مسرد انجليزي عربي، ص 348.

وغيابة الفولكلور هي الإتيان بنظرة الإنسان وفلسفته اتجاه عالم الفيزيكا والميتافيزيكا. والفولكلور كحقل معرفي، يتجذر ليوطد علاقته بالعلوم الأخرى التي لم تعد تستغني عنه في دراستها، كعلم التاريخ، والأنثروبولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع.

## ثانيا: تعريف الاحتفال والاحتفالات الشعبية

### 1- تعريف الاحتفال

الاحتفالات ظاهرة إنسانية، فكل المجتمعات تقيم احتفالات في فترات معينة من الزمن، منها ما هو قارّ كالاحتفالات الفلاحية والدينية، ومنها ما هو متّغير كالاحتفالات التي لها علاقة بدورة الحياة من ولادة وختان وزواج... وهناك عدة تعاريف لغوية للاحتفال، منها ما جاء في "لسان العرب" من مادة (حفل) فقد ورد "الحَفْلُ" بمعنى اجتماع الماء في مَحْفَلِهِ، وَمَحْفَلُ الماء: مُجْتَمَعُهُ، وحَفَلَ اللبن في الضرع يَحْفَلُ حَفْلًا وَاحْتَفَلَ: اجْتَمَعَ، وَرُوِيَ عن ابن الأعرابي قال: الْحَفَالُ الجمع العظيم، وَحَفَلَ الدَّمْعُ بمعنى كَثُرَ، وَحَفَلَ القوم يحفلون حفلا واحتفلوا: اجتمعوا واحتشدوا، وَتَحَفَّلَ المجلس: كثر أهله، وَالتَّحَفُّلُ: التَّزِين، وَالتَّحْفِيلُ: التَّزِين<sup>1</sup>، وبالتالي من الدلالات اللغوية لكلمة الاحتفال: الاجتماع والتزين.

وهناك جملة من التّعريفات عند الغرب، فالاحتفال "Festival" في الإنجليزية المعاصرة، أوقات الاحتفالات المقدسة (الدينية) أو المدنّسة (الدينيوية) تمارس فيها طقوس خاصة، أو الاحتفاء السنوي بشخصية بارزة، أو بموسم حصاد، وكذلك يعني الاحتفال أي حدث ثقافي تُعرض فيه سلسلة من العروض، أو أي مناسبة عامة<sup>2</sup>، ووفق معجم "Larousse" فالاحتفال "عبارة عن شكل خارجي لمظهر تعبدي أو حدث اجتماعي كاحتفال التعميد "Baptême" عند المسيحيين أو السبوع

<sup>1</sup> ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، المجلد الحادي عشر، دار صادر، بيروت، د. ط، د. ت، ص 156-157-158.

<sup>2</sup> ينظر: أليساندرو فالسي، الاحتفال مفهومه وتشكله، تر: ثروت مرسي، مجلة الفنون الشعبية، العدد 100، الهيئة المصرية العامة للكتاب، يناير-ديسمبر 2015، ص 206.

للوليد، أو إسهاد جمع غفير على سبيل المجاملة<sup>1</sup>، وقد عرف "مصطفى شاكِر سليم" الاحتفال بأنه تجمع عدد من أفراد المجتمع في أوقات معلومة، بهدف التعبير عن وجهات نظر مشتركة بفعاليات منظمة رمزية، تؤدي في مناسبات معلومة ذات طابع ديني أو جمالي، كما تختلط فيه المشاعر والفعاليات الخاصة عند الجماعات البدائية بشكل لا يمكن الفصل بينهما، وللحفل سمات منها: أن إقامته تتكرر في أوقات معلومة، أو مناسبة معينة، ومنها أن له منهجا ثابتا مقررًا<sup>2</sup>. يعني الاحتفال في حقل العلوم الاجتماعية "مناسبة اجتماعية متكررة دوريا يشارك فيها كل أعضاء المجتمع، عبر أشكال متعددة وسلسلة من الأحداث المنسقة بشكل مباشر أو غير مباشر، وبدرجات متفاوتة، حيث تجمعهم روابط إثنية ولغوية، ودينية، وتاريخية، وبشتركون في رؤيتهم للعالم"<sup>3</sup>، ومنه فإن الاحتفال يُعتبر ظاهرة اجتماعية، حيث يفترض مشاركة الناس في مناسبة معينة، يُمارسون خلالها طقوسا منظمة وفق أعرافهم يعبرون من خلالها عن وحدة الانتماء والرؤية والرؤيا، والاحتفال لا يخص جوانب معينة في حياة الإنسان، بل يشمل كل الأحداث التي تحتاج إلى الاحتفاء.

## 2-الاحتفالات الشعبية

يمكن أن نقسم الاحتفالات عموما إلى نوعين: الأول وهو الاحتفال الرسمي، وهذه الاحتفالات حديثة، تُمارسها طبقة خاصة عالمية، وعادة ما تكون في مؤسسات معترف بها رسميا، وفق برتوكولات متفق عليها، ونقصد بقولنا الاحتفالات الوطنية أو الاحتفالات الثقافية والاحتفالات الفنية، وعن أهداف هذه الاحتفالات فهي دنيوية كالترفيه والتثقيف وتعزيز الوحدة الوطنية وغيرها، أما النوع الثاني فهو موضوع دراستنا، ونقصد الاحتفالات الشعبية وهي قبلية وجدت مع الإنسان، كما أنها احتفالات جماعية، إذ أن "العيد يفترض مشاركة شعبية ضخمة مليئة بالإثارة"<sup>4</sup>، تكون الاحتفالات موجهة إلى قوى أعلى من الإنسان، لأجل تحقيق حاجيات دينية ودنيوية، فالاحتفالات

<sup>1</sup>أحمد زغب، الفولكلور المنهج النظرية التطبيق، دار هومة، الجزائر، د. ط، 2015، ص39، نقلا عن: Le petit Larousse illustré, 1989, p178.

<sup>2</sup>ينظر: شاكِر مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا إنكليزي-عربي، جامعة الكويت، ط1، 1981، ص161.

<sup>3</sup>المرجع نفسه، ص206.

<sup>4</sup>روجيه كايوا، الإنسان والمقدس، تر: سميرة ريشا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2010، ص141.

الشَّعبية هي "مجموعة من الأحداث المختلفة بدرجة كبيرة، المقدَّسة والمدنَّسة (الدينية والدينيوية)، الخاصة والعامَّة المقرة بالتقاليد والمقدَّمة للابتكارات، الهادفة إلى إحياء ما نحن إليه من الماضي، والموفرة لطرائق تعبيرية للإبقاء على العادات الفولكلورية الأقدم، والتي تحتفي كذلك بالفنون الجميلة للرواد الأكثر تأملية وتجريبية"<sup>1</sup>، وقد عرفت الثقافات الإنسانية نوعين من الاحتفالات الشَّعبية منها ما هو دنيوي، يُطلق عليها باللاتينية Festum وهذا النوع يُستخدم للمسرات الشَّعبية، والمهرجانات وحفلات العريضة، وأما النوع الثاني Feria فهي الاحتفالات التي تُقام لأجل الآلهة، وفي اللاتينية الكلاسيكية اتجهت الكلمتان إلى أن تكونا مترادفتين، إذ إن هذين النوعين من الاحتفال اتجها للاندماج<sup>2</sup>.

وكون الاحتفالات من مجالات الثقافة الشعبية، فهي تتسم بعدة خصائص من بينها الإلزام، ذلك أن الاحتفال في جوهره يحمل مجموعة من المعايير التي تحدد نمط تفكير الفرد، وبالتالي فهي تلزمه على اتباع نظام لا يستطيع التكلم ولا التفكير إلا في حدوده<sup>3</sup>، ومن خصائص الاحتفالات أيضا "التلقائية"، فالأفراد يمارسون الاحتفالات بطريقة عفوية، فمعظم المشتركين يجهلون جذور هذه الممارسات والغاية الحقيقية من إقامتها، فهم قوم تبع ألزمتهم الثقافة الشعبية بإقامة احتفالات في أوقات معلومة، الغاية منها إشباع حاجات الإنسان الاجتماعية والنفسية والدينية، التي تتحول مع الوقت إلى عادات فردية واجتماعية من نتاج العقل الجمعي كما اعتبرها "دور كايم"، وفقا لهذا المعنى فإنها احتفالات ذات قواعد الضبط الاجتماعي الأكثر تلقائية وأشملها إلزاما لكونها منبثقة من ضمير الجماعة، حيث لا يشعرون بالحاجة إلى تغييرها أو الخروج عليها، أو حتى مناقشة أسباب تحكمها فيهم<sup>4</sup>، كما أنَّها احتفالات متكررة، تتكفل الذاكرة الجماعية بحفظها، ويتم تناقلها بدقة متناهية، وتتميز الاحتفالات بالاستمرار والثبات، فالاستمرار يتم عن طريق توريثها من جيل

<sup>1</sup> أليساندرو فالسي، الاحتفال مفهومه وتشكله، مرجع سابق، ص 205.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 205.

<sup>3</sup> ينظر: عبد الغني عماد، سوسولوجيا الثقافة المفاهيم والاشكاليات من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 2008، ص 152.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 152-153.

إلى آخر دون تغيير أو تحريف في الأسلوب العام، مع قابلية نسبية للتعديل، تبعا لظروف جديدة مبنية على فاعليات مقصودة<sup>1</sup>. وتعتبر ذات جاذبي على الرغم من الإلزام والقهر، لأنها تبقى مرغوبا فيها، وينتظر أبناء المجتمع الواحد وقت الاحتفال ليعلن عن جو يسوده الفرح لما فيه من صلوات رحم وتبادل الهدايا ومعرفة أحوال الناس واللجوء إلى المقدس، والانقطاع عن الدنيوي لوقت معلوم<sup>2</sup>.

وللاحتفالات الشعبية وظائف دينية ودنيوية، فهي "تقوي الشعور الجمعي، أي شعور الفرد بجماعته الاجتماعية، وتضائل ميله إلى الأثرة في علائقه بأفرادها. ويسود الشعور الجمعي المجتمعات البدائية والصغيرة والقريبة منها بخاصة، ويلعب دورا هاما في حياتها، لأن كل فرد فيها يحس بأحاسيس الآخرين، ويتحمل من المسؤوليات ما يتحملونه"<sup>3</sup>، كما تعد الاحتفالات الشعبية "مظهرا من مظاهر التضامن الاجتماعي السائدة فيه والذي يعكس مصالح اقتصادية جمعية وفردية، وتؤدي وظائف ثقافية معينة داخل البناء الثقافي العام في المجتمعات الإنسانية"<sup>4</sup>. وتهدف الاحتفالات الشعبية أساسا حسب بعض الدارسين إلى صيانة الدين وإدامته من خلال فرضه على شكل عادات وتقاليد "فلولا تلك الطقوس والأعياد والشعائر المختلفة لاختفى الدين من حياة الناس تماما، وقد تحولت الشعائر والاحتفالات الدينية في العالم المتقدم إلى مناسبات وفرص اجتماعية للتواصل العام ولتعزيز العلاقات الاجتماعية"<sup>5</sup>.

إذا يُعبر المتفاعلون الاجتماعيون في الاحتفالات الشعبية عن رؤيتهم للعالم وللمقدس، باعتبارهم يمثلون جماعة إثنية، لها نفس الأيديولوجيا والمعتقدات التي تشكلت بفعل اللغة والتاريخ والدين، وبالتالي فإن غاية الاحتفال أساسا هو تكريس الانتماء، وتلقين النماذج للأجيال الجديدة

<sup>1</sup> عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والاشكاليات من الحداثة إلى العولمة، مرجع سابق، ص 153.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 154.

<sup>3</sup> شاكر مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا إنكليزي-عربي، مرجع سابق، ص 189.

<sup>4</sup> كلثم علي غانم الغانم، الاحتفالات الجماعية وبعض الأشكال الثقافية المصاحبة في مجتمع الغوص، ج1(احتفالات بدء موسم الغوص)، قسم الدراسات والبحوث بإدارة الثقافة والفنون، قطر، ط1، د. ت، ص 7-8.

<sup>5</sup> فراس السواح، دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، منشورات دار علاء الدين، دمشق، سورية، ط4،

والتذكير بالمراجع العليا التي تنظم حياة الفرد والجماعة، وبالتالي فإن الاحتفالات تُطبع سلوكيات معينة، وتُشرعن سلطة تتغلغل في اللاوعي الجمعي، وهذا هو هدف الاحتفالات.

وإذا كانت أفكار الاحتفالات الشعبية في الأصل مقدسة، وتفترض انخراط جمهور كبير، فإن في الاحتفالات عوائد ذات طابع ديني، تفرضها الأعراف ينبغي اتباعها، فزمن الاحتفال مقدس بامتياز، يُعلق -في الاحتفالات- العمل بالقوانين ويوصى بالخلاعة والمجون، وهو يوم مكرس للإلهي يُفرض فيه الامتناع عن العمل والانصراف إلى الراحة والمتعة وتسييح الله، والمبالغة في التجاوزات التي تعتبر مجرد تفريغ للطاقة الحيوية<sup>1</sup>، ففي الاحتفالات ينقطع الإنسان عن ممارسة الأعمال الدنيوية، وينتقل إلى الزمن الديني الذي تُرفع فيه النواميس والقوانين الوضعية، ويُساعد الحضور الجمعي الكثيف على التماهي في جو حماسي تتهيج فيه المشاعر لدرجة إلغاء العقل، وفي بعض المجتمعات البدائية يتم إعلان الإذن الاحتفالي أي "سماح المجتمع لأفراده البالغين بممارسة الاتصال الجنسي بحرية أثناء احتفالات معينة"<sup>2</sup>، وتسرح كل المكبوتات والانذافات الداخلية التي تشكلت بفعل الحياة الدنيوية الصارمة، "فالعيد كان ولا يزال أمس كما اليوم، يتمثل في الرقص والغناء والتهافت على المأكول والمشروب، على المرء أن يقبل على كل ما تلهه نفسه وتشتهيه، وأن يعب منه حتى التخمة والمرض"<sup>3</sup>، والإفراط إلزامي لتوفيق الاحتفالات كونه يشارك في طابعها المقدس ويساهم مثلها في تجديد الطبيعة أو المجتمع<sup>4</sup>، وبالتالي فإن المحتفلين يعتقدون أنهم من خلال الاحتفالات يعودون إلى الزمن المقدس المليء بالراحة.

وقد مارست الجماعات الشعبية -قديمًا وحديثًا- عدة أنواع من الاحتفالات، ومما يهم بحثنا، الاحتفالات الموسمية والاحتفالات الدينية، التي نذكرها لاحقًا.

<sup>1</sup> ينظر: روجيه كايوا، الإنسان والمقدس، مرجع سابق، ص144.

<sup>2</sup> مصطفى شاكر سليم، قاموس الأنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص161.

<sup>3</sup> روجيه كايوا، مرجع سابق، ص142.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص146.

## 2.1. الاحتفالات الموسمية

وهي احتفالات لها علاقة بالطبيعة والتجدد، " ولها علاقة بالزراعة، و متمحورة حول طقوس الخصب والنماء وأساطير نشأة الكون<sup>1</sup>، تقام إبان فترة مفصلية من الإيقاع الموسمي، تبدو فيها الطبيعة في طور التجدد، وقد أدركها تغيير ظاهر للماء، كاحتفالات بداية الشتاء أو نهايته، كما أن هناك احتفالات خاصة بفصل المطر، حيث تنطلق الجماعات وقد سيطر عليها انفعال شديد هو مزيج من قلق ورجاء، في رحلات حجّ مقدس إلى الأمكنة التي اجتازها الأسلاف الأسطوريون قديماً<sup>2</sup>، هذا النوع من الاحتفالات قديمة قدم الإنسان، فالإنسان باعتباره كائناً غير منفصل عن الطبيعة، فهو يعيش في وفاق معها يتأثر بها، ويعتقد أنه يُؤثر فيها، وبالتالي فإن أيّ تغيير يطرأ على أحوال الطبيعة يؤثر بشكل مباشر على الإنسان، في ملبسه ومأكله وسلوكه وطباعه، وعلى إثر هذا يحدث تجدد الطبيعة نوعاً من القلق تعمل طقوس الاحتفالات على التخلص منه، لما لها من أغراض دينية وديوية.

## 2.2. الاحتفالات الدينية

وهي احتفالات موجودة في المجتمعات كافة الغابرة والمعاصرة، والبدائية والمتحضرة، ترتبط لدى كثير من الشعوب البدائية بمعتقدات دينية تتعلق بالغذاء وبالتقرب إلى الآلهة لتوفيره. وأهم دواعي إقامة الولائم وفرة الغذاء، ووقوع أحداث هامة كالولادة والتبني والانتصار في المعارك، وقد يسبق الأعياد الدينية صوم لتطهر النفس قبل الاحتفال<sup>3</sup>. تكون فترة الاحتفالات ذات طابع مقدس "مخصص للطقوس يتوجب خلاله الإقلاع عن أي نشاط دنيوي"<sup>4</sup>، حيث ينغمس الناس في الاحتفالات الشعبية في جو مفعم بالقداسة، ويُمارسون أفعالاً غير معتادة، أو أفعالاً معتادة يُضفي عليها طابع القداسة، حيث "يستسلم -الناس- أثناء العيد لذات الأعمال مما هي في الفترات خارج الأعياد، ولكن الإنسان المتدين يعتقد أنه يعيش عندئذ في زمن آخر، وأنه نجح في استعادة الزمن

<sup>1</sup> أليساندرو فالسي، الاحتفال مفهومه وتشكله، ص 206.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 155.

<sup>3</sup> ينظر: مصطفى شاكر سليم، قاموس الانثروبولوجيا، ص 335-336.

<sup>4</sup> فراس السواح، دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنتشاً الدافع الديني، ص 84.

البدئي الأسطوري<sup>1</sup>. فقد "تتطلب ممارسة الطقوس الدينية من المشاركين التجرد الكامل من ملابسهم وزينتهم المعتادة باعتبارها جزءاً من العالم الدنيوي يتوجب تركه عند أعتاب مكان الاحتفال، أما إذا تطلبت بعض الطقوس ارتداء زينة معينة فإن هذه الزينة تصنع خصيصاً للاحتفال ويمنع أي استخدام دنيوي لها بعد ذلك"<sup>2</sup>، والاحتفالات الدينية كما بين فراس السواح هي عبارة عن أداء درامي لأساطير نشأة الكون والآلهة والإنسان، بالضبط مثلما يحدث في احتفال "الأكيتو" الذي كان يمارسها الجميع ويشاهدها الجميع، ويقوم بأدوارها رجال الدين والكهنة والملك والملكة<sup>3</sup>.

وإذا كانت الاحتفالات الموسمية دنيوية، والاحتفالات الدينية دينية بالأساس، إلا أنه لا يخلو واحد من عناصر الآخر، فالاحتفالات الدينية لها مضامين دنيوية، والاحتفالات الدنيوية هي في الأصل لجوء إلى المقدس مما يضيف عليه طابع ميثافيزيقي<sup>4</sup>. وتتبع الاحتفالات الشعبية عدة طقوس يفرضها الدين الشعبي أو الجماعات الشعبية، ذلك أن "الطقوس هي العمل الحقيقي في الأعياد"<sup>5</sup>، ومن جملة الطقوس التي كانت تمارس في الاحتفالات:

**التطهيرات:** تجرى لطرد الذنوب والشياطين أو ببساطة كبش المحرقة<sup>6</sup>.

**طقوس العبور:** قد تمارس في الاحتفالات الشعبية طقوس العبور، وهو الاحتفال بالعبور من حالة إلى حالة، وتلحق احتفالات العبور بالتزامات يجب مراعاتها، وتكون طقوس العبور في احتفالات الزواج والختان أو الانضمام إلى قبيلة أو مجموعة سرية أو الانتقال من مرحلة البلوغ إلى النضج أو الانتقال من الزمن المدنس إلى المقدس.. وعند العبور يُلقن الشخص تعليمات تتضمن ما عليه من التزامات ومسؤوليات<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> مرسيا الياد، المقدس والمدنس، تر: عبد الهادي عباس، دار دمشق، دمشق، ط1، 1988، ص67.

<sup>2</sup> فراس السواح، دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومثلاً الدافع الديني، مرجع سابق، ص73.

<sup>3</sup> ينظر: خزعل الماجدي، أدب الكالا... أدب النَّار دراسة في الأدب والفن والجنس في العالم القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2001، ص30.

<sup>4</sup> ينظر: أليساندرو فالسي، الاحتفال مفهومة وتشكله، ص206.

<sup>5</sup> خزعل الماجدي، مرجع سابق، ص30.

<sup>6</sup> مرسيا الياد، مرجع سابق، ص63.

<sup>7</sup> ينظر: عبد الحميد يونس، معجم الفولكلور مع مسرد انجليزي عربي، ص232-233.

**طقوس الانعكاس:** ويقصد بها تحول قواعد الجنس "النوع" عن طريق التتكر، فالرجال يلبسون زي النساء والنساء يلبسون زي الرجال، وكذلك القواعد الاجتماعية فالسادة يقومون بخدمة الخدم، كما تستخدم الفضاءات المقدسة والمدنسة بصورة عكسية أيضا<sup>1</sup>.

**طقوس الرقص:** طقوس تجرى في الاحتفالات تعبيراً عن آمال ومخاوف جماعية، أو لترمز إلى أحداث ووقائع هامة، كالطقوس التي تمارس في رقص استئزال المطر أو الخصوبة، ويكون الرقص في الاحتفالات كممارسة سحرية للتزلف لقوى خفية تحقق للراقصين أغراضاً متوخاة، أو كجزء أساسي من أعمال وسطاء القوى فوق طبيعية<sup>2</sup>.

ولا يزال الإنسان في العصر الحديث يمارس الاحتفالات الموسمية والدينية، وفي بحثنا هذا سنخصص احتفالات معينة قصد الدراسة، فاخترنا من الاحتفالات الموسمية "احتفالات السنة الجديدة" واحتفالات استحضر المطر"، ومن الدينية اخترنا "احتفالات عاشوراء". وبقي لنا أن نتعرف على طبيعة هذه الاحتفالات، وما إذا مسّها التغيّر والتطور -بفعل تطور حركة العلم، وانتقال المجتمعات إلى الحياة المدنية القائمة على القوانين والتحرر والفردية، وسلطة الدين والهيمنة السياسية، وقيام المدن وتفكك التواميس الاجتماعية- أم أنّها بقيت تدس بقايا الفكر الإنساني الأول على شكل رواسب ثقافية.

### ثالثاً: الأنثروبولوجيا

#### 1- تعريفها وفروعها

مصطلح الأنثروبولوجيا LAnthropologie يوناني المنبت يتكون من جزئين: "Anthropos" = إنسان، و"Logos" = علم<sup>3</sup>، وعلى هذا الأساس يكون التركيب اللغوي لكلمة "أنثروبولوجيا" يعني يعني أنها العلم الذي يدرس الإنسان<sup>4</sup>. لكن هذا التعريف يجعلنا ننظر إلى باقي العلوم الأخرى سواء البيولوجية أو الاجتماعية أو العلمية، باعتبارها هي أيضاً تدرس الإنسان، وهذا ما يدفعنا إلى

<sup>1</sup> أليساندرو فالسي، الاحتفال مفهومه وتشكله، ص 208.

<sup>2</sup> مصطفى شاكّر سليم، قاموس الأنثروبولوجيا، ص 240.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 56.

<sup>4</sup> عبد الوهاب جعفر، البنيوية في الأنثروبولوجيا وموقف سارتر منها، دار المعارف، القاهرة، د. ط، 1989، ص 09

طرح السؤال الآتي: ما الذي يميز الدراسة الأنثروبولوجية عن العلوم الأخرى؟ أو بماذا تهتم الأنثروبولوجيا تحديداً؟

يكفي أن نستشير عدة تعاريف لنجيب عن هذا السؤال من خلال معرفة الحدّ الفاصل بين الأنثروبولوجيا والعلوم الأخرى، فمعجم اللغة العربية المعاصرة يعرف الأنثروبولوجيا "بأنها علم يبحث في أصل الجنس البشري وتاريخ تطوره، وأعرافه وعاداته ومعتقداته وعلاقاته، وتوزيعه الجغرافي وفي السلالات البشرية وخصائصها ومميزاتها"<sup>1</sup>، ويعرفها مصطفى شاكر سليم بقوله: "هي علم دراسة الإنسان طبيعياً واجتماعياً وثقافياً"<sup>2</sup>، وهناك من يعرفها بوصفها علم الإنسان، "فهي تجمع الأنثروبولوجيا الطبيعية والأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهذه الأخيرة بترادفها مع الأثنولوجيا فهي تهتم بكل الجماعات الإنسانية أياً تكن مميزاتها، وفي إمكانها أن تجعل موضوع دراستها كل الظواهر الاجتماعية التي تستحق تفسيراً من خلال العوامل الثقافية"<sup>3</sup>، ويرى ليفي ستروس أن "الأنثروبولوجيا هي نسق للتفسير يضع في الاعتبار النواحي الفيزيائية والبيولوجية والسيكولوجية والاجتماعية لكل أنواع السلوك"<sup>4</sup>، وربما تكون أفضل طريقة لتعريف الانثروبولوجيا هي أن تقدم للقارئ فكرة عما يفعله الأنثروبولوجيون، وفي هذا الصدد كتبت الباحثة الانثروبولوجية الأمريكية "مارجريت ميد" M Mead تقول: "نحن نصف الخصائص الإنسانية، البيولوجية، والثقافية للنوع البشري عبر الأزمان وفي سائر الأماكن، ونحلل الصفات البيولوجية، والثقافية المحلية، كأساق مترابطة ومتغيرة، وذلك عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطورة، كما نهتم بوصف وتحليل النظم الاجتماعية والتكنولوجية، ونُعنى أيضاً ببحث الإدراك العقلي للإنسان وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصالاته"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، المجلد 1، ط1، 1469هـ/2008م، ص 128

<sup>2</sup> مصطفى شاكر سليم، قاموس الأنثروبولوجيا، ص 56.

<sup>3</sup> مارك أوجيه، جان بول كولانين، الأنثروبولوجيا، تر: جورج كتوره، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2008، ص 15

<sup>4</sup> عبد الوهاب جعفر، البنيوية في الأنثروبولوجيا وموقف سارتر منها، ص 9.

<sup>5</sup> حسين فهيم، قصة الأنثروبولوجيا فصول في تاريخ علم الإنسان، سلسلة كتب ثقافية شهرية يُصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، جمادى الأولى 1406هـ - فبراير 1986م، ص 14.

وإجابة عن السؤال الذي طرحناه واستنادا إلى التعاريف السابقة المختلفة يتسنى لنا القول: الأنثروبولوجيا تتفق مع باقي العلوم في دراسة الإنسان، لكنها تختلف عنها في زاوية الدراسة، فهي تدرس الإنسان من زوايا ثلاث مقدره تفصلها عن العلوم الأخرى: طبيعيا واجتماعيا وثقافيا، وللاشارة فإن هذا المصطلح لم يعرف استقرارا في الثقافة الغربية كما هو الحال في الثقافة العربية، فنجد أن معنى الأنثروبولوجيا في فرنسا حتى الستينات من القرن العشرين مقتصره على الأنثروبولوجيا الطبيعية، لا تعبرعما يعنيه المصطلح في بريطانيا أنثروبولوجيا اجتماعية<sup>1</sup>، كذلك في الثقافة العربية، نجد عدة تسميات لترجمت المصطلح، مصطلح " علم الإنسان " ونجد هذا المصطلح شائعا في المشرق العربي، وهناك من يأخذ بمصطلح " الأناسة"<sup>2</sup>، وبناء على هذا الخلط، تحفظ الكثير من الدراسين العرب على ترجمة اسم هذا العلم، وفضلوا الاحتفاظ بتسميته كما هي في لغته الأصلية أي الانثروبولوجيا<sup>3</sup>.

### 1.1. الأنثروبولوجيا الطبيعية:

وهي فرع من الانثروبولوجيا العامة، تهتم بدراسة الإنسان من الناحية الجسمانية (الفيزيولوجية)، فالانثروبولوجيا الفيزيولوجية، تركز مشكلاتها على الإنسان باعتباره عضوا في المملكة الحيوانية، وهذا الفرع يتوسط المنهج المقارن لكشف وتوصيف المعايير الفيزيائية التي تميز الجنس البشري عن سائر الكائنات الأخرى<sup>4</sup>. في الولايات المتحدة الأمريكية حين نقول كلمة أنثروبولوجيا "Anthropology" بلا زيادة نفهم منها في أغلب الأحيان دراسة التطور البيولوجي في الكائنات

<sup>1</sup> ينظر: فيليب لايبورت-تولر، جان. بيار فارنييه، إيتولوجيا أنثروبولوجيا، تر: مصباح الصمد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1423هـ-2004م، ص55.

<sup>2</sup> بيار بونت وميشال ايزار وآخرون، معجم الإثنولوجيا والانثروبولوجيا، تر: مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع "مجد"، بيروت، لبنان، ط2، 1432هـ-2011م، ص7.

<sup>3</sup> ينظر: محمد الجوهري وعلياء شكري وآخرون، مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا، القاهرة، 2007، ص18.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص18-19.

البشرية وتطورهم الثقافي طيلة فترة ما قبل التاريخ<sup>1</sup>، يرى الأنثروبولوجي الأمريكي "برنتن دانيل" أن الانثروبولوجيا هي ((الأنثروبولوجيا الطبيعية))<sup>2</sup>.

## 2.1. الانثروبولوجيا الاجتماعية

هو الفرع الذي يُولي اهتماما لدراسة مفهوم البناء الاجتماعي والوحدات الرئيسية المكونة لهذا البناء، والمقصود مجموعة العلاقات والروابط والقواعد المتصلة بقطاع أو جانب معين من جوانب حياة هذا المجتمع. فمجموعة العلاقات التي تتعلق بتكوين الأسرة ونظام القرابة وتربية الأطفال وشبكة العلاقات بين الأفراد وبين الزوجين، وبينهما وبين الأَوْلاد، والعلاقات مع الأصهار... كل ذلك يكون ما يسمى نظام الأسرة، أو النظام العائلي<sup>3</sup>، كذلك الحال بالنسبة لمجموعة العلاقات والروابط والتنظيمات المتصلة بمجال كسب العيش، كل ذلك يكون تحت مسمى النظام الاقتصادي، أما توزيع القوة في المجتمع وقواعد استخدامها وآثار هذا الاستخدام فيدرس تحت اسم النظام السياسي، وهناك أيضا النظام الديني<sup>4</sup>، وبالتالي فإن الأنثروبولوجيا الاجتماعية، تحاول إيجاد تفسير للأنظمة الاقتصادية والسياسية، والنواميس الاجتماعية التي تضبط السلوك الاجتماعي، وتدرس الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع، يخضع لرقابة اجتماعية يستجيب لما تمليه عليه الجماعة بشكل واعٍ أو غير واعٍ، كما أنه يعمل تحت مؤسساتها، وينتمي إليها، وفقا لهذا تشكلت عدة نظم ساهمت في بناء وتنظيم المجتمعات، فنجد نظام الأسرة، كما نجد نظام القرابة، ونظام الاقتصاد ونظام الزواج... الخ، وهذا "المصطلح يطلق على التراث المهيمن في الأنثروبولوجيا البريطانية، وذلك وفقا لتأكيد العلماء البريطانيين على مفاهيم مثل: المجتمع والبناء الاجتماعي، والتنظيم

<sup>1</sup> مارك اوجيه، جان بول كولان، الأنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص 13.

<sup>2</sup> مصطفى شاكّر سليم، قاموس الأنثروبولوجيا، ص 132.

<sup>3</sup> الجوهري وعلياء شكري وآخرون، مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا، ص 33.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 34.

الاجتماعي"<sup>1</sup>، و"أما في الأنثروبولوجيا الحديثة في الولايات المتحدة، فيقتصر أحيانا على استخدام مصطلح الانثروبولوجيا الاجتماعية، للإشارة إلى الدراسات المقارنة للمجتمعات والثقافة"<sup>2</sup>.

### 3.1. الانثروبولوجيا الثقافية

وهو الفرع الذي يُعني بدراسة الجانب الثقافي في حياة الإنسان، كونه يتفرد بقدرته على إنتاج ثقافة، والثقافة باعتبارها إنتاجا إنسانيا تتميز بعدة خصائص، فهي مكتسبة أي أنها لم تولد مع الإنسان، بل اكتسبها وتعلمها من المحيط الخارجي، كما أنها متنوعة فلكل شخص ثقافته الخاصة كما أن لكل مجتمع سمات ثقافية تميزه عن غيره من المجتمعات، وهذه الثقافة تنشأ بتضافر اللغة إضافة إلى البيئة وأنماط المعيشة، والقانون الذي يحكم الجماعة ولهذا يتسنى لنا القول إن الثقافة نتاج اجتماعي، كما أنها متغيرة لا تعرف الاستقرار، فالزمان والمكان قادران على أن يمنح لها صفة التغير والديمومة، كما أنها تراكمية لا تحدث قطيعة مع الماضي، وتستجيب لتطورات الحاضر، وما يساهم في ذلك اللغة والطقوس والمخلفات المادية أيضا، إضافة إلى أن اللغة تتميز بخاصية الرمز، فقد يختزل سلوك في كلمة أو إشارة تعارف عليها الناس، فمثلا بسط الأصابع الخمس لليد، هي رمز يفهم منه صد الحسد في بعض الثقافات الإنسانية، كما تتميز الثقافة بالإنزمام، فهي تلزم الفرد والجماعة باتباع نمط معين لا تحيد عنه، كما أنها نسبية لا تتصف بالدقة، من هنا فإن الإنسان كما اتضح كائن اجتماعي وثقافي، ومنه كان موضوع اهتمام الأنثروبولوجيا الثقافية التي تدرس أصول المجتمعات والثقافات الإنسانية، وتاريخها، وتتبع نموها وتطورها، وتدرس بناء الثقافات البشرية وأدائها لوظائفها في كل مكان وزمان، فالأنثروبولوجيا الثقافية تهتم بالثقافة في ذاتها، سواء أكانت ثقافة أسلافنا أبناء العصر الحجري"<sup>3</sup>، وبالتالي تهتم "بدراسة مخترعات الشعوب البدائية، وأدواتها، وأجهزتها، وأسلحتها، وطرز مساكنها، وفنونها وآدابها، وأنواع الألبسة التي

<sup>1</sup> شارلوت سيمور-سميث-، موسوعة علم الانسان المفاهيم والمصطلحات الانثروبولوجية، تر: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع، المركز القومي للترجمة، ط2، 2009، ص 112-113.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>3</sup> محمد الجوهري وعلياء شكري وآخرون، مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا، ص35.

تلبسها، والزينة التي تستعملها، وخرافاتها وأساطيرها، فهي تدرس الإنتاج المادي والروحي للشعوب البدائية<sup>1</sup>، كما تهتم بدراسة "ثقافة أبناء المجتمعات الحضرية المعاصرة في أوروبا وأمريكا، فجميع الثقافات تستأثر باهتمام دارس الأنثروبولوجيا<sup>2</sup>.

## 2- مدارس الانثروبولوجيا:

يرى بعض الباحثين أن الأنثروبولوجيا صنفت على أربع مدارس نوردها على النحو الآتي:

### 1.2. المدرسة التطورية

نمت المدرسة التطورية التي كانت أول تيار فكري في تاريخ الأنثروبولوجيا، في أواخر القرن التاسع عشر، بين عامي 1850 و1910 تقريبا، وقد تمثلت هذه المدرسة على نحو خاص في الولايات المتحدة وبريطانيا الكبرى، وتمثلت أيضا في ألمانيا وفرنسا، وإن بمقدار أقل<sup>3</sup>. "حاولت هذه المدرسة تفسير الظواهر الاجتماعية والبيولوجية باعتبارها ارتقاء في خط مستقيم، من الأدنى إلى الأعلى، بحيث يفضي الشكل الأدنى السابق إلى شكل أرقى لاحق... وقد قادت المفاهيم التطورية إلى إحداث مصطلح "البدائي" و"البدائية"<sup>4</sup>. دعم كل رواد الأنثروبولوجيا مبدأ الوحدة النفسية للنوع البشري، فالبشر ولدوا أيما كانوا بذات الطاقات الكامنة على وجه العموم، وكانت الفروق الموروثة تافهة لا قيمة لها<sup>5</sup>. فاعتبر "باسكال" أن البشرية هي بمثابة إنسان واحد بالذات يبقى دائما على قيد الوجود ويتعلم باستمرار<sup>6</sup>. أما عن موضوع البحث الأساسي بالنسبة للتطوري هو أن نفس تاريخيا مختلف المراحل التي مرت بها البشرية، عبر اكتشاف القوانين التي

<sup>1</sup> مصطفى شاكرا سليم، قاموس الانثروبولوجيا، ص 224.

<sup>2</sup> محمد الجوهري وعلياء شكري وآخرون، مقدمة في دراسة الانثروبولوجيا، ص 35-36.

<sup>3</sup> جاك لومبار، مدخل إلى الانثروبولوجيا، تر: حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1997، ص 64.

<sup>4</sup> فراس السواح، دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنتشأ الدافع الديني، مرجع سابق، ص 113.

<sup>5</sup> توماس هايلاند إيركسون وفين سيفرت نيلسون، تاريخ النظرية الأنثروبولوجية، تر: لاهاي عبد الحسين، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1434هـ-2013م، ص 35.

<sup>6</sup> جاك لومبار، مرجع سابق، ص 61.

أتاحت الانتقال من مرحلة إلى أخرى<sup>1</sup>. إذا كانت المماثلة الحياوية، هي الطاغية على الترسيمية التطورية، فإن التاريخ بوجه عام هو ما يستعين به التطوري، ويعتمد عليه<sup>2</sup>.

## 2.2. المدرسة الانتشارية

برزت هذه المدرسة في ألمانيا، حين ركز الألمان على دراسة التباين بين السلالات البشرية، والحضارات الإنسانية، هذه المحاولة كلها تحاول أن تجيب عن السؤال الذي شغل بال الأنثروبولوجيين: كيف نشأت ثقافات حضارات العالم، وكيف تطورت؟<sup>3</sup>.

درس الانتشاريون التوزيع الجغرافي وهجرة السمات الثقافية، ولذلك لم تكن كل أجزاء الثقافة مرتبطة بالضرورة بالكل الأكبر<sup>4</sup>، وافترض الانتشاريون أن الاتصال بين الشعوب المختلفة، قد نتج عنه احتكاك ثقافي، وعملية انتشار لبعض أو كل السمات الحضارية، كما تركز هذه المدرسة على أهمية الاتصالات والعلاقات الحضارية بين الشعوب ودورها في النمو الحضاري، حيث افترض البعض أن عملية الانتشار هذه ربما تكون قد بدأت من مركز حضاري محدد ثم انتقلت عبر الزمان إلى أجزاء العالم المختلفة، من خلال الاتصال بين الشعوب<sup>5</sup>، و في المقابل هناك من افترض فكرة وجود عدة مراكز حضارية أساسية في وجهات متفرقة من العالم، وأنه نشأ عن التقاء الحضارات مع بعضها البعض، نوع من الدوائر الثقافية وحدثت بعض عمليات الانصهار والتشكيلات المختلفة وهذا ما يفسر أوجه الاختلاف عن تلك الثقافات الأساسية<sup>6</sup>.

## 3.2. المدرسة البنائية الوظيفية

ركز الاتجاه البنائي الوظيفي على دراسة الثقافات كل على حدة في واقعها وزمانها الحالي، فالوظيفة إذن ليست دراسة متزامنة وإنما آنية<sup>7</sup>، تبلور هذه الاتجاه على يد أعلام بارزين مثل

<sup>1</sup> جاك لومبار، مدخل إلى الانتولوجيا، ص 64.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 65.

<sup>3</sup> حسين فهميم، قصة الانتولوجيا فصول في تاريخ علم الإنسان، مرجع سابق، ص 143.

<sup>4</sup> توماس هايلاند إيركسون وفين سيفرت نيلسون، تاريخ لبنترية الأنثروبولوجية، مرجع سابق، ص 48.

<sup>5</sup> ينظر: حسين فهميم، مرجع سابق، ص 159-185.

<sup>6</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 160.

<sup>7</sup> المرجع نفسه، ص 164.

"مالينوفسكي"، و"ركليف براون"، والفرنسي "إيميل دوركايم"<sup>1</sup>. يرى "مالينوفسكي" أن ثقافة أي مجتمع تنشأ وتتطور في إطار إشباع الاحتياجات البيولوجية للأفراد<sup>2</sup>، وإشباع هذه الحاجات حسبه لا بد من توفر اللوازم المادية، ولا بد أيضاً من وضع نظم يخضع لها المجتمع، علاوة على ضرورة وجود تقسيم للعمل على أساس الجنس والسن، وتحديد الأدوار والمكانات بين الأفراد، مما يؤدي إلى نشأة تنظيم اجتماعي متماسك له صفتا الاستقرار والاستمرار<sup>3</sup>، وقد ماثل "مالينوفسكي" الثقافة بالكائن الحي، بحيث لا يمكن فهم دور عضو من أعضائه إلا في ضوء علاقته بباقي أعضاء الجسم، وبالتالي فإن دراسة الوظيفة التي يؤديها كل عنصر ثقافي تمكن الباحث الأنثروبولوجي من اكتشاف ماهيته وضرورته، فالعصر الثقافي يمكن فهمه من خلال دراسة نظريته الفعلية، وفي إطار علاقته مع العناصر الأخرى، يترتب على ذلك ضرورة دراسة ثقافات الشعوب كل على حدة في إطار وضعها الحالي لا كما كانت عليه أو كيف تغيرت<sup>4</sup>.

#### 4.2. المدرسة البنيوية

يعتبر الباحث الفرنسي كلود ليفي-ستروس رائد البنيوية<sup>5</sup>، ولقد انتقد ستروس المناهج التقليدية التقليدية واتهمها بالقصور في معالجة المسائل الأنثروبولوجية، ففي نقده للتفسير التاريخي بمدرسته التطورية والانتشارية، يقول: "الاثولوجي عندما يعتقد أنه يصنع التاريخ، فإنه يصنع عكس التاريخ، وإنه إنما يتصرف كمؤرخ جيد، مقيد بنقص الوثائق عندما يتصور أنه لا يكتب شيئاً من التاريخ"<sup>6</sup> وبالتالي حسبه أن التفسير التاريخي "يرتكب خطأ منهجياً، إذ إنه ابتداء من تشابه بعض عناصر الثقافات المختلفة نستطيع أن نطابق بين هذه الثقافات ككل - ولهذا فهو علاوة على اشتماله على

<sup>1</sup> ينظر: جاك لومبار، مدخل إلى الاثنولوجيا، ص 159.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 165.

<sup>3</sup> ينظر: مرجع نفسه، ص 166.

<sup>4</sup> حسين فهميم، قصة الأنثروبولوجيا فصول في تاريخ علم الإنسان، ص 166-167.

<sup>5</sup> ينظر: عبد الوهاب جعفر، البنيوية في الاثنولوجيا وموقف سارتر منها، مرجع سابق، ص 13.

<sup>6</sup> كلود ليفي ستروس، الاثنولوجيا البنيوية، تر: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، د. ط،

1977، ص 34.

خطأ منطقي، فإنه مع ذلك تكذبه الوقائع"<sup>1</sup>. أما الاتجاه الوظيفي فقد أرجع "قصوره إلى عدم الاتصال، فالتاريخ مستبعد وأيضا المقارنة والباحث هنا لا يرتقي دوره عن دور الأثنوغرافي"<sup>2</sup>. طرحت الأثنولوجيا البنائية سؤالا: لماذا كانت الحياة الاجتماعية على الصورة التي عليها؟ ولقد أجابت الأثنولوجيا البنائية: "إن هذه الصورة هي نتيجة ضرورية للتركيب اللاشعوري، كما أنها تعبير عن هذا التركيب اللاشعوري"<sup>3</sup>.

#### رابعاً: منطقة وادي سوف

##### 1- الموقع والمناخ

تقع منطقة سوف بين خطي عرض 33 و 34 درجة شمالاً، وخطي طول 6 و 8 درجات شرقاً في الحدود الشمالية للعرق الشرقي، وهي عبارة عن كتلة ضخمة من الرمال يحيطها الماء من ثلاث جهات: غرباً سلسلة شطوط واد ريغ، شمالاً شطوط مروان، ملغيغ والغرسه، كما يحدها شرقاً شط الجريد العملاق<sup>4</sup>، يحد أرض سوف من جهة الشمال بسكرة وسيدي محمد والفيض والزرائب، ومن جهة الشرق نقرين وأفريكان ونفطة ونفزاوة وتونس، أما من ناحية الجنوب فتحدها واحات طرابلس وغدامس، ومن جهة الغرب تماسين وتقرت<sup>5</sup>.

يتميز جو الصحراء بالحرارة صيفاً، وبالبرودة شتاءً، فقد ترتفع فيه الحرارة في النهار إلى ما فوق الخمسين درجة، وتنخفض ليلاً إلى ما يقارب من درجة الصفر<sup>6</sup>، أما الرياح فلا تكاد تنقطع طوال السنة، والرياح حسب اتجاهاتها "تباينت أسماؤها" فهي:

<sup>1</sup> عبد الوهاب جعفر، البنيوية في الأثنولوجيا وموقف سارتر منها، مرجع سابق، ص 18.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 21.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 37.

<sup>4</sup> ANDRE-ROGER VOISIN، سوف مونوغرافيا، تر: أبو بكر مراد، دار المعرفة، دط، ص 24-25.

<sup>5</sup> ساكر محمد، العادات والتقاليد في واد سوف، في الفترة ما بين 1945 إلى 1962، مديرية الثقافة لولاية الوادي، ط 1، 2016، ص 15.

<sup>6</sup> إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تع: الجيلاني بن إبراهيم العوامر، منشورات ثالثة، الأبيار، الجزائر، دط، 2007، ص 57.

البَحْرِي (الصبا): "رياح تهب من الشرق؛ لأن مصدرها البحر، تلطف الجو، يستبشر بها أهل سوف خاصة في الربيع"<sup>1</sup>، "ومن منافعها تلقيح الشجر، وترطيب الأبدان والأثمار، وتزكية الروائح الطيبة، وإزالة العفونات على الأرض"<sup>2</sup>. وبالتحديد خليج قابس -تونس-

رياح الغربي: تأتي من الغرب، رياح تهب قوية محملة بالرمال.

الشَّهْلِي: رياح جنوبية جافة و محرقة، لا تهب أكثر من أسبوعين في السنة ولفترات متقطعة<sup>3</sup>.

وأما الأمطار بأرض سوف فنادرة ولا تهطل إلا ببعض الجهات من الصحراء شتاء، بينما تحرم منها الجهات الأخرى طوال السنة، والسبب في قلة المطر بالصحراء، كما يقول العلماء هو بعدها عن الجبال والبحار<sup>4</sup>.

## 2- التسمية

كانت أرض سوف في القديم تسمى "الظاهرة"؛ قال القدماء إنها سميت بذلك؛ لأنها أول قطعة من الأرض ظهرت بعد نفطة، حين انحصر عنها ماء الطوفان، كما أن أرض نفزاوة ظهر منها جانب في ذلك وهو إلى الآن يسمى الظاهرة<sup>5</sup> ثم صارت تُعرف هذه المنطقة باسم أسوف، أو سوف سوف أو منطقة وادي سوف، وقد اختلفت الاجتهادات في أصل هذه التسميات، فهناك من فسّر تسميتها باعتبار أنها كانت محلا لأهل التصوف، وقيل لأن أهلها قديما كانوا يلبسون الصوف، وقيل سميت بذلك نسبة إلى رجل عليم يُسمى "ذا السوف" والسوف في اللغة معناه العلم أو الحكمة، وهناك من نسب التسمية إلى "السيوف" أي الأحقاف والكتبان من الرمل، ويرجع سبب هذا الاختلاف إلى تاريخ المنطقة الذي بقي غامضا إلى حدود القرن العاشر، ومع دخول الإسلام

<sup>1</sup> أ. روجيه فوزان، سوف مونوغرافيا، ص 67.

<sup>2</sup> إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص 58.

<sup>3</sup> ينظر: أ. روجيه فوزان، مرجع سابق، ص 67-68.

<sup>4</sup> إبراهيم محمد الساسي العوامر، مرجع سابق، ص 58.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 42.

والفاتحين العرب بدأت منطقة سوف الخروج من عزلتها<sup>1</sup>، لكن هناك مؤشرات تدل على أن اسم "سوف" بربري، فمن المؤشرات الأولى أن كلمة "أزوف" بربرية تعني الوادي، أو خريز المياه، أو هدير الوادي، وهناك من يقول إن كلمة سوف مشتقة من الاسم الأمازيغي "أسوف"، وتعني في اللهجات البربرية الحالية، الأراضي المنخفضة أو ضفاف النهر، إضافة إلى وجود أعلام لمواضع في المنطقة، ولأنواع النخيل تحمل أسماء بربرية واضحة سواء في الكلمات مثل: تكسبت، تغزوت، تطبوشت، تكرمست، تغزوين، تورخت... الخ، أم في وجودها في اللهجات البربرية الحالية.<sup>2</sup> ومن المؤشرات أنها سميت بمسوفة فرقة المثلثين من البرابرة<sup>3</sup>، لذلك من وجهة نظر أحمد زغب أن "محاولات اشتقاق سوف من أصل عربي فيها نوع من إجهاد وتكلف في التأويل، أنه لا يعدو كونه تعبيراً عن إحساس السكان بعراقية المنطقة في العروبة"<sup>4</sup>.

### 3- الإطار الاقتصادي

#### 1.3. الزراعة وتربية المواشي

يعتمد اقتصاد منطقة سوف على الزراعة خاصة، فقد كانت غرسة النخيل تعد دائماً المصدر الوحيد للعائدات في سوف، وكان لأهل المنطقة طريقة فريدة من نوعها في العالم، في غرسة النخيل بحيث تكون جذورها في المياه ورؤوسها في السماء أي، عوض أن يستخرج الماء من العمق، واستعماله للسقي على السطح، لجأ الإنسان إلى طريقة تقرب بينه وبين المياه الباطنية، وذلك بحفر الأرض إلى غاية الوصول إلى عمق، مستوى المياه الجوفية، حيث يغرّس النخيل عند هذا المستوى، لذلك نجد واحات النخيل التقليدية عبارة عن منخفضات عميقة متسعة محاطة بالكثبان الرملية الشاهقة، وقد كان "الغرس" خاصة الغذاء الأساسي للسكان إلى عهد غير بعيد، أما

<sup>1</sup> ينظر: روجيه فوزان، سوف مونوغرافيا، ص 81.

<sup>2</sup> أحمد زغب، لهجة واد سوف دراسة لسانية في ضوء علم الدلالة الحديث، مطبعة مزوار، ط 1، 2012، ص 12.

<sup>3</sup> ينظر: إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص 43.

<sup>4</sup> أحمد زغب، مرجع سابق، ص 12.

نوعية دقلة نور فهي موجهة خاصة للتصدير نحو شمال البلاد أو إلى الخارج<sup>1</sup>، كما تشتهر المنطقة بزراعة التبغ حيث تصنف في المرتبة الثانية بعد التمور<sup>2</sup>، وأما في الوقت الحالي فإن منطقة سوف أصبحت قطبا زراعيا، أنعشت الزراعة الجانب الاقتصادي للبلاد ما جعلها تحقق اكتفاء ذاتيا في العديد من المنتجات مثل البطاطا، بل إن الزراعة في سوف باتت تستقطب التجار من الولايات الأخرى أو حتى خارج البلاد. وتعتبر ثاني ثروة عند السوافة بعد النخيل هي تربية الإبل، والضأن والماعز، إذ لا تسمح الرمال بتربية الجياد والبقر، بسبب نقص المراعي اللازمة<sup>3</sup>.

### 2.3. الصناعة

تعرف المنطقة عدة صناعات تقليدية تسد حاجة الإنسان، فقد أحسن السوفي استغلال صوف غنمه ووبر جماله، ليبدع في صناعة البرنوس والبخنوق والقشبية والعفان والزربية<sup>4</sup>. فزربية سوف سميقة وهشة لينة وتنسج من طرف الرجال، أما النساء فلا يتدخلن إلا في الأعمال التحضيرية للعمل، يغسلن الأدوات ويغزلن الصوف أو الوبر<sup>5</sup>، وأما البرنوس والقندورة فيظلان يحتكران النصيب الأوفر من النسيج السوفي، كما تشتهر في منطقة سوف قديما صناعة العفان وهو نعل\* من الصوف الأبيض، وشعر الماعز تمتته شرائط خشنة من شعر الماعز، هذا الحذاء عازل ضد البرودة شتاء والحرارة صيفا، مع ضرورة حماية هذا النعل من الماء للحفاظ على مرونته<sup>6</sup>، ويتم في سوف قديما صناعة البخنوق وهو خمار كبير من الصوف ترتديه العجائز

<sup>1</sup> لهجة واد سوف دراسة لسانية في ضوء علم الدلالة الحديث، ص 13.

Ahmed NAJAH : Le Souf des Oasis, Editions La Maison Des Livres, ALGER.p30.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص62.

<sup>3</sup> كوفي، جيستون، مذكرات حول سوف والسوافة، تر: عبد القادر ميهي، مطبعة مزوار، الوادي، د. ط، 2016، ص137

<sup>4</sup> ينظر: أ. روجيه فوزان، سوف مونوغرافيا، ص291.

<sup>5</sup> أحمد ناجح، مرجع سابق، ص83.

\* مع قطعة مطاط من النوع الجيد يقيه من تحت، لئلا يؤثر فيه الاحتكاك الشديد بالرمل.

<sup>6</sup> أ. روجيه فوزان، مرجع سابق، ص298.

خاصة ويعتبر لباسا أبهة<sup>1</sup>، كما كان يعتمد اقتصاد المنطقة على صناعة الجبس ذلك أن صخور اللوس والتآفة هي مواد البناء الملائمة جدا والمستعملة في المنطقة<sup>2</sup>.

### 3.3. التجارة

إن الموقع الاستراتيجي أكسب المنطقة أهمية ساعدتها في التبادل مع ولايات ودول مجاورة لها، ما أدى إلى تطوير المنطقة، فهي مجاورة لدولة تونس وليبيا، ومحليا فهي في تماس مع بسكرة وورقلة، والجلفة وخنشلة. فوادي سوف تعتبر منطقة عبور، "وقد كان التاجر السوفي قديما يستورد الصوف والحريز والسكر والشاي والقهوة والحبوب والأواني الخزفية، ويصدر مقابل ذلك للمجتمعات الأخرى المنتوجات المحلية، كالتمر والتبغ والملابس الصوفية والزرابي واخل النّخيل.. الخ"<sup>3</sup> ومآثر التبادل مع دول أخرى لازالت شاهدة عليه أسماء الأسواق في منطقة "سوف" مثل "سوق ليبيا" الذي كانت تُعرض فيه سلع هذا البلد الشقيق، وخلال فترة الثمانينات كان هناك سوق يسمى "سوق تونس"، وهناك أيضا "سوق دبي" الذي كانت تُعرض فيه سلع بلدان الخليج على غرار "الإمارات" و"السعودية"<sup>4</sup>، ولحد الساعة تعتبر منطقة سوف موقعا تجاريا ممتازا، وبوابة الصحراء والجنوب الكبير للعمق الجزائري.

## 4- الحياة الاجتماعية والدينية والثقافية

### 1.4. النظام الاجتماعي

يتكون النظام الاجتماعي في منطقة وادي سوف من الأسرة يكون الأب هو رب الأسرة وقائدها الذي يحسم ويفصل في كل القرارات، بعد مشاورة كبار الأبناء، وعند غياب الأب أو وفاته، تنتقل سلطة البيت إلى الابن الأكبر وهو الرئيس الذي يتحكم في كل الأمور داخل العائلة، ومن

<sup>1</sup> أ. روجيه فوزان، سوف مونوغرافيا، ص 169.

<sup>2</sup> Ahmed NAJAH : Le Souf des Oasis, p84

<sup>3</sup> علي غنابزية، مجتمع وادي سوف منذ فجر التاريخ إلى أواخر العصور الوسطى، سامي للطباعة والنشر، د. ط، 2023، ص 68.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 69.

مميزات الأسرة السوفية قديما أن الآباء والأبناء والحفدة تحت سقف بيت واحد مكون من عدة حجرات<sup>1</sup>، ويكون دور المرأة في الأسرة السوفية مقتصرًا على الاهتمام بشؤون "الحوش" من تنظيف وطبخ ورعاية الأبناء، وما تبقى لها من وقت تقضيه في صناعة الصوف لتوفير المنسوجات المختلفة، فهي امرأة مأكثة في البيت لا يُسمح لها بالخروج إلا للضرورة القصوى، ومن الأعراف يكون خروجها ليلا، وترتدي لباسا يغطي كامل جسدها، وقد يكون برنس زوجها الذي يعتبر مرافقا وحارسا لها في أوقات خروجها<sup>2</sup>، ويعتبر (العرش) من مكونات المجتمع السوفي، والعرش عبارة عن مجموعة من الأسر تشترك -غالبا- في اللقب، وتتجاوز في السكن، والأملاك الفلاحية، ويقودها "شيخ العرش" الذي يتمتع بسلطة يستمدّها من ثقة الجماعة فيه، بحكم راحة عقله، ونفاذ كلمته، وتقدم الأسر صورا مشرفة للتضامن فيما بينها في إطار ما يُعرف بـ "العوانة" ولا سيما في موسم جني التمور، وفي أشغال البناء<sup>3</sup>. وقد بقيت بعض القبائل والعائلات محافظة على هذا النظام الاجتماعي إلى يومنا هذا.

#### 2.4. بعض العادات والأعراف

كغيره من المجتمعات يقوم المجتمع السوفي على جملة من العادات والتقاليد والأعراف، التي تُساهم بشكل قطعي حسب الفاعلين الاجتماعيين في بناء وتنظيم المجتمع والحفاظ على تكامله، ومن العادات والأعراف الشعبية في المنطقة نذكر:

**العادات الغذائية:** عند الحضر كان أهم غذاء مكونا من التمر ولبن الماعز، أما اللحوم فلا تستهلك إلا مرة أو مرتين في الأسبوع، منذ القديم لم تكن الحبوب تدخل في غذاء السوافة إلا بنسبة

<sup>1</sup> ينظر: علي غنابزية، مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1300م-1374هـ/1882-1954م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، السنة الجامعية: 1428-1429هـ/2008-2009م، ص324.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص337.

<sup>3</sup> علي غنابزية، مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن 13هـ 19م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2001، ص138.

ضعيفة، وبالنسبة للأطفال الرضع فقد كان يتم خلط الدقيق المصفى لدقلة نور بمسحوق الحمص، يذوب في اللبن أو الماء يمنح للطفل على شكل حساء<sup>1</sup>.

أما عند البدو فقد كان ينصح بالأكل فقط عند الجوع، تغذيتهم تعتمد على التمور ولبن الماعز، هذه المنتجات تكمل بجفنة من طحين الشعير أو القمح، يضاف إليه أحيانا بعض الخضر الجافة، ومن أشهر أكالات البدو حساء الدقيق الذي يحوي أعشابا معطرة أو طبية<sup>2</sup>.

**العوانة:** وهي مقابل "التويزة" في مجتمعات محلية أخرى، يقوم نظام العوانة على اجتماع عدد غير من الرجال لمساعدة محتاج، وهناك مواسم تنشط فيها العوانة، مثل موسم جني التمور، أو موسم البناء الذي يكون غالبا في فصل الخريف، وكذلك في الأعراس وغيرها من المناسبات الكبرى، وأيضا في فصل الصيف، حيث يتم بمساعدة الشباب، إدخال الرمل إلى الحوش، خاصة في فصل الصيف، يكون المقابل عادة تقديم غداء أو عشاء للمتطوعين، أو بعض الإكراميات، وفي موسم الجني عادة ما يكون المقابل تمرا، والعوانة تعكس روح التّعاون والتّماسك بين أفراد المجتمع الواحد.

**أعراف عند البدو:** إذ ينص العرف على استشارة شيوخ الرباع (شيخ العرف) في حالة أي خلاف، فقد كانوا يحلون معظم المشكلات، ويبقى الذين يتمثلون أمام المحكمة المدنية استثناء، حيث أن كبار القبيلة يفكون الخصومات بإنصاف مُرضٍ، ومعظم مسائل الاختلاف تتعلق بالماء أو القطيع أو الأمن أو الأخلاق العامة<sup>3</sup>، فمثلا من الحلول التي يتخذها الوجهاء للحد من المشاكل التي تتعلق بالإبل "الطابع" وهي السمة غير القابلة للمحو أو علامة القبيلة المالكة للجمل، وأيضا هناك أعراف متعلقة بالتقريب من الخيمة، حيث الأجنبي مرحب به دائما يمكن للنساء أن يقدمن إليه الشرب والأكل، لكن يجب أن يعلن عن نفسه من مسافة معينة من الخيمة، آثار الأقدام دائما دليل

<sup>1</sup>Ahmed NAJAH : Le Souf des Oasis,p98

<sup>2</sup>المرجع نفسه، ص99.

<sup>3</sup>ينظر: المرجع نفسه، ص114.

قاطع للتأكد من أن الزائر قد أخل بقواعد الاستضافة، وهي تسمح بمتابعته وعقوبته إذا تطلب الأمر ذلك<sup>1</sup>.

**منع حمل المجوهرات:** فعند بعض البدو النساء لا يحملن أبداً المجوهرات أو الخلاخل في الأقدام، حيث يسود الزعم أن الجد المقدس هو الذي منعهن من ذلك، ويعتقدن أن من يخترق هذا المنع يصيبه مرض أو حادث بسبب غضب الولي<sup>2</sup>.

### 3.4. الجانب الديني

يعتبر السوافة تعلم اللغة العربية وحفظ القرآن شرفاً للأسر، فمنذ سن الرابعة يقاد الطفل إلى الجَامَع (الكُتَّاب، المدرسة القرآنية)، غالباً ببعض الاحتفالية، ويسجل الاحترام للكتاب والمعلم، وفي كل عام يتم اختيار نفر من حفظة القرآن وإرسالهم إلى جامع الزيتونة<sup>3</sup>. السكان متحمسون للعبادة، وقد كان للاتجاه الصوفي أثر كبير في هذه المنطقة، من ذلك ظهرت عدة زوايا تجمع المريدين والأتباع الذين يتبعون شيخ الزاوية ويعتبرونه قائداً روحياً، لهم عادات وشعائر دينية يحرصون على التمسك بها، فهي تقربهم إلى الله حسبهم، وبذلك ظهرت عدة طرق صوفية في المنطقة منها "الرحمانية" و"القادرية" و"التيجانية" وهي الأكثر انتشاراً، وفي بعض الأحيان يفضي تبجيل الطريقة إلى التعصب، ويبقى لهذه الزوايا دور في الحفاظ على الإيمان الإسلامي<sup>4</sup>، ومن مظاهر التدين في منطقة سوف "الاحتفاء بحفظة القرآن" واحترامهم، حيث يتم الاحتفال بالطفل الذي يحفظ كلام الله، ويشترك في الاحتفال الطقوسي زملائه وعائلته وأصدقائه، حيث يظهرون بثياب جديدة جميلة، ويمتطي الطفل حصاناً أو بغلاً ويتجول عبر شوارع القرية، ثم يقاد إلى مدرسته لكي يلتزم معلمه

<sup>1</sup>Ahmed NAJAH : Le Souf des Oasis,p116

<sup>2</sup>ينظر: المرجع نفسه، ص 97.

<sup>3</sup>ينظر: المرجع نفسه، ص 108

<sup>4</sup>ينظر: أ. روجيه فوزان، سوف مونوغرافيا، ص 184-185.

"الطالب" ثم يقاد إلى بيته أين يستقبله والده مع جمع من المدعوين، ويقدمون الطعام إلى زملاء المدرسة، ومن هنا يصبح له الحق في تسميته الطالب<sup>1</sup>.

#### 4.4. الأدب الشعبي

يعتبر الأدب الشعبي من المظاهر الثقافية التي تعكس المنظومة الفكرية لأي مجتمع كان، وكغيرها من المجتمعات نلمح ثقافة شعبية ثرية في منطقة سوف، تستوعب الإبداع الفردي والجماعي لأهل المنطقة، وتعبر عن هوية هذا المجتمع، التي نجدها ماثلة في موضوعات وأجناس الأدب الشعبي من أشعار وأغانٍ وألغاز وأمثال وأساطير وحكايات شعبية، فبحكم طبيعة سوف الصحراوية، التي تدعو للتأمل وتحريك الخيال، ونسج المعتقدات، ومع تأثير اللغة العربية والقرآن اللذين كان لهما تأثير بالغ في ولادة تلك الفلسفة الشعبية، ما نتج عنه وجود ثقافة شعبية شفاهية مصيرها أن تبقى حية تنقل إبداع الأولين، فأهل سوف يسحرهم الشعر وتهزم الكلمات الجميلة، ينشدونها وينتشون عند سماعها ويستشهدون بها في أحاديثهم ويتبارون في حفظ المقطوعات الشعرية<sup>2</sup>، ففي الشعر الملحمي نلمس روح البطولة والشجاعة في مواجهة العدوان، وحفظ الكرامة، والإيمان بالقدر، فما هو الشيخ "غومة" أحد الأبطال القداماء، عندما حاصره الأعداء من كل جهة وضيقوا عليه الخناق فأشار عليه بعض أصحابه بالهروب والفرار من الأعداء، خوفاً من أن يقتلوه ها هو يجيبهم بشعره الشعبي فيقول:

يا نَفْسُ رُومِي لِلرِّصَاصِ الطَّايِبِ      وَهُرُوبِكَ قَدَّامِ الأَعَادِي خَائِبِ  
الرَّبِّ يُقْتَلُ والرِّصَاصِ سِبَّايِبِ      عُمَرِ اللِّي قَصُرَ مَا طَوَّلَاتَهُ ذِلَّةُ<sup>3</sup>

كما أخذ السوافة عن العرب "فن الخطابة"، فقد كانت تُستغل الأسواق للاستمتاع بالخطابة، حيث يشتهر بعض الرجال بهذا الفن، من خلال قصهم على الحاضرين الملاحم الدينية ومآثر الأبطال والفرسان بصوت شجي وأسلوب جذاب، تقر به العيون المشدوهة، والأعناق المشرببة

<sup>1</sup> Ahmed NAJAH : Le Souf des Oasis,p128 ينظر:

<sup>2</sup> روجيه فوزان، سوف مونوغرافيا، ص331.

<sup>3</sup> حسان الجلاني، التراث الغنائي بواد سوف، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، د. ط، د. ت، ص19.

والأيادي السخية التي تتسلل إلى الجيوب لتتفتحهم بما هو جدير به<sup>1</sup>، أما الفنون القولية فهي تجري على لسانهم كسيل متدفق، إذ تعبر هذه الفنون على نفسيتهم وأمزجتهم وخبراتهم، وعلاقتهم بالطبيعة والإنسان والحيوان، ونظرتهم للإله وللکائنات الغيبية... الخ، وهي محملة بمعاني اجتماعية وتربوية، وفي التراث الشفاهي الشعبي يظهر جليا تأثير القرآن واللغة العربية في ثقافة المنطقة.

### خامسا: منطقة القبائل

تسوقنا طبيعة الدراسة إلى التعرف على واقع منطقة الدراسة من النواحي الطبيعية والجغرافية والثقافية، على اعتبار أن هذه الخصائص تؤثر في تكوين الفرد، كما تؤثر على عاداته وتقاليده ونمط تفكيره الذي يوجه سلوكه، حتى أننا نسلم جميعا أن طباع الإنسان تتغير وفقا لتغيرات الأرض والمناخ والبيئة.

### 1- الموقع والمناخ

إن التسميات الشائعة اليوم (ثامورث ان قبائل)/ بلاد قبائل، la kabylie، موغلة في القدم، وقد لا يدري أحد اشتقاقها الأول<sup>2</sup>. يطلق مصطلح "القبائل" في الجزائر على السكان ذوي الأصل البربري (الأمازيغي)، الذين يسكنون جبال ساحل المتوسط والأراضي التي تحيط بالمتيجة وجبال جرجرة وضواحيها، هذه المنطقة الجبلية الواسعة تُشرف عليها قمم جرجرة التي تحتل الجزء المركزي، وتشكل أطرافها من الغرب شناخ "مينغفيل" وهي "ثنية" حاليا، ومن الشرق "قورايا"/ بجاية. وهناك من المهتمين الفرنسيين من قسم منطقة القبائل إلى أربع مناطق بالاعتماد على تضاريسها التي تحدد خصائص كل منطقة<sup>3</sup>، وتتمثل هذه المناطق في منطقة الوسط التي تضم جرجرة وكل الكتلة الجبلية القبائلية التي تحدها شمالا، ومن الشرق سهل سيباو، ومن الغرب والجنوب منخفض "ذراع الميزان"، إنها لب بلاد القبائل، والمنطقة الشرقية: تشكل الكتلة الغابية لأكفادو مع امتداداتها

<sup>1</sup> ينظر: أ. روجيه فوزان، سوف مونوغرافيا، ص 213-2014.

<sup>2</sup> حميد بوحبيب، الشعر الشفوي القبائلي، السياق والبنيات والوظائف -مقاربة أنثروبولوجية-، دار التنوير، الجزائر، 2013، ط1، ص 37.

<sup>3</sup> زهية طراحة، فضاء النوع بين تنظيم الخيال وتنظيم الواقع، دراسة أنثروبولوجية للحكاية القبائلية العجيبة، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2011، ص 19.

حاجزا، إن صح التعبير بين قبائل جرجرة وقبائل البابور، وكذلك المنطقة الساحلية: التي هي امتداد جانبي لسابقتها، لكنها بمظهر مختلف، بحيث أن الغابات محددة والارتفاع يتناقض تدريجيا لينخفض بتلال يسر، والمنطقة الغربية: تتشكل من سلسلة رئيسية بحيث تتجه جبالها الساندة تدريجيا نحو التلال المنخفضة للساحل<sup>1</sup>.

إن الأهمية الجبلية لكل منطقة من هذه المناطق تتناقض بحسب هذا النسق، بينما السفوح الجنوبية والجنوبية الشرقية للقمم الأكثر ارتفاعا لجرجرة وسلسلة أكفادو، تتحدر بشكل سريع إلى سهل وادي الساحل، الذي يشكل خندقا حقيقيا بأسفل قبائل جرجرة<sup>2</sup>.

وبالتالي فإن لهذا الموقع الجغرافي، وطبيعة التضاريس أثر في رصد مناخ منطقة القبائل، التي تتميز بالبرودة الشديدة والأمطار شتاء، إضافة إلى الثلوج التي تغطي القمم الجبلية، والحرارة صيفا<sup>3</sup>، و"من هذا المناخ المتغير باستمرار يأتي غنى البلد، فهذا المناخ المتسم بالشمس وبالمرط في الوقت ذاته، هو الذي يعطي لقمم القبائل ثوبها المخملي الأخضر، وهو الذي يجعل المنطقة- حين تنتظر إليها من بعيد- تعطيك صورة البحر<sup>4</sup>.

## 2- الإطار الاقتصادي

إن النشاط الاقتصادي للسكان في منطقة القبائل يتمثل في ثلاثة أنشطة أساسية هي:

### 1.2. الزراعة وتربية المواشي

تعتبر الزراعة وتربية المواشي المورد الرئيسي للسكان رغم فقر الأراضي إذا ما قيست مساحتها بعدد السكان، ولكن رغم ذلك فإن الأهالي عرفوا كيف يستغلون كل شبر من الأرض

<sup>1</sup> هانوتو وأ. لوتورنو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، تر: مخلوف عبد الحميد، ج1، دار الامل، المدينة الجديدة، تيزي وزو، د.ط. د. ت، ص27.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص27-28.

<sup>3</sup> ينظر: زهية طراحة، إثنوغرافيا الحكاية الشعبية الجزائرية/ القبائلية، حكايات من الأرباع ناث واسيف روايتها، ظروف وفنيات روايتها، أنواعها وتحولاتها، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعرييج، الجزائر، د.ط. د. ت، ص32.

<sup>4</sup> زهية طراحة، فضاء النوع بين تنظيم الخيال وتنظيم الواقع، ص51، نقلا عن Rene Maunier :Melanges de sociologie nord africaine,Ed Librairie Fe'lix Alcan,paris, France,1930,p 94,95.

سواء في إقامة البساتين، أو غرس الأشجار المثمرة، أو رعي المواشي<sup>1</sup>. وتحتل الفلاحة لدى القبائل مكانة خاصة، فهم يفضلون عمل الأرض ويعتبرونه شرفا لهم، فكل ما يتعلق بخدمة الأرض يشكل موضوع احترام الجميع، وحتى التقاليد والعادات والأعراف تحميها وتشجعها، إذ أن سرقة المحراث يعتبر تدنيسا يلحق عارا بالسارق، يظل ملتصقا به إلى آخر أيامه، وأنه حسب المعتقد الشعبي سيموت بالجوع، كما أن المحراث لا يعاد إلى البيت إلا بعد الانتهاء من أعمال الحرث<sup>2</sup>، وعلى الرغم من الصعوبات التي قد تواجه الفلاح إلا أنه لا يتوانى عن أداء مهمته، وفي ذلك يقول المثل الشعبي القبائلي: "لامر سنتحسب أو فلاح يلي أور تنتكرز" أي: لو كان الفلاح يعد ما يصادفه من صعوبات مادية وجسدية لما حرث الأرض<sup>3</sup>. وقد أفرزت خدمة الأرض بمنطقة القبائل، العديد من الخضر والنباتات التي تشتهر بها المنطقة والتي عملت على تحسين جودة الغذاء القبائلي المتوازن، فالكسكس القبائلي أو -"سكسو" كما يعرف بالمنطقة- الذي يشكل الطبقة الرئيسي، يعتبر البلوط والفلو والخرشف شوك الجمال (تغديوث) المزروع، وبعض الخضر التي توجد بها أرض المنطقة من التركيبة الأساسية لتحضيره، إضافة إلى الفواكه التي تدخل في النظام الغذائي القبائلي، فالتين يزرع بكثرة عبر المنطقة، ويشكل بالنسبة للعائلات الفقيرة مصدرا رئيسيا للغذاء خاصة في فصل الشتاء، كما يستهلك سكان المنطقة كثيرا من التين الشوكي (كاكتوس أو بونتيا)، الذي يسمونه "تين اروميان"، إضافة إلى فواكه أخرى متنوعة، كالعنب والتفاح والإجاص والبطيخ والشمام<sup>4</sup>. ولخدمة الأرض يستعين القبائل بالحيوانات التي تُساعدهم على حرث حقولهم، لذلك تُربى الأبقار والثيران والماعز، ويُستفاد منها أيضا للاستهلاك والتنقل<sup>5</sup>.

## 2.2. الصناعة

بما أن الحاجة أم الاختراع، اهتدى سكان منطقة القبائل إلى أعمال عقولهم، والعمل على

<sup>1</sup> محند سعيد لعربي، العزازقة عبر التاريخ، دار الأمل، المدينة الجديدة، تيزي وزو، د. ط، 2017، ص 81.

<sup>2</sup> ينظر: هانوتو وأ. لوتورنو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، ص 604.

<sup>3</sup> نصيرة ريلي، الأمثال الشعبية القبائلية في منطقة بجاية دراسة تصنيفية تحليلية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر 2، كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية، قسم اللغة العربية وآدابها، 2015-2016، ص 256.

<sup>4</sup> ينظر: هانوتو وأ. لوتورنو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، ص 559.

<sup>5</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 622.

صناعة ما يحتاجون إليه من وسائل يومية تعينهم على استغلال إمكانياتهم الطبيعية، فأساليبهم في تحويل المواد الأولية وجعلها في متناول الإنسان تقتصر على أعمال بسيطة منزلية أو حرفية يمارسها أناس معزولون أو النساء في أغلب الأحيان<sup>1</sup>، وعرفت المنطقة أنواعا عديدة من الصناعات نذكر منها: صناعة الحلبي التي تُعد من أقدم الحرف التي مارسها القبائل، وقد اشتهرت عدة قبائل وعائلات معينة بهذا الفن، خاصة لدى "آث يني"، "آث بودران"، "آث واسيف"... الخ، كما اشتهروا باستعمالهم الفضة في صناعة الحلبي<sup>2</sup>. وتشتهر منطقة القبائل أيضا بالصناعة الغذائية وتعتبر صناعة زيت الزيتون من أهم الصناعات في البلاد، وتتنوع أساليب صناعته تبعا لطبيعة ونوعية الزيتون<sup>3</sup>. كما تشتهر منطقة القبائل بصناعات أخرى مثل صناعة الصابون وصناعة الجلود، والبارود والشمع، والفخار، والنقود، والقماش، والطواحين، الغرابيل... الخ<sup>4</sup>.

### 3.2. التجارة

مارس القبائل التجارة بعد ما اقتنعوا أن خدمة الأرض وحدها لا تسد حاجاتهم الحياتية، وتتمثل التجارة عندهم في استيراد القمح والشعير والثيران لخدمة أراضيهم واستهلاك لحومها، والأبقار والأغنام والبغال والمنسوجات القطنية والحرير والحديد والنحاس، ويصدرون الزيت والتين والجلود والثياب المنسوجة والأواني المنزلية الخشبية والفخارية، والفلل الأحمر والحلي الفضية، والأسلحة وبعض الفواكه التي تنتجها أراضيهم<sup>5</sup>.

### 3- الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية

#### 1.3. التنظيم الاجتماعي

التنظيم الاجتماعي في منطقة القبائل له خصوصية، تتكون المنطقة ككل من طقم من المجموعات متفاوتة الكم والكيف ابتداء من الأسرة (البيت)، كأصغر وحدة، إلى الاتحادية

<sup>1</sup> هانوتو وأ. لوتورنو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، ص 645.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 673.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 645.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، من 650 إلى 679.

<sup>5</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 684-686.

(مجموعة من العروش)، كأكبر وحدة بالمنطقة، تتكون الاتحادية (تَقْفِيلْتُ) من مجموعة من العروش، والعروش من مجموعة من القرى، القرى من البدنات (أَدْرُومُ)، والبدنات من الأسر (تخروث)، والأسر تنتهي عند نقطة البداية التي هي الأسر القبائلية الممتدة المشتركة<sup>1</sup>، كما يتميز المجتمع القبائلي في الاعتماد على نظام "تاجماييث"، ذلك أن القبائلي بطبعه يرفض الخضوع لأي سلطة خارجية، ويستسيغ الحكم الداخلي، لذلك نجد نظام "تَجْمَعْتُ" (جماعة العقال) كما في جرجرة، هو مصدر التشريع لأهالي القرى، حيث يتم انتقاء رجال كبار يعرفون بالرزانة والمسؤولية، توكل إليهم مهمة تسير شؤون القرية، وحماية أعرافها وقوانينها، كما أنهم مسؤولون على حل النزاعات والخلافات، ويلعبون دور الوساطة بين أهل القرية والمسؤولين كرئيس البلدية لتسوية مشاكل القرية، ونظرا لأهمية هذه الجماعة يخصص في كل قرية بناء كبير يسمى "تَجْمَعْتُ" فيه تلتقى الجماعة لدراسة انشغالاتهم<sup>2</sup>. وبالتالي فإن التنظيم الاجتماعي يخضع للأعراف، فالمجتمع أبوي تكون الهيمنة ذكورية، كما أن المرأة تقصى من المشاركة في الحياة الخارجية، وينحصر دورها داخل البيت، كما أنها تمنع من حقها في الميراث<sup>3</sup> وقد ذكر "هانوتو" أن الخضوع للأعراف أمر يشرف القبائليين، لأنه ساهم في حفظ مؤسساتهم، ولأنه قابل للإصلاحات التي يُرجى منها نفع جمعي<sup>4</sup>.

### 2.3. بعض العادات والأعراف

كأي شعب يخضع المجتمع القبائلي لجملة من العادات والتقاليد والأعراف التي تضبط سلوك أفرادها وتضمن قيامه، وتشمل العادات والأعراف كل النواحي الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية، ومن هذه العادات والأعراف نذكر:

<sup>1</sup> زهية طراحة، فضاء النوع بين تنظيم الخيال وتنظيم الواقع، مرجع سابق، ص 65.

<sup>2</sup> ينظر: زهية طراحة، إثنوغرافيا الحكاية الشعبية الجزائرية/ القبائلية، مرجع سابق، ص 38.

<sup>3</sup> ينظر: حميد بوحبيب، الشعر الشفوي القبائلي، السياق والبنيات والوظائف - مقارنة أنثروبولوجية-، ص 94.

<sup>4</sup> ينظر: ينظر: هانوتو وأ. لوتورنو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، تر: إبراهيم سعدي، ج 2، دار الأمل، المدينة الجديدة، تيزي وزو، ص 10.

**التّويّزة:** وهي من الأعمال الإلزامية التي تحت على التآزر والتآخي، وتشمل كل الأعمال التي تستلزمها أعباء الحرث والحصاد، وصيانة الحقول، وكل الطرق العامة والمجاري المائية، والطواحين التقليدية، إلزام يشمل كل واحد هو وحيواناته في المواسم الفلاحية كما في الحروب والكوارث والفتن<sup>1</sup>.

**تيمشروط:** وهي إلزام موسمي قروي بجزر ثور أو حيوانات مهداة سنويا، ويوزع اللحم خلالها بالتساوي على عدد الأفراد الأحياء في كامل القرية، ثم بعدد البيوت ضمن العائلات، نظام يضبط بالدقة المتناهية، عدد السكان في القرية، عند زوال يوم (الوزيعة) ، وتعتبر تيمشروط هي تقديم القرابين، تتجز في بلد القبائل في يوم عاشوراء، أو في عيد الفطر، أو تيمشروط<sup>2</sup>.

**الزّردة:** تجمع عدد غفير من أفراد القرية الواحدة أو القرى المجاورة لتناول الطعام جماعة، في جو يسوده الفرح والمرح، وعادة تُقام الزردة بمناسبة شفاء مرض أو فك عقم، أو عودة غائب، وغالبا ما يكون هذا بعد زيارة ضريح الولي الصالح، وإقامة الأنداز طلبا في تحقيق الأمنيات، وقد تكون مبادرة جماعية، كأن تتحقق أمنية الناس في نزول المطر، أو حصاد وفير<sup>3</sup>.

**خصوصية زواج المرابطين:** يتزوج المرابطون عادة نساء قبائليات، لكنهم يرفضون منحهن لقب "لالة" المخصص فقط للنساء المنحدرات من الطبقة المرابطية، كما لا تتزوج ابنة مرابطي قبائليا إلا نادرا، وأيضا يُسمح للمرابط الغني تعدد الزوجات، كما أن فئة المرابطين تُعفى من بعض الخدمات وتخفف عنهم القوانين السارية على القبائل وبقية مناطق الوطن<sup>4</sup>.

### 3.3. الحياة الدينية

يعتقد القبائل كباقي الأمة الدين الإسلامي، وقد كان للإسلام أثر كبير في حياتهم، ومن مظاهر هذا التأثير انتشار الزوايا في منطقة القبائل، وفي زمن الاستعمار رفض القبائل التخلي عن

<sup>1</sup> أحمد ساحي، الزواوة من القرن السادس عشر حتى الثامن عشر عهد إمارة كوكو 1512م-1767م، دار الأمل، المدينة الجديدة، تيزي وزو، ص 146.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 185.

<sup>3</sup> ينظر: زهية طراحة، إثنوغرافيا الحكاية الشعبية الجزائرية/ القبائلية، مرجع سابق، ص 39.

<sup>4</sup> ينظر: هانوتو وأ. لوتورنو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، ج2، ص 85-86-87.

دينهم، ويظهر ذلك في شهادة الكولونيل مارتان MARTIN حينما طلب من سكان "لاربعا ناث يراثن" إعلان موقفهم، ردوا قائلين: "إننا لن نتخلى أبدا عن ديننا، وإذا ما رأيت الحكومة إجبارنا، فإننا نطلب منها تمكيننا من مغادرة البلاد، وإن لم نجد سبيلا آخر فإننا نفضل الموت على أن نعتق دينكم"<sup>1</sup>، ومن تجليات الدين في المنطقة الإيمان بالأولياء الصالحين، وهذا الاعتقاد ما زال ساري المفعول إلى الآن، حيث تنتشر عدة زوايا وأضرحة بمنطقة القبائل، فالولي هو المرابط الذي يعلم الإسلام ويقرأ القرآن في المناسبات على الأحياء والأموات، وبالتالي فإن وجوده ضروري في كل منطقة ويحظى بالاحترام والتبجيل، فيستشار في كل الأمور، ويقدم له القران والنذور، من تلك تأوي ضريحه، فتقام له الزيارات، وتطلب منه الدعوات والبركات، وتقدم له القران والنذور، من تلك الزوايا: زاوية الحاج بلقاسم في منطقة "الأربعاء ناث واسيف، ضريح "الشيخ محند الحسي" في قرية "تَيْقِيصُونْت" <sup>2</sup>، كما أن بعض الأعراف التي يقرها الأجداد متأثرة بالقوانين الإسلامية "فالتقاليد القبائلية لا تسمح للقبائلي بالزواج من يهودية أو مسيحية لم ترتد عن دينها"<sup>3</sup>، إذا تزوجت المرأة المطلقة قبل انقضاء العدة، يبطل زواجها، وتُفرض غرامة على زوجها وأوليائها<sup>4</sup>.

#### 4.3. الأدب الشعبي

منطقة القبائل غنية بالموروث الشعبي، الذي قاوم الثقافات الدخيلة من خلال الحرص على نقله مشافهة بلغته الأصلية، حيث كان الأجداد يلخصون حياتهم في أمثال وحكم وألغاز ويؤطرون تفاسيرهم للحياة والطبيعة في شكل حكايات وأساطير بقيت تُحافظ على خصوصية المنطقة، "فبعيدا عن الزاوية المعربة وتلك المدرسة المفرنسة، كان أهل المنطقة ومن زمن طويل يرددون بلغتهم الخاصة-القبائلية/بالأمازيغية- ما يعيشونه من مرارة الواقع، وما يصبون إليه من أحلام وآمال المستقبل، فكانوا ينظمون وينثرون أثناء اليسر والعسر، وأثناء السعادة والشقاء، فنونا وأشكالا أدبية

<sup>1</sup> حميد بوحبيب، الشعر الشفوي القبائلي، السياق والبنيات والوظائف -مقاربة أنثربولوجية-، ص70 نقلا عن الطاهر أو صديق، ثورة 1871، تر: مسعود جناح-89 ENAL، ط1، ص14.

<sup>2</sup> ينظر: زهية طراحة، مرجع سابق، ص41-43.

<sup>3</sup> هانوتو وأ. لوتورنو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، ج2، ص166.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص175.

شعبية متنوعة: فهذه أشعار، وتلك أمثال وحكم وألغاز، وأخرى حكايات وأساطير... الخ، مخبئة كلها فلسفة وتنظيم مجتمع مقاوم يأبى الذوبان في ثقافات الغير<sup>1</sup>.

ويُحظى الشعر الشعبي بمكانة بارزة في الثقافة الشعبية المحلية، وقد تغنى الشعراء الشعبيون في المنطقة بالثورة، كما مجدوا في أشعارهم الأولياء الصالحين، ولم يغفلوا عن تناول القضايا التي تمس حياتهم بأسلوب شعري عبقري، لذلك برزت عدة أشكال شعرية شفوية في منطقة القبائل منها: "تقصيط" وهذا الشكل يهتم بخطاب الذاكرة الجماعية وهويتها وتاريخها، وبالتالي فإن موضوعاتها عادة ما تتناول قصة الأنبياء والأولياء الصالحين وكراماتهم، قصص المعارك والبطولات، وأشعار الموت والجنائز والحكمة والزهد<sup>2</sup>، ففي مطلع قصة موسى، تُستفتح بالأبيات التالية:

بسم الله أنبذو التسلية	بسم الله سنبدأ التلاوة
ثا قصيط آسيد نسَمِي	وسأسمي لكم القصيدة
تحكايت غف سيدنا موسى	والحكاية على سيدنا موسى
مي استقريب آذيتوفى	حين حضرته الوفاة <sup>3</sup>

كما أن هناك أشكالا تعبيرية أخرى مثل "أسفرو/ إيسفرا"، و"إيزلي"، والشكل الأول مرتبط بفكرة الحلّ والبحث عن المعنى<sup>4</sup>، أما الشكل الثاني فهو متداول في الأوساط النسبية، حيث يعبر عن انشغالات المرأة وهموم الأنثى في المجتمع التقليدي<sup>5</sup>. من أشكال التعبير في الأدب الشعبي المنتشرة في منطقة القبائل الحكاية الشعبية، ومن أشهر الحكايات المتداولة: "أميس ناسلطان أكْ اتكَلِتْ (ابن السلطان والعبدة)، "تَقْشِشْتْ تَمَشْطُحْتْ أكْ أَدْ وَغَزْنُ" (البنيت الصغرى والغول)، "النصف

<sup>1</sup> زهية طراحة، إثنوغرافيا الحكاية الشعبية الجزائرية/القبائلية، مرجع سابق، ص45

<sup>2</sup> ينظر، حميد بوحبيب، الشعر الشفوي القبائلي، السياق والبنيات والوظائف، ص274-275.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص278

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص314

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص338

عمرو"، "الراعي حذيروش ونعجته"..<sup>1</sup> الخ، كما يزخر التراث القبائلي بالأمثال والحكم والأغاز والأغاني التي تعبر عن روح الأمة الأمازيغية.

### استنتاج

وأخيرا بعد ضبط المفاهيم يمكننا القول: إن الفولكلور يشمل كل الموروثات التي بقيت حية في وجدان المجتمعات من عاداتٍ وتقاليدهِ وأعرافٍ وآدابٍ وطقوسٍ... وغيرها، والاحتفالات كونها لصيقة الإنسان تحوي حمولة ثقافية تزخر بالمادة الفولكلورية التي تستحق الدراسة بالاعتماد على المنهج الأنثروبولوجي بمستوياته: الأنتوغرافي والأنتولوجي والأنثروبولوجي، هذا المنهج الذي نهدف من خلال تطبيقه إلى إيجاد معنى لتلك الممارسات الفولكلورية، وتعتبر منطقتنا البحث: "وادي سوف"، و"القبائل" أرضيةً خصبةً للدراسة على اعتبار أنهما منطقتان مختلفتان من حيث الجغرافيا والبيئة والاقتصاد، ومقاربتان من حيث الجانب الثقافي، وبقي لنا أن نتعرف في الفصول التطبيقية على مدى تأثير الاختلاف الجغرافي والبيئي على احتفالات المنطقتين، وهل سبغ التشابه والاختلافات هذه الاحتفالات.

<sup>1</sup> انظر بالتفصيل زهية طراحة، إثنوغرافيا الحكاية الشعبية الجزائرية/ القبائلية (ملحق الحكايات)، مرجع سابق، من الصفحة 275 إلى 392.

# الفصل الأول

## أثنوغرافيا بعض الاحتفالات الموسمية والدينية في منطقتي وادي سوف والقبائل

تقديم

المبحث الأول: فولكلور الاحتفالات الموسمية في منطقتي وادي سوف والقبائل

المبحث الثاني: فولكلور الاحتفالات الدينية في منطقتي وادي سوف والقبائل

استنتاج

## تقديم

يقسم القدامى السنة حسب التقويم الفلاحي الشعبي، الذي خضع للملاحظة ثم التجربة الميدانية التي شكّلت مجموع الخبرات الشعبية، التي اعتمدها الأجداد في معرفة الظروف الجوية وتقلبات الطبيعة، والتقويم الفلاحي الشعبي كما التقويم الميلادي يحوي اثني عشر شهرا مقسمة لأربعة فصول، وفي الحقيقة فهو تقويم تراكمي وليس بنتاج محلي بحت، بل هو نتاج تأثير وتأثر بين الحضارات، لكنه يتميز باللمسة الخصوصية من جهة أنه يتأثر بالبيئة المحلية وأحوالها الاجتماعية، إذ إن الانطلاقة في التقويم المحلي تكون من الأرض والتجارب الزراعية والتغيرات الطبيعية والمناخية، لذلك يستقبل الأهالي بمنطقة وادي سوف ومنطقة القبائل المواسم الطبيعية باحتفالات طقوسية خاصة تساهم في التخفيف من حدة العبور الذي يعقبه الانقلاب الموسمي، ومن جهة فإن هذه الاحتفالات تمارس للاحتفاء بخيرات الفصول المختلفة والتقاؤل بوفرة خيراتها ما ينعش الجانب الغذائي والتجاري والصناعي والاجتماعي، وهذا ما يضمن التوازن بين الإنسان والطبيعة. كما يحتفل أهالي منطقتي الدراسة بالأعياد الدينية التي تخضع للتقويم الديني (الإسلامي) القمري، وما يُميّز القمري أنه مستقل وليس تراكمياً، بمعنى أنه لم يتأثر بتعاقب الثقافات أو بالخبرات الإنسانية وتقلبات الطبيعة، لأن الانطلاقة تكون من الأعلى أي؛ أن الشهور القمرية تولد حسب حركة الأهلّة، يقول سبحانه وتعالى في سورة البقرة الآية 189 ﴿يَمَعْلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحُجَّجِ﴾. لذلك فإن ميزة التقويم القمري أنه مضبوط. وبالتالي سنتعرف في هذا الفصل عن بعض الطقوس الموسمية والدينية في منطقتي الدراسة، حتى يتسنى لنا التعرف على ثقافة المنطقتين ورؤيتهما للعالم وللمقدس، وبالتالي فقد خصصنا المبحث الأول لنقل بعض الاحتفالات الموسمية في منطقتي الدراسة، أما المبحث الثاني فهو مخصص للاحتفالات الدينية في منطقتي الدراسة، وقد اعتمدنا على المنهج الأثنوغرافي في البحث. فكيف يستقبل أهالي المنطقتين الاحتفالات الموسمية والدينية؟

المبحث الأول: فولكلور الاحتفالات الموسمية في منطقتي وادي سوف والقبائل

أولاً: الاحتفالات الموسمية في منطقة وادي سوف

### 1- الأفعال الممارسة في فصل الربيع

تقول المُخبرات عن فصل الربيع: "الربيع الحَلِيبُ والتَّمَرُ والنَّوَارُ" ويقولون أيضاً: "رَبْعُ رَبِيعِهَا وَفَتْحُ نَوَارِهَا: أي أنه الفصل الذي يموت فيه الصقيع وتُزهر فيه الطبيعة، وبما أنه الفصل الذي يتوسط الشتاء الجاف والبارد، والصيف الجاف والحر، فإن الربيع يكون خفيفاً ومنعشاً لذلك ينصحون بعضهم البعض بأن تكون أخلاقهم طيبة، فيقولون<sup>1</sup>: "أَيَّامُ الرَّبِيعِ قَلَالٌ وَالْجَارُ لَا يُوْرِي لُجَارَ خِيَابَتِهِ"\*، ومن الطقوس الاحتفالية التي تمارس في الربيع في منطقة وادي سوف نجد:

#### 1.1. عرس الغنم أو جز الغنم

يصطلح على عرس الغنم عند البدو بموسم "الرَّاز"، وتقوم هذه العملية أساساً على إزالة الصوف، وحسب القاعدة الشعبية فإن وقت الجز يكون بالدقة التالية: "الشَّعْرُ مَارِسٌ وَالصُّوفُ ابْرِيْرٌ وَالْوَيْزُ إِمَائِيُوٌ وَإِلْيَا مَا زَزَيْتَهُ يُطِيْرُ"\*، وعادة ما يتم الاهتمام بجز صوف الضأن لكثرتهم وكثرة أرباحه المادية، والبدوي وضع هذه القاعدة قصداً؛ لأنه أخطأ ذات مرة وجزَّ الصَّوف قبل أوانه، أي في شهر فيفري-قِرَّة مطر فُرَار - ما أدى إلى قتل أغنامه<sup>2</sup>.

ويطلق على "جز الغنم" أيضاً "الجَلَامَة"، وهي عملية يقوم بها مربو الماشية أو الإبل أو الماعز مرة في كل عام، وتكون بالتحديد في أواخر فصل الربيع، أي بعد انقضاء فصل الشتاء البارد الذي يمنع فيه نزع الصوف؛ لأنه يقيها من البرد، وكذلك بقاؤه في فصل الصيف يشعروها بالحر، وعادة

<sup>1</sup> لقاء مع الراوية زهية قعري، 80 سنة، 1-02-2022، وادي سوف.

\* أي أن أيام الربيع قليلة وبحكم أن أهل البادية يرحلون، فمن الأحسن أن يتعاملوا مع بعضهم البعض بالحسن  
\*\* ويقصدون بذلك أن جز شعر الماعز يكون في شهر مارس، وأن جز صوف الضأن يكون في شهر أبريل الفلاحي، وأما جز وبر الإبل يكون في مايو الفلاحي، وإن لم يجز وبر الإبل في هذا الشهر فإنه يطير، لأن الإبل تبدأ بإسقاط الوبر الذي يسميه البدو ((النَّقَّاق)).

<sup>2</sup> لقاء مع الراوي محمد الصالح بن علي، 09 جويلية 2023، وادي سوف.

ما يقوم بجزّ الصّوف مجموعة من الرّجال سواء أكانوا من رجال القبيلة أو مستأجرين\* أو متطوعين إذ أن المجموعة تقلّل من الجهد والوقت، وقد خُصّت هذه العملية بالرّجال واستُبعدت النّساء من ذلك؛ لأنّ عملية الجزّ تتطلب جهداً عضلياً وخفة الرجال الذين يستطيعون مقاومة هذا الحيوان الذي يمتاز بسرعة انتباهه وكثرة حركاته وقلة صبره، كما أن المهارة والخفة تمنع من أذى الأغنام والشخص معاً<sup>1</sup>. وفي اعتقاد البدو أن لعملية الجزّ فوائد عدة منها: نظافة الشاة من الأوساخ وتعرض جسمها لأشعة الشمس، وزيادة رغبتها في الأكل والشرب ما يُسرّع نموها، لذلك يقولون<sup>2</sup>: في المثل الشعبي عن قيمة الجزّ "اللّي فاتك بالمِرْبَاع فُوْتَه بِالرَّاز، واللّي فاتك بِالرَّاز فُوْتَه بِالْمَنْقَاضِ"<sup>\*\*</sup>.

وفي صباح يوم عرس الجزّ يحضر الرجال وكل منهم يجلب أداة الجز (الجلم) <sup>\*\*</sup>، ثم يتم طرح الغنم أرضاً وتثبيتها بين الأرجل عند المحترفين، أما الأقل مهارة فيقوم بربط الأطراف الأمامية والخلفية برباط متين، إذ يترك على الجلد القليل من الصوف فقط ينمو في الموسم القادم، وقد تستغرق هذه العملية من يوم إلى أكثر، حسب عدد رؤوس الماشية وعدد الرجال ومهارتهم ويصاحب العملية حماس وتسابق بين الرجال، وترديد الأغاني لدفع الملل وكذلك لدفع الحسد، بحيث يظن المارة أنهم يتشاجرون، وتُدبج الأضاحي وهي عبارة عن كبش يربى منذ صغره مع الغنم ليذبح في عرس الغنم قربانا للولي الصالح "عبد القادر الجيلاني" عند المنتمين للطريقة القادرية، وتحضر الولائم، حيث تقوم النّساء في الصباح بتحضير "رئيس الثمر" الممزوج بسمن الغنم والماعز والقمح المطحون (الدّشيشة) <sup>\*\*\*\*</sup>، وفي هذا الفصل يكون الحليب وافراً فيصنع منه اللبن وتُستخرج منه الزبدة ومنها يصنع السمن. يقدم الرّئيس إلى الرجال مع اللبن في الصباح، مع

\* الأصل: غير مستأجرين متطوعون، لكن على صاحب الغنم إكرامهم بـ: الرّئيس، واللحم، فهو يذبح شاة أو شاتين خاصة عام الخصب والعشب، والمجموعة ظنة إعانة كالعوانة وحفظ الوقت؛ لأنهم في غالبيتهم رعاة فغنمه حابسة ذلك اليوم.

<sup>1</sup> لقاء مع الراوي غريسي أحمد، 70 سنة، 25-02-2022.

<sup>2</sup> الراوي محمد الصالح بن علي، المصدر السابق.

\*\* بمعنى من سبقك بالمرباع أي مراعي الربيع فاسبقه بجز غنمك، ومن سبقك بجز غنمه فاسبقه بالمنقاض أي إيراد الغنم إلى البئر وسقيها مبكراً. الراوي محمد الصالح بن علي، المصدر السابق.

\*\*\* الجلم: وهو عبارة عن مقص من الحديد كبير الحجم وحاد حتى لا تجرح الماشية ويساعد على سرعة العملية.

\*\*\*\* ينظر: فهرست الصور (صوّر 08، الصورة -).

شرب الشاي من وقت لآخر، وهكذا تتواصل عملية الجزّ والغناء المحفز للعمل والمعبر عن فرحهم بوفرة المنتوج ومن هذه الأغاني والأهازيج<sup>1</sup>:

أول ما نبدأ يا سيادي الصلاة على النبي  
أول ما نبدأ نُشهر الفؤل والصلاة على النبي  
الله يغيثك يا لبركوسة بجلام سُوسة وأيدي فرج للمحبوسة  
الله يغيثك يا الدرعاء أمي نا وأيدي فرج للمحبوسة  
الله يغيثك يا أم لخطام بطفل لظام ولا يحاذي بيك لغنام  
الله يغيثك يا لمعبور بخط مشكور  
الله يغيثك يا أم لقناع زرازك جاع\*

ومنهم من يخاطب الشاة التي يجزها فيقول لها: "لُو كَانَهُ مَاهُوش مِنْ لِكُرُومَةِ وَالذَّيْلُ نَزَّزْكَ فِي اللَّيْلِ"\*\*, وآخر يجز نعجة ويتمنى أن يُكثر الله من رزقه فتزيد أعداد النعاج فيقول:

مِنْكُنْ وَاللَّهُ عَدَادُ مِيَّاتٍ يَا لَلَّاتْ

كَانَ حَوَالِي وَبِرْكَوسَاتْ\*\*\*

وآخر يخاطب نعاجه وهو يجزها فيقول<sup>2</sup>:

<sup>1</sup> لقاء مع الراوي علي بن عيشة، 90 سنة، 25-09-2023، وادي سوف.  
- لقاء مع الرواية صالحة دريدي، 60 سنة، 5-07-2023، وادي سوف.  
\* جلام سُوسة: مقص من ولاية سوسة التونسية مشهورة بجودتها/ المحبوسة: الشاة المقيدة/ المعبور: صغير الغنم/ خط مشكور: مكان كله عُشب/ زرازك جاع: أي الرجل الذي يقوك بعملية الجز جاع.  
\*\* أي لولا رغبة الشاه وذيها وهما من أصعب المناطق، لتمكن من جزها ولو في الليل لمهارته في عملية الجز. الراوي محمد الصالح بن علي، المصدر السابق.  
\*\*\* يا ليتني أملك من النعاج بالمآت من المدلالات أي النعاج التي بلغت الحول أي العام وبركوسات أي نعاج في مقتبل العمر. الراوي محمد الصالح بن علي، المصدر السابق.  
<sup>2</sup> الراوي محمد الصالح بن علي، المصدر السابق.

يَا مَهَّ يَعْطِيكَ بِخَرِيفٍ

مَنْ بَعْدَ الصَّيْفِ

يَا قَالِبَهُ الشُّوشَانَ شَرِيفٌ\*.

وفي وقت الغداء يقدم لهم الكسكس ومعه اللبن، وفي المساء توشك العملية على الإنهاء، تتعالى الأصوات والصراخ وتجاذب أطراف الحديث والنكت، وتشعر النساء في تحضير مائدة العشاء وهي "رفيس الخبز" أو ما يسمى "تَاقِطُيُوطُ"، وعند الإنهاء يوضع الصوف في أكياس حرصاً على عدم اتساخه والتقاطه للأتربة، ثم يقدم العشاء تحت ضوء القمر ويقومون بإشعال النَّار احتفالاً بإنهاء عرس الغنم بالغناء والضرب على الدفوف، ويستمر الاحتفال إلى وقت متأخر من الليل<sup>1</sup>.

## 2.1. تَاقِطُيُوطُ

حسب دراسة الباحث أحمد زغب فإن لفظة "تَاقِطُيُوطُ" أقرب إلى الكلمات الأمازيغية من حيث المورفولوجيا، ذلك أن لفظة أَقْطِيطُوطُ في القبائلية يعني "الطيور"، وفي اعتقاد العامة في منطقة سوف أن لفظة تَاقِطُيُوطُ منحوتة من لفظين هما طق (القاف كاف مهجورة g) وطيو، وعن سبب التسمية حسب زعمهم فإن الطيور تحل بهم في الربيع بأعداد كبيرة، فينصبون لها الفخاخ بواسطة غربال، تنقر الطيور القمح الذي يوضع لها كطعم، "طق، طق، طق"، وعند انطباق الفخ عليها تترقق "طيو، طيو، طيو"... نلاحظ إذن العلاقة الوثيقة بين التفسير المحلي والتسمية الأمازيغية "أقْطِيطُوطُ"<sup>2</sup>.

\* بمعنى يا نعجتني الله يعطيك المطر في الخريف من بعد الصيف وجدبه وجفافه، فترفعي الفقير إلى مرتبة شرفاء القوم. الراوي محمد الصالح بن علي.

<sup>1</sup> لقاء مع الراوية وريدة بيات، 75 سنة، 04-03-2024، وادي سوف.

- لقاء مع الراوية صالحة دريدي، المصدر السابق.

- لقاء مع الراوي علي بن عيشة، المصدر السابق.

<sup>2</sup> ينظر: أحمد زغب، عمود الدخان، رواسب الآخر في ثقافتنا الشعبية، دار الثقافة، ولاية الوادي، ط1، 2015، ص55-

قديمًا كان البدو يستقبلون الربيع بتحضير أكلة الرفيس، وهو عبارة عن رغيف رقيق يقطع إلى فتات، ويخلط بعسل التمر والسمن -أي الدهان المستخرج من ألبان الغنم-، والوجبة عبارة عن تفاعل يكون الربيع حلوا، وفي منتصف الربيع يعادون نفس الوجبة ولكن بسمن السنة الحالية، حيث تكثر الألبان، ومن طقوسهم أيضا يبخرون بيوتهم وخيامهم قديمًا بالجاوي<sup>1</sup>، وفي منتصف الربيع كما تخبرنا الراوية<sup>2</sup>: "نُطَيِّبُو شَخْشُوخَةَ لَازِمِ نُدِيرُوهَا بِلَحْمِ السردوك، ونُخَرِّجُوهَا مَعْرُوفٌ، وَنُدْعُو رَبِّي يَطْرَحُ لُبْرَاكَةَ فِي رِزْقِنَا"\*، أما في الوقت الحالي فلم يعد لهذا الطقس أي أثر إلا ما بقي في بعض المناطق القليلة، وقد انتقلت أكلة "الرفيس" الخاصة بفصل الربيع فأصبحت تقدم في الأعراس السوفية.

## 2- احتفالات الصيف

الصيف موسم حار، وفيه تخرج العقارب من جحورها، لذلك يخشى الناس لسعاتها التي قد تكون مميتة، وللحيلة والحذر فإنهم يحصنون أنفسهم، ويربطونها بتعاويذ خاصة يعتقدون أنها تعجز العقرب على إخراج سمها، ومن التعاويذ المشهورة لربط العقرب ربط العقرب "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، يَا دَابَّةَ يَا مَدْبُوبَةَ يَا تَمَشِي عَنِ اللَّوْطَاءِ مَكْبُوبَةَ، فَسَمْتُكَ بِالرَّبِّ وَ12 حِزْبٍ لَا تَأْدِينَا وَلَا تَأْذِي حَدًّا، بُرْكَةَ مَكَّةَ وَحِجَارَهَا وَمِنْ زَارَهَا، كُلِّ هَائِشَةَ تُحْكُمُ دَارَهَا، أَلَيْلٌ يَطْلَعُ نَهَارَهَا، فِي فَمِهَا لُجَامٌ وَفِي ذَيْلِهَا زَرَامٌ بَجَاهِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ"<sup>3</sup>، ومن التعاويذ الوقائية لمنع أذى العقارب والأفاعي: "قِرَايَةَ سَيِّدِي سَلِيمَانَ مَنِيبُ حَجٍّ وَعُزَالٍ وَضَرْبِ اللَّيْلِ كَيْ لُجَامٌ مَدِي جِنَاكِ يَا الرِّضَاعَةَ عَلَى مَا هَبَّ وَعَلَى مَا دَبَّ وَعَلَى مَا خَلَقَ الرَّبُّ، فُكْنَا مِنَ الْعَقْرَبِ وَالرَّيْحِ لِمَخُوفِ وَالْجَمَالِ لِيَا ثَارَتْ

<sup>1</sup> ينظر: أحمد زغب، عمود الدخان، رواسب الآخر في ثقافتنا الشعبية، ص55.

<sup>2</sup> الراوية وريدة بيات، المصدر السابق.

\* نطبخ أكلة الشخشوخة ويشتد أن تكون بلحم الديك، وتقدم على شكل صدقات، آمليين بأن يبارك الله في أرزاقنا  
\* بسم الله الرحمن الرحيم، يا دابة يا مدبوبة يا من تمشي عن الأسفل مكبوبة، حلفتك بالرب و12 حزبا، لا تأدينا ولا تأذي أحد، ببركة مكة وحجارتها، ومن زارها، كل العقارب تدخل جحورها، حتى يطلع نهارها، في فمها لجام وفي ذيلها زرام، بجاه النبي عليه الصلاة والسلام.

<sup>3</sup> الراوية فاطنة كرطي، 60 سنة، 22-02-2022، وادي سوف.

وَالرَّجَالُ لِيَا غَارِتْ، اَعْمِي عَيْنِيَهُمْ بِالطَّمَّاسْ وَثَقْلٌ وَذُنَيْهِمْ بِالرِّصَاصْ وَلكُرْسِي يَدُورُ كَيْمَا دَارَ عَن جَبَلْ عَرَفَاتْ شِبَاكُ الرَّسُولِ بَجَاهِ نَبِينَا الْعَالَمِينَ، كُلُّ هَائِشَةَ تُحَكِّمُ غُرَهَا بَجَاهِ مَكَّةَ وَحَجَارَهَا وَالنَّبِي لِي زَارَهَا كُلُّ هَائِشَةَ تُحَكِّمُ غَارَهَا حَتَّانْ يَطْلُعُ نَهَارَهَا بَجَاهِ نَبِينَا الْعَالَمِينَ الْهَائِشَةَ لَا تُدُورُ بَيْنَنَا\*<sup>1</sup>، وتقرأ هذه التعويذة ثلاث مرات، كما أن هناك طقوسا خاصة لحماية الطفل الصغير من لسع العقارب، حيث تأخذ الأم قارورة، و تضع فيها حليبيا يكون من ثديها، ثم تضع فيها عقربا، وتتركها إلى أن تموت، وبهذا فإن العقرب حتى وإن لدغت الصغير فإن سمها لا يؤثر في جسمه. ومن الطقوس الممارسة في سوف لاتقاء شر العقارب "مُعَاهِدَةُ الْعَقْرَبِ" بعدم الإخبار عنها أو اتِّبَاع جرتها<sup>2</sup>. وأما عن احتفالات الصيف المشهورة في المنطقة نذكر:

## 1.2. احتفال مايو الصيف

ويتم الاحتفال بـمايو الصيف عند دخول الصيف، ففي ليلة أول يوم من فصل الصيف، يقوم أهالي المنطقة بتحضير الدشيشة كوجبة للعشاء، وفي اليوم الموالي يقصدون الأئمة (الطُّلَّبَةُ) ليكتبوا لهم حروزا وحجبا، ويقرؤون لهم القرآن في الماء ليرشون به المنازل وعتبات البيوت، كما يقومون بالتبخير بالحرمل والعرعار والريحان، ومن عوائدهم في الصيف أنهم يدهنون كواحلهم وأكواعهم بالقطران ويُشترط أن يكون بخلاف؛ بمعنى إذا تم دهن كوع اليد اليمنى، يجب دهن كاحل الرجل اليسرى، تقاديا لسعات العقارب، ومن عوائدهم أيضا، لا ينامون القيلولة في اليوم الأول، حتى لا يغلبهم الصيف فيتعبهم حسب اعتقادهم<sup>3</sup>.

\* قراءة سيدي سليمان، وقت الحج والغزال، واشتد الليل مثل اللجام، أبسطي جناحك يا الرِّضَاعَةَ عَلَى مَا هَبَّ وَعَلَى مَا دَبَّ وَعَلَى مَا خَلَقَ الرَّبُّ، اتركنا من العقرب والرياح التي تثير الخوف، الجمال لي ثارت، والرجال غارت عليا، أطمسي أعينهم، وصبي الرصاص في أذانهم، والكُرْسِي يدور مثل ما طاف على جبل عرفات، شباك الرسول بجاه نبينا العالمين، كل عقرب تحكم جحرها، بجاه مكة وحجارها، والنبي الذي زارها، كل عقرب تحكم غارها، حتى يطلع نهارها، بجاه نبينا العالمين، العقرب لا تأتي إلينا.

<sup>1</sup> الراوية صالحة دريدي، المصدر السابق.

<sup>2</sup> الراوية بيات وريدة، المصدر السابق.

<sup>3</sup> الراوية صالحة دريدي، المصدر السابق.

وللاحتفاء بمايو الصيف يشتري الأهالي لحم الماعز، فلا يجوز طهي الكسكس بدونه حسب اعتقادهم، ومن طقوس إعدادة أن يكون خاليا من البصل والثوم والزيت لأن الحرس -الصالحين كما يُطلق عليهم أهل المنطقة- لا يرغبون في ذلك حسب ما يزعمون، وبعد الإنهاء من طهي الطعام، يقومون بتجهيز غرفة -وقديما كانوا يجددون رمل الغرفة- ويضعون منها ذلك الطعام، ووعاء آخر فيه شعير لتأكل منه دواب "الحرس" حسب اعتقادهم، ثم يحكمون إغلاق الغرفة ويحرصون على إبعاد الأطفال عنها تقاديا لأي إزعاج للحرس، وبعد مدة يدخلون الغرفة ويتبعون آثار الصالحين في الأكل، وعلى الأرض، وفي كل مكان بالغرفة، ثم يشرعون في تناول بقايا "الصالحين" المباركة حسب اعتقادهم، وفي بعض المناطق يكتفون بذبح عنز يشترط أن تكون ذات اللون الأسود، ويقسمون لحمها إلى سبع حصص ويوزعونها على الجيران<sup>1</sup>.

## 2.2. احتفال العنصلة

يُحتفل بعيد العنصلة بعد أربعين يوما من الاحتفال بمايو الصيف، وحسب الموردين، فإنه في هذا الموسم يُعنصل البصل. وتتعدد الأساطير المؤسسة لهذا الاحتفال، ومنها أسطورة تقول أن العنصلة طائر ضخم كان يفسد المزروعات، فشكاه الفلاحون إلى الولي الصالح "سيدي حيدة" فركب حصانه وراح يقاتله برمح السهام، حتى اخترقه بسهم قضى عليه ثم نادى في القرية بأن يجمعوا الحطب لإحراقه، وكانت مكافأته بأن يُعطى صاعا من التمر من كل أسرة<sup>2</sup>، وهناك من زعم أن العنصلة ليس بطائر، بل هي امرأة يهودية لها عين واحدة، لكنها تمتاز بنظر ثاقب، يستعين بها اليهود لمراقبة تحركات الصحابة، وذات يوم لبس الصحابة الحلفاء ثم شرعوا في الزحف، فجاءت العنصلة كعادتها تقوم بدورية استطلاع، فإذا بها ترى الحلفاء تمشي فقالت لليهود أنه لا يوجد أحد من الصحابة غير حلفاء الصحراء تتحرك، فاعتقدوا أنها تسخر منهم فقتلوا وتمكن الصحابة من الوصول إلى دار العدو ودارت رحى المعركة التي انتهت لصالح الصحابة

<sup>1</sup> لقاء مع الراوية زهرة بن لخضر كرطي، 62 سنة، 20-09-2022، وادي سوف.

<sup>2</sup> أحمد زغب، عمود الدخان، مرجع سابق، ص50.

ضد اليهود، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها انتشرت رائحة العنصلة التي تعفنت من شدة حر الجو، فقاموا برجمها بالبصل ثم احرقوها وهكذا تخلصوا من الرائحة المزعجة<sup>1</sup>.

وفي رواية أخرى يرجع سبب الاحتفال بالعنصلة إلى حدث وقع قديماً، حينما أقدم رجل من منطقة وادي سوف على الزواج من امرأة يهودية، فرفض أهله وعشيرته الزيجة اليهودية، إلا أن الرجل أصر على زواجه منها، فدبرت النساء مكيدة تفسد هذا الزواج، وذلك بإطعام الزوجة اليهودية في ليلة الدخلة طبق خشوخة بالبصل، وقد تعمدت النساء الإكثار فيه بالبصل، وحين أراد الزوج الاقتراب من زوجته اشماز من الرائحة الكريهة ونفر منها، ومن هنا بدأ الاحتفال بالعنصلة بعد حوالي أربعين يوماً من مايو الصيف، ويقوم الأهالي بتحضير الخشوخة التي يغلب عليه البصل والقرفة، ويتصدقون بها للجيران<sup>2</sup>.

### 3.2. احتفال "المعزة القربان"

المعزة القربان احتفال له أسطورة مؤسسة، أصلها مرتبط بالاحتفال بذكرى صنيع الشيخ المغربي القادم من الساقية الحمراء، حيث كان يعتقد أهل "قمار" أن له الفضل في حماية مدينتهم، وقد ترجاه أهل قمار ليزداد عددهم، الذي لم يكن ليتجاوز 40 عائلة، فعلمهم الشيخ شعيرة المعزة، حيث تقضي الشعيرة بأن يقوم المتحدرون من الأربعين عائلة القديمة من مدينة "قمار"، وفي أول جمعة من الصيف بما يلي: قبل اليوم الموعود يقوم مالك المعزة الحمراء بتقديمها قرباناً ويتقاضى مقابلها لها قفة من التمر من كل عائلة من العائلات الأربعين، وبعد صلاة العشاء يقوم رجلان بالتجول بالمعزة حول التجمع السكني وفي صمت مطلق، لتنتهي عملية التجول قبل طلوع الفجر، وبعد صلاة الجمعة من اليوم الموعود، تتحرر المعزة بالقرب من مسجد "سيدي مسعود" ويقسم اللحم

<sup>1</sup> لقاء مع الراوية زهرة بن لخضر كرطي، المصدر السابق.

<sup>2</sup> الراوية صالحة دريدي، المصدر السابق.

على العائلات الأربعين، ويحتفظ بقليل من شحمها ولحمها، فيحرق بموقد كبير بالغوط في الأربعين من أيام الصيف، وكان من أثر هذه العادة حسب زعم الأهالي زيادة في عدد السكان<sup>1</sup>.

### **3- احتفالات الخريف**

يُفرح الأهالي في منطقة سوف بقدوم الخريف؛ لأنه موسم الخير الكثير، ومن الطقوس المشهورة بالمنطقة في هذا الموسم نذكر:

#### **1.3. احتفال هبيّة الخريف**

يستقبل الناس في سوف موسم الخير بأكلات شعبية خاصة، ففي أول يوم من الخريف يطبخون "الدشيشة"<sup>\*</sup> كي يأتي هذا الفصل خفيفا مثل الدشيشة<sup>2</sup>، ويُعتبر هذا من السحر التشاكلي ومن أشهر الأكلات المخصصة لهذا الاحتفال "الهبيّة" وهي عبارة عن الكسكس بلحم الجمل غير أن هاته الهبيّة تتميز عن غيرها باشتراط توفرها على سبعة أنواع من الخضر<sup>3</sup>.

#### **2.3. احتفال غراسة النّخيل وجني التّمور**

يرتكز الاقتصاد المحلي بمنطقة "وادي سوف" على غراسة النخيل بالأساس، وهذه الغراسة تحتاج إلى وقت وجهد كبيرين يستغرقان عدة سنوات لإنتاج تمر يسد الحاجة الغذائية لسكان المنطقة وينعش ثروتها المالية. ونظرا لقيمة التّمر في المنطقة يحرص الفلاحون الشعبيون على القيام بممارسات طقوسية تستند إلى السحر العام، الذي يُعتقد أنّه يُلبّي حاجات الجماعة، ويُساهم في إصلاح النّخل، وتزكية التّمر وضمان المحصول الوفير. ومن الطقوس التي يمارسها الفلاحون تقديم الذبائح قبل غراسة النّخيل، ويطلق على هذه الممارسة في وادي سوف (التّحمير) بمعنى أنّه يجب أن يسيل دم في المكان المخصص لزراعة النّخيل، ومن لم يتقيد بهذه الممارسة حسب الأعراف فإن ذلك يؤدي إلى موت الغرسات أو فساد غلتها، كما أنّ الفلاحين حين يقدمون على

<sup>1</sup> ينظر: ANDRE-ROGER VOISIN، سوف مونوغرافيا، تر: أبو بكر مراد، دار المعرفة، دط، د، ت، ص173.

<sup>\*</sup>الدشيشة: حساء الشعير.

<sup>2</sup>الراوية صالحة دريدي، المصدر السابق.

<sup>3</sup>الراوية زهرة بن لخصر كرطي، المصدر السابق.

غرس "الحشانة"\*، فإنهم يتلفظون بالدعاء الآتي: "يا قسم الزوالي، يا قسم الطالب، يا قسم الضعيف، يا قسم الخاين، يا قسم اللمانه، يا قسم الطالب، يا قسم الماشي"<sup>1\*\*</sup>، وبالتالي فإنهم يعلقون أمالا كبيرة على النخلة باعتبارها مصدر رزق جميع أطراف المجتمع من الفقير والفقير والضعيف والقوي وحتى السارق، وأيضا المتسول وعابر السبيل، وكذلك فإن ثمارها هو مصدر غذاء الحيوان. ولكي تنمو شجرة النخل بسرعة حسب الأعراف الشعبية، يجب على الفلاح أثناء ذهابه لزراعة "الحشانة" أن يخترع أي كذبة، ويقصها على من يمر عليه، فالكذب حسبهم يسرع عملية النمو، وكلما كانت الكذبة أكبر كلما كانت أفضل، وأيضا حين يقدم الفلاح على زراعة الحشانة عليه بذبح "جرو الكلب"<sup>2</sup>، وبما أن الرياح من العوامل التي تساهم في عملية تلقيح النخيل لقوله تعالى في سورة الحجر/ الآية 22 ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَّاحٍ، فَإِنَّ الْأَهْلِي يَمَارِسُونَ طَقُوسًا تَهْدَفُ إِلَى إِثَارَةِ الرِّيحِ كَأَن يَعْطِقُونَ خَنْفَسَاءَ مِنْ أَرْجُلِهَا فِي نَخْلَةٍ<sup>3</sup>. وترفق عملية تلقيح النخيل عدة ابتهالات، ينشد من خلالها أصحاب الخبرة الميدانية طلب البركة من الله، ومن هذه الابتهالات:

أَوَّلُ بَادِي وَالصَّلَاةَ عَلَيَّ النَّبِي

وَالعَشْرَةَ الْأَصْحَابَ وَرِضْوَانَ عَلِي

سِيرِي بَيْنَا اللَّهُ يُزِينُ حَالِكُ

اللَّهُ يَنْقِي الشُّوكَ مِنْ قُدَامِكُ

سِيرِي بَيْنَا يَا مَدَادَةَ

يَا سَعْدَ مِنْ رَبِّي عَلَيْكَ أَوْلَادَهُ

\* الحشانة: ج. حشان وهي فسائل أشجار النخيل عمرها من 3 إلى 6 سنوات.  
\*\* يا رزق الفقير، يا رزق الفقيه، يا رزق السارق، يا رزق النملة، يا رزق المتسول، يا رزق عابر السبيل.

<sup>1</sup> الراوية مسعودة بيات، 80 سنة، 23-03-2023، وادي سوف.

<sup>2</sup> ربح مصباحي، 64 سنة، 25-03-2023، وادي سوف.

<sup>3</sup> الراوي أحمد نصيرة، 67 سنة، 09-10-2023، وادي سوف.

أي؛ في الأول، الصلاة على النبي، وأصحابه العشرة ومجدا لعلي، سيرى (يا قافلة الجمال) ليزيد الله طيب أحوالك، وينزع الأشواك من طريقك، تقدمي بانتظام (أيتها القافلة) سعيد من يري أطفاله بصحبتك<sup>1</sup>.

وتتم زراعة فسائل النخيل في موعدين رئيسيين، الأول في الربيع وذلك بعد خروج الليالي البيض أي من دخول الليالي السود إلى دخول الصيف، أما الموعد الثاني يكون في الخريف، وذلك بعد خروج "أوسو" \* إلى انتهاء الخريف<sup>2</sup>.

### جني التمور

يعتبر موسم جني التمور في منطقة وادي سوف عرسا للنخيل، التي أصبحت مثمرة بعد مرورها بعدة بمراحل، كما توجد فترات موسمية لجني التمور، ففي فصل الصيف تثمر النخلة نوعين من التمور وهي "البَلْح" و "البِسْر" \*، وهذان النوعان لا يتطلبان جهدا كبيرا لجنيهما، فيكفي تسلق أحد الأشخاص النخلة حاملا قفة كي يجني ما يريد، وكثيرا ما يبدأ هذا النوع في التساقط لوحده فيقتات منه عابرو الطريق، كما أنّ هذا النوع من التمور لا يصلح للتخزين. أما في فصل الخريف يكتمل نضوج الثمر وتبدأ مرحلة الجني ثم الفرز وأخيرا التخزين، ولأن مالك النخيل لا يقوى على قطع عراجين التمور لوحده، فإنه يستعين "بالعوانة" لمساعدته على هذا العمل، حيث يتطوع مجموعة من شبان الحي للمساعدة، فمنهم من يتولى مهمة تسلق النخيل وقطع العراجين بالمنجل ثم رميها إلى الأرض، وأما الباقون فيجمعون تلك العراجين ويلتقطون حبات الثمر المتناثرة، في أكياس أو قفاف أو صناديق وينقلونها إلى البيوت، وحين يتم تكديس التمور للفرز يؤتى بعرجون ويوضع وسط الثمر المكدسة، ثم يقولون: "يَا مُخْلِصُ عَشُورِهَا وَالنَّبِيِّ يُزُورُهَا"،

<sup>1</sup>Gaston Cauvet، غراسة النخيل في سوف مذكرات 1900-1901، تر: عبد القادر ميهي، دار الثقافة، الوادي، ط1، 2013، ص33.

\* أسو: شهر أوت

<sup>2</sup>محمد ماني، العرف المعروف في: طريقة قسمة أغواط وتراب سوف -دراسة-، مديرية الثقافة لولاية الوادي، ط1، 2015، ص68.

\*البَلْح: تمر حبة التمر بمراحل قبل نضوجها، فحينما تكبر قليلا وتأخذ اللون الأخضر تُسمى البلحة/ البسر: بعد مرحلة البلح يشتد صفارها ويبدأ نضوجها.

وأثناء عملية الفرز كانوا يخرجون الزكاة مباشرة، بحيث يكون الكيس العاشر هو المخصص للزكاة، وبنهاية الفرز يحفظ التمر المخصص للاستهلاك في "الخَابِيَّة" أو "البَطَّانَة"<sup>\*\*</sup>، وأما الرديء فيخصص لعلف الحيوانات، ويوضع التَّمْر المعد للبيع في أكياس معينة. ولا تخلو عملية جني التَّمور بجميع مراحلها من الممارسات الشعبية الهادفة إلى الترويح عن النَّفس، كإطلاق الأهزيج والأغاني، وأيضا يعتبر موسم جني التَّمور مناسبة للتَّكافل الاجتماعي، حيث لا يحرم بيت سوفي من التمر وإن كان لا يملك نخيلا، وفي هذا السياق يقول المثل الشعبي "إِذَا دَخَلَ غُشْتٌ مِنْ كُلِّ نَخْلَةٍ عِشْتٌ" ففي هذا الموسم يكثر التمر ويعمَّ الخير<sup>1</sup>، وبهذا تتعدد سبل الصدقات فهناك من الفلاحين من يخصص نخلة لناس معينة يقصدون ثمارها متى أرادوا، وهناك من يفضل بعد عملية الفرز توزيع أكياس على الجيران والأحباب، وقديما كانت بعض البوادي تخصص دارا ليضع فيها من لا يمتلكون نخلا (عَلَاقَاتِهِمْ)<sup>\*\*\*</sup> ليجدونها بعد منتصف النهار مليئة بالتمر دون معرفة من ملأها، وتسمى الدار (دار العَلَاقَة)<sup>2</sup>، وهناك من يخصص نخلة كوقف يستفيد منها عابرو السبيل أو الفقراء والمساكين، ومؤخرا مع وجود الجمعيات الخيرية، أصبح بإمكان أي شخص أن يدفع للجمعية مبلغ شراء نخلة وتتكفل الجمعية بزرعها في أرض مخصصة، وأخيرا يُستفاد من أرباحها لسد حاجات الأيتام، مثل جمعية "إِثَار لرعاية الأيتام"، ففي مرحلة الجني قديما وحديثا لا تعرف منطقة وادي سوف الجوع أبدا.

\* الخابية: (ج. خوابي) وهي نوع من الخزانات المدورة المبنية من الجبس السوفي في الغرفة التي تستعمل مخزنا، إلى جانب الخزان تبنى بلاطة يصعد عليها من يريد أن يأخذ حاجته من التمر بواسطة قرن غزال أو قرن ماعز. ج. كوفي، غراسة النخيل في سوف مذكرات 1900-1901، تر: عبد القادر ميهي، دار الثقافة، الوادي، ط1، 2013، ص50، ينظر: فهرست الصور (صَوْر رقم 11، -أ، -ب).

\*\* لِبَطَّانَة: (ج. بطاين) وهي عبارة عن أكياس جلد الغنم، تخاط بسعف الجريد الأخضر. ج. كوفي، غراسة النخيل في سوف مذكرات، ص50.

<sup>1</sup> الراوية يمينية بيات 03-04-2021، وادي سوف.

الراوي بن مبارك بن علي بن الهادي، 80 سنة، 24-04-2024 وادي سوف.

<sup>\*\*\*</sup> العَلَاقَة: قفة صغيرة تُستعمل لجني البسر (الرطب).

<sup>2</sup> علي بوصبيح، الغوط اليهود أو الهرم المقلوب، مديرية الثقافة لولاية الوادي، ط1، 2015، ص67.

ونظرا لقيمة النخلة في حياة الإنسان السوفي، نجد الشعراء والقوالة\* يقحمونها في إبداعهم الثقافي بصفتها تعكس هويه الإنسان الصحراوي بصفة عامة، وهناك عدة أشعار قيلت في أهمية زرع النخيل، وقيمة التمر، فما هو الشاعر "العربي دوقة" قال في قصيدته المعروفة بـ "زَيْدُ أَخْدِمِ عَلَى الْحَشَانُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِضْمَانٌ"، وهذه بعض الأبيات منها:

غَيْرُ أَخْدِمِ عَلَى الْحَشَانُ      فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِضْمَانُ  
تَوَا كِي نَعْنَى مِنْ بَلْحَقُ      واطْمَعْتُ وَإِنْ شَاءَ اللَّهُ نَلْحَقُ  
كِي عُدْتُ نَزَقِي وَنُحَدَّرُ      بَعْلَاقَتِي عَلَى الْحَشَانُ  
حَشَانِي دَابِرُ ضُبَابِهِ      كِي تَكَلَّمُ الْعَرَبِي وَأَصْحَابَهُ  
يَا رَبِّ مِثْمَنِّي غَابَةِ      وَحُوشُ عَلَى رُوسِ الْكَيْفَانِ<sup>1</sup>

يحث الشاعر على زراعة فسائل النخل، فهو يعتبر الاعتناء بالنخل ضمان للفوز بالدنيا والآخرة، ويعبر عن فرحته أثناء خدمة النخل، حيث يستفتح عمله بترديد الأهازيج ويعدد محاسن النخل المثمر لأنواع عدة من التمور، كما يعبر الشاعر عن اشتياقه للعوطة (الهود)\*\* وخدمته. ويوجد نموذج لشاعر آخر دار حوار بينه وبين نخلة تنتج نوعا مميزا من التمور يعرف بـ "الدقلة"، يدعوها لتثمر دقلة مثل نخلة جاره، لترد عليه بأن سبب تعطيلها عن إعطاء الثمار هو إهماله لها، وكان الحوار بينهما كالآتي:

طَلْعِي بِزِيكِ يَا جِبَارَةَ (الدقلة)      مُؤَلَاكَ نَاغِرُ مِنْ عَلَاقِ جَارَهُ  
قَالْتَلَّهُ مَتَعَزَّرْنِيْشْ عِرْقِي حَبَسْ      فِي الْبِكْرِ مَا يَمْشِيْشِي

\* القوالة: الذين يحفظون القصص والحكايات والموروث الشعبي والإسلامي ويقصونها على السامعين بطريقة ممتعة.  
<sup>1</sup> أحمد زغب، أنطولوجيا الشعر الشعبي في سوف مائة شاعر شعبي من منطقة وادي سوف، دار المتقف، ط1، 1441هـ-2020م، ص202.  
<sup>\*\*</sup> الهود: هو واحة النخيل.

جِيتْ عِنْدَ قَفْرِي مَحْدَمِنِشْ      أَوْ يَاغْرَاسِيْتِي فِي الْحَاوِبِينَ أُخْسَارَةَ  
طَلْعِي بِرِزِينَا      اللَّيَامُ طَالَتْ وَالزَّمَانُ عَلَيْنَا  
هَاتِي غَلْلَ سِمْحَةَ لَتَغْرزِينَا      عَرَاجِينِ سِمْحَةَ تَعْجِبُ الْحَمَارَةَ  
طَلْعِي مِنْ رِيْشَاتِكُ أَوْ هَاتِي غَلْلَ      وَأَنْغْرِي مِنْ جَارَاتِكُ  
النَّخْلَ اللَّيِّ امْعَاكَ طَلَّعَ أَوْفَاتِكُ      يَا اغْرَاسِيْتِي فِي الْحَاوِبِينَ أُخْسَارَةَ  
الْجَبَّازُ عَادَ يَنْتَقِي      وَأَنْتِ تُمَارِكُ مِنَ السَّعْفِ مِتَّقِي  
شَرِيْعَةَ النَّبِيِّ أَتَخْلُصِيْلِي حَقْ      لَا نَكْذِبُ أَوْ لَانِي مِنَ الْحَكَارَةَ  
طَلْعِي بِرِيْكَ يَا جِبَارَةَ      مُوْلَاكَ نَاغِرْ مِنْ عَلَاقِ جَارَه<sup>1</sup>

وهذه بعض أبيات من قصيدة "الغرس الضارب" للشاعر "علي عناد"، ومناسبة القصيدة أن هذا الشاعر غرس نخلة في بيته ثم راح يتخيل هذا الجبَّاز (النَّخْل الصغير) كيف سينمو، ويغطي جريده ساحة بيته، وهكذا أخرج أفكاره في هاته الأبيات الشعرية:

إِذَا كَانَ أَصْلَاكَ حُرْ مَاكِشْ دُونِي      هَاتْ غَلْتِكَ وَنُشُوفَهَا بَعِيُونِي  
جِبَّازُ \* مِتْرَادَعْ بِيْدِي يَنْتَعَلِي      ائْتَسِّمُ ظَهْرَ الطَّلَعِ مِنَ الْجُمَّازِ  
فَسَّخْ فَدَقْ لَيْفَهُ جَرِيْدَهُ حَلَّةُ      عَ لَرِيْضِ كَهَبْ مِيْزْ ثَلَاثِ أَشْبَارِ  
فِي النَّزِّ وَالشَّمَّاسِ رَابِخْ ظُلُّهُ      حَازُ التَّقَى لَا رِيْخَ وَلَا غُبَّازِ  
فِي أَرْضِ الْكَرْمِ ضَرَبَ يَنْسَلِي      خِدْمَهُ وَوَلَدُ فَلَاحْ مِنْ لِيْخِيَا  
مِنْ الْبُعْدِ فَارِزْ يَعْجَبُكَ فِي الطَّلَّةِ      مَحْفُوظْ دِيْمَةً سَاتَرَهُ السَّتَّازُ<sup>2</sup>

<sup>1</sup> علي بوصبيغ، الغوط اليهود أو الهرم المقلوب، ص73.

\*الجبَّاز: نوع جيد من النَّخيل.

<sup>2</sup> محمد الصالح بن علي، من روائع الشاعر علي عناد، من إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي، ط1، 2008، ص87.

ثانيا: الاحتفالات الموسمية في منطقة القبائل

1- احتفالات موسم الحرث

حسب عُرف الفلاحين في منطقة القبائل، فإن الحرث ينطلق مباشرة بعد ارتواء الأرض بأمطار الخريف الأولى، وتختلف مواقيت عملية الحرث في المناطق الجبلية عن تلك المتبعة في السهول، وهناك ثلاث فترات للحرث فبإضافة إلى فصل الخريف هناك الفترة الثانية التي تكون في شهر ديسمبر أو يناير والثالثة تكون في فصل الربيع<sup>1</sup>.

يعتبر اليوم الأول للحرث في منطقة القبائل يوم عرس، لذلك يستفتح سكان القرى هذا اليوم بذبح ثور (ثيمشراط)، وكما جرت العادة من كل عام يقدم كل ما تيسر من مستلزمات غذائية لتوزيعها على الفقراء، كما يقدم كل مالك أرض لعائلات عمالهم خبزا وפטائر، وبعد ثلاثة أيام يقدم لهم طبق "بركوكس". ومن الطقوس التي يمارسها القبائل في موسم الحرث القيام عند الصباح الباكر ودفن أربع بيضات وأربع رمانات وأربع جوزات عن كل زوج من الثيران، وتبقى مدفونة تحت الأرض، حتى المساء لتصبح غنيمة للأطفال. ومن الممارسات التي تشيع عن الفلاحين في هذا الموسم وضع الخبز والפטائر (السفنج) على قرني ثيران ومن ثم يتهافت عليها الفقراء والأطفال للحصول عليها، كما يعمد الفلاحون إلى دهن قرون الثيران وأعناقها بالزيت لإبعاد الأذى على نفسه وحيواناته. ومن طقوسهم أيضا بذر كمية من الحبوب المختلطة على الأرض، وعادة ما تكون عبارة عن شعير وقمح وفول وجلبان، وقبل مباشرة عملية الحرث يتصدق على الحاضرين بما تيسر من إكراميات، ويتلون الفاتحة جماعة تيمنا وبركة<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: هانوتو ولوتورنو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، تر: مخلوف عبد الحميد، ج1، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ص607-608.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص604-605.

## 2- احتفالات موسم جزّ الصوف وإعداده

يبدأ موسم جزّ الصوف في منطقة القبائل في منتصف الربيع، حين يكون الجو مستحبا لا يضر النعاج، وكما في منطقة سوف توكل مهمة الجزّ إلى الرجال الذين يجيدون استخدام المقص الحاد والضخم، وبما أن الرجال هم المكلفون فإن ممارساتهم تفتقر إلى الأهازيج والأغاني، والمقيم بعملية الجزّ وحده يتلو بعض الأهازيج على شكل أدعية لطلب الإعانة من الله، إذ يستفتح عمله بقوله:

"اسم الله، اسم الله، اسم الله، سالفصل ايكُ آباب القدره، إيليكُ يذنعُ ذامعيونُ، أمين آري العالمين"، أي: "باسم الله، باسم الله، باسم الله، بفضلك يا صاحب القدرة، كن لنا معينا، أمين يا ربّ العالمين".

وأما الطعام المفضل الذي يقدم للعمال في فترة الاستراحة فعادة ما يكون "تألحصيداتس"، وتكون مكوناتها من دقيق وسمن، وهي رمز للخصب إذ يمتزج فيها دقيق القمح- الذي يُمتلّ الخصب الزراعي- والسمن الحيواني<sup>1</sup>.

## 3- احتفالات موسم جني الزيتون

ينطلق موسم جني الزيتون في منطقة القبائل من شهر نوفمبر وقد يستمر إلى ثلاثة أشهر أو يزيد، ويعتبر هذا الموسم تظاهرة سنوية أو عرسا ينتظره الأهالي بفارغ الصبر لأن القبائل بلد الزيتون، وبالتالي فإن غذاءهم واقتصادهم يتمحور حول هذه الغلّة، كما أن العلاقات الاجتماعية تتعاقد بتقديم هدايا من زيت الزيتون، أو تقاسم المحصول بعد العمل بالنظام التطوعي "التويزي" المتأصل في بلاد القبائل. ويوجد نوع من النظام التويزي خاص لجمع الزيتون ينتشر في قرى مناطق القبائل، يعرف "أبديل" abdil ويقوم هذا النظام على تبادل التعاون، حيث تقوم جماعة مثلا بجمع الزيتون عند أحد أهالي القرية وبعد الانتهاء يقوم صاحب الزيتون برد المساعدة وذلك

<sup>1</sup> ينظر: حميد بوحبيب، الشعر الشفوي القبائلي السياق والبنيات والوظائف مقارنة انثربولوجية، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2013، 614-615-216.

بالمشاركة في جمع الزيتون عند أحدهم وهكذا<sup>1</sup>، فلا غرابة إذن أن يستقبل القبائل ببهجة وسرور هذا الموسم بطقوس خاصة يُرجى من ورائها المحصول الوفير، فتجدهم يباشرون هذا الموسم بتقديم الذبائح وهو ما يعرف ب"لوزيعة" أو تيمشراط وهو "التزام موسمي قروي بجزر ثور أو حيوانات مهداة سنويا، ويوزع اللحم خلالها بالتساوي على عدد الأحياء في كامل القرية"<sup>2</sup>، وعند الانتهاء يتضرع أهل القرية بالدعاء إلى الله بأن يُسهل أرزاقهم، ويعينهم على الجني، وأن يجعل محصول الزيتون وفيرا وأن يبارك لهم فيه. ويتبرك القبائل بكبير العائلة لذلك يسمحون له بمباشرة عملية الجني، حيث يأخذ عصا ويقوم بالضرب الخفيف على الغصن لإسقاط الزيتون، كما لا تُمنع النساء من جلب الصغار الرضع باعتبارهم حاملي البركة أيضا، وعادة ما تبدأ عملية تحضيرات جني الزيتون مسبقا، حيث يقوم أصحاب الأراضي بنزع الحشائش الضارة من أشجار الزيتون والأشواك، وأما النساء فيجهزن لموسم الزيتون بابتهاج، وذلك بتخييط أكياس فارغة، حتى تبدو على شكل قطعة واحدة، ثم يفرشونها على الأرض لجني الزيتون، وحين يصل موسم الجني تذهب العائلة بأكملها لجني الزيتون وسط فرحة عارمة، ممددين سفرة الأكل ببساطة وسط أشجار الزيتون، وسط ابتهاجات النسوة بنوع من الغناء يسمى "اشويق" حتى يُمنح دَفْيٌ لتلك اللحظة، ومن عوائد القبائل أنهم يفضلون مباشرة الجني يوم الاثنين، و تُذبح دجاجة "تَيَازِيْطُ تَحْثَادِيْثُ"\* للشجرة التي لا تثمر، والسبب لأن يكون الموسم جيدا، وأيضا كي لا يسقط الرجل الذي يتسلق الشجر حسب اعتقادهم. وبعد الإنهاء من جني الزيتون، يجمع في أكياس ويؤخذ إلى معصرة الزيتون، وهناك من يفضل تركه في المنزل مدة من الزمن قبل عصره، بحيث تُعرض حبات الزيتون للمطر وللثلوج اعتقادا من القرويين أن الغلة تزيد كلما زادت فترة تعريضه لماء المطر والثلج، وعند الإنهاء من عصره هناك من النسوة من تستقبل غلة زيت الزيتون بالزغاريد، وكعادة أهل القبائل فإنهم يتصدقون من الزيت على الجيران، وأما النساء فيصنعن مأكولات ابتهاجا بالزيت، وهناك عادة

<sup>1</sup> ينظر: صبرينة حَفَاد، الشعر النسائي في قرية رافور (البويرة)-مقاربة أنثروبولوجية رمزية-ن مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود معمري، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2013/2012، ص 11-12.

<sup>2</sup> محند سعيد لعربي، عزازقة عبر التاريخ، دار الأمل، المدينة الجديدة، تيزي وزو، 2017، د.ط، ص 85.  
\* الدجاج البلدي.

راسخة يقوم بها أهل البيت، فأول ما يدخل الزيت إلى البيت يدهنون رأس الطفل الصغير بأول قطرة تيركا بالزيت ليعطيه الصحة والعافية وطول عمر شجرة الزيتون، كما تقوم النساء بتحضير طبق من الحشائش البرية المفيدة للمعدة تضاف إليها كمية من الزيتون لمنح القوة والصحة، وعادة ما تكون الأكلة الأولى التي تحضرها العائلات البجاوية لتستقبل دخول الزيت إلى البيت (البغري) أو ما يطلق عليه أيضا (بوعجاج) أو (تغرفين) بعدما يتم دهنها بزيت زيتون، في بلدية بني معوش ببجاية كل عائلة تحضر وجبة عشاء خاصة عشية دخول محصول الزيت إلى البيت فهذه مآدبة تعتبر فال خير وبركة حتى يدوم هذا الإنتاج.

وفي الأخير فإن الرجال فور الانتهاء يحفرون تحت الشجر فحينما تصب الأمطار ترتوي الأشجار لتثمر<sup>1</sup>.

ونظرا لشح الوسائل المساعدة على التخفيف من تعب الجني والفرز والعصر، ما يجعل الأيام تطول لإنهاء العمل، فإن الأهالي يشغلون أنفسهم بإلقاء الأشعار والأهازيج التي يكون هدفها أيضا على حد تعبير بوحبيب حميد " طقس مباركة وتوسل وأنسنة لعناصر الكون"<sup>2</sup>، ففي منطقة "بودريالة" في البويرة تردد النساء عدة أهازيج من بينها:

كي يجي بابا نودو بيه  
والزيارة من كل بر تجي ليه  
راني نطحن في الزيتون ونسقم فيه

<sup>1</sup> لقاء مع الراوية خوخة بغدادي، 32 سنة، بوغني (تيزي وزو)، 13-04-2023.  
-الراوية فروجة مدير، نقلا عن الجدة حجيبة ن ساعيد، 76 سنة (تيزي وزو)، 25-03-2022.  
-خالد خواني، أشكال التضامن الاجتماعي في الموروث الثقافي الجزائري -التوزيع ولوزيعة أنموذجا، مجلة أنثروبولوجيا، مجلد 8، العدد 1، 2022، ص108.

- نصيرة ريلي، الأمثال الشعبية القبائلية في منطقة بجاية دراسة تصنيفية تحليلية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر 2، كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية، قسم اللغة العربية وآدابها، 2015-2016، ص257.

- طيلىب نسيمة، الأبعاد الأسطورية للطقوس الاحتفالية في منطقة القبائل بالجزائر دراسة سيميولوجية لعينة من الطقوس الاحتفالية في "بني معوش" ببجاية، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في علوم الاعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والاعلام، قسم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، 2010-2011، ص187.

<sup>2</sup>حميد بوحبيب، الشعر الشفوي القبائلي السياق والبنيات والوظائف مقارنة انثروبولوجية ، ص596.

كي يجيني بابا نودو بيه

راني نفرز في الزيتون ونسقم فيه

عاوني يلي تكون قلبك حنين

صب التبروري(البرد) على الجبال وغطّاهم

وأنا صب على عيوني وبكاهم

صب التبروري زاد مطر غزير

الجبّانة باردة والليل طويل<sup>1</sup>

وفي منطقة "البويرة" عند "أهل القصر" ينشدون عدة أهازيج من بينها:

صاحب الحقل:

أييوزيون آراؤ انتكورت

أيها المتطوعون يا أبناء الحجلة

اوثنث سومخثاف حاذرت نازمورت

اضربوا بالعصا وأشفقوا على الشجره

أييوزيون آراؤ ان تسدا

أيها المتطوعون يا أبناء اللبوة

اوثنث سومخثاف حاذرت ناسطاً

اضربوا بالعصا واشفقوا على الأغصان

ليرد المتطوعون:

أياب أوزمور آميس ان تسدا

يا صاحب الزيتون يا ابن اللبوة

اذ لاوان نالطهور أويذ لحصيذا

حان وقت الظهر هات لنا الحصيذة<sup>2</sup>

ففي هذه الأبيات تظهر فلسفة العمل الجماعي، حيث أن صاحب الزيتون يحثهم على العمل المتقون، والمتطوعون بدورهم يذكرونه بتزكية هذا الجهد، من خلال منحهم وجبة يسدون بها جوعهم، وتفتح شهيتهم لتقديم المساعدات أكثر، وبالتالي فإن هذه الأهازيج توّطر العُرف في العمل.

ومن الأغاني التي ترددها النساء في قرية "رافور" بالبويرة:

<sup>1</sup> حوار مع خولة سوفات، 2023-10-25، اشتغلت في الماستر على موضوع طقوس وأراجيز جني الزيتون في منطقة القبائل البويرة "بودريالة" أنموذجاً.

<sup>2</sup> حميد بوحبيب، الشعر الشفوي القبائلي السياق والبنيات والوظائف مقارنة انثربولوجية، ص 634-635.

Zwirem a syadi	أسبقوا يا أسياد
Abrid ad t-nebdu	سنبدأ المسير
Acrured n tsekkurt	مشية الحجة
Yukren asudu	بخطى قصيرة سريعة
Nedda d yizmawen	رافقنا الأسود
Lferh ad t-nebdu <sup>1</sup>	الفرحة سنبدأ

#### 4- احتفالات استقبال الربيع

يستبشر الأهالي في منطقة القبائل خيرا بقدم موسم الربيع، لاعتباره الموسم الذي تتجدد فيه الطبيعة وتكشف عن زينتها، ومن العوائد التي يمارسها القبائل لاستقبال الربيع الاستحمام قبل اليوم الاحتفالي وتنظيف المنازل وتجديد الأثاث، وغسل الملابس لاعتقادهم أن الأفعال التي تقام في هذا اليوم لها تأثير على كامل السنة، كما تعودت الجدات على الشروع في جمع بيض الدجاج البلدي قبل قدوم الربيع بأيام، كما يستقبلن الربيع برسم الوشم على وجوههن وارتداء اللباس التقليدي والاتجاه إلى أمكنة تواجد نبتة "أذرقيس"، وأما الآباء فإنهم يحرصون على صنع قفف من الحلفاء، التي عادة ما يستعملها الأحفاد في هذه المناسبة، كما يقصد الآباء السوق لشراء مستلزمات الاحتفال. للاحتفال الربيعي أطباق خاصة حيث تُجهز النساء في البيوت "سكسو نشاوربيع" أي كسكس بداية الربيع، والمكونان الأساسيان لإعداده: البيض ونبتة بونافع (أذرقيس) حيث توضع هذه المكونات في القدر، ثم يوضع الكسكاس المملوء بالكسكس في الأعلى وبهذا تطلق تلك النبتة الرائحة الزكية على الكسكس. وبيتلن إلى الله بطلب الخير والبركة، ولأكل كسكس الربيع طقوس خاصة عند القبائل، حيث يؤكل في الصباح الباكر، ويفضل أن لا يشرب الماء بعده ساعتين على الأقل لكي لا يذهب مفعول النبتة، وأما قشور البيض فإنها تُنثر على الأشجار لاعتقادهم أنها تقوي

<sup>1</sup>صبرينة حقاد، الشعر النسائي في قرية رافور (البويرة)-، ص54.

الخصوبة<sup>1</sup>، ومن الأطعمة المشهورة في الاحتفال الربيعي "أَغْرُوم نَشَاوْرِبِيع" أي فطيرة الربيع، وبعد إعداد الأكل يخرج الناس إلى المساحات الخضراء حاملين القفف التي تحوي مأكولات استقبال الربيع وكلهم بهجة وأمل بموسم جيد يعود عليهم بالخير الوفير، ويتخلل هذا الاحتفال ألعاب خاصة بالأطفال مثل: "تَيْسَلِيْبُ نَشَاوْرِبِيع" (عروس الربيع)، و"حَلَلَى" (الغميضة)، وكرة القدم، لعبة الدجاج وآبن آوى، ولعبة دحرجة فطيرة الربيع والبيض والبرتقال<sup>2</sup>.

وفي منطقة "الصومام" ببجاية، تعرف عادة استقبال الربيع بـ"أَمَنْزُو نَقْسُوْت" أو "أَمَنْزُو تَرْبِيع" أي اليوم الأول من الربيع، من العادات المتداولة في المنطقة، حيث يتم استقباله من طرف شباب القرية بتجوالهم في أزقة قريتهم والقرى المجاورة لجمع المواد الغذائية (سميد، وبطاطا، وبيض..). وكذا الأموال ويعرفون محليا بمصطلح إِبْيُوْعَفِيْفَنْ، ويكون ذلك في ليلة حلول فصل الربيع ويرددون أغاني وأدعية على أهل القرى من بينها:

يا حَمَامِي يا حَمَامِي يا لَمَامِي أَيْنِي إِيْفَكِيْمِ أَنْتَاوِي.

أَذِي يَشَعْ شَعْ رَبِّ نَفَاتْ نُونَامِين<sup>3</sup>.

وفي قرية "بني معوش" ببجاية، فإنه في أول أيام الربيع يتجه أهل القرى إلى أماكن الأضرحة المقدسة، لزيارة الأولياء مثل ضريح "سيدي على أشتوق"، و"سيدي محمد واعمر"، وكذا بعض المناطق المقدسة مثل: "تَالَة لوطو" وهو منبع المياه المعدنية<sup>4</sup>.

نلاحظ أنّ الاحتفالات الموسمية في منطقتي الدراسة تعكس علاقة الإنسان بالطبيعة، فهو يتأثر بتغيراتها، ويعتقد أنه يستطيع التأثير فيها من خلال ممارسة احتفالات في أوقات معينة من السنة الفلاحية، تتخللها طقوس ترمز إلى الخصوبة، وبالتالي فالظاهر أن هدف هذه الاحتفالات تحقيق التوازن بين الطبيعة والإنسان، وذلك من أجل الحفاظ على بقائه، كما يتبين أن الطقوس

<sup>1</sup> ينظر: شهيرة بوخونوف، تمثّلات الربيع محليا وعالميا -دراسة أنثروبولوجية-، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة مولود معمري -تيزي وزو-، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2016، ص108-109-110.

<sup>2</sup> ينظر: مرجع نفسه، ص111.

<sup>3</sup> بوزيد فواد، العادات والتقاليد الشعبية بقرى حوض الصومام بجاية، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، المجلد 02، العدد 9، ديسمبر 2018، ص19-20.

<sup>4</sup> ينظر: طيب نسيم، الأبعاد الأسطورية لطقوس الاحتفالية في منطقة القبائل، مرجع سابق، ص187.

الممارسة في المنطقتين تستجيب للمتغيرات البيئية، حيث أن الطقوس مشكلة من المواد المتوفرة في بيئة المنطقة، كما نلاحظ أن شدة الاحتفالات متغيرة حسب طبيعة الفصول، ففي منطقة "وادي سوف" تكون احتفالات الخريف مميزة مقارنة باحتفالات المواسم الأخرى، ذلك أن الخريف هو موسم الحركة والبركة، الذي تلين فيه الطبيعة وطباع البشر، لأنه موسم جني التمور الذي يقوم عليه الاقتصاد المحلي بالمنطقة، وفي منطقة القبائل نجد احتفالات الربيع واحتفالات جني الزيتون هي المميزة، لأن الربيع هو فصل التجدد، وموسم جني الزيتون هو موسم تحسين الجانب الاقتصادي.

### **المبحث الثاني: فولكلور الاحتفالات الدينية في منطقتي وادي سوف والقبائل**

#### **أولاً: الاحتفالات الدينية في منطقة وادي سوف**

##### **1- احتفالات المولد النبوي الشريف**

يحتفل المسلمون قاطبة بإحياء ذكرى مولد الرسول محمد ﷺ، فقد تشرفت الدنيا بمولده في الثاني عشر من ربيع الأول سنة 571م، ولكل مجتمع إسلامي طريقته الفولكلورية التي يعبر من خلالها على تعظيمه لهذا اليوم الذي عبّر بالبشرية من حلبة الظلام إلى حلبة النور حسب اعتقاد المسلمين، حيث يحتفون بهذه المناسبة كل سنة وذلك بإقامة حفل ديني يُسمى عيد المولد. على غرار باقي المجتمعات الإسلامية يحتفل مجتمع وادي سوف قديماً وحديثاً بالمولد النبوي الشريف، وقديماً كان يبدأ التحضير لهذه المناسبة قبل دخول شهر ربيع الأول بعدة أيام، حيث تتطوع مجموعة من الشبان لتنظيف المساجد وتجهيزه لاحتضان هذه المناسبة الدينية، فيغسلون الأفرشة وينظفون الجدران، ويكنسون الأرض لإزالة الأتربة عليها، ويدخرون الشموع ومادة الكربون لمصباح الإنارة، ويسبب توفر الكهرباء فقد استغنى الناس عن هذه العوائد، وفي هذه الأيام يزف "نعمسيدي"\* للأطفال حفظة القرآن خبر اقتراب المولد، فيستبشرون بحلولة ويعلنون عن فرحتهم

\* معلم القرآن.

بإشعال المفرقات التي كانت تتم بواسطة الطرشاقة\*، ويبدأ في هذه الأيام تدريب الفرق الإنشادية التي ستتكفل بأداء القصيد في المولد<sup>1</sup>.

وأما النساء فيشرعن في تحضير التوابل ومكونات "الطمينة" من سميد وعسل، ويجلبن أيضا الحناء، ومن عوائد النساء في هذه المناسبة تنظيف بيوتهن قبل أيام من حلول العيد، وقبيل أيام قليلة من العيد على كل امرأة أن توصي زوجها بجلب اللحم والخضار من السوق قبل زيادة الأسعار، لأن التجار يستغلون قدوم العيد لزيادة أرباحهم، وما إن يحل أول يوم من شهر ربيع الأول حتى يبدأ الرجال في التوافد إلى المساجد لأداء "القصيد"، ويكون ذلك بين صلاتي المغرب والعشاء، حيث يجتمع الرجال مشكلين حلقة دائرية ويشرعون في إنشاد قصائد دينية تنثي على الرسول ﷺ، وتعدد حميد خصاله مثل البردة والهمزية "للشيخ البوصيري"، وهذه بعض الأبيات من قصيدة البردة:

الحمد لله منشئ الخلق من عدم	ثم الصلاة على المختار في القدم
أمن تذكر جيران بذي سلم	مزجت دما جرى من مقلة بدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة	وأومض البرق في الظلماء من إضم
فما لعينك إن قلت أكفأ همتا	وما لقلبك إن قلت استنق يهم
أيحسب الصب أن الحب مئكتم	ما بين منسج منه ومضطرم <sup>2</sup>

وهذه بعض الأبيات من قصيدة الهمزية:

كيف ترقى رقيق الأنبياء	يا سماء ما طاولتها سماء
لم يساؤوك في علاك وقد حا	ل سنا منك دونهم وسناء
إنما مثلوا صفاتك لنا	س كما مثل النجوم الماء

\*الطرشاقة: عبارة عن قضيب حديدية بها تجويف في الأعلى، يملئ بمادة الكبريت ويثبت على قطعة خشبية، ثم يدق بواسطة سمار محدثا صوتا مدويا.

<sup>1</sup>الراوي بن مبارك علي بن الهادي، 80 سنة، 24-04-2024 وادي سوف.

<sup>2</sup>الإمام البوصيري، البردة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1411هـ-1991م، ص9-13.

أنت مصباح كل فضل فما تص  
در إلا عن ضوئك الأضواء<sup>1</sup>

وكأي مجلس في العادات الشعبية يجلب الحاضرون معهم إكراميات وعادة ما تكون الشاي، والفول السوداني (كوكاو)، والحلويات، يتناولها الحاضرون في آخر جلسات الإنشاد.

ويستقبل الأطفال مولد خير البرية ببهجة وسرور، وتشيع عندهم عدة طقوس أشهرها إشعال المفرقات، وقديما كانت وعلى مدار الأيام الإحدى عشر يوما تتكرر هذه الطقوس دون كلل ولا ملل، وفي هذا اليوم -الحادي عشر- يتناول الأهالي اللحوم فهو عيد بالنسبة إليهم ووجب فيه لِحْمُورَة (اللحم)، وفي ليلها يجتمع جمع غفير من الرجال في المساجد وقد تجتمع النساء في البيوت، ويقروون البردة "البوصيري" والمولد "للبرزنجي"، ويستذكرون سيرة رسول الله ﷺ.

وأما في صبيحة يوم الثاني عشر، فإن الاحتفالات تنطلق منذ الصباح الباكر، حيث المساجد تصدح بالأناشيد التي تمدح الرسول الأعظم مثل "طلع البدر علينا"، "دعوتك يا مولاي" ... وكذلك يقرأ الإمام مولد البرزنجي للشيخ سيدي "جعفر البرزنجي"، وهو كتاب يحتوي على مولد ونشأة وخصال وسيرة محمد ﷺ، وبما أن هذه الصبيحة تكون نهاية القصيد في المساجد، يقرأ الإمام سيرة محمد ﷺ كاملة غير منقوصة على شكل أبيات شعرية يؤديها ملحنة تثير عاطفة الحاضرين، فتجدهم عندما يقرأ فصل موت الرسول بيبكون، وفي كل مرة يردد الحاضرون لازمة:

عطر اللهم قبره الشريف، بعرف شذي من صلاة وتسليم، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه  
ولا تخلو هذه المناسبة من الاحتفالات الشعبية، من ذلك تنهض النساء منذ الصباح الباكر لإعداد وجبة "العصيدة"، وهي أكلة شعبية تطهى بالدقيق والماء، وبعد الإنهاء من طهيها تقدم مع مرق الطماطم، أو الزيت والسكر، ويتبادل الجيران هذه الوجبة فيما بينهم، ويرسلون منها إلى الرجال في المساجد، مع عطايا أخرى، وعند الإنهاء يهنئ الحاضرون بعضهم بعضا، ويتمنون أن

<sup>1</sup> عبد العظيم إبراهيم المطعني، الهمزية في مدح خير البرية ﷺ رائعة الإمام البوصيري رضي الله عنه، دار الأنصار، القاهرة، د. ط، د.ت، ص 28-33.

يبلغهم الله عيد السنة القادمة، ثم يتوجهون لتناول الإكراميات التي أحضرت بنية الصدقات\*، وبعدها ينصرفون فرحين بما أحيوه في نفوسهم من مشاعر تنمي الجانب الروحي فيهم.

ومن العوائد الشعبية التي تمارسها النساء في المولد إشعال العنبر والبخور الأصفر لاستقبال العيد النبوي بالروائح العطرة الزكية، كما تقام طقوس فك العقر، فعلى كل امرأة تأخر إنجابها تنتظر المولد وتجمع الحناء من عند سبعة نساء ولودات، ثم تعجنها وتضعها على يديها ليحن الله عليها وتتجب، وفي صبيحة المولد تستقبل الأطفال في بيتها وتقدم لهم الحلويات والعصيدة<sup>1</sup>، وأما التي يصادف إنجابها في هذا اليوم يستحب أن تُسَمي مولودها "ميلود" إن كان ذكراً، و"ميلودة" إن كانت أنثى، ومن المتعارف عليه أيضاً في منطقة سوف ختان الأطفال في هذه الليلة. كما تمارس النساء طقس "النذر" في المولد، فالمرأة العاقر مثلاً توعد المولد بقولها: "لَوْ كَانَ نُؤلِدُ وَلَدًا الْعَامَ الْجَائِي نُظَهِّرُهُ فَيْكَ"<sup>\*</sup>، وهكذا كل امرأة تدلي برغباتها وتعلن المقابل إذا تحقق لها.

وقد تغنى الشعراء الشعبيون في قصائدهم بالنبي محمد ﷺ، ومن أشهر الأبيات التي يستفتح بها المدائح الدينية نجد موروث الشاعر النابوي الفرجاني يقول:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ثَابِتٌ لِقَوْلٍ حَايِزٌ كُلُّ أَكْلَالٍ وَمَوْلَى الْحَاتِمِ فِي الضِّيِّ كِي نُورٌ لِهَلَالٍ  
 صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ قَدْ أَوْرَاقَ الْحِنَّةِ وَقَدْ صَافِي لِرَمَالٍ قَدْ لَبَحُورَ الزَّاخِرَةِ وَقُوَّةَ لَجِبَالٍ  
 صَلِّ اللَّهُ عَلَيْهِ قَدْ مَا تَهَبُّ أَفْلَاكٌ وَعَدَّةُ كُلِّ أَمْلَاكٍ قَدْ الزَّرْعَ اللَّيِّ يَتَهَرُّ فِي كُلِّ شَبَاكٍ<sup>2</sup>

فهذه الأبيات تحت على كثرة الصلاة على النبي محمد ﷺ، وتعدد خصاله.

ويقول الساسي حمادي بمناسبة المولد:

يَا مَرْحَبًا رُبَيْعَ هَلْ عَلَيْنَا بِمِيلَادِ طَهَ نَبِينَا كُلُّ عَامٍ ذِكْرَاكَ تُعُودُ تُجِينَا  
 فِي مَوْلِدِ مُحَمَّدٍ طَهَ رَسُولِ اللَّهِ الْمَمَجْدِ

\* يجذب الأهالي أكل هذه العطايا ولو قليلا منها، لأنها تحمل البركة حسب اعتقادهم، ويكره عدم تناولها.

<sup>1</sup> لقاء مع الراوية فطيمة عمامرة، 60 سنة، 15-12-2023، وادي سوف.

\* لو أنجبت ذكرا في العام المقبل، سيكون ختانه في موسم المولد.

<sup>2</sup> أحمد زغب، أنطولوجيا الشعر الشعبي في سوف مائة شاعر شعبي من منطقة وادي سوف، دار المثقف للنشر والتوزيع، ط1، 1441هـ-2020م، ص169.

والثور في مكة تَجَمَعُ تَلَمَذُ

الرُّومُ قَالُوا شَاهَدْتُ عَيْنًا<sup>1</sup>

فالشاعر في أبياته يستقبل الربيع بفرح، لأنه موسم مولد خير البرية، لذلك يُحتفل به كل سنة.

## 2- احتفالات رمضان وليلة القدر

حسب ما أفادنا الرواة فإنه قديما كان السّوافة يستقبلون شهر رمضان بإيمان كبير وفرح عارم، باعتباره شهر الرحمة والغفران وفرض الصيام لقوله تعالى في سورة البقرة الآية 185 ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾. لكن لطبيعة سوف الصحراوية ومناخها الصعب في بردها وحرها، يجعل الصيام بالنسبة للبعض ثقيلًا على الأبدان خاصة المرضى، ما يؤدي إلى تعب أجسادهم وإصابتهم بالجوع والعطش، إضافة إلى المدمنين على التدخين فإنه يصعب عليهم الصوم، وبسبب الصيام أيضا يعتقد بعض الناس أن علاقاتهم الإنسانية معرضة للاضطراب لأنه يصعب ضبط النفس وقت الصيام، وقد عبّر الشاعر الشعبي "علي عناد" عن معاناة المدمنين في رمضان بقصيدة تحمل عنوان "خصمة في رمضان"، يقول فيها:

حَصْمَةٌ كَبِيرَةٌ فِي رَمَضَانَ	بَيْنِي وَبَيْنَ أُمِّ الصَّيْنَانِ
قَالَتْلِي لِلتَّسْعَةِ نَائِمٌ	قُلْتُهَا تَعْبَانُ وَهَائِمٌ
ضَابِحٌ عَ الدُّخَانِ وَصَائِمٌ	غِيلِينِي يَا بِنْتَ فِلَانِ
قَالَتْلِي إِنَّتِ دَيْمَهُ دَائِمٌ	مِنْ حِينِ الْجِبْتِكُ فَنِّيَانِ
قُلْتُهَا رَايَكُ مَتْلُوفٌ	رَاهِي تَوَّ تَجِيكُ كُفُوفٌ
قَالَتْلِي هَاتِ الْمَصْرُوفُ	وَأَسْمَعُ بَاشْ تَشْرِيْلِي شَانُ
أَمَّا جِيْبُهُ وَلَا تَشُوفُ	وَلَا تَحُوسُ عَن لُقْتَانُ
قَالَتْلِي يَا رَا جِلْ طَلْفِنِي	وَعَنْ جِيْبُهُ رَبِّ فَا رْفِنِي
رُدْ بَالِكُ ذِرْكُ تَلْحَقْنِي	عَيْشَةُ وَفَرِيدَةُ وَعَثْمَانُ
خُفْ رُوْحَكُ فَيَسَعُ سَرْفِنِي	أَقْعُدْ وَحَدَاكُ يَا عَزِيَانُ <sup>2</sup>

<sup>1</sup> ابن علي محمد الصالح وحمادي محمد نافع، الشاعر الشعبي الساسي حمادي حياته ومختارات من أشعاره، إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي، ط1، 2006، ص122.

<sup>2</sup> ابن علي محمد الصالح، من روائع الشاعر علي عناد، مرجع سابق، ص147.

وهكذا يبين الشاعر في قصيدته تأثير التدخين في زعزعة استقرار الحياة الأسرية، لذلك فإن بعض الأهالي حين يسمعون باقتراب شهر الصيام يبدأ الخوف يدب إلى أنفسهم، ولتخفيف من حمل شهر الصيام، فقد كانوا يُروِّحون عن أنفسهم من خلال قص حكاية : "شخصية رمضان"، وتقول الحكاية: "إنه في ليلة الشك ويطلق عليها في "وادي سوف" "لَيْلَةُ الْقَرْشِ" أي الليلة التي يتحرى فيها هلال رمضان، بعد صلاة العصر يجهز رمضان خيله ويلبس برنوسه، ويأخذ بندقيته ثم يمتطي السرج فوق الخيل، وينطلق يجري في كامل قوته، ويقصد السوق الشعبي وسط البلاد ويشق السوق والناس تنظر إلى شخصية رمضان، ويختار رمضان مكانا وسط السوق، يتوقف فيه ثم يطلق طلقة بارود يسمعا كل الناس، ثم ينزل من خيله، ويفرش فراشا في رحبة السوق ويجلس، والذي يمر من أمامه يطأطئ رأسه ولا يستطيع النظر في عين شخصية رمضان خوفا ورهبة، وهكذا يفهم الناس أن غدا يبدأ الشهر الفضيل، وتبقى هذه الشخصية مدللة ومحترمة ويخافون منه طيلة الأيام إلى أن تحل ليلة النصف رمضان أي ليلة الخامس عشر، وفي هذا اليوم حين يدخل رمضان كعادته إلى السوق فإنه يصاب بدوار متأثرا بأشعة الشمس الحارقة، يأخذه الرجال إلى بيت ذويه ليتلقى الرعاية والاهتمام إلى أن تتحسن حالته، ويرجع إلى عادته القديمة حيث يجلس وسط السوق وكل من يمر عليه يتحاشى النظر إليه خوفا ورهبة، وبعد مرور خمسة وعشرين يوما من شهر رمضان، لا يأتي رمضان في هذا اليوم إلى السوق كعادته، لأنه أصيب بالمرض في بيتهم، ومن هنا تبدأ النساء في الذهاب للاطمئنان على رمضان في بيته، ومشاعر الناس تجاه رمضان من الخوف منه إلى الخوف عليه حيث يباشر الكل في السؤال عنه، لكن رمضان يبقى طيلة هذه الليالي مريضا فاقدًا قواه، وفي يوم ستة وعشرين أي ليلة السابع والعشرين والتي يطلق عليها في منطقة سوف "ليلة القدر" يشتد المرض برمضان وتسمع أخواته بحاله، فيقصدن بيته مسرعات، ويبدأن في البكاء والعيول والندب ويسمع به جميع الناس، ويترددون عليه من كل البلاد لزيارته، ولأنه لم يعد يستطيع الأكل يقطرون له الماء أو (المريسة) وهي عبارة عن عصير من التمر أو الحليب، ويبقون على هذا الحال حتى يوم التاسع والعشرين من شهر رمضان وهي ليلة الشك، وفي هذه الليلة إذا ثبتت رؤية هلال العيد يتوفى رمضان، وإذا لم تثبت رؤية الهلال يُصبح رمضان

بصحة جيدة ويقال : "جاءته راحة الموت"، وتبقى أخوات رمضان معه يروّحن له عن نفسه، ولكنه في مغرب يوم الثلاثين يموت رمضان، فتطلق أخوات رمضان صيحات يسمعهما جميع الجيران، فيتناقلون خبر وفاته ثم تعامل شخصية رمضان معاملة الميت، حيث يغسل ويُحمل إلى المسجد للصلاة عليه، وفي الصباح تُصلى عليه صلاة العيد، ويُشيعون جثمانه بالبردة، وفي الجبانة يزورون قبور ذويهم الأموات ثم يدفنون رمضان في قبره، ويرجعون لمعايدة أقربائهم و"الحَيِّ للعام الجايّ إذا لحقها ربي العالمين"<sup>1</sup>. والظاهر أن هذه الحكاية تحاكي حال الإنسان طوال شهر الصيام.

وقد كان الأهالي في سوف يمارسون عدة ألعاب يستأنسون بها في هذا الشهر الفضيل نذكر

منها:

**لَطْرَاح:** وهي لعبة شعبية تشبه لعبة القمار في الوقت الحالي، حيث تلعبها النساء السوفيات في رمضان بغية التسلية، وتوطيد العلاقات على اعتبار أن رمضان مناسبة يجتمع فيها الأحباب في سمر كل يوم، أما تفاصيل اللعبة فهي تُلعب بالفرنك كما أخبرتنا الراوية، حيث تتكون اللعبة من خمس لاعبات وكل لاعبة تحضر معها فرنك ليكون المجموع "دورو"، تخبئ اللاعبة الفرنك بين أصابع يديها ثم تبدأ تطرح الرمل بيديها، و تحفر فجوات صغيرة على الرمل وتضع الفرنك في إحدى البيوت الرملية، وعندما تطلب من الأخريات الالتفات، تحاول كل واحدة معرفة البيت الذي وضع فيه الفرنك، فإذا عرفت مكان الفرنك تكون الرابحة وتأخذ معها الفرنك وهكذا... وقد أخبرتنا الراوية أنه قديما ولشدة تعلق النساء بهذه اللعبة، كانت اللاعبة التي خسرت حين لا يكون لديها المال، تبيع الدجاج أو الفضة أو خاتم النحاس أو المقواس الذي تملكه وتلعب بثمنه<sup>2</sup>.

**عروس رمضان:** أما البنات فإنهن يلعبن "عروس رمضان" حيث يصنعون من اللوح هيئة عروس

<sup>1</sup>الراوية وريدة بيات، 75 سنة، 04-03-2024، وادي سوف.

<sup>2</sup>الراوية زهيرة فرحات، 80 سنة، 15-10-2023، وادي سوف.

تكون "الكِرْنافَة"<sup>\*</sup> وجهها، وإطار الغربال محزما ويلبسونها الحلي التقليدي، ويضعون مساحيق التجميل على وجهها، ويلبسونها فستانا أبيض، تجتمع البنات في إحدى الأمكنة ويبدأن في الضرب على البندير، وفي كل مرة تدخل إحدى البنات تحت هيكل العروس، وتبدأ في تحريكها على أساس أنها ترقص، ومن الأهازيج التي يرددنها:

هَآؤْ جَاكُم رُمُضَانُ يَا شَرَابِينُ الدُّخَانَ  
هَآؤْ جَاكُم بِالسَّيْفِ يَا شَرَبِينُ الكَيْفِ  
هَآؤْ جَاكُم يَا عُرُوزَةَ يَا شَرَبِينُ الدَّبُوزَةَ  
هَآؤْ جَاكُم بِعَمَالِهِ يَا نَسِيَّ الرَّجَالَةَ  
هَآؤْ جَاكُم بِالْحِنَاءِ يَا مَا فَيَكُمُش الهَمَّة<sup>1\*</sup>

واذكر لما كنا صغارا نردد الأهزوجة التالية:

عُرُوسُ رُمُضَانَ  
طَرَشِيقُ فِي اللَّبَانِ  
وَتُرْقُصُ عَلَى المَصْرِيِّ  
وَتَقُولُ يَا كَسْرِي<sup>\*\*</sup>

<sup>\*</sup>الكِرْنافَة: قاعدة الجريد، إنه الجزء العريض الذي يقع في أسفل الجريد ويتصل بجذع النخلة والذي يستخدم حطبا للتدفئة، والقدامي كانوا يستعملونه محكا لتسوية الصوف ويسمونه "الحكاك". ANDRE-ROGER VOISIN ، سوف مونوغرافيا، ص249.

<sup>\*</sup> ها قد أتاكم رمضان يا المدخنين  
ها قد أتاكم عنوة يا المدمنين  
ها قد أتاكم يا شباب يا شاربي الخمر  
ها قد أتاكم بأعماله يا نساء ورجال  
ها قد أتاكم بالحناء يا قليلي الهمة  
<sup>1</sup>الرواية وريدة بيات، المصدر السابق.

<sup>\*\*</sup> عروس رمضان

تمضغ في اللبان  
وترقص على المصري  
وتقول يا ويلتي

وإذا جاء رمضان في فصل الشتاء فإن البنات يشعلن "العافية" أي النَّار ويلعبن لعبة عروس رمضان تحت ضوء القمر، وأما إن كان شهر رمضان في فصل الصيف فإنهن لا يشعلن النار، وكانت البنات قديما يجبن بعروس رمضان الشوارع والبيوت ويرشنها بالعطر، وفي كل يوم يدخلنها بيتا ويغنين ويرقصن ويتركنها هناك تنام مع أهل البيت.

ولهذا الشهر الفضيل أثر في الإبداع الشعبي، حيث أن الشعراء تغنوا به ومدحوا أيامه ولياليه، وأثروا على فضائله، وفي هذا السياق يقول الشاعر "علي عناد":

مَرْحَبَ بِشَهْرِ الصِّيَامِ	تَتَّوَحَّدُ فِيهِ الْإِسْلَامُ
يَا شَهْرَ الدِّينِ	شَهْرَ التَّوْبَةِ وَالْيَقِينِ
تَقْرَحُ بِهِ الْمُسْلِمِينَ	فِي أَنْحَاءِ الْعَالَمِ تَامَ
شَهْرَ الْبَرَكَاتِ	شَهْرَ الرَّحْمَةِ وَالْخَيْرَاتِ
اللِّي نَزَلَتْ فِيهِ الْآيَاتُ	عَلَى الْهَادِي سِيدِ الْإِنَامِ <sup>1</sup>

فالشاعر يرحب بشهر الصيام، الذي يتوحد فيه المسلمون قاطبة، ولأنه الشهر الذي فيه ينعم الله على عباده بالتوبة والبركات، وهو الشهر الذي أنزل فيه القرآن على نبي الأمة. ويقول الشاعر الشعبي "الساسى حمادي":

هَلْ هَلَالِكْ يَا رُمُضَانَ	ظَاهِرْ بَانَ	مَرْحَى يَا شَهْرَ الْغُفْرَانِ
هَلْ هَلَالِكْ بَانَ جَدِيدِ	قُدُومِكْ عِيدِ	الصُّومِ فَرِيضْ وَوَأَجِبْ اِكِيدِ
فِيهِ رَاحَةَ لِلْجِسْمِ اَفِيدِ	وَلِلْإِيْمَانِ	صُومِ الْمُؤْمِنِ لِلرَّحْمَنِ <sup>2</sup>

فالشاعر يُبشِّرُ بِقُدُومِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَيَعْتَبِرُهُ عِيدًا يَجِبُ إِحْيَاءَهُ بِالصِّيَامِ، وَيَعْدُدُ مَزَايَا هَذَا الشَّهْرِ، الَّذِي يَعُودُ بِالْفَائِدَةِ عَلَى صِحَّةِ الْإِنْسَانِ، كَمَا أَنَّهُ يَقْوِي إِيمَانَ الْمُؤْمِنِ فَتَحْسِنُ عِلَاقَتَهُ بِرَبِّهِ. وكعامة المسلمين يعتقد "السَّوَّافَةُ" أن ليلة القدر تكون في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك، لذلك في هذه الليالي يجتهد النَّاسُ أَكْثَرَ فِي الْعِبَادَاتِ وَالْمَعَامَلَاتِ، وَعَلَى الصَّعِيدِ الشَّعْبِيِّ

<sup>1</sup> بن علي محمد الصالح، من روائع الشاعر علي عناد، مرجع سابق، ص 159.

<sup>2</sup> بن علي محمد الصالح وحمادي محمد نافع، مرجع سابق، ص 122.

فإنهم يمارسون طقوسا خاصة كطقس "ضيف الموتى" الذي يكون هدفه في الصباح إخراج الصدقات على أرواح الأطفال الصغار، وفي المساء تخرج الصدقات على أرواح الموتى<sup>1</sup>. في منطقة "وادي سوف" يخرج الأطفال ذكورا وإناثا في اليوم السادس والعشرين بعد صلاة الفجر، حاملين أكياسا، يتنقلون بين البيوت لأداء طقس "طَابْ وَلَا مَزَالْ" ويسمى هذا الطقس في مناطق أخرى بمنطقة سوف "قَوْلَة وَلَا قَوْلَتَيْنِ" وهم يرددون أهازيج خاصة:

طَابْ وَلَا مَزَالْ  
كَانَ طَابْ هَانُوَهْ  
كَانَ مَا طَابِشْ  
نَزِيدُوا سَاعَة وَنُجُوَهْ\*

أو يرددون:

أَفِيْلَة وَ فِيلْتِنِ  
عَنْ رَحْمَة الْوَالِدَيْنِ\*\*

وتقدم لهم عطايا من حلوى وفول وحمص ورقائق الكسرة، والبيض والفول السوداني(والكوكاو) والتمر وهناك من يعطي نقودا، وعند شروق الشمس يتوقفون عن هذا الطقس، وحسب العامة فإن هذا الطقس يمارس في الصباح الباكر؛ لأن أبواب الرزق تفتح في الصباح، ومن الأحسن أن يستفتح هذا اليوم المبارك بالصدقات خاصة تلك التي تقدم للأطفال. وفي مساء ذات اليوم يخرج الأطفال مرة أخرى وهذه المرة حاملين ملاعق يطوفون البيوت ويرددون نفس الأهازيج، ولكن هذه المرة يقدم لهم الكسكس باللحم، يُسمى هذا الطعام "القَدْرِي".

<sup>1</sup> الراوية زهية قعري، 80 سنة، 1-02-2022، وادي سوف.

\*نضج أم ما زال

إذا نضج ناولونا إياه

وإن لم ينضج

نعودُ بعد ساعة

\*\*قولة أو قولتين

عن رحمة الوالدين

فمن عوائد منطقة سوف ليلة السابع والعشرين إخراج القدري وهو عبارة عن كسكسي باللحم، يصنع بغرض إخرجه صدقة (مَعْرُوفٌ) على أرواح الأموات (ضياف الموتى)، حيث يشترط على كل عائلة لديها موتى، خاصة إن كان الميت أحد الأبوين، أن يشتري رب البيت لحما ليطبخ مع الكسكسي، وعند الإنهاء من تحضيره، يقسم إلى حصص على حسب عدد الأموات، و يبدؤون بحساب أمنا حواء وأبينا آدم فالعائلة، ثم يوزع منه على الجيران<sup>1</sup>، والباقي يقدم للأطفال كما ذكرنا، وحسب الأعراف الشعبية يَصْحُ القَدْرِي ابتداء من ليلة العشرين، وللناس الخيار في إقامته في أي يوم، وتنتهي مدة الصلاحية ليلة السابع والعشرين، إلا أن أغلب الأهالي في سوف يقيمونه ليلة السابع والعشرين لاعتقادهم أنها توافق ليلة القدر، وبالتالي فإنها تُقْبَل فيها كل الأعمال، و "القَدْرِي" كما بينا طقس ضروري في ليلة القدر، فالعامة يعتقدون أن بخار الكسكس يصعد إلى السموات السبع، وتشمه أرواح الأموات ويفرحون لذلك<sup>2</sup>، وقد سمعت الكثير من القصص التي تؤكد غضب الأموات الذين لم يقيم لهم "طقس القدري"، من خلال وقوفهم في أحلام ذويهم الأحياء وعتابهم على إهمالهم لهذا الطقس مما أدى إلى حرمانهم من ثواب الصدقات.

ومن عوائد النساء السوفيات في هذه الليلة، تحضير رزم من الكمون بعدد أفراد العائلة، ثم تربط على معصم الصغار، وأما الكبار فيضعونها في جيوبهم لاتقاء أذى الشياطين التي تطلق سراحها في هذه الليلة حسب اعتقادهم، ومن عوائدهم أيضا رش الحناء على عتبات البيوت، وتخضب النساء أيديهن بالحناء لتصيبهن بركة هذه الليلة. وأما عن الاحتفالات الليلية فتكون في المساجد، ففي هذه الليلة يختم المصلون القرآن ويقوم الإمام بالدعاء بأن يتقبل الله الصيام والقيام، وأن يبلغهم رمضان القادم أحياء سالمين، ويدعون لنصرة الأمة، وغيرها من الأدعية التي تعود على المسلمين بالخير في الدنيا والآخرة، و تعتبر النساء أن هذه الليلة تحمل البركة، لذلك يقمن بجلب مجموعة من الأعشاب ويمزجنها مع بعض، وتعطى لرجل البيت ويذهب بها إلى المسجد وتوضع أمام الإمام ليصلي عليها المصلون، ومن تلك الليلة تصبح هذه الأعشاب مقدسة يطلق

<sup>1</sup>الراويّة صالحة دريدي.

<sup>2</sup>الراويّة وريدة بيّات، المصدر السابق.

عليها "طُلُوق سَبْعَةَ وَعِشْرِينَ\*" أو "طُلُوقِ اشْفَاعٍ"، تُبخر به النساء البيوت في تلك الليلة، وتحفظ بما تبقى كي يستعمل لعدة أغراض كأن تحرق لطرد العين أو التَّابِعة، أو التَّخْلَص من الأمراض الجسدية، ويدخل الطلوق في الوصفات العلاجية التي يُقدمها المعالجون الشعبيون، ومن التَّعَاوِذ التي ترداد أثناء حرقه: "طُلُوقِ اشْفَاعٍ يَجْعَلُهُ نَفَاعٌ"، وفي ليلة سبعة وعشرين تقام ختمة في المساجد على روح الأموات، حيث يتجمع عدد من المتطوعين في شكل دائرة ويقدم لكل شخص حزين من القرآن، يفتح الجلسة أحد الحاضرين وفي الغالب يكون إمام المسجد، بتلاوة سورة الفاتحة جهرا، وعند إنهائه يشرع الحاضرون في قراءة أجزاءهم سرا، وفي الختام يقرأ دعاء على روحه، ثم تقدم الإكراميات للحاضرين.

وباعتبارها ليلة عظيمة مباركة فهناك من الناس من يستغل ليلة السابع والعشرين لعقد قرانه لنيل بركتها، وكذلك يكثر الختان في هذه الليلة لاعتقادهم أن بركتها تبقى سارية المفعول طول العمر، وهناك من يحي هذه الليلة بقيام ليائها بالصلاة والدعاء حسب ما نصت عليه النصوص الدينية أن من صادف ليلة القدر تفتح له الأبواب وتستجاب له الدعوات، لذلك تكثر الخلوات في الليالي العشرة الأخير خاصة ليلة السابع والعشرين، وحسب الأعراف الشعبية يجوز فيها إخراج زكاة الفطر، وكانت قديما تخرج بقدر صاع من التَّمْر أو القمح.

### 3- احتفالات عيد الفطر

وقد "سمي العيد عيدا؛ لأنه يعود كل سنة بفرح جديد، وقيل سمي العيد عيدا؛ لأن المؤمنين عادوا من طاعة الله تعالى\*، وهي صيام رمضان إلى طاعة رسوله وهي صيام ستة أيام من شوال"<sup>1</sup>. يحتفل بعيد الفطر في أول شوال، حيث يتحرى البدو هلال شهر شوال باعتمادهم على

\* يسمى باسم هذه الليلة ليحمل بركتها ويسمى طلوق اشفاع كذلك، لأن صلاة التراويح في منطقة سوف يطلقون عليها صلاة الاشفاع، وهذا البخور عادة يكون مكون من 40 عشب منها العرعار، الكمون الأسود، حرمل، جاوي، أم النَّاس، ملح، شعير، فلفل أحمر، بخور سودان، قرنفل، شب، ورد... الخ، ويستخدم هذا الطلوع لذهاب الأمراض والأوكاس وشروخ الآخر. ينظر: فهرست الصور (الصورة رقم 06).

\*القصص: العبادة المقررة في القرآن إلى العبادة المقررة في السنة.

<sup>1</sup> عبد الرحمان الصفوري الشافعي، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ج1، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، د. ط، 1998، ص221-222.

الرؤية بالعين المجردة، وعادة ما يكون هناك رجال مكفون لديهم نظر ثاقب ومعرفة بالأهلة ومواقبتها، تمكنهم من تحمل مسؤولية رؤية الهلال والإعلان عن يوم الفطر.

وما إن يتم الإعلان عن رؤية الهلال حتى يستبشر الكبار والصغار بقدم العيد، ويبدأ في ذات الليلة بالتحضيرات لاستقباله، حيث تضع النساء الفول اليابس في الماء، ويحرصن على تنظيف البيوت، كما يحرصن على تحضير مستلزمات الزينة من كحل وسواك للرم وأيضاً الحناء ليخضبن بها أيديهن وأرجلهن، وكذلك البنات الصغيرات ليظهرن جميلات يوم العيد.

وفي الصباح الباكر تستيقظ النساء لإعداد فطور الصباح وعادة ما يكون فولاً أو حمصاً مع شاي، ويقسم الفول إلى كميات ثم يتبادل الجيران ما أعدوه، ففي أعراف السوافة يجب أن يخرج المَعروف في صباح العيد، وبعد تناول الفطور يغتسل الرجال ويلبسون ملابس جديدة، ويتعطرون ثم يتجهون إلى المساجد لأداء صلاة العيد الإسلامية، وعند الإنهاء يهنئون بعضهم بعضاً بقولهم: "عيدك مبارك، نُعيدُ ونُزيدُ، كل عام وأنتم بخير، سنين دَائِمة وَأزْقَابُ سألْمَة"، ثم ينصرفون إلى منازلهم لمعايدة أهلهم، وجيرانهم حيث يتصافح الجميع في جو يسوده الفرح والمرح، ومن عادات الناس في عيد الفطر زيارة القبور، وقراءة الفاتحة على أرواح الأموات والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة، واذكر أننا كنّا نذهب محملين ببعض المواد (نقود، ماء، جريدة خضراء، أكل... الخ) ثم نتركها فوق القبور.

وللأطفال نصيب في هذا العيد، حيث يشترط أن يلبسوا كل ما هو جديد وينتثرون في الأزقة لمعايدة الأهل والجيران وكل بيت يدخلونه تُهدى لهم "طُرُوحُ العِيدِ" أي نقود العيد، وفي مساء العيد يبدأ الناس في زيارة بعضهم بعضاً، وتقديم الكعك مع المشروبات التي تحضر خصيصاً للعيد، ومن عادات السوافة أن يجتمع الأبناء إن كانوا متزوجين في بيت أبيهم ليتناولوا العشاء مع بعضهم، ومن آداب العيد أن يقدم الأبناء لأبائهم الهدايا، وتستمر فعاليات الاحتفال بعيد الفطر ثلاثة أيام.

ومن الأشعار الشَّعبية التي تتغنى بالعيد نذكر:

عليكم سعيد العيد عن مُعتَادَه      تَعُدُّوه كَمَا قَبْلَ سِنِينِ لُعَادَه

تَعْدُوهُ دِيمًا دَائِمًا  
يَدُومُ جَمْعُكُمْ فَالْحَاضِرَةَ نِتْلَائِمًا  
دَوَامٌ فَرَحُكُمْ عَادَةٌ فَطُورُ الصَّائِمِ  
كُلُّ حَدِّ قَائِمٍ فِي صَلَاحِ بِلَادَةٍ  
مِنْ فَرَاقِكُمْ قَعْدٌ قَسَائِمًا  
عَنْكُمْ قَسَائِي الْبُعْدِ يَا نَشَادَهُ<sup>1</sup>

ففي هذه الأبيات يهنئ الشاعر أحبابه بقدوم عيد الفطر، ويتمنى لهم دوام أفراحهم، ودوام جمعهم كعادتهم في الأعياد، كما يُعبر الشاعر عن ألم البعد الذي حرمه من أجواء العيد وسط أهله.

#### 4- احتفالات الحج

يعتبر الحج من الأركان الخمسة التي بُني عليها الإسلام، لذلك فإن موسم الحج من أعظم المواسم التي يُجلها الناس، وعلى الرغم من أن طريقة الحج واضحة وبينية كما أفاد الفقهاء المسلمون، إلا أن الأوساط الشعبية من شدة تعلقهم بالبقاع المقدسة تجدهم يمارسون طقوسا خاصة تحمل روح الثقافة المحلية للمنطقة، فمن جملة ممارساتهم أنهم يبدؤون الاستعداد للحج قبل موعده بأيام حيث أفادنا المخبرون أنهم قديما كانوا يجهزون كل شيء قبل السفر، حيث يفتلون الكسكس ويجهزون التمر، ويصنعون التوابل... الخ، وكل شيء يحتاجونه لوليمة الرجوع من الحج، وفي الليلة التي يتجهز فيها الحاج للذهاب إلى البقاع المقدسة، يجتمع الأهل والأقارب في بيوت الحاج ويتناولون العشاء مع بعضهم وعادة ما يكون كسكسا باللحم، ثم يودعون الحاج بالبكاء والدعاء بأن يصلوا ويعودوا بالسلامة، ومن عوائد الحاج قديما في وادي سوف حين يقصدون الحج يحملون معهم 2 كيلو من القمح لحمام مكة لاعتقادهم أنه لا يأكل إلا مما يقدمه زوار الكعبة، والقمح عبارة عن صدقة على أرواح الأقارب، حيث يأخذ الحاج حفنة من القمح وينثرها وهو يقول: "هذه معروف (صدقة) عن روح فلان" وهكذا، كما يأخذون معهم أيضا القرآن ويضعونه في الحرم كوقف<sup>2</sup>. كما أن هناك طقوسا تمارسها المرأة العاقر لفق عقراها، بحيث تجمع المرأة العاقر من اثني عشر نقدا بمقدار ألفي دينار جزائري من عند نساء مطلقات (لم تغير الوجه)، وتعطيها

<sup>1</sup> أحمد زغب، ديوان أحمد بن عطا الله -دراسة-، مديرية الثقافة لولاية الوادي، ط1، 2012، ص44.

<sup>2</sup> لقاء مع الراوية زهرة زغدي، 75 سنة، 20-01-2023، وادي سوف.

للحاج ويضعها في مكان في الحج، ومن الطقوس الممارسة أيضا لنفس الغرض "الطواف بالحزام" حيث تتحزم العاقر بالنطاق وتعهده سبع عقد ثم تنزعه من تحت كي لا تحل العقد، ثم تعطيه إلى امرأة ذاهبة إلى الحج، وهناك تطوف الحاجة بالحزام حول الكعبة سبع مرات وتردد التَعْوِيزَة: "يَا رَبِّ حَلَيْتُهَا حَزَامَهَا وَارْحَامَهَا" أي "يَا رَبِّ فَتَحْتَ حَزَامَهَا وَأَرْحَامَهَا"<sup>1</sup>، وهناك من تمارس الطقس بطريقة مختلفة قليلا حيث تجز العاقر القليل من صوف أضحية العيد ثم تصنع نطاقا، تتحزم به العاقر سبعة أيام، ثم تنزله وتعهده سبع عقد وتعطيه لامرأة قاصدة بيت الله، وتأخذه معها إلى البقاع المقدسة وهناك تفتح تلك العقد وهي تردد: "حَلَيْتُ حَزَامَ فَلَانَةَ مَا هُوَ حَزَامُ الصُّوفِ"، وفي العودة فإن الحاجة تضع الحزام الذي فتح في الكعبة فوق عنق العاقر<sup>2</sup>.

وحسب ما تمليه الأعراف الشعبية فإن هناك طابوهات خاصة يُلزم على أهل الحاج احترامها، فزوجة الحاج لا يجب أن تخرج من بيتها أبدا ما دام زوجها في الحج، كذلك يُمنع على أهل الحاج استخدام التوابل الحارة في أطباقهم، ويُمنع على أهل الحاج أيضا لمس الرحي في الأيام 7-8-9-10-11 من شهر ذي الحجة؛ لأن "الحُجَّاجَ كِي يُعُودُوا فِي الكَعْبَةِ تَدْعُدَعُ رُوسَهُمْ كَانُ حَارَبُوا أَهْلَهُمُ الرِّحَى فِي الحُوشِ"<sup>3</sup>، وعلى أهل الحاج أيضا "مَا يَهْرُوشُ الرَّمَادُ مِنْ الحُوشِ بَاشْ مَا تَسْوَادِشْ وَجُوهُمُ"<sup>3</sup>. وفي فترة العودة من الحج يجهز الأهالي لاستقبال حجاجهم، فتجدهم يزينون واجهات بيوتهم بالجريد الأخضر تعبيرا عن الفرح، وحين وصول الحجاج فإن أهلهم يخرجون من الدار لاستقبالهم والمباركة لهم على الحج، ومن العوائد التي تعود عليها الناس استقبال حجاجهم باللبن والتَّمْر، إن كان للحاج زوجة لم تحج معه فإنها لا تخرج لاستقباله بل تنتظره حتى يدخل هو للبيت، وقبل أن تُسلم عليه يفتح رجليه وتدخل المرأة بينهما، ثم تخرج وفي هذه الممارسة دلالة على

<sup>1</sup>صفاء زغدي، تعاويذ صد العقم وفكه والطقوس المرافقة لها في منطقة وادي سوف -دراسة أنثروبولوجية-، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 7، العدد 2، ماي، 2023، ص 1208.

<sup>2</sup>الراوية وريدة بيات، المصدر السابق.

<sup>3</sup>أي أن الحجاج يصيهم الدوار إذا استعمل أهلهم الرحي في البيت.

<sup>\*\*</sup>أي أنهم لا يحملون الرماد حتى لا تسود وجوه الحجاج.

<sup>3</sup>لقاء مع الراوية زهرة بن لخضر كرطي، 29-12-2023، وادي سوف.

الطاعة، ثم تقبل يده ورأسه وبهذا تأخذ الإذن ويصبح بإمكانها الخروج من البيت لقضاء حوائجها<sup>1</sup>، ويسود الاعتقاد في المنطقة أن الحاج يحمل بركة لذلك يطلب الناس من الحاج أن يقرأ لهم الفاتحة ثم يطلبون من الله ما يشتهون، ومن تقاليد الحج أيضا أن يتم تقديم الذبائح على عتبات بيوت الحاج، وأيضا تجهيز وليمة يجتمع فيها الأهل والأحباب ويُفضل الأكل منها لأنها "تحمل بركة الحج"، وتُستغل هذه المناسبة أيضا للقيام بعرس ختان الأطفال و عرس الحج.

وقد تغنى الشعراء الشعبيون بمنطقة سوف بالحج وعبروا عن شوقهم وتوقهم لزيارة الكعبة

وقبر النبي ﷺ، من ذلك نجد قصيدة الشوق إلى بيت الله "للناوي الفرجاني" يقول في أبياته:

قَلْبِي شَوَّرَ شَاهِي نَعَزَمَ	قاصِدٌ بَيْتَ اللَّهِ
لِمَقَامِ الرَّسُولِ نُدَوَّرَ	رَمَزَمَ نَشْرَبُ مَاءَ
قَلْبِي شَوَّرَ دَبَّرَ عَنِّي	يَا صَاحِبَ لِنَصَاحِ
حُبُّ الرَّسُولِ مَدْرُولِي	لَا هَاجِعَ مِرْتَاخِ
نُوَدِّكَ عَن سَاقِ مِثْنِي	وَمُحَرِّطُ لِرْمَاخِ
مَدَّلُّ مِنْ صُغْرِهِ مِثْنِي	لَا رِدَّةَ فِي مِرَاخِ
بِيَةِ الْمُؤَلَى كَمَلَّ عَنِّي	جَلْبُوهُ الصُّلَاخِ
ارْكَبْتَهُ وَاصْبَحْتُ مُؤْتِي	مَعَ وَهِي السَّبَّاحِ <sup>2</sup>

يعبر الشاعر في هذه الأبيات عن رغبته الشديدة في زيارة بيت الله، والشرب من ماء زمزم المقدسة.

وأیضا قصيدة الحاج "سعد الوصيف" يصف رحلته إلى الحج فيقول:

رُكِبْنَا وَصَلَّيْنَا	فِي أَرْضِ السَّمْحَةِ حَطِينَا
فِي جَبَلِ عَرَاقَاتِ رُقِينَا	وَسَجَدْنَا فِي مَكَّةِ الْوَدَّةِ
مَنْ الدَّنْبُ نَحِينَا	وَمِنْ قَلْبِي تَتْنَحُ الْكُدَّةِ
رَانَا جِينَاكَ	يَا مُحَمَّدَ زَيْنِ رِضَاكَ
طُفْنَا الْكَعْبَةَ وَالشَّبَاكَ	وَسَجَدْنَا فِي مَكَّةِ الْوَدَّةِ

<sup>1</sup> الراوية زهرة زغدي، المصدر السابق.

<sup>2</sup> أحمد زغب، دراسات في الشعر الشفاهي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2018، ص103.

اقتلني في رضاك يا لمنور ضاوي خده  
في لآخرة في عليين في فرشات غرّف وسدة<sup>1</sup>

## 5- احتفالات عيد الأضحى

تبدأ التحضيرات لاحتفالات عيد الأضحى المبارك قبل يوم العيد -10 ذي الحجة- بأسابيع، حين تنتشط أسواق المواشي، يفضل الأهالي في سوف شراء أكباش كبيرة، وهم يتباهون فيما بينهم بأوزان الخراف التي يشترونها، وعلى الرغم من عدم إلزام الشريعة الإسلامية بأضحية العيد، إلا أن الناس يجهدون أنفسهم لاقتناء الذبيحة، ويعتري الذي لا يستطيع شراء كبش العيد حزن شديد، خاصة لو كان لديه أطفال الذين محرومون من فرحة العيد، ولتجنب هذا الشعور المرحج، هناك من يخصص حصالة لجمع مبلغ الكبش على طول العام، لأجل تقديم أضحية تليق بمقام هذه الشعيرة بالنسبة إليهم. وربما يعود سبب اهتمام الأهالي بالذبيحة والحرص على شرائها واختيار أجودها إلى النصوص الإسلامية التي تبشر المضحين، فعن النبي ﷺ أنه قال: "من ضحى أضحيته فإذا خرج من قبره يراه قائما على رأس القبر فإذا شعره من قضبان الذهب وعيناه من يواقيت الحنة، وقرناه من الذهب فيقول من أنت؟ وأي شيء أنت؟ فما رأيت شيئا قط أحسن منك؟ فيقول: أنا قربانك الذي قربنتي في الدنيا، ثم يقول: اركب على ظهري فيركب عليه ويذهب بين السماء والأرض إلى ظل العرش"<sup>2</sup>، وقال علي □ رضي الله عنه: "إذا ضرب العبد قربانه بالأرض فذبحه كان أول قطرة من دمه كفارة لذنبه، وله بكل شعرة حسنة"<sup>3</sup>.

ومما جرت عليه التقاليد الاجتماعية في سوف أن النساء تهتم بلوازم البيت الداخلية، فقبل العيد بأيام تعمد النساء إلى إحياء عوائد العيد، فتتظف البيوت ويعاد صباغة الجدران إذا لزم الأمر، والاستغناء عن كل ما هو بالٍ وقديم، واستجلاب آواني جديدة وأفرشة ولا تنسى النساء

<sup>1</sup> أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، موسوعة الشعر الشعبي، دار الثقافة، ولاية الوادي، ج2، ص101-102.

<sup>2</sup> أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن علي بن الرسام الحنبلي، عقد الدرر واللالكي في فضائل الشهور والأيام والليالي، تح: سمير محمد إسماعيل محمد، ج2، مؤسسة بينونة للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1434هـ/2013م، ص706.

<sup>3</sup> عبد الرحمان الصفوري الشافعي، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، مرجع سابق، ص222.

تحضير الحناء وأدوات الزينة لاستقبال هذا اليوم المبارك، الذي يعتبر مناسبة مهمة لبداية حياة جديدة خالية من الذنوب والخطايا، وممارسة طقوس طاردة للشر والنحس وجالبة للخير الكثير، أما الرجال فتلصق بهم الشؤون الخارجية من التردد المتكرر لأسواق المواشي واختيار الذبيحة المناسبة، ثم شراء لوازم الذبيحة من سكاكين وحطب ومواد غذائية، إضافة إلى ذلك يخصص رب الأسرة أيضا مبلغا لا بأس به لشراء ألبسة العيد لأطفاله وزوجته وأمه، ففي هذا اليوم يفضل لبس كل ما هو جديد، ويحس بالازدراء الذي يلبس القديم.

وكغيرهم من المسلمين يصوم الأهالي في وادي سوف يوم وقوف عرفة امتثالا لقوله ﷺ: >> صيام يوم عرفة يكفر السنة الماضية والباقية<sup>1</sup><<، وفي العرف الشعبي السوفي يسمى هذا اليوم "عيد اللحم"، ففيه يقتني الرجال اللحم من عند الجزائر، وتقوم النساء بطهيه في وجبة العشاء والتصدق منه للجيران، وأما قديما فحسب ما أخبرتنا الراوية كان يتم إعداد الفول وتناوله في عشاء ليلة العيد الكبير<sup>2</sup>، كما أخبرتنا ذات الراوية أن النساء يقمن بتخضيب أيدهن بالحناء، كما يحرصن على تخضيب أيدي أطفالهن خاصة البنات، وإن حصل أن نام أحد الأطفال قبل أن توضع الحناء على يده، فإن الأم تضع له الحنة وهو نائم، فطقس الحناء ضروري في هذا اليوم، والهدف من هذا الطقس حسب زعمهم "بَاشْ يَحْنُ عَلَيْنَا رَبِّي"، والمرأة التي لا تخضب يدها بالحناء فإنها لا تسلم من أسئلة النساء يوم العيد، "علاه ما تَفَاوَلْتِشْ" أي "لما لم تتفألي" ومما يذكر أن النساء قديما كنّ يضعن القليل من الحنة على جبهة الخروف.

وفي صبيحة العيد يستفيق أهل البيت مبكرا بفرح وسرور، وأما الرجال -وبعد الاستحمام والتطهر والتنطيب- يتجهون صوب المساجد لإقامة صلاة العيد، وتبدأ تكبيرات العيد منذ الصباح الباكر، والتكبير في الأعياد سنة عن النبي ﷺ، فعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:

<sup>1</sup> أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن علي بن الرسام الحنبلي، عقد الدرر واللاللي في فضائل الشهور والأيام والليالي، مرجع سابق، ص 662.

<sup>2</sup> لقاء مع الراوية ريج مصباحي، 64 سنة، 25-03-2023، وادي سوف.

"زينوا أعيادكم بالتكبير" وفي رواية أنس لينوا العيدين بالتهليل والتقديس والتحميد والتكبير<sup>1</sup>. ومن بين الابتهالات التي تردد في المساجد:

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر  
الله أكبر الله أكبر  
لا حول ولا قوة إلا بالله

وصلاة العيد كما هو معلوم تؤدي بطريقة معينة، كما أخبر عنها النبي محمد ﷺ، حيث تقدم الصلاة على الخطبة، عكس المعمول به في صلاة الجمعة (عيد المسلمين الأسبوعي). وأما النساء فهن ممنوعات من حضور هذه الصلاة، وبهذا يبقين في بيوتهن يحضرن مستلزمات الذبيحة، والباس أولادهن، وتزيين أنفسهن وتحضير صينية الحلويات والمشروبات التي يستقبلن بها الرجال حين عودتهم من المسجد.

وبعد الإنهاء من الصلاة، يعيد الرجال بعضهم على بعض بقولهم: "عيدكم مبارك، كل عام وأنتم بخير، سِنَّينَ دَائِمةً وَأَرْقَابُ سَأَلمة الله يغفر للجميع" ثم يجتمع الأهالي لتبادل التبريكات والتهناني، وبعد الإنهاء من إلقاء تحية العيد تتجه الأنظار إلى بيت الإمام(الطالب)، الذي يعلن إمكانية بدأ الأضحية، فلا يجوز أن يذبح أحد قبل الصلاة لقوله ﷺ "أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل الصلاة فإنما هو لحم قدمه لأهله ليس من النسك في شيء"<sup>2</sup>، وفي العرف الشعبي السوفي لا يجوز كذلك الذبح قبل الإمام وبعدها ينصرف الرجال لأداء الذبيحة. قديما حينما كان "السؤافة" يعيشون في واحات النخيل كانت الأضاحي تتم هناك، وهذا ما أكدته الراوية<sup>3</sup> "في قولها: "كُنَّا نُضَحُّوا فِي المُلْكِ"، فقد كان الأهالي يجتمعون عند الجد الأكبر ويضحون هناك، أما حاليا فتغير الأمر حيث أصبح أغلب الناس يُضحون فرادى، وعملية الذبح يتكفل بها كبير العائلة، ويساعده أهله على سلخ الذبيحة،

<sup>1</sup> عبد الرحمان الصفوري الشافعي، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، مرجع سابق، ص 220.

<sup>2</sup> ابن الحاج أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري المالكي الفاسي، المدخل، مكتبة دار التراث، القاهرة، د. ط، د.ت، ص 283.

<sup>3</sup> الراوية ربح مصباحي، المصدر السابق.

ولكي تكون الذبيحة حلالا يجب ذكر الله قبل البدء في الذبح، وإن كان أهل الدار لا يجيدون الذبح، فإنهم يستعينون برجال يتقنون مهنة "الجزار" وقد يتقاضون ثمنا على أتعابهم، وفي الأغلب يكتفون بأخذ قطعة من الكبد كمقابل. وأتذكر حين كنت صغيرة وكنا نشفق على الكباش؛ لأنه سيذبح وينزف دما، كنا نتفادى رؤية عملية الذبح، وكان آباؤنا يلقنوننا معتقدا مفاده أن رؤية دم الذبيحة تزيل الذنوب والخطايا، والظاهر أنّ لهذا المعتقد مرجعية إسلامية فقد قال علي رضي الله عنه: "إذا ضرب العبد قربانه بالأرض فذبحه كان أول قطرة من دمه كفارة لذنبه، وله بكل شعرة حسنة"<sup>1</sup>، وقوله ﷺ "ما عمل آدمي من عمل في هذا اليوم أفضل من إراقة الدماء"<sup>2</sup>.

وبعد سلخ الشاه ينزعون المَطَائِبَ (الكبد والقلب) وتُعمل مَلْفُوفًا، وقد أخبرتنا الراوية<sup>3</sup>، أنه عادة يتم استبعاد جزء الرئة بدعوى أنها ليست لذيدة، وتقول أنهم مخطئون في اعتقادهم هذا، وفي المثل الشعبي أن المرأة تستهزأ بالرية فتقول لها:

مِنْ فَاقِدِكَ يَا الرِّئَةَ نَهَارَ الضَّحِيَّةِ

ترد الرئة قائلة:

كُؤنْ تَقِطْنِي بِيَا نَايَا الرِّئَةَ تَأْكُلِينِي نَايَا نِيَّة\*

نلاحظ إذن أن أول ما يتم تناوله من الضحية الكبد، ويطلقون عليه في الأوساط الشعبية السوفية "ضيفة العيد"، وهذا من سنة النبي ﷺ "لما انصرف من صلاة العيد ذبح أضحيته بيده الكريمة وأمر بزيادة الكبد فصنع له ثم أفرط عليه تشبها منه عليه الصلاة والسلام وتقاؤلا بأهل الجنة؛ لأنهم أول ما يفطرون فيها"<sup>4</sup>، ويفضل فخذ اليمين للشواء، وقديما كان يحضر خبز الملة

<sup>1</sup> عبد الرحمان الصفوري الشافعي، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ص 221-222.

<sup>2</sup> ابن الحاج أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري المالكي الفاسي، مرجع سابق، ص 283.

<sup>3</sup> الراوية وريدة بيات.

\* من يسألك عنك يا الرئة يوم الأضحية

قالت:

لو تعرفي فوائدي أنا الرئة تأكليني دون طهي

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 284-285.

على جمر الشواء لاعتقادهم أنه يمتص الدهون<sup>1</sup>، وبالتالي لا يثقل عليهم اللحم، ويشربون الشاي، وكما جرت العادة قديماً فإن بقية اللحم يجفف في الشمس بالملح\*؛ لأنه لم توجد آنذاك الثلجات<sup>2</sup>. وفي الوقت الحالي يترك بقية لحم الأضحية حتى بعد صلاة الظهر، ثم يهيم رب الأسرة بمعاونة الزوجة والأولاد إلى تقسيم لحم الضحية، بحيث التلث يوزع بين الأقارب والمحتاجين، ويحتفظ بالباقي ويقسم ما هو للطبخ وما هو للشواء، وأما الرأس فيحتفظ به لعشاء عاشوراء وهناك من يترك كتف الأضحية.

وفي العيد تزج الزيارات إلى ما بعد الذبح. في هذا اليوم لا يوجد عمل فهو يوم احتفال وبهجة وسرور، ينقطع الناس عن ممارسة حياتهم اليومية، ويركزون على الأعمال المرتبطة بالبدايات المتمثلة في محاكاة فعل إبراهيم عليه السلام. للنساء تقاليد اعتدن القيام بها في كل عيد كأن يرششن دم الذبيحة بالملح بعد ذكر اسم الله، لاعتقادهم أن الملح يبطل عمل الشياطين وهناك من يخلط الكمون مع الملح<sup>3</sup>، وعلى الرغم من أن جيل المتعلمين يرفضون صنعة أمهاتهم هذه، إلا أن النساء لا تكف عن هذه العوائد التي يعتبرنها الحصن المتين لاستقرار بيوتهن، ويسود الاعتقاد في أن كل جزء في ذبيحة العيد مقدس، لذلك فإنه يصلح استعماله لأغراض استشفائية مثلا من ذلك تعمد الأم التي يعاني ابنها من مشكلة التأتأة أو تأخر النطق إلى جمع سبعة السنة للأضحية من عند بيوت سبع نساء، ويشترط أن تكون المرأة "مِشْ مُبْدَلَةٌ لُجُوهٌ"؛ أي أنها تزوجت مرة واحدة فقط، ثم تقسمها إلى أجزاء صغيرة وتطبخها ليتناولها ابنها وبهذا يتخلص من مشاكل الكلام، وكذلك فإن جلد الأضحية يستعمل كتعويذة لإزالة مرض البرص وذلك من خلال مسحه على الوجه وكامل الجسد بعد سلخ الشاه مباشرة، وقد تحفظ النساء دم الأضحية بعد تجفيفه؛ لأن المعالجين الشعبيين قد يطلبون دم الأضحية في بعض الوصفات العلاجية، لكونه يحمل بركة العيد، وقد يستعمل دم الأضحية بعد الذبح مباشر لعلاج أمراض العيون، وكذلك فإن الملح الذي يرش به

<sup>1</sup> الراوي أحمد نصيرة، أحمد نصيرة، 67 سنة، 09-10-2023، وادي سوف.

\* يُطلق عليها في منطقة وادي سوف القديد أو الشريح.

<sup>2</sup> لقاء مع الراوي علي بن خليفة، 63 سنة، 15-04-2024، وادي سوف.

<sup>3</sup> لقاء مع الراوية سعيدة بيانت، 88 سنة، 12-10-2022، وادي سوف.

جلد الأضحية يُخبأ لاستعمالات علاجية ويُطلق عليه "مِلح جِلْد السَلِيخ" الذي يستعمل خاصة لفك العين والحسد، حيث يطلب المعالج من المريض احضار "ملح جلد الأضحية" وإحراقه في النار، وترديد التّعويذة: "حَرَطَقُ مَرَطَقُ عَيْنِ الحَاسِدِ تَطَرَطَقُ"، كما تحتفظ النساء بالفروة لتكون فراشا، ومن العادات الشعبية في وادي سوف أن المرأة المتزوجة تذهب لزيارة أهلها ومعها هدية العيد من الأضحية<sup>1</sup>.

وأما كعب مفصل الخروف فإنه يتحول إلى لعبة شعبية خاصة بالبنات، وتعرف هذه اللعبة في الأوساط الشعبية "لعبة الأكعاب أو التتآن" تكثر ممارستها بعد عيد الأضحى، حيث تحتفظ البنات بأكعاب الضحية ويتم تنظيفها جيدا، ويلعبن بها وتكون طريقة اللعب كالآتي: عدد اللعابات اثنتان أو أربع بنات، يحضرن أربع "أكعاب" ويضفن حجرة صغيرة تُسمى "اللّفاف" ثم يقمن برمي اللّفاف في الهواء ويباشرن في ترتيب الأكعاب حسب ما يُمليه قانون اللعبة.

## ثانيا: الاحتفالات الدينية في منطقة القبائل

### 1- احتفالات العيد الكبير

يستقبل الأهالي في منطقة القبائل العيد بممارسات توارثتها الأجيال وحافظت عليها، فمن تقاليدهم أنهم في ليلة العيد يطهون السفنج، والمسمن، والبغريز، هذه الأشياء كلها تؤخذ للمقبرة وتوضع فوق القبور، وفي منطقة "تيزي غنيف" توضع في غرفة حراسة المقبرة ليأكل منها عابرو السبيل<sup>2</sup>، وكما في سوف فإن النساء في منطقة القبائل يتبركن بالتزين بالحناء، وحتى الحيوانات الموجودة في البيت يفضل نقل بركة الحناء إليها، خاصة الكباش الذي هو ضحية العيد الكبير<sup>3</sup>. يستيقظ الأهالي بعد الفجر، ولا يرجعون للنوم، إذ جرت العادة أن تخرج العطايا قبل بزوغ الشمس، كما أن الأطفال أيضا يلبسون في هذا الوقت لباس العيد.

<sup>1</sup> الراوية وريدة بيات، المصدر السابق.

الراوية فطيمة عمامرة، المصدر السابق.

<sup>2</sup> الراوية فروجة مدير، نقلا عن الجدة حجيلا ن ساعيد، 76 سنة (تيزي وزو)، 25-03-2022.

<sup>3</sup> الراوية نفسها.

وكما في كل ربوع الوطن يقصد الرجال المساجد لأداء صلاة العيد، أما النساء تشتغل بتجهيز أمور البيت من تحضير إكراميات للرجال وأيضاً تجهيز مستلزمات الذبيحة. حين الإنهاء من صلاة العيد يعيد الرجال على بعضهم البعض، وصيغة تحية العيد في منطقة القبائل: عيد مبروح ذي سعدي" عيد مبروح يقوي وسعيد"، وبعد ذبح الإمام أضحيته يتوزع الجمع فهناك من يقدم زيارة المقبرة، وهناك من يقصد ضريح الشيخ "محد أركان" (أسود)، وهناك من يؤجل هذه الزيارات ويقصد مباشرة بيته لأداء طقوس الذبيحة. و من عوائد أهل القبائل أن كبير العائلة (الأب) هو من يذهب لزيارة بناته المتزوجات في أول أيام العيد<sup>1</sup>.

ومن الممارسات التي تقوم بها النساء بعد ذبح الأضحية، أخذ كمية من دم الذبيحة ويرمينه مقابل حائط البيت اعتقاداً منهن بأنه يبعد أشكال الجن، ويؤسس المحبة والأخوة بين أفراد العائلة لكي لا يتشتت شملها، كما يتم وضع القليل من شحمة الأضحية على رؤوس الأطفال الصغار ومن ثم إزالته، اعتقاد منهن أنه درء للعين ولحمايتهن من كل مكروه أو شرّ يترصدهنّ، وفي اليوم الثاني تقوم النساء بتحضير قفات العيد، إذ يخصص للأقرباء قفة بها قطعة لحم مع الزيت والحلوى والفطائر والقهوة... لتستقبلهم القريبة بصدر رحب<sup>2</sup>. تأتي الآن للذبيحة التي لها طقوسها الخاصة الزاخرة بمعتقدات يُلمس منها جلب النفع ودرء الضرر، وتقبل هذا القران من الله سبحانه وتعالى، فبعد التكبير وذبح الأضحية كما نصت عليها الشريعة الإسلامية، يحبز الأهالي سلخ جلد الكبش بالأيدي؛ لأنهم يستنكرون العمل بالحديد، وربما تعود فكرة استنكار السلخ بالسكين إلى الحادثة المؤسسة للذبيحة الإسلامية، مما ذكر "أن إبراهيم ألقى السكين مغضبا، -فقال أي السكين- لما تغضب قال: لأنك لم تقطعي شيئاً فقلت له كيف النار لم تحرق منك شيئاً، قال خرج النداء من قبل الله يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم، فقلت وأنا خرج لي سبعين مرة لا تقطعي شيئاً<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الراوية حبيلة ن ساعيد، المصدر السابق.

<sup>2</sup> نبيل حويلي، منظومة الأسطورة في منطقة القبائل -دراسة أنثروبولوجية-، أطروحة لمناقشة شهادة الدكتوراه، جامعة مولود معمري -تيزي وزو - 06-10-2016، ص52-53.

<sup>3</sup> عبد الرحمان الصفوري الشافعي، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ص219-220.

وأما دم الأضحية فهو مقدس عند القبائل أيضا، لاعتقادهم أن له خصائص علاجية، من ذلك أن أي شخص مصاب بمرض عضوي خاصة تشنجات الأرجل، ينصح له بالرفس على دم الذبيحة لاعتقادهم أنه يعالج الأمراض، وعن تقسيم الأضحية فالقبائل يفصلون جزء الكتف، ويضعون عليه الملح ويعرضونه لأشعة الشمس إلى أن يجف ثم يخبؤ إلى عاشوراء. وإذا كان في سوف يفضل أكل لحم الشواء في هذا اليوم، فإنه في منطقة القبائل يكون البوزلوف -الرأس، والأرجل، وفي اليوم الثاني تُطهى الأمهات القبائليات "كسكس باللحم"<sup>1</sup>.

وللأطفال طقوسهم الخاصة في عيد الأضحى، إذ أنهم يلبسون الجديد في هذا اليوم المجيد، كما أنهم يأخذون "العيدية" من عند الكبار، ومن المباحج الاحتفالية التي يؤديها أطفال القبائل في يوم عيد الأضحى، أنهم يجتمعون في موكب يتقدمهم طفل يُسمى "القائد" ويشترط أن يكون ذكرا، يلبس (البرنوس) ويغطي رأسه ووجهه، ويبدوون في الطواف أمام البيوت، يلتف حوله مجموعة من الأطفال وهم يرددون مقطوعة:

إزدق إزدق الحاج      أويذُ أُمورُ بَاقًا الحَاجُ  
أي: إزدق إزدق الحاج      هَاتِ حَقَّ أَبِي الحَاجِ

ويرد عليهم الطفل بدعاء أو حكمة أو شعر أو يدعو لأهل البيت بالخير، وفي كل بيت يدخلونه يعاودون نفس الممارسة، ثم يقدم أهل البيت للقائد من البوزلوف (لحم الرأس) المطبوخ. في "نراع الميزان" يجمع الأطفال كل العطايا ويختارون مكانا معيناً، ثم يشعلون النار ويلتفون حولها وهم يأكلون ما حصدوا، أما في منطقة "تيزي غنيف" تجمع العطايا وتقدم للأهالي الذين لم يضحوا، وهذا الطقس يمارس في المساء بعد العصر، كما يمكن أن يغني الأطفال ويقوم أحد الصغار يتوسط المجموعة بالرقص<sup>2</sup>.

وللمولودين حديثاً نصيبٌ من بركة العيد، حيث يطلق عليهم اسم العيد تفاؤلاً بأن يكون الولد مبروكا وصالحا، ويتقبله الله بقبول حسن، فإذا ولد الطفل في عيد الأضحى يفضل أن يسمى

<sup>1</sup>الرواية حجييلة ن ساعيد، المصدر السابق.

<sup>2</sup>المصدر نفسه.

"أمقران" على اسم العيد الكبير (عيد أمقران)، وإذا ولد الطفل في عيد الفطر يسمى (مزيان)، وللنساء تقاليد خاصة يحاولن قدر المستطاع المحافظة عليها، بتذكير العوائد كل عام، فيشاع عند النساء أنه يلزم على الكنة (زوجة الابن) أن تُعطي لحماتها (أم الزوج) نصيبها من كبد الأضحية، وإن لم تلتزم بذلك فيعتبر تصرفها فال شر، ومن شرائع النساء في الدين الشعبي أنه يمنع على اليتيمة الاستحمام ثلاثة ليالٍ من العيد (ليلة العيد ويوم العيد وليلة الثانية من العيد)، كما أن المرأة الحائض أو الجنب يجب أن تغتسل في وعاء كبير، وأن لا يصل الماء الذي يمر على جسدها إلى الأرض، ولا يصل إلى الآبار أو قنوات الصرف، بل إنها تجمعها وتصرفه تحت شجرة أو مكان محدد من التراب، ومن عوائدهم أيضا أن لسان الأضحية لا يأكله إلا الكبار لاعتقادهم أنه إذا أكله الصغار يصبحون قليلي التربية، وحتى الأمعاء والبوزلوف لا تأكل منه الحوامل ولا تقترب منه أبدا، حتى لا يلدن أطفالا بكما، وجلد الكبش يستعمل لأمراض الجلد، فالتى تريد وجها لامعا أول ما يسلخوا الكبش تضج الجلد مباشرة على وجهها<sup>1</sup>. وفي منطقة البويرة فإن العيد مناسبة لممارسة طقس فك العنوسة، إذ تحرص الأم قبل أن تخلد إلى النوم، أن تضع الماء في إبريق ثم تديره على رأس ابنتها العانس سبع مرات، وتترك ذلك الإبريق أمام رأسها طيلة الليل، وفي الصباح الباكر تستحم الفتاة بذلك الماء، وبعد ذبح الذبيحة يرمى الماء على الكبش المسلوخ. وهناك طقس آخر يمارس لذات الغرض حيث تستحم الفتاة التي ترغب في الزواج، وتجمع الماء الذي استحمت به وتنتثره في الطريق الذي يقصده الرجال حينما ينهون من صلاة العيد، وهناك من يصوم حتى وقت الذبيحة وأول ما يفطر به كبد الذبيحة<sup>2</sup>.

## 2- احتفالات رمضان وليلة القدر

للقبائل تقاليد خاصة في شهر رمضان، وكغيرهم من المسلمين يعتقد القبائل أن شهر رمضان هو أجلّ الشهور لذلك فكل الأحداث التي تقع فيه يحبذ أن يستقبلها الإنسان بقلب راضٍ كالموت الذي يعتبره القبائل إشارة على حسن الخاتمة في هذا الشهر، لذلك لا يجب أن يشكو

<sup>1</sup> الراوية حجيلا ن ساعيد، المصدر السابق.

<sup>2</sup> نجاة او عمران نقلا عن أم الخير مئي، 70 سنة، قرية: آث مهئي، البويرة 18-12-2023.

شخص مات له أحد أقربائه في هذا الشهر؛ لأن مصيره الجنة حسب اعتقادهم أما أبواب النَّار فهي مغلقة في هذا الشهر<sup>1</sup>، ومن العادات والتقاليد التي ورثها القبائل للاحتفاء بليلة القدر ما يسمى بـ "إمّسي إيض سنات نتمروين تزا" أي مأدبة عشاء السابع والعشرين من شهر رمضان، حيث تقوم النساء في البيوت بإعداد وجبة العشاء وعادة ما يكون كسكسا سواء بالزبيب واللبن الرائب، أو بمرق مع اللحم، أو العنب إذا جاء رمضان في موسم الصيف. وبعد الإنهاء من إعداد الوجبة تقدم المرأة لرجل البيت قصعة الكسكس ليأخذها لباحة مسجد القرية ويتناولها الرجال، ومن عادات القبائل الرجالية بعد الإنهاء من صلاة التراويح وختم القرآن إخراج الصدقات وتقديمها للفقراء<sup>2</sup> ويسعد القبائل ليلة السابعة والعشرين لاعتقادهم بأنها ليلة القدر التي يستجاب فيها للدعوات، ففي هذه الليلة تنتج أنظارهم إلى الأعلى كل حين، وكلهم أمل بأن تتفتح أبواب السماء، وينالهم نصيب لاستجابة دعواتهم، وفي هذه الليلة يختم القرآن في المساجد، ويكثر فيه الدعاء<sup>3</sup>.

ويعتبر صيام الطفل الصغير لأول مرة حدثا مهما بالنسبة للقبائل، لذلك تجدهم يتعاملون مع الحدث بتقاليد مميزة، حيث أنه لا يتناول فطوره الأول على مائدة الإفطار كما هو معهود، بل إنه يشق إفطاره فوق قرميد المنزل، ويكسر صيامه بماء فيه قطعة فضة، وبييض مسلوق، أو ماء وسكر<sup>4</sup>.

### 3- احتفالات المولد النبوي الشريف

يستقبل القبائل المولد بالإكثار من حلقات القرآن والذكر وإنشاد المدائح النبوية، كما تنظم في هذه المناسبة حفلات الختان وعقد القران تيمنا بالمناسبة، أما في جانب الأطباق فتحرص النساء على تجهيز أكالات حلوة المذاق كالعصيدة التي تحضر بالدقيق والعسل والزبدة والفطائر بالعسل

<sup>1</sup> كيسة بولجنت، المرأة القبائلية في العهد العثماني: عادات ومعتقدات، مجلة أفاق وأفكار، المجلد9، العدد3، 2021، ص138-139.

<sup>2</sup> ينظر: نصيرة سيد علي، عادات احتفالية تفردت بها منطقة القبائل في ليلة السابع والعشرين من رمضان، موقع الحوار، 11 يوليو 2015.

<sup>3</sup> نبيل حويلي، منظومة الأسطورة في منطقة القبائل، ص51.

<sup>4</sup> الراوية أم الخير مئي، المصدر السابق.

ويحبذ أن يتذوقها الجميع لتنعكس على أيامهم وتكون حلوة، ويمتنعون عن تناول أكالات حامضة أو متبلّة لاعتقادهم أنهم سيتجنبون قضاء أيام بمثل مذاقها، ومن عوائد العائلات في هذه المناسبة الشريفة قص شعر الطفل البالغ سنة واحدة من عمره لأول مرة، وفي بعض المناطق يتم إدخال الصبي داخل ما يسمى محليا ب"الجفنة" أو القصعة الكبيرة المصنوعة من الفخار بعد ملئها بأنواع من المكسرات والحلويات والبيض المسلوق الذي يرمز إلى التلاحم والنسل، ويقوم بهذه العادة كبير الأسرة لإحاطته بالبركة<sup>1</sup>، ومن مظاهر الاحتفال أيضا زيارة الأضرحة ومقامات الأولياء الصالحين قصد التبرك، حيث تضع النساء على الضريح الأقمشة، ويشعلن الشموع على مقربة منه ويظفن حوله، بينما يقوم الرجال وبعض الشباب بحضور جلسات الذكر، و يقوم الأطفال بأخذ نوع من الحطب الذي تم تخزينه في أماكن آمنة استعدادا للحدث الكبير، ويسمى هذا الحطب: "أَحْرَبِلُّزُّ" ويضعون فوقه الأقمشة التي تكون قد وضعت داخل زيت الزيتون، ثم يشعلونها بالنار وهكذا لا تتطفئ أبدا حتى ينتهي الحطب العمودي من الاحتراق، وهم يرددون هذه المقاطع: "طَالِي، طَالِي، أَسَّ تَسْمَعْرَانْ-أَنْبِي، فَرَحْنِي أَلْمُلُوكُ أَق-قِنِي، أَرْنَغُ أَلَا ذُنَاكَ" بمعنى "اشتعلت النيران، اشتعلت، اليوم عرسك أيها النبي، لقد فرحت لك الملائكة في السماء، و فرحت لك أنا أيضا"، ويقوم القبائل أيضا بنحر الأبقار "لوزيعة"، كما يصنع شيوخ القرية خيمة ليودع الناس والزوار زكاتهم وصدقاتهم فيها وسط الأدعية التي تتعالى هنا وهناك<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> سامية إخليف، الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في تيزي وزو، جريدة النصر، 02 يناير 2015

<http://www.annasonline.com>

<sup>2</sup> نبيل حويلي، منظومة الأسطورة في منطقة القبائل، ص 50-51.

## استنتاج

بعد عرض الجانب الاثنوغرافي لبعض الطقوس الموسمية والدينية في منطقتي وادي سوف والقبائل، يمكن أن نستخلص ما يلي:

الاحتفالات الموسمية وليدة المتغيرات البيئية والاجتماعية، لذلك نجد ممارسات عديدة متغيرة من منطقة إلى أخرى، بل إننا قد نجد احتفالاً يكون بارزاً ومشحوناً بالطقوس في منطقة، وفي أخرى نجده لا يحظى بالقيمة نفسها، مثلاً احتفالات الربيع في منطقة القبائل مازالت موجودة إلى يومنا هذا أما في منطقة سوف فلم تعد تمارس، ما عدا ما انتقل منها إلى احتفالات شعبية أخرى كالأعراس والختان، أما الاحتفالات الدينية فمنها ما هو قار لأنها تعاليم نابعة من الدين، ومنها ما أضيفت عليه الصبغة الثقافية والاجتماعية من عادات وتقاليد وأعراف.

يُبرز الجانب الاثنوغرافي للاحتفالات الموسمية والدينية سيماء الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية لمنطقتي الدراسة، فيتضح جلياً أن اقتصاد منطقة سوف يركز على غراسة وجني التمور، لذلك نجد النخلة حاضرة في معظم الممارسات الاحتفالية، أما اقتصاد منطقة القبائل فيركز على الزيتون.

تعتبر هذه الاحتفالات الموسمية والدينية في منطقتي الدراسة من القنوات التي يحاول من خلالها الإنسان التواصل مع العالم الطبيعي والعالم الماورائي، وفي عمق هذه الاحتفالات يتبين التشابه، فهي تكشف عن المستوى الثقافي، والدين والمعتقدات والأدب والفنون... الخ، وقد اكتفينا في هذا الفصل بجمع المادة من أفواه الموردين ومن الكتب التي اهتمت بتدوين التراث ودراسته. ستسمح لنا نتائج هذا الجانب الاثنوغرافي بالتعمق في دراسة الموضوع الاحتفالات الدينية والموسمية من الجانب الاثنواوجي والانثربولوجي على سبيل التوسع المقارن في الموضوع.

## الفصل الثاني

# أنثربولوجيا احتفالات السنة الجديدة في

## منطقتي وادي سوف والقبائل

تقديم

المبحث الأول: اثنوغرافيا احتفالات السنة الجديدة في منطقتي وادي سوف والقبائل

المبحث الثاني: اثنولوجيا طقوس احتفالات السنة الجديدة في منطقتي وادي سوف والقبائل

المبحث الثالث: انثربولوجيا احتفالات السنة الجديدة بين الخصوصية والمشاركات الثقافية بين

الشعوب

استنتاج

## تقديم

يحتفل الأمازيغ في شمال إفريقيا بعيد رأس السنة الفلاحية، والذي يتزامن مع الفاتح من شهر يناير حسب التقويم اليولياني المعمول به في شمال إفريقيا، وإذا كانت الدولة الجزائرية بداية من سنة 2018 رسمت هذا الاحتفال بصفة قانونية وزكته بأن اعتبرت يوم 12 يناير عطلة مدفوعة الأجر، وأطلقت العنان للمؤسسات الثقافية للاحتفاء بهذه المناسبة، وبالتالي فإن الاحتفالات بيناير أصبحت رسمية، فقد عايشنا هذا الاحتفال بدار الثقافة بوادي سوف يوم 12 يناير 2020، وكان الاحتفال عبارة عن عروض فولكلورية تقدم فيها الأطباق التقليدية القبائلية والسوفية، وكذلك الأزياء والحلي، والمشاهد الفرجوية كالحفلات الغنائية التي نشطها فنانون شعبيون، ومشاهد الرقص الشعبي، وما لاحظته هو استغلال هذه المناسبة لتنشيط التجارة، فالخياطة مثلا تعرض بضاعتها وتسوق لمشروعها، وكذلك صانعة الحلويات تروج بطريقتها للحلويات التقليدية والحديثة وغيرها... الخ، وكان الاحتفال بيناير مناسبة للقاء المثقفين وتبادل الأفكار والمشاريع، وعلى مستوى البلديات أصبحت احتفالات السنة الجديدة تقدم فيها محاضرات على مسمع المثقفين ورجال سياسيين، هذه المحاضرات تمجد فيها مآثر الأمة الأمازيغية. فإذا كان الجانب الرسمي يحتفل بهذه الطريقة المقررة، فإنه على المستوى الشعبي حديث آخر يذكر، حيث أن هذا الاحتفال عريق وقديم عُرف في بلاد الأمازيغ بصفة عامة تحت مسميات عدة، منها: "النّاير" Yennayar كلمة أمازيغية مركبة من YEN أي واحد و AYEN وهو الشهر، أي الشهر الأول في السنة، كما يطلق عليها أيضا ID N Usggas أي ليلة السنة، أو "تابورت أسقاس"<sup>1</sup>، وفي برّ عدوة في المغرب يقولون بينير<sup>2</sup>، والشائع في الأوساط الشعبية وحتى الأوساط الثقافية صراحة أنّ هذا الاحتفال محصور في المناطق القبائلية، أو المناطق التي يتحدث أهلها الأمازيغية، لكن مع توالي الدراسات الأثنوغرافية، توسعت دائرة الاحتفالات وبرهنت على أقدميته حتى في المناطق الناطقة باللهاجات العربية، وهذا البحث يعضد هذا الطرح ليثبت أنّ هذا الاحتفال مُورس منذ القدم حتى في الجنوب الشرقي الجزائري وبالضبط في منطقة "وادي سوف" تحت مُسمى: احتفال "حُشوش العام"، من هنا أمكن لنا

<sup>1</sup> عبد اللطيف هسوف، الأمازيغ قصة شعب، دار الساقى، د. ط، د. ت، ص 59.

<sup>2</sup> المغرب في حلى المغرب، حققه وعلق عليه شوقي ضيف، ط2، دار المعارف، مصر، 1964، ص 294.

إجراء دراسة أنثربولوجية في منطقتي الدراسة "وادي سوف ومنطقة القبائل"، وعليه نتساءل: كيف يستقبل الشعبون السنة الجديدة في منطقتي الدراسة؟ وما هي الرموز التي تحملها طقوس رأس السنة؟ وما هي الأساطير المؤسسة لهذا الاحتفال؟ وإلى ماذا يعود التشابه في طقوس المنطقتين؟ وما هي معاني الاختلاف؟

### المبحث الأول: أنثوغرافيا احتفالات السنة الجديدة في منطقتي وادي سوف والقبائل

#### أولاً: أنثوغرافيا "خُشُوشُ العام" في منطقة سوف

تتطلق بداية السنة الفلاحية في منطقة "وادي سوف" حسب التّقييم الفلاحي الشّعبى ليلة 14 يناير<sup>1</sup>، وقد عرف البدو قديماً عدة طقوس تُمارس في هذه الليلة، غرضها طبعاً تنقية العالم من شوائب السنة الفارطة، والتأثير عن طريق ممارسة السّحر الأبيض على السنة الجديدة في جميع الميادين، خاصة في الجانب الاقتصادي، وبما أن اقتصاد المنطقة في "وادي سوف" يعتمد على الفلاحة أساساً، فإن الطقوس تكون موجهة بشكل كبير للأرض بغرض الخصوبة، دون إغفال الجوانب الأخرى التي تخلق التّوازن وتجدد وسائل المعيشة، كالإحسان إلى حرس البيوت، وكل ما له علاقة بتأثير العالم والحفاظ عليه، ومن خلال البحث تبين صراحة اندثار عوائد "خُشُوشُ العام" في الوقت الحالي في منطقة "وادي سوف"، ولم تبق سوى أدعية إسلامية يرددّها الأجداد غرضها أن يحفظ الله النّاس ويثبتهم على الإسلام، ويطلبون من المولى عزّ وجل بأن يكون العام ضامناً -ممطراً- وغلة الثمر جيدة وفيرة، وأن يحفظهم وأملاكهم من عوائد الزمن<sup>2</sup>. ولكن من خلال الزيارات المتكررة للكبار والتّحدث معهم والحفر في ذاكرتهم، وجدنا الذاكرة الشعبية تحتفظ ببعض الممارسات التي كان الرجال يؤدونها، وبعض الطقوس التي كانت النساء تمارسها.

وعن احتفالات "خُشُوشُ العام" يحدثنا أحد الرواة بقوله<sup>3</sup>: "بكرى كُنّا في خُشُوشُ العام نذبجو، وفي كل الفصول لآزم نُحمرّوا، وممّباعدُ يجي شايبُ كبيرُ يهزّ عظمَ الكتفِ ويُنظفها مليح، ويلفنها

<sup>1</sup> لقاء مع الراوي علي بن خليفة، 63 سنة، 15 أبريل 2024.

<sup>2</sup> لقاء مع الراوي لخضر بيّات، 70 سنة، 05-10-2022، وادي سوف.

الرواية هنية كازوز، 67 سنة، 03-10-2022، وادي سوف.

<sup>3</sup> لقاء مع الراوي علي بن عيشة، 25-09-2023، 90 سنة، وادي سوف.

لشمس، ويبدأ يُشوفُ وش راح يجي في العام، كيما المِطرُ وغلة التَّمَرُ\*\*، ومنه نلاحظ أن الطقوس الرجالية تتلخص في تقديم الذبائح وممارسة العِرافة أو التَّكهن.

والحقيقة أن أغلب الطقوس التي تمارس لاستقبال السنة الجديدة تقوم بها النساء، حيث يشرن في تنظيف البيوت ورمي كل ما هو بالٍ، كما يقمن بتغيير الأثاثي -أي تجديد المناصب وتنظيف الكانون- وإخراج الرماد، كما يقمن بإشعال النَّار و يُشترط أن يكون بجريد أخضر<sup>1</sup>، وإعداد طبق "الدَّشيشة البيضاء" (حساء الشعير) بطريقة مختلفة عما هو معمول به في العادة، بحيث تقول الراوية<sup>2</sup>: "جيبو جريدة خضراء وتعلفوا فيها وش كابين وراق خضراء، وكَي نخطوا تشيشة طيب، نحركو البرمة بالجريدة الخضراء، ولأزم نخلوها جارية، باش يجينا العام خفيف كيما تشيشة\*\*"، وهناك من يطهو الدشيشة بطريقة أخرى، كما أخبرتنا الراوية بقولها<sup>3</sup>: "حنايا نطيبوا تشيشة بسبعة خضاري لكائنة في الحوش\*\*\*"، هذا وتنوع الأطباق التي تعكس معتقدات المنطقة، فمنهم من يستقبل "خشوش العام" بتحضير طبق كسكسي بالديك البلدي، فقد أكد لنا الراوي أن جدته كانت تربي مجموعة من الديكة، ويتم ذبحها بمناسبة خشوش العام من كل سنة، وقد قال: "أن كبار النسوة اللاتي رحلن عنّا كنّ لا يفرطن في هذه العادة، وعادةً يكون في ليلة الاحتفال دخول العام كسكسي بالدجاج "السردوك"<sup>4</sup>.

\*قدما كنّا نحتفل بخشوش العام بتقديم أضحية وهذه العادة متبعة في كل المواسم، وبعد الذبح يقوم كبير القرية بأخذ عظم الكتف، وينظفها جيدا، ثم يوجهها إلى جهة الشمس، ويتبأ بحوادث السنة الجديدة، فيخبرنا عن حال المطر، وعن حال النّخيل، وعن غلة المواسم".

<sup>1</sup>تحصلنا على هذه المعلومات من عند الراوية فطيمة عامرة، 20-10-2022، 59 سنة، وادي سوف.

<sup>2</sup>لقاء مع الراوية ربح مصباحي، 20-09-2022، 63، وادي سوف.

\*\*نحضر جريدة خضراء ثم نربط فيها شتى أنواع الأوراق الخضراء فقط، ونقوم بتحريك القدر الذي يحوي الدشيشة بتلك الجريدة الخضراء، ويُشترط أن تكون جارية أي مائعة، وذلك تفاعلا ليكون العام أخضر وعام خفيف مثل الدشيشة.

<sup>3</sup>لقاء مع الراوية مسعودة كازوز، 21-10-2022، 60 سنة، وادي سوف.

\*\*\*نحن نطبخ الدشيشة مع سبعة أنواع من الخضر المتوفرة بالبيت.

<sup>4</sup>لقاء مع الراوي أحمد مشري، 63، 22 فيفري 2022، وادي سوف.

كما لا تنسى أبدا النساء في "سوف" إحراق البخور في هذا اليوم، لاعتقادهن أنض البخور تطلق الروائح الزكية وتطهر الأمكنة، كذلك يتم حرق "الطلوق"<sup>\*</sup>، وفي أغلب الحالات يكون أمام عتبات البيوت، ليبعد العين ويحفظ من أذى الأرواح الشريرة، وأيضا لاسترضاء "الصُّلاح"، أو "أهل الخير" كما يعرفون في المنطقة. وتُقدم النساء في سوف "للصُّلاح" (الحرس) نصيبهم من عشاء "خُشوش العام"، الذي يسمى في المنطقة "حُطوط" وهو نوع من القرابين التي تقدم للصُّلاح استرضاء لهم، ويتمثل في صنع كسكس باللحم ويشترط أن يوضع دون ملح، ويوضع في زاوية أو غرفة وكأنه مقدم إلى ضيف، ولأن الصلاح يكتفون بشم الأكل، فإنه في الصباح يقدم للأطفال، ومن عوائد النساء أيضا في "خُشوش العام" الامتناع عن غسل القدر والأواني<sup>1</sup>.

### ثانيا: أنثوغرافيا "ينائر" في منطقة القبائل

تُسمى رأس السنة الأمازيغية الجديدة في منطقة القبائل "إخف أوسكاس" (رأس السنة) أو "تابورت وُسكاس" (بوابة السنة)<sup>2</sup>، ولكل منطقة أمازيغية عاداتها الخاصة لاستقبال السنة الجديدة "ينائر" لكن عموما يجمعها تشابه كبير، ففي بداية السنة الفلاحية الأمازيغية حسب أعراف قرية "آث مهني" في ولاية البويرة، كما تخبرنا الراوية<sup>3</sup>: "زِيكُ ثِيلاوِينِ دِي يِنَايِرِ سِيْزِيْدِيْ قَتَتْ أَحَاْمَ أَدْبِدْلَنْتْ لُكَاثُونُ أَنْدَقْرَ أَيْنِ إِيْلَانِ دَ أَقْدِيمِ.. إِيْجَقْطُورِنِ، تَكْسِيوْتْ تَقْدِيمِيْتْ. زِيْكَ لَانَ سَعَوَانِنِ الْجِيْرِ إِحْيِيُوْطْ. مَ دَ لَاعَوَايِدِ نُنْقَابَايِلِيْنِ دِيْنَايِرِ سَوِيْنْتِيْدِ إِجْجِيْ فَنِ نَزْنَقَةَ إِسْعَانَ رِيْحَةَ بِنِيْنِ، أَمْ تِيْذِكْتْ \* تِيْذِكْتْ أَفِيْ سِيْرِيْدِنْتِ إِيْبِيْسِ إِجَقْطُورِنِ خِدْمِنْتِسْ دُفْ أَمَانَ بَاهُ أَدْفَاغْ لُبْنَانِسْ، سَمَقْارِنْتِ يِنَايِرِ سَلْمَكَلَاتْ نِ وَآثْ زِيْكَ"\*\*\*.

\*الطلوق: هو خليط من الأعشاب كالجاي والمُح، الشحم، كمون... الخ. ينظر: فهرست الصور (الصورة رقم: 06).

<sup>1</sup>تحصلنا على هذه المعلومات من عند الراوية خديجة فرحات، 88 سنة، 15-10-2022، وادي سوف.

<sup>2</sup>شريف أدراد، رأس السنة الأمازيغية (لحاكوز): عادات ودلالات تراثية، مجلة تيدخين للأبحاث الأمازيغية والتنمية، العدد1، السنة الأولى، 1434هـ-12963-2013م، ص89.

<sup>3</sup>تحصلت على هذه المعلومات من عند نجاة او عمران، نقلا عن: لويْزة دوايْدي، 56 سنة، قرية "آث مهني" (البويرة)، 14-2023-4.

\*\* ينظر: فهرست الصور (صوْر رقم 01، أ-).

\*\*\* قديما تعمد النساء إلى تنظيف البيوت، وتغيير أثاثي الموقد، ورمي كل ما هو قديم من أواني والبسة قديمة، ويقمن بإعادة صبغة جدران البيت، ومن تقاليد نساء القبائل أيضا في "ينائر"، جلب النباتات البرية الزكية الرائحة مثل نبتة الضرو (Lentisque) ويحرصن على غسل الأواني بها، وأيضا ترمي ورقة من هذه النبتة في الماء لتحسن من طعمه، ويتم استقبال السنة الجديدة بإعداد وجبات خاصة مشحونة بالرموز والمعتقدات.

وكما تَعَوَّد الأهالي في منطقة "تيزي وزو" على أن يكون فطور الصباح مميزاً في هذا الاحتفال، حين يُقدّم إلى أهل الدار ما لَدَّ وطاب من "تِيغْرِيفِين" *tighrifin* أي بغيرير، مسمن، سفنج *Lakhfaf*\*... الخ، وكل ما تطلبه الجدة الكبيرة يجهز، وأما عشاء يناير فغالبا ما يكون "سكسو سفعة إيسُوفَارُ *isufar* (كسكسي بسبعة حبوب جافة) يتكون من "حمص، لوبيا ملاعيون، فول، العدس والخضر الموجودة في البيت المهم تكون سبع مكونات، وبالذجاج البلدي *ayzid* *uhechad* الذي عادة ما يتم ذبحها في البيت القديم، وإذا كان الثلج ينزل، فإنها تفضل سيل دم الدجاجة فوق الثلج، لاعتقادهم أن امتزاج لون الثلج الأبيض مع الدم الأحمر، يجلب الحظ للبيت، يطبخ الكسكس على حطب جديد "تَقْجُمُورِثُ ن يناير"، ومن عوائد القبائل أن كل بيت يستدعي بناتهم المتزوجات لمشاركتهم العشاء، وتشرف كبيرة العائلة على إعداد الطبق بنفسها، و يقدم "السكسو" في قصعة كبيرة مزين بالبيض والدجاج البلدي، وتضع على "السكسو" الملاعق على حسب أفراد العائلة، وهي حين تضع أي مغرفة تسميها باسم أحد الأفراد الحاضرين، وإن كان أحد من أفراد العائلة غائبا تضع له أيضا ملعقة باسمه تقاؤلا بعودته، كما لا تنسى حصة الموتى من ذويبهم، إذ تضع ملاعق باسمهم، وحين يأكل الجميع ويبقى في القصعة بعض الطعام تأخذ الجدة ملعقة الطعام وتمررها على كل الحاضرين، ويجب أن تسمع كلمة شبعت من جميعهم، وإن حصل أن بقي الطعام تجمعه وتفرغه في ملاعق الموتى، ثم تضعه في جهة خاصة من البيت كالعتبة أو تحت الموقد أو تحت الشجر... ليأكله الحرس (إعساسن)، ومن تقاليد قرية "بوزقان"، بعد الانتهاء من وجبة العشاء، تأخذ الجدة مغرف المرق، ثم تطلب من جميع أفراد العائلة، أن يأكلوا القليل من مرق عشاء يناير، لاعتقادها أن هذا المرق يخرج من أجسادهم العرق الطارد للأمراض من الجسم، وبالتالي فإن مرق عشاء يناير يحمل بركة الشفاء حسبهم. ومن الأكلات التقليدية التي عادة ما يتم تجهيزها في منطقة القبائل "ايركمن ليهوا" أي قمح مشرمل، والعيش (البركوكس)<sup>1</sup>.

\* ينظر: فهرست الصور (صَوْر رقم، -أ، -ب، -ج-).

1 الراوية فروجة مدير، نقلا عن: الجدة حبيلة ن ساعيد، 76 سنة، ذراع الميزان، تيزي وزو، 25-03-2022.

فطيمة عزوق، 87 سنة، قرية حورة، بلدية بوزقان، تيزي وزو، يوم 1-10-2024. ينظر: التسجيل الصوتي رقم: (7).  
الراوية مريم عزوق، 19 سنة، طالبة جامعية في قسم الترجمة، أكدت لنا أن جدتها تُمارس هذا الطقس في "يناير"، تم اللقاء معها يوم 2024-10-1

ويحرص أن يتبادل الجيران ما طبخوا في هذا اليوم المميز، وهكذا يحتفل القبائل في جو يسوده الفرح، يشعلون الشموع ويغنون، وأيضاً تحرص كبيرة العائلة على تخضيب أيدي الحاضرين بالحناء كبيرهم وصغيرهم، وفي يَنَّاير يخرج في الصباح الباكر كل من يملك الأبقار والأغنام (المَال) ليرعاهم، اعتقاداً منهم أنهم يستقبلون قدوم يناير، حتى قيل إنهم في ذلك اليوم من كل سنة تنزل المطر، لذلك يحرص المزارع على بذر ما يملك من الحبوب المختلطة على الأرض من قمح أو حمص أو كل ما يود زرعه ونبته، وبإذن الله فإنها تصلح وتثبت وتؤتي ثمارها<sup>1</sup>.

وفي قرية "بني معوش ببجاية"، تحضر الفطائر بمختلف أنواعها لاحتوائه على الخميرة التي تعتبر فالاً عن الكثرة؛ لأن الخميرة إذا وضعت في العجين تضاعفه، إضافة إلى الكسكس بمرق الخضار والدجاج والبيض، كما يتم تحضير "إمسنى أوسفاس" (عشاء رأس السنة الأمازيغية) وعادة ما يكون كسكسا بسبع خضر أو البركوكس أو الخبز العشبي "من النعناع والفليو والريحان..."<sup>2</sup>.

وقد اعتاد أهالي قرية "حُورَة" ببلدية "بُورْقَان" بتيزي وزز، كما أخبرتنا الراوية<sup>3</sup>، على ممارسة طقس معين في "يناير"، بحيث تختار الجدة إحدى بنات العائلة وقد تكون أصغرهن، تسحبها معها إلى بيتهم القديم، وهناك تشعل النَّار بالموقد ثم تضع به حطبة، وحين تسخن جيداً، تمررها الجدة على حاجب البنت، وهي تردد صوتاً يشبه الزغرودة "رو رو رو"، حتى يتغير لون الحاجب إلى الأحمر. ولكي يُضمن نجاح هذا الطقس، يجب أن تذرف تلك الفتاة الدموع، ويعتقد الأهالي أن هذه الممارسة في يناير تجلب الحظ السعيد للفتيات. كما اعتادت عائلات أهل المنطقة على الاجتماع ليلاً في ساحة الدار ويستقبلون يناير بأغان وأهازيج خاصة، منها ما تُنتهي على أهل منطقة "حورة"، وأخرى ترحب بيناير بداية عام الأمازيغ<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> نجاة اوامرمان، نقلا عن: سعدية اوامرمان، 42 سنة، قرية "آث مهني"، البويرة، 22-10-2023.

<sup>2</sup> طليلب نسيمية، الأبعاد الأسطورية للطقوس الاحتفالية في منطقة القبائل بالجزائر دراسة سيميولوجية لعينة من الطقوس الاحتفالية في "بني معوش" ببجاية، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في علوم الاعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والاعلام،

قسم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، 2010-2011، ص195.

<sup>3</sup> الراوية مريم عزوق، المصدر السابق.

<sup>4</sup> مريم عزوق، ينظر: المقطوعة كاملة في فهرست مدونة. والتسجيل الصوتي رقم: (5)، (8).

ومن عوائد القبائل في "يناير" تقديم الذبائح، وإذا كانت العائلة ميسورة يتم ذبح ديك عن كل ذكر ودجاجة عن كل أنثى، في حين يتم ذبح ديك ودجاجة عن المرأة الحامل تيمنا بإنجابها لمولود ذكر، ولدرء أخطار الأرواح الشريرة في بداية السنة، تقوم النساء بفسخ النسيج (أزطا)، حتى لا تعلق بين خيوطه الأرواح التي تزور المنزل خلال هذه الليلة، كما تُمارس طقوس الكهانة في هذا الاحتفال، من ذلك يعتقد القبائل أن الطعام إذا زادت كميته بعد الطهي فسيكون محصول العام وفيرا، ومن التآبوهات التي يجب احترامها في هذا اليوم، منع على المرأة الحامل وضع حزام على بطنها وإن خالفت هذا الأمر فستصاب بالعقم<sup>1</sup>.

ومن عادات بعض المناطق القبائلية في هذا الاحتفال، أخذ الطفل إلى الحلاق، وحين عودته تستقبله نساء المنزل بالزغاريد، ويستقبله الرجال بالهتافات، وتقوم الأم بتحضير طبق كسكس غليظ (بركوكس)، ويستلزم أن يمزج بحبات الفاصوليا القبائلية، مع القليل من لحم الدجاج، وزيت الزيتون، ويقدم له في صحن كبير ليأكله حتى يشبع<sup>2</sup>. وفي دائرة "عين حمام" يتم قص شعر الطفل الصغير من جهة الشِرص\*، ثم تأخذ الجدة الطفل وتمسح على جهة الشِرص بدم الدجاجة التي ذبحت لإعداد كسكس يناير<sup>3</sup>، وأما في قرية بني معوش ببجاية فيتم اقتناء كل أنواع الثمار والفواكه والحلويات وخلطها في جفنة كبيرة ويفرغ الخليط على أصغر فرد في الأسرة متمنين له طول العمر والخير الوفير<sup>4</sup>، وفي منطقة "نراع الميزان" بتيزي وزو" يوضع المولود الجديد في هذا اليوم في جفنة ويصب من فوق رأسه خليط من المكسرات والحلويات، فألا بأن تكون حياته سعيدة، وأن يبلغ ما بلغ كبير العائلة من عمر وأكثر، وأيضا الولد الذي بلغ الثامن عشرة من عمره تُعطى له النقود ويقصد السوق لوحده، يشتري رأس عجل فالأ ليكون أب العائلة يعني مستعداً للمسؤولية<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: شريف أدرناك، رأس السنة الأمازيغية (لحاكوز): عادات ودلالات تراثية، ص 89.

<sup>2</sup> تبيل حويلي، منظومة الأسطورة في منطقة القبائل -دراسة أنثربولوجية-، أطروحة لمناقشة شهادة الدكتوراه، جامعة مولود معمري -تيزي وزو- 06-10-2016، ص 48-49.

\*الشِرص: النزعتان اللتان في جانبي الرأس عند الصدغ. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1975، مجلد 7، ص 46.

<sup>3</sup> لقاء مع الراوية زهية شعبان، تيزي وزو، 11-06-2023.

<sup>4</sup> طييب نسيم، مرجع سابق، ص 196. ينظر: فهرست الصور: (صوّر رقم 01، -ج-).

<sup>5</sup> الراوية فروجة مدير، نقلا عن: الجدة حبيبة ن ساعيد.

ويذكر الباحث "خالد عيقون" تقاليد منطقة جرجرة، فحسب ما أورده يتم في احتفال تحضير سبعة أنواع من الأطعمة التقليدية اعتقاداً أن من يتناولها لا يدركه الجوع طوال أيام السنة، وفي هذا يقول الشاعر ناصر غزالي:

سبعة اسوفار ايدسناولغ

نزلو ايوزاظ نسكسو ابسار

ثغريفين اكذ اشباط

لخفاف امذكر

انغمان س الزيت

وين ييغان اديسيسن\*

وتحكي فيه سبع حكايات، ويجبر كل فرد من أفراد الأسرة أن يحكي حكايته المفضلة، ويتضرع الأطفال الصغار إلى الله أن يغيثهم بالتلوج، ليمرحوا به ويشكلوا به تماثيل متنوعة ويتزحلقوا عليه، وذلك على شكل أنشودة:

أربي أفكدُ أمشيمُ اللهم اسقط الثلوج

أنشُ أنسو أنقيمُ نأكل ونرتوي ونستريح

إزقارنُ أسنمودُ أليمُ ويكفي مواشينا التبن<sup>1</sup>

كما تستغل الكثير من العائلات مناسبة دخول السنة الجديدة "يناير" لممارسة طقس الختان. ومما اعتاد عليه الأطفال في هذا اليوم، اجتماعهم حول الجد أو الجدة، و قص عليهم مآثر وبطولات وعادات الأمازيغ كصنع الأواني الفخارية وطريقة النسيج... وأقاصيص حدثت في مثل هذا اليوم أي 12 يناير كقصة شاشناق ملك الأمازيغ الذي ذهب إلى مصر وانتصر على الملك المصري

\*تطبخ الطعام بسبعة حبوب جافة

نذبح الدجاج مع كسكس "أبيساز"

البغريز مع الزقاق

التين بالزيت

لمن أراد أن يغمس

<sup>1</sup> خالد عيقون، عجوز يناير، دراسة ميدانية أنثربولوجية، دار خيال، دط، دت، ص33.

رمسيس الثالث، كما يمارس القبائل بمناسبة "يناير" عادة "ثاوزاغت" أي لوزيعة، بحيث يشتركون عجلا سميئا يذبح ويوزع بالتساوي على فقراء "الدَّسرة"، كما تُخضب النساء أيدي الأطفال بالحناء، وتكثر في يناير الدعوات والزيارات في ليلة يناير<sup>1</sup>.

وفي منطقة "بني عموش" بـ "بجاية" تلتزم النساء ببعض المُحرمات، حيث يتجنبن غليان الماء في هذا اليوم لاعتقادهن أنه "ماركمان وامان قشوى اذركمن ايبعاش قصيف" ومعناه أن الماء إذا غلي في الشتاء فإن الديدان ستغلي بكثرة في الصيف، وسيعم الحر الشديد ويمارس هذا الاعتقاد لمدة ثلاثة أيام من 12 إلى 14 يناير، كما يعتقد الأهالي في منطقة بني معوش ببجاية أن حرارة شهر أوت تكون قدر تساقط الأمطار في شهر يناير حتى تبلغ الحرارة مقدار مياه الأمطار في جوف الأرض، ويسود الاعتقاد عند المحتفلين أن الثمار التي لا يتم جلبها في هذه الليلة ستحرم منها العائلة طيلة السنة، وتغيب عن البيت البركة<sup>2</sup>.

هكذا إذن يستقبل أهالي المنطقتين السنة الجديدة باحتفالات شعبية خاصة، تُجرى من خلالها طقوس: التَّجديد، التَّطهير والكهانة، التَّابوهات، والتَّأثير وغيرها من الممارسات التي يراد منها جلب المنفعة العامة.

### ثالثا: فولكلور احتفالات السنة الجديدة في بعض المناطق الجزائرية وبعض الدول المغاربية

احتفالات يناير ليست منحصرة في جهات معينة في القطر الجزائري كما يظن البعض، فقد أثبتت الدراسات الأنثربولوجية أنه احتفال سجل حضوره في العديد من الولايات منذ القدم، فقد أجرى الباحثان "إدموند ديستان" و"محمد بن حاجي سراج" دراسات أنثوغرافية، جمعا من خلالها عادات ومعتقدات الناير في بني سنوس جنوب غرب مدينة تلمسان، حيث يحتفل بيناير في المنطقة يوم 14 يناير من السنة الغريغورية، وحسب ما أورده "إدموند ديستان" فإنه كان تتم التحضيرات للاحتفال قبل أيام من مواعده، بحيث تشتري العوائل ما يلزمهم من وقود وخضر وبيض ودجاج وفي الأيام الأربعة الاحتفالية لا يتناول خلالها النَّاس إلا الأكل البارد، وتخرج النَّساء والأطفال في الصباح الباكر لجلب النباتات الخضراء وبعض الأعشاب الجالبة للحظ السعيد، ويلقى بها في

<sup>1</sup> الراوية فروجة مدير، نقلا عن الجدة حجيلة ن ساعيد.

<sup>2</sup> طيلب نسيمه، مرجع سابق، ص 196.

سطوح المنازل حتى تجف، ويتجنبون الأعشاب المرة لاعتقادهم أنها تجلب الحظ السيئ طوال السنة، كما تعمد النساء إلى تغيير أثافي الموقد، وإيقاد النار بحزمة جديدة من الحلفاء، يأتي بها الأطفال من الجبال في نفس اليوم، أما الرجال فمهمتهم في الاحتفال تقديم الذبائح التي يتم أكلها في اليوم الثاني من النَّاير<sup>1</sup>، ويتم في يناير ذبح الدجاج بعدد أفراد الأسرة، أما عن عشاء النَّاير فغالبا ما يكون كسكسا غليظا بالحليب، ويقدم منه إلى الأرواح الحارسة للبيوت، حيث توضع حبات فوق الموقد وعلى أعمدة البيوت. من التابوهات التي تلتزم بها النساء عدم غسل الأواني كما تمتع الأسر من نفض فتات الخبز لاعتقاد الناس أن الجنة تشاركهم الاحتفال بالمناسبة، ومن تقاليدهم امتناع الناس عن أكل خبز الشعير واستبداله بخبز القمح، وعدم رمي قشور البيض في الأرض حتى لا يصيب من يمشي عليها مكروه، ويعتبر النَّاير مناسبة للتكافل الاجتماعي والمصالحة بين المتخاصمين. وفي احتفالية يَنَّاير بمنطقة بني سوس تُؤدى ألعاب احتفالية خاصة بهذه المناسبة منها "لعبة الأسد"، التي يؤديها شابان يمثل أحدهما الجزء الأمامي للأسد والآخر يمثل الجزء الخلفي، يضمهما كيس واحد مصنوع من الشعر مشدود بصفائر من الحلفاء، يجوب الأسد زائرا الشوارع والبيوت يلحقه الشباب محدثين ضوضاء وهم يرقصون و يرددون: "أعطونا شي ينعشى به الأسد" وكل بيت يعطيهم حسب المتوفر من خبز وثرید وتين وسفنج، ثم يمكنون في مكان معين ليأكلوا ما جمعه، كما يمارس الأهالي في بني سوق طقوس العرافة والتفأول حين يتوجه أرباب البيوت بعد تناول عشاء يناير إلى مكان نعاجهم لكشف حوادث السنة الجديدة، فيبدؤون بمساءلة النعاج إذا كانت السنة جيدة أم سيئة، ويفهمون الجواب من الإشارة التي تطلقها النعاج، فإذا ثغت يستبشرون خيرا بالسنة، وإلا فإنهم يتوجهون نحو الأبقار، فإذا ردت بخوارها فإن محصول العام سيكون متوسطا، وإلا فإنهم يتوجهون إلى الماعز فإذا ثغت يعرفون أن

<sup>1</sup> ينظر: زمام ربيع، راشدي بن يمينة، رأس السنة الجديدة في بني سنوس: عادات ومعتقدات، مجلة الأنثربولوجيا، مجلد 4، العدد 07، 2018، ص 96.

محصول العام سيكون ضعيفا، وإن لم تصدر أي واحدة من هذه الحيوانات صوتا يتشاعمون من العام الجديد<sup>1</sup>.

ومن العادات والتقاليد التي دونها "محمد بن سراج"، جلب الخضر للدار تفاؤلا بها ليكون العام أخضر، كما أن الأهالي يتفعلون إذا فاضت عجينة السفنج ويعتبرونها إشارة على قوة خصوبة السنة الجديدة، وتعود الناس في يناير على استهلاك كميات كبيرة من الفواكه الجافة، ومن الطقوس التي تمارسها النساء ردم في موضع الكانون عظمٍ وقليلٍ من السكر والقهوة، لاعتقادهم أنها تجلب الأشياء النادرة. تحرص النساء في المنطقة على ممارسة طقس ربط الدجاج بالبيت لكي لا تبيض في مكان آخر غيره، تأخذ المرأة دجاجها ثم تقوم بتدويره حول الموقد سبع مرات وتردد التعويدة: "حانونو زانونو ما يفارق كانونو"، كما يستحسن في يناير استرجاع الأشياء المعارة حتى لا يفقد صاحبها الحظ. ويمارس الأهالي طقوسا متعلقة بالتطهيرات منها: لا ينبغي إعاة النار أو الملح أو مواعين الطبخ، وكذلك يمنع جلب مكنسة جديدة للبيت؛ لأن العمل بهذه الأمور تطرد البركة والرزق حسب اعتقادهم، كما تحرص المرأة على أن لا تحرق الطعام؛ لأن حرق الأكل يُخبر بعام عرضة للجفاف. ومن العادات أنه إذا مخض أول الحليب في السنة، فإن زبدته تُهدى إلى معلمي القرآن، الذين يردون على الهدية بكتابة تمانم تعلق على أعناق الأغنام تُركي الحليب، وتبطل محاولات سرقة الحليب أو الزبدة<sup>2</sup>...

وفي منطقة الأوراس تُسمى رأس السنة الأمازيغية "باب نوسقاس"، وللمنطقة طقوس مشهورة لاستقبال السنة الجديدة منها:

**طقوس التجديد:** الصعود إلى الجبل وجلب الأعشاب الخضراء وأشعال بها نار الموقد، تفاؤلا ليكون العام أخضر، وإلقاء الرماد القديم في حفرة كرمز لنهاية السنة الفارطة، واعتقادا منهم أن بقاءه في العام الجديد يعتبر نذير شؤم، خاصة لو كان العام القديم جافًا، وأيضا شراء أواني جديدة والاستغناء عن تجهيزات المنزل البالية.

<sup>1</sup> ينظر: زمام ربيع، راشدي بن يمينة، رأس السنة الجديدة في بني سوس ص 97-98.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 99-100.

**طقس التوقعات:** حيث تقوم عجوز كبيرة بوضع مقدار ثلاثة أصابع من العجين غير المتماسك مع قليل من الزيت والسكر ويُسمى "أركثي"، ثم تضع العجينة على إحدى أحجار الموقد "ينين" yenyen وبعدها يتكهنون بما سيحدث في العام الجديد.

**أطباق يناير:** تحضر الأوراسية طبق "ارشمن" الذي يعتبر رمزاً للنماء، وكذلك طبق "البركوكس" بلحم الديك، والطمينة، والغرائف الحلوة ويحضرن هذه الحلويات تفاؤلاً بسنة حلوة. يفضل تجنب قتل الكسكس في يناير لاعتقادهم أن قتله في هذا الاحتفال يجلب النمل والحشرات في فصل الصيف<sup>1</sup>.

**ممارسات متعلقة بالتبرك:** تذهب النساء بعد مرور أسبوع من دخول يناير إلى "الخلوث" (المغارات) للتبرك بالأولياء والتقرب من الأرواح الخفية واسترضائهم، ويمارسن عدة طقوس في المغارات كالتبخير وتقديم القرابين، وعادة ما تكون طعاماً يوضع في المغارة، وأما الرجال فيقدمون الذبائح. وفي حال تأخر المطر في شهر يناير، تتبرك النساء في إحدى المناطق الأوراسية بشجرة "أسطا اشليقن"، لأن نزول المطر في هذا الشهر يبشر بالمحصول الوفير، وفي مناطق أخرى يتبركن بشجرة الزيتون، حيث يطفن عليها سبع مرات لاعتقادهن أن الشجرة تضمن لهن الصحة والعافية في العام الجديد

**ممارسات فلاحية:** تقوم امرأة لديها ذكور بوضع السكر في الماء وترميه في الحقل تفاؤلاً بسنة جيدة، وتستبعد المرأة العقيم من دخول الحقل؛ لأنها تعتبر فال شر على العام الجديد<sup>2</sup>.

ومن الطقوس المشهورة بـ "تبسة" في احتفال السنة الجديدة، تنظيف البيوت وتغيير الأثاث وإفراغ الموقد (شمينو أو شميني) ورمي الرماد في مكان بعيد، وتحذير الأطفال بعدم المشي عليه أو تخطيه، حتى لا تصيبهم لعنة الجنون، كما تقدّم الذبائح وعادة ما تكون دجاجة أو ديكاً ويتم ذبحها وتعتبر أضحية رأس العام، ويسود الاعتقاد في المجتمع التبسي أن الذي يذبح في رأس

<sup>1</sup> ينظر: عبد السلام جدرابي، سهام وناسي، ممارسات المرأة الأوراسية في الاحتفال بالعيد الفلاحي يناير ورمزيته منطقة - عرش علي بن صابور - أنموذجاً، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 07، العدد 2، ديسمبر، 2022، ص 367.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 368-369.

السنة يبقى رأسه مرفوعا وكرامته محفوظة طوال السنة، وفي هذا يقول المثل الشعبي: "في رأس العَامْ لي يَأْكُلُ رَأْسُ يَبْقَى رَأْسٌ"، أما عشاء "يناير في منطقة "تبسة" يكون الشرشم والكسكس ويُشترط إعداده يدويا، و يُمارس في بداية السنة الفلاحية طقس التَّكهن والتوقعات وأساسه تقليب الحجارة، وهي ممارسة خاصة بالرجال، حيث يتوجه الرجل الذي يملك قطعة أرض زراعية في الصباح الباكر ويقوم برفع إحدى الحجارة الموجودة بأرضه، فإذا وجد تحتها الحشرات استبشر خيرا بالسنة الجديدة لاعتقادهم أن الكائنات الحية ترمز للخصوبة، وأما إن رفع الحجارة ولم يجد الحشرات فإن هذا الأمر يعتبر فأل شر وأن محصول السنة يكون ضعيفا، كما ينبئ هذا الأمر في اعتقاد المتفاعلين الاجتماعيين عن موت الرجل أو أحد أفراد عائلته...<sup>1</sup>

كما تحتفل الشعوب المغاربية بصفة عامة بيَّنَّاير، وتجرى فيه نفس الممارسات تقريبا، مع اختلافات تعود إلى طبيعة كل منطقة، فقد أورد الباحث المصفي فرحات طريقة الاحتفال بيناير حيث يستغرق الاحتفال يومين، ففي اليوم الأول تعد النسوة طبق الكسكس مصحوبا بسبع أنواع من الخضر الطازجة، ويقدم مزينا بالبيض في قصعة كبيرة، ويشترط الأكل حتى الشبع، وفي الليلة الثانية يقدم طبق من الثريد يسقى بالسمن والعسل، ويرغم الآباء أولادهم أن يأكلوا كمية معتبرة من الأكل، وإذا امتنعوا أُرهبوهم "باللماسة"، وهي في المخيال الشعبي امرأة شريرة تختار الأولاد الأخف وزنا، ويحتفل بيناير في جو يسوده الفرح والمرح والتفاؤل<sup>2</sup>، وفي منطقة "دادس" في المغرب يُسمى الاحتفال بـ "ايض سكاس" حيث تحضر الأمهات الكسكس المسقي بسبعة أنواع من الخضر، ويتم إخفاء نواة التمر داخل وجبة الكسكس، وأثناء الأكل يكون العاثر عليها بمثابة الزوج أو المرأة المباركة طيلة العام، لذلك يجازى من قبل العائلة بأن تسلم له مفاتيح تدبير خزانة المنزل، وأما إن

<sup>1</sup> ينظر: صحرة شعوية، خضرة براك، المؤلف والمختلف في الفضاء الطقسي لاحتفالية يَنَّاير بين طقسنة الثَّبات وحتمية التَّغير قراءة أنثربولوجية في الدلالات والوظائف بالمجتمع التبسي، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة قسنطينة 2، عبد الحميد مهريين المجلد 6، العدد 2، ديسمبر 2020، ص493-494-495-496-497-478.

<sup>2</sup> ينظر: المصطفى فرحات، طقوس وعادات أهل "أبزو"، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات الفنية والتعبير الأدبية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2017، ص51.

كان العائر على النواة طفلا أو طفلة تُعطى المفاتيح لأمه<sup>1</sup>، وفي الأطلسين الصغير والكبير تعد النساء شربة "أوركيمن" التي تطبخ فيها جميع أنواع الحبوب والقطاني التي أنتجتها الأرض خلال السنة الفارطة، ويحرصن على الانتهاء من طهيها قبل غروب الشمس، وذلك قصد توزيع جزء منها على أطفال القرية، وتعتبر هذه الشربة من الوجبات الضرورية التي يتوجب على كل أسرة أن تتناولها في ليلة رأس السنة الفلاحية. كما تذبج كل عائلة دجاجة أو كبشا حسب الإمكانيات، ويتم إعداد طعام الكسكس من دقيق الشعير ومن جميع أنواع الحبوب والخضر<sup>2</sup>.

وقد كان التونسيون يحتفلون بيناير، هذا ما أشار إليه محمد الصادق رزقي في كتابه "الأغاني التونسية" ولكنه لم يتطرق إلى ذكر تفاصيل ليلة رأس العام الأعجمي وهي ليلة غرة يناير<sup>3</sup>، كما أكد الباحث محجوب السميراني بأنه بلغته روايات شفاهية عن هذا الاحتفال، دون إعطاء أي معطيات مفصلة حول ظروف تنفيذه وما يمكن أن يحتويه من أعمال مثل الطبخ والزينة واللهو والعروض الفرجوية<sup>4</sup>، نفهم من هذا الكلام اندثار احتفال يناير في تونس في العصر الحديث، وبهذا يكون احتفال يناير حلقة وصل بين الأمازيغ في كل البلاد المغاربية.

### المبحث الثاني: إثنولوجيا طقوس احتفالات السنة الجديدة في منطقتي وادي سوف والقبائل

بعدما تناولنا الجانب الأثنوغرافي، وجمعنا معلومات عن طقوس استقبال السنة الجديدة من الميدان، ننتقل الآن إلى المستوى الإثنولوجي، وفيه نعد إلى تحليل بعض الممارسات والطقوس المنتشرة بالمنطقتين ونتبين المعاني والرموز التي تحملها.

<sup>1</sup> ينظر: الحسن الكامح ومجموعة من الكتاب، إينايز: الذّاكرة والمُتخَيّل، مجلة مدارات للثقافة والفنون، دجنبر 2022، ص75-76.

<sup>2</sup> ينظر: عبد الكريم بركة، طقوس الاحتفال بالمناسبات والأعياد بشمال إفريقيا، مجلة الثقافة الشعبية، فصيلة علمية متخصصة، العدد 19، خريف 2012، ص91.

<sup>3</sup> ينظر: محمد الصادق رزقي، الأغاني التونسية، الدار التونسية للنشر، ط2، 1967، ص76.

<sup>4</sup> ينظر: محجوب السميراني، الأعياد الشعبية التونسية أوسو..النّيروز..عاشوراء، سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2018، ص66.

## أولاً: تجديد الأثافي وحصر النار

نلاحظ أن هناك عناصر متشابهة في الطقوس الممارسة لاحتفالات السنة الجديدة في منطقتي الدراسة، ومن أهمها طقس تجديد الأثافي، وهذا الطقس عام، عرف في معظم مناطق الجزائر، بل بكافة مناطق شمال إفريقيا كما نقله العديد من الأثنوغرافيين والأنثربولوجيين، فقد نقل "إدموند دوتي" طريقة ممارسة هذا الطقس عند "بني سوس"، حيث يجلب الصبيان من الجبل ثلاثة أحجار كبيرة، كما يأتون بحففات من التراب الأحمر إلى البيت، فتشعر النساء في تغيير أحجار الموقد بالحجرات الجديدة التي أتى بها الصبيان، ثم يقمن بعجن التراب الأحمر ويغلفن به الحجرات الجديدة، ويتركنها تجف حتى وقت طهي طعام العشاء، ثم يوقدن النار بالحلفاء التي جيء بها من الجبل<sup>1</sup>. وهناك من يذهب إلى أن عددا كبيرا من القبائل لدى الأمازيغ يقومون بتجديد أحجار الموقد، وإعادة بنائه بمناسبة بعض الاحتفالات، كما يمارس في يناير<sup>2</sup>، وأن ترميم الموقد أو استبدال أحجاره يعد طقسا مهما وجوهريا في طقوس رأس السنة الأمازيغية<sup>3</sup>، ويسمى هذا الاحتفال في منطقة الأوراس لدى الشاوية "بو إيني"، وبون إيني" و يفسرون كلمة "بو إيني" أي الوند\*؛ لأن الناس يغيرون في ذلك اليوم الأوتاد والعواميد التي تعلق فيها الأواني المنزلية<sup>4</sup> ويرجح "دوتي" أن يكون هذا الاسم من العوائد التي خلفها الرومان في المنطقة<sup>5</sup>. نلاحظ إذن أن هؤلاء الباحثين الأوروبيين يرجعون كل مظهر إلى الرومان وكأن هذا الشعب لا يملك ثقافة، إنما ينتظر أن يعلمه الرومان كل شيء عن حياته، لهذا نجد للباحث محمد أسوس رأيا آخر فهو يرجع الكلمة إلى أصلها الأمازيغي، على اعتبار أن لفظة "إيني" تعني الأثافية أو حجر الموقد<sup>6</sup>، كما أكد ذات الباحث أن هذا الطقس عرف أيضا بالمغرب تحت مسميات عدة، ففي اغجدامن بالأطلس

<sup>1</sup> ينظر: ادموند دوتي، السحر والدين في شمال إفريقيا، تر: فريد الزاهي، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2018، ص 447.

<sup>2</sup> ينظر: محمد أسوس، كوكرا في الميثولوجيا الأمازيغية، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، 2008، ص 83، نقلا

عن Laoust , Mots et choses berberes, p: 52

<sup>3</sup> ينظر: مرجع نفسه، الصفحة نفسها. نقلا عن Servier, Tradition et civilisation berberes, p:376.

\* لكن كلمة "إيني" وجمعها "إنين" في اللغة الأمازيغية - بمنطقة القبائل مثلا - تعني "الأثافي"، وليس الوند.

<sup>4</sup> دوتي، مرجع سابق، ص 449.

<sup>5</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 449.

<sup>6</sup> محمد أسوس، مرجع سابق، ص 84.

الكبير يعرف بطقس "تامسلا ن تاكت"، وفي الأطلس الكبير وسوس يسمى "أسبادل ن إينكان"<sup>1</sup>، أي تغيير الأثافي.

إن الهدف من هذه الطقوس الممارسة في احتفالات يناير، هو تشييع عام انتهت صلاحيته ونفدت كل محاصيله، والاستعداد لاستقبال "يناير" جديد أي عام جديد، تعاود فيه تقرير مصائر العالم، هذا الاستقبال يجرى بلغة "مرسيا إليا"، عن طريق إعادة ولادة العالم (كوسموغوني) Cosmogonie، أي العودة إلى نقطة البدء، النقطة التي خرج فيها الكون من العماء إلى الوجود، وبما أنه -عمليا- يستحيل معاودة الزمن، فإن الإنسان بوصفه كائنا متدينا يؤمن بإمكانية إلغاء هذا الزمن -الدينيوي-، والعودة إلى الزمن الأصلي، وسبيله في ذلك هي ممارسة الطقوس التي تحاكي أسطورة الخلق وبالتالي ضمان تجديد الكون<sup>2</sup>.

وإذا ما عدنا إلى طقوس استقبال العام الجديد، نجدها تبدأ من تجديد البيت وتغيير مأوى النَّار، وفي هذا محاكاة لأسطورة تكشف عن معتقدات الأمازيغ حول نشأة الكون، فيكشف النص الميثي الكوسموغوني عن الحدث الأول وعن كيفية تشكل الأرض، حيث تشير الأسطورة أنه في البدء كانت الأرض -لألا كايا تامورت- مغمورة بالماء والنار، وفي وقتها كانت الأرض تعاني كثيرا، الأمر الذي أزعج حارس السموات (أعساس ن إيكَنوان) ، وحين أراد أن يستفسر من الأرض عن سبب أنينها فأخبرته أن سبب معاناتها هو النَّار، وحين طلب من النَّار تقديم مبرر لفعالها، احتجت بعدم إقامة البيوت وغياب الحرس، وبعد حوار مثير استطاع حارس السموات خداع النَّار وإرجاعها إلى باطن الأرض، وتمت سن قوانين لإقامة العالم وتأنيثه عن طريق فك عقم الأرض "إقامة البيوت وإعطاء حارس لكل بيت"، ولكن النَّار أقسمت ناقمة بأنها ستعود حينما لا يبقى فوق الأرض أي بيت ذو حارس، وتحدث تفجيرات وفرقة كبيرتين، وهكذا تمكنت الأرض من العيش أخيرا في هدوء وصار البيت مسكونا بالحرس<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: محمد أسوس، كوكرا في الميثولوجيا الأمازيغية، ص 85.

<sup>2</sup> ينظر: مرسيا الياد، أسطورة العود الأبدي، تر: نهاد خياطة، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1987، ص42-72.

<sup>3</sup> ينظر: محمد أسوس، مرجع سابق، ص 75-76.

اعتمادا على هذه الأسطورة نستخلص أنّ قيام العالم حسب معتقدات الأمازيغ قائم على ثلاث مرتكزات وهي: النَّار المُخصبة، والبيوت والحرس، وسنكشف عن رمزية كل منها ودورها في ولادة وتشكيل العالم فيما يلي:

### 1- النَّار المُخصبة

من المعتقدات الأمازيغية التي تحوم حول النَّار كما تبين الأسطورة السابقة، أنه قبل ولادة العالم، كانت السيادة للنَّار المتوحشة فوق الأرض الأم، فقد كانت تحرق الأرض بلهيبها، وبالتالي تمنعها من الخصوبة، وهذه المرحلة يمكن أن نطلق عليها مرحلة العدم واللاتشكل أو العماء ففي هذه المرحلة لم يكن الوجود موجودا، فلا شيء يدبّ فوق الأرض، ولا أنظمة قائمة، ولا أماكن مقدسة<sup>1</sup>، ما جعل الأرض الأم تعاني من نَّار العقم التي حرمتها من نعمة الخصوبة والإعمار ووصلت معاناتها إلى حارس السماوات، الذي نزل إلى الأرض وسمع شكوى الأم، وبشيء من الإكراه والحيلة أجبر الأرض على الامتثال لطاعته، وفي هذه اللحظة فُكَّ عقم الأرض وولد العالم عن طريق إقامة البيوت وحصر النَّار تحت الأثافي وتعيين حرس يسيطرون عليها، وبفضل المرأة المسؤولة على القيام بأمر البيت، فهي التي تطبخ الأكل لأهل بيتها، نقلت سماتها التأثيرية إلى النَّار، فتحولت رمزية النَّار العقيمة والمعيقة إلى رمزية النَّار المُخصبة المنتجة. يبدو من هنا التَّحول من الطبيعية إلى الثقافة، وبفضل المرأة التي استغلت النَّار للطهي، تعددت أنواع المأكولات وهذا ما تفسره الأسطورة القبائلية، وفكرة الأسطورة أنه في البدء لم يكن النَّاس يعرفون النَّار وذات يوم كان رجل يصطاد في الغابة وفجأة تلبد الجو وقصف الرعد ما أدى إلى اشتعال النيران ما دفع فضول الرجل إلى مدّ يده للنَّار فأحرقته، ثم ذهب وأخبر قبيلته بما حصل معه، ليستفيد أحد الرجال من تجربة الصياد ويضع حطبا فوق النَّار وإذا به يشتعل، فقلّد جميع الرجال صنيعه وأخذوا حطبا مشتعلا إلى بيوتهم، وفي إحدى البيوت قامت عجوز بملء إناء ماء ووضعت فيه بيض دجاج، وكانت النتيجة غليان الماء، طبخ البيض، ومن هنا عرفت النساء طريقة الطهي وتفننت في

<sup>1</sup> ينظر: محمد أسوس، كوكرا في الميثولوجيا الأمازيغية، ص76.

إعداد الأطباق.<sup>1</sup>، إذا في الثقافة الشَّعبية ارتبطت المرأة بتأثير العالم عن طريق استغلالها للنَّار المخصبة، وبالتالي فهي الحارسة عليها الحافظة لأسرارها<sup>2</sup>، وبفضل الرماد الذي ينثر على الأرض يولد الزرع، والنَّبات، وبالتالي يعمَّ الخير الكثير في الطبيعة، كظهور الأشجار المثمرة في منطقة القبائل وسنأخذ مقطعاً من الأسطورة يبين رمزية النَّار ودورها في تطوير ثقافة العالم، تقول الأسطورة: " لما أخذ الرجال يشعلون حطب شجرة العالم، رمت نيران الأخشاب شرارات عبارة عن "تورزورق" أي نيران "القديس ألمي"، أو "نيران المباحج"، وبعدها ألقى النَّاس الرماد على سندان صغير، ومن رماد شجرة العالم نمت كرمة وتفرعت منها فروع صغيرة. وبعد مدة أثمر فرع من تلك الفروع عنبا اتخذت لونا أسود، وكل من يأكل منها تنمو على رأسه قرون الثور والكبش، بينما أثمر نوع آخر عنبا بلون أبيض، وأصبحت بمثابة دواء لكل داء، وحينما يأكل أحد من البشر العنب الأسود وتخرج له قرون يمكن له نزعها بتناوله العنب الأبيض. وهبت رياح على شجرة العالم وفرقتة عبر أصقاع الأرض، ولما اختلط بالرمال حلَّ الخير وانتشر في كل مكان، وحينما سقط الرماد نقيا ولم يختلط بأي شيء على بقاع أخرى نمت أفضل النباتات التي تحمل فوائد جمَّة<sup>3</sup>.

هكذا إذن تكمل هذه الأسطورة تلك الأسطورة النَّشكونية -نشأة الكون- لتثبت أن النَّار حين دجنت في البيوت تحولت وظيفتها من معقمة إلى مخصبة منتجة لشتى الخيرات الغذائية الموجودة في الطبيعة، كما نتبين من أساطير الأمازيغ دور النَّار المخصبة في انتقال الإنسان من مرحلة الوحشية والهمجية التي يتم فيها استهلاك الطعام نيئاً إلى مرحلة الحضارة حيث يُستهلك الطعام مطبوخاً، وفي هذه المرحلة حُرِّم أكل لحوم البشر واعتبر هذا الفعل من أعراض التدهور الثقافي، وكذلك أضفي على الأكل الطابع الإنساني، كما أنَّ المطبخ ساهم في تنظيم الحياة الاجتماعية من خلال تقسيم المهام بين الرجال والنساء، حيث أصبح العالم الخارجي أي خارج البيوت "مكان الأثافي" من مهمة الرجال، فتكفلوا ب جلب المواد الخام، وأما المرأة فقد اهتمت بالحياة الداخلية

<sup>1</sup> ينظر: نبيل حويلي، منظومة الأسطورة في منطقة القبائل -دراسة أنثربولوجية-، مرجع سابق، ص 164.

<sup>2</sup> ينظر: فراس السواح، لغز عشتار، الألوهية المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، دار علاء الدين، ط1، 1985، ص 33.

<sup>3</sup> ليو فروبينوس، أساطير قبائلية في خلق الكون وتصور العالم، تر: نبيل حويلي، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع،

ونقصد داخل البيت عن طريق تحويل المواد الخام التي ينتجها الإنسان والأرض إلى منتجات طهي تغذي الأسرة، وذلك بفضل استعمال النَّار والماء<sup>1</sup>.

إن تدجين النَّار المخصبة داخل البيوت، يحفظ توازن العالم مادام زج بها في الأثافي باعتبارها تقع في مركز البيت، من ذلك تعمد النَّساء في منطقة القبائل على عدم إخماد النَّار ليلة رأس السنة، ويعتبرن إخمادها شؤماً، لأنَّ إشعالها في هذا اليوم يقوي الخصوبة ويجلب الأمان، على مدار السنة كلها<sup>2</sup>، نتبين إذا نظرة الأمازيغي المقدسة للنَّار، إذ تعد من معبوداته قديماً، وقد ظلت عبادة النَّار "أفا" عند الأمازيغ مترسخة في المغرب الكبير مدة طويلة<sup>3</sup>، وسنجد ممارسات مشابهة لهذه في احتفالات رأس السنة عند الفرس وعند المسيحيين وعند البابليين والمصريين قديماً، لذا هناك من يرى أن البربر "كان دينهم دين المجوسية شأنهم شأن الأعاجم كلهم بالمشرق والمغرب، ثم دانوا بديانات من غلب عليهم من الأمم فتهودوا وتتنصروا وأسلموا بعد ذلك"<sup>4</sup>، كما تم تبجيل النَّار منذ فجر التاريخ، وربما قبل ذلك خلال العصور الحجرية<sup>5</sup>. لكن يبقى الكابوس الذي يلزم الإنسان هو العودة إلى الحالة الأولى، مرحلة الفوضى والعماء والعقم، ذلك أن النَّار المعقمة كما بينت أسطورة الأمازيغ حول نشأة الكون، هدّدت حارس السماوات بالعودة حين لا يبقى فوق الأرض بيت ولا حارس، وهذا ما يبرز الصراع الخفي والعنيد بين الطبيعة أي الحالة الأولى، والثقافة الخصبة، وإذا كانت السنة الجديدة تعني العودة إلى نقطة الانطلاق، فإن مخاوف الإنسان تتلخص في "آلام التاريخ"، وبما أن الإنسان بوصفه كائناً لا يتحمل آلام التاريخ، وجب عليه احترام الشريعة بالعيش وفقاً للنماذج البدائية<sup>6</sup>، ووفقاً للأسطورة الأمازيغية فإن النموذج الأول يتمثل في حصر النَّار داخل البيوت، وبهذا فإن طقس "تجديد الأثافي" الموجودة في احتفالات رأس السنة

<sup>1</sup> Voir: Camille Lacoste-Dujardin, Dictionnaire de la culture berbère en Kabylie, la Découverte, Paris, 2005, p109-110.

<sup>2</sup> ينظر: محمد أسوس، كوكرا في الميثولوجيا الأمازيغية، مرجع سابق، ص 84.

<sup>3</sup> عبد اللطيف هسوف، الأمازيغ قصة شعب، مرجع سابق، ص 26 نقلاً عن ابن خلدون.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>5</sup> فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، الشعوب البدائية والعصر الحجري، الكتاب الأول، تر: غادة جاويش، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط4، 2017 ص35.

<sup>6</sup> ينظر: مرسيا الياد، أسطورة العود الأبدي، مرجع سابق، ص168.

في منطقتي الدراسة، غرضها بالأساس تحيين البدايات من أجل تثبيت النظام الثقافي القائم على الخصوبة، والعامل الأساسي لذلك هو المرأة، فهي التي تعمل على إعادة إنتاج التنظيم الاجتماعي، وأيضا إعادة إنتاج تنظيم العالم حسب معتقدات الأمازيغ.

## 2-تدجين الحرس الصُّلاح

بما أن الإنسان ابن بيئته كما يعتقد ابن خلدون، فإن كل الثقافات الإنسانية قالت كلمتها نتيجة تفعيل ملكة الخيال، الذي يتأثر بطبيعة بيئة الساكنة، ونتيجة لذلك تولدت أساطير وحكايات وفنون قولية، يستمد منها الإنسان القوانين والقيم التي يركن إليها، ومن جملة المعتقدات التي آمن بها نفر غير قليل من البشر "المخلوقات الغيبية"، لذلك ولفهم الطقوس المتعلقة بتجديد البيوت وتغيير أحجار الموقد، وجب إمطة اللثام عن هوية الحرس وعن معتقدات القبائل والسّوافة عليهم. يؤمن السّوافة والقبائل، بوجود كائنات غير مرئية يُطلق عليهم في المنطقة "وادي سوف" "الصُّلاح"، وفي منطقة القبائل "إعساسن" *Aussas/iassasen* تتشارك المنطقتان في معتقداتيهما عن الحرس، فهي في ثقافة العامة كائنات خلقها الله لتحرس النَّاس وتساعدهم، ففي منطقة "القبائل" يُعتقد أن كل منزل له حراسه، بل كل قرية لها ولي أمرها في الطبيعة، تسكن هذه الكائنات حسب اعتقاد الأهالي الأشجار القديمة أو الصخور أو الكهوف أو الدوائر، أو أكوام الحجارة الجافة، لذلك حين المرور بهذه الأماكن يجب ترك قرابين لها لاسترضائها، خاصة في المناسبات الموسمية أو الدينية، ويعتقد أنّ لها مجالس تعقد لمناقشة سلوك النَّاس<sup>1</sup>، ويسود الاعتقاد في منطقة "وادي سوف"، أن "الصُّلاح" هم نوع من الجن المسلمين، هذا ما قالته الراوية: "هُم جُنُون بَصَحْ مُسْلَمَة"<sup>2</sup>، لهم سمات خاصة فهم أهل خير غير مرئيين، قد يتشكلون في صورة إنسان في بعض الأحيان، مثلا أخبرني أحد المشتغلين بالسّحر الأبيض، أنه كان إذا أُشكّل عليه أمر ما، وعجز على إشفاء مريض، ظهر له أحد صُلاح البيت ليصف له العلاج<sup>3</sup>، لكنّ "الصُّلاح"

<sup>1</sup>Voir : Camille Lacoste-Dujardin op.cit, p:16-17.

<sup>2</sup>الراوية مريم عمامرة، 90 سنة، 10-10-2022، وادي سوف.

<sup>3</sup>لقاء مع الراوي علي حمادي، 79 سنة، 17-10-2022، وادي سوف.

موسمون بنسيان وجوهم في اللحظة، أي الذي يراهم لا يستطيع حفظ ملامحهم، يسكنون مع الإنسان في عالم موازي، وقد قيل إن النَّاس قديما يسمعون حسهم ودبيبيهم لكنهم لا يقربونهم، فقد قالت الراوية: "كُنَّا نَسْمَعُوهُمْ وَنَشُوفُوا خَيَالَاتُهُمْ كِي يُعُودُوا بِدِرَابُوا وَلَا يَفْضُوا بِصَحَّ مَا يَقْرُبُونَاش وَمَا يَأْدُونَاش"<sup>1</sup>، لكن مع كثرة الساكنة ومع التطور الحاصل لم يعودوا يسمعونهم إلا مرات، للحرس في المعتقد الشعبي ناموسهم الخاص فنظامهم ليلي، فهم يتحركون في الليل ويهجعون في النهار، على حد قول الراوية<sup>2</sup>: "إِلِيل لِحِمَاعَةَ بِسْمِ اللّٰهِ وَالنَّهَارُ لِيْنَا"<sup>\*\*</sup>، لذلك يبغضون تحركات الإنسان الليلية، في المنازل يسكنون العتبات، وأذكر قديما كان الأهالي يمنعونا من النوم ليلا أمام العتبات، بسبب أن هذا الأمر يزعج "الصَّلَاحُ"، كما يتخذ الحرس مكان موقد النَّار في المطبخ سكنا لهم، لذلك كانت النَّساء حينما يطبخن لحما أو شحما يأخذن قطعة صغيرة ويرمينها أمام الموقد ويطلبن منهم الرضى عليهن، فيخاطبونهن بقولهن<sup>3</sup>: "هَآكُمُ كَرَامِتِكُمْ وَأَعْطُونَا حَنَانِتِكُمْ لَا تَأْدُونَا لَا نَأْدُوكُمْ"<sup>\*\*\*</sup>، "يَا أَسْيَادِنَا هَآكُمُ كَرَامِتِكُمْ وَأَغْسَلُونَا بِسَلَامِتِكُمْ"<sup>\*\*\*\*</sup>، كما يمتنع عن كنس مكان الموقد خاصة في الليل، بمبرر أن الحرس يقتاتون على بقايا الطعام، كما أنهم قد يسكنون الأشجار أو الآبار أو العيون... إذا ذكر الحرس لا تعدد إلا محاسنهم، وقد لاحظت أن المُخبرَات حينما أسألهنَّ عن الحرس يفرعن ويطلبن مِنِّي أَلَا أَسْمِيَهُمْ، بل أكتفي بقول "أَهْلِ الْخَيْرِ"، ويمنع الكلام العاطل عنهم ولو كان مزاحا خوفا ورهبا، ويُعتقَدُ أنهم هم الذين نظموا حياة البشر وهم المتحكمون بمصير الإنسان، وكل ما يدب فوق الأرض، لهذا فهم يحظون باحترام وتقدير كبيرين في العُرف العام، فإذا أراد الإنسان شيئا من خير الدنيا، أو أراد اتقاء شرّ شيء فإنه يتوجه إليهم متضرعين قولا وفعلا، عن طريق ممارسة طقوس خاصة؛ كإحراق البخور، أو تقديم الذور وغيرها.

\*كُنَّا نَسْمَعُوهُمْ، ونلمح خيالاتهم، حينما يكونوا يتدربون أو يمارسون انشغالاتهم، لكنهم لا يقتربون منا ولا يؤذوننا.

<sup>1</sup>الراوية فتيحة حرم وكواك، 70 سنة، 03-10-2021، وادي سوف.

<sup>2</sup>الراوية ربح مصباحي، 63 سنة، 20-09-2022، وادي سوف.

<sup>\*\*</sup>تتصد بقولها أَنَّ اللَّيْل مَخْصَصٌ لِلْحَرْسِ، وَالنَّهَارُ مَخْصَصٌ لِلنَّاسِ.

<sup>3</sup>الراوية فطيمة عمامرة.

<sup>\*\*\*</sup>خذوا كرامتكم، وأعطونا حنانكم لا تؤذونا ولا تؤذوكم.

<sup>\*\*\*\*</sup>يا أسيادنا، خذوا كرامتكم، واغسلونا بسلامتكم.

تقدم الأضاحي للكائنات الخفية التي تسكن البيت، فحسب اعتقاد الأهالي فإن هناك عهداً بين الإنسان والكائنات الخفية، يقتضي بضرورة إراقة دم عند إقامة أي شخص في البيت، وهذا الطقس مازال ساري المفعول في منطقة "وادي سوف"، فحين بناء بيت جديد يلزم ذبح أي حيوان قبل إقامة أهله فيه، وكذلك حين يرغب أي شخص خارج أهل البيت الإقامة فيه ولو ليوم واحد، حيث أذكر في صغري حين أردت النوم ليلاً في بيت أحد الأقارب، اشترط رب البيت ذبح أي حيوان حتى يأذن لي بالمبيت، وبالرغم من أن الوقت كان متأخراً اضطررنا إلى الخروج بحثاً عن حمامة، ومن حسن حظنا وجدنا حمامة واشتريناها وقدمناها لمالك البيت وذبحها، وحينها أذن لي بالمبيت، اعتقاد منه أنه إن لم يفعل ذلك يكون قد اخترق الاتفاق، وقد تُسلط عليه القوى الخفية لعنات يصعب رفعها. نلاحظ إذا نظرة الاحترام والحذر من هذه الكائنات غير محددة الهوية، وينتشر هذا الاعتقاد أيضاً في منطقة القبائل، فقد كانت النساء تحلفن القسم للتوفيق بينهم وبين الأوصياء، وكنّ يقدمن لـ "عساسن" الكعك والتين، ويستحمن في الينابيع التي تسكنها، ويربطن قطع من الأقمشة على أغصان الأشجار المسكونة<sup>1</sup>.

تتقاطع الثقافات الإنسانية في الاعتقاد بوجود كائنات خفية شريرة وأخرى خيرة، فهذا الاعتقاد بدأ مع الإنسان البدائي كإحساس، ثم ما لبث أن تحوّل إلى اعتقاد أثر على فكر الإنسان، والأمازيغ كغيرهم من الأمم لم يسلم تراثهم من هذا الاعتقاد، فإذا عدنا إلى ذاكرة الأمازيغ نجد العديد من الأساطير التي تبرر وجودهم وأماكن إقامتهم، ففي منطقة القبائل "آيت ملال بضواحي عين الحمّام"، تقول الأسطورة: "إنه عندما خُلق كل شيء، وحينما كان كل شيء يتكلم وينطق، تحدثت الأشجار والأحجار والصخور والمجاري المائية وعناصر الطبيعة الأخرى وخاطبت الربّ قائلة: "أيا رب السماوات والأرض، لقد خلقتنا ولم تجعل لنا من يحرسنا ويدفع عنا الخطر والأذى؛ لأنّ البشر يفعلون بنا ما يشاءون بل وصلت بهم الحقارة لأن يهدموننا ويصقون ويتبولون علينا، إنهم يدنسون روحنا الطاهرة ولا يكثرثون لأمرنا، فقام الإله وخلق "عساسن" وأمرهم بأن يمكثوا في الأشجار والأحجار، والينابيع وغيرها ولا يبتعدون عنها أبداً"<sup>2</sup>. وبسبب تعاقب الثقافات لاسيما الثقافة الإسلامية التي استقرت في المنطقة، فإن هذا المعتقد انتعش بفضل إقرار الإسلام بالجن وبالعالم

<sup>1</sup>Camille Lacoste-Dujardin: Dictionnaire de la culture berbère en kabylie, p:16-17

<sup>2</sup>نبيل حويلي، منظومة الأسطورة في منطقة القبائل -دراسة أنثربولوجية-، مرجع سابق، ص234.

الخفي في كثير من الآيات القرآنية كقوله تعالى في سورة الحجر/الآية 27 ﴿وَلَجَّانَ خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُورِ﴾<sup>1</sup>، وحسب معتقدات أهالي المنطقتين لاحظنا تداخلا في هوية الحرس بين الجن والملائكة.

وبما أن هذه الكائنات تلعب دور الوساطة بين الإنسان وحارس السماء كما تخبرنا أسطورة نشأة الكون عند الأمازيغ، فإن عملها يذكرنا بدور الولي الصالح المعروف في المنطقتين، كما أن لفظة "صَلَّاح" متأتية من معتقد شعبي يقرّ بحقيقة أنهم أي الحرس هم أرواح أولياء الله الصالحين، هكذا تقول المخبرة<sup>1</sup> "الصَّالِحِينَ رُوحَ أَسْيَادِنَا شَيْوَحًا مَائْمُتُوشْ"<sup>\*</sup>، والاعتقاد بأن الأولياء تنتهي صلاحية أجسادهم فقط، أما أرواحهم فتبقى تحوم، تُثير لنا فكرة أنّ هذه الكائنات الحارسة للبيوت منها أرواح أولياء كانوا يشرفون على أهاليهم في حياتهم، وعند موتهم فإن أرواحهم تبقى تسكن البيوت، وتبقى تعمل عملها، فالمرابط أو "لُولِيَا" كما هو معروف في منطقة القبائل، أو الولي الصالح في وادي سوف، قد يكون امرأة أو رجلا يحمل طاقة مقدسة تتمثل في البركة، التي تبقى تنبثق عنه حتى بعد مماته، ومع أنّ كلمة الولي اتّسع معناه "فهو يعني اليوم كل أنواع الأولياء، والبلهاء، والأغبياء، والحمقى والصرعى، وكل من له معتقدات كونية، ومن له إشراقات علوية، وأكوام الحجارة وبقايا زيارات، والأضرحة والأشجار"<sup>2</sup>، إلى الموقف نفسه يذهب الباحث "محمد أسوس" الذي يقيم علاقة بين الحرس والمرابط والأموات، ودليله في ذلك "أن لدى الورقليين الذين يؤمنون بوجود من يسمونهم آيت وادّاي أي أهل العالم السفلي: أرواح الموتى يميزون فئة يسمونها إيمرابضن كما نعلم هي الكلمة العربية الأصل (المرابطين)، والممزغة التي حلت محل إيكزامن في الأماكن التي لم تعد فيها هذه اللفظة الأمازيغية الأصلية متداولة كما هو الحال في الريف والقبائل وورقلة وغيرها، ويرون أنها أرواح منها ما هو صالح ممن كانوا أولياء في حياتهم، ومنها ما هو مجرد أرواح قد يكون بعضها طيبا والبعض الآخر خبيثا"<sup>3</sup>، وبما أنّ كل المجتمعات تقريبا لا تخلو

<sup>1</sup> الراوية ربح مصباحي، 20-09-2022، 63، وادي سوف.

<sup>\*</sup> وتقصد بقولها أن الصّالِحِينَ وهم الحرس هم أرواح الأولياء، فهم لا يموتون.

<sup>2</sup> آدموند دوتي، الصلحاء، مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر، تر: محمد ناجي بن عمر، أفريقيا الشرق، المغرب، 2014، ص55.

<sup>3</sup> محمد أسوس، كوكرا في الميثولوجيا الأمازيغية، مرجع سابق، ص 81.

من أصناف كل البشر، فإن الأولياء يكثرون لذلك كان لحضور أرواحهم دور بارز، وبالعودة إلى أسطورة نشأة الكون الأمازيغية، نفهم لماذا يتوجه الناس لهم ويشركونهم في جميع تفاصيل حياتهم، ذلك أن حارس السماء اكتفى ببناء البيوت فوق الأرض، وتعيينهم كحرس، ثم صعد إلى السماء ليرتاح، وبهذا يصبحون واسطة بين حارس السماء والناس، لذلك تُقدم لهم القرابين في الكثير من المناسبات.

وبما أن ثقافة عودة الأسلاف والأموات كحاملين قوى الخير والخصب، منتشرة في مناطق شمال إفريقيا بصفة عامة -ضمنيا منطقتي الدراسة- فلا غرابة أن يكون الأولياء في المعتقدات الشعبية هم الذين تُعزى لهم قوة التأثير والحفاظ على توازن العالم باعتبارهم الكائنات الأقرب للإله، لذلك نجد لهم نصيبا من عشاء يناير، حيث يعمد الأهالي عند الانتهاء من العشاء، إلى وضع طبق من الكسكس في إحدى زوايا البيت، وتوضع فيه الملعق، بنية حضور الأموات والاعتناء من حصتهم، كما يرجى منهم نقل البركة للمواد المنتجة التي صنع منها الطعام وكذلك لأهل البيت. وبالتالي المشاركة في طقوس الخصوبة في يوم ولادة العالم.

هكذا هو الإنسان منذ القدم قدس القوة وعيها، واعتقد أنها تسكن الأشياء الموضوعة، كما أنها قد تسكن بعض بني البشر، فتميزهم عن غيرهم، وتبقى قوتهم تشتغل حتى بعد موتهم، كما أن لهم صلاحية العودة إلى الحياة والتأثير فيها سلبا أو إيجابا، فنحن نعيش ببركتهم، هذا هو اعتقاد أهل المنطقتين، وبهذا نفسر الاهتمام بالحرس في احتفالات يناير عرضها التزلف إلى الحرس حاملي الخصوبة، وبالتالي درء المجاعة وضمان مساعدة القوى الخفية.

### 3- تجديد البيوت

إن أول لبنات هذا العالم، هو بناء البيوت كما تدلنا الأسطورة -نشأة الكون الأمازيغية- لهذا يعمد الأهالي في منطقتي الدراسة في احتفالات يناير، التي يُعاود فيها إعادة خلق العالم رمزيا، انطلاقا من تجديد البيوت، إذ يعمدون إلى الاستغناء على كل ما هو قديم وبال من أواني وملابس، وأهم شيء هي تغيير حجارة الموقد ورمي الرماد واستبدالها بأخرى، في صورة توحى بأن هذا البيت حديث السكن أو لم يسكن بعد: (العماء)، من هنا يمكننا رد اختيار البيت باعتباره مركز العالم، أي

المكان الذي التقت فيه الأم المتوجعة الأرض، وحارس السماء، والجحيم هو النار أي؛ المكان الأول لصراع الطبيعة مع الثقافة، وهو المكان الأول الذي نقل فيه حارس السماء الخصوبة إلى الأرض الأم، وبالتالي فكّ عقما بتدجين النار داخل البيوت، وبهذا أصبحت البيوت حامية الإنسان من الشرور التي تهدده بها الطبيعة أي العودة إلى العماء، ومنه فإن الأثافي تعتبر البوابة التي من خلالها يستطيع الإنسان الرجوع إلى زمن القوي، زمن حارس السماوات، واستعادة لحظة حصر النار وتعيين الحرس وبداية انبثاق الخصوبة التي أنتجت ثقافة أسست نظاما يخلق التوافق بين الأرض والسماء<sup>1</sup>، وذلك طبعاً عن طريق أداء طقوس التجديد كما أوضحنا سالفاً، وكأنهم بذلك يجددون ملكية البيت.

من هنا نفهم قدسية السكن عند الإنسان القديم الذي يرفض تشيئ المسكن، أي جعله أداة للعمل والريح، كما فعل الإنسان الحديث، فالمسكن عند الإنسان القديم هو العالم الذي شيده متبعا لتعليمات الآلهة، وفي كل بداية سنة جديدة يكرّر الفعل الأولي حينما خرج العالم من العماء، وبالتالي يصبح حقيقيا وموجودا<sup>2</sup>، فمن المنظور "الإليادي" حين اندمج الإنسان في التاريخ ومع صيرورته دنس السكن بأفعاله التي يمارسها في حياته اليومية، حين أوقد النار، واستعمل الأواني، وألقى بفضلاته على الأرض، ودنس جدران بيته، بمعنى حين مارس حياته الدنيوية، فقد أوشك على الانغماس في التاريخ، وبالتالي نزع صفة القداسة عن مسكنه؛ لأن الإنسان المتدين يؤمن بأنه في الأعياد الدورية يستعيد الزمن البدئي الأسطوري، وبالتالي عن طريق الطقوس يمكنه إرجاع صفة القداسة إلى منزله<sup>3</sup>، وبالتالي فإن تجديد البيت وتغيير المناصب ورمي الرماد القديم، و"الإطفاء الطقسي للنار يرمى من ورائه إلى وضع حدّ للأشكال القديمة القائمة -المستهلكة بسبب ديمومتها- لكي تفسح مجالا لنشوء شكل جديد، عن خلق جديد"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: محمد أسوس، كوكرا في الميثولوجيا الأمازيغية، ص 86.

<sup>2</sup> ينظر: مرسيا الياد، المقدس والمدنس، تر: عبد الهادي عباس، دار دمشق، دمشق، ط 1، 1988، ص 44.

<sup>3</sup> ينظر: مرجع نفسه، ص 67.

<sup>4</sup> مرسيا الياد، العود الأبدي، مرجع سابق، ص 126.

البيت باعتباره أول مكان وضع للناس، فهو مركز الكون بمعنى المكان الذي ولد منه ، من هنا يمكن اعتباره بديلا عن الرحم الأمومي، وهذا ما جعل "بودوان" يلاحظ أن "غرف المنزل توحى بصورة الأعضاء، وأن الطفل يرى في النوافذ عيون البيت، ويستشعر وجود الأحشاء في القبو أو الممرات، كما أن "ريلكه" (Rilke) يشعر أنه يهبط السلام مثل الدم في العروق"<sup>1</sup> وبالتالي فإن الإنسان حينما يباشر حياته اليومية، ينتهي به المطاف إلى العودة إلى بديل بطن الأم(البيت)، والنوم في البيت (رحم الأم)، يعبر عن موت وولادة واستعادة جديدة، وهذا ما يفسر المثل الشعبي في وادي سوف القائل: "البيت قبر الحياة"، وفقا لهذا "يشكل المنزل بين عالم الجسد البشري والكون الكبير، مصغرا ثانويا للعالم"<sup>2</sup>، وتكون الأثافي هي مركز العالم المصغر، كما ذهب إلى ذلك بورديو الذي "اعتبره سرّة البيت القبائلي"<sup>3</sup>، باعتبار الأثافي هي المكان الذي يقيم فيه الحرس، كما أنه المكان الذي يحفظ الخصوبة، وباعتباره هو مكان طهي الطعام الذي يثبت الوجود، وأيضا مكان الأثافي مصدر إنارة البيت، وبالتالي فإن في الأثافي خصائص الولادة وهنا يكمن سر التجديد، إذ أنّ نزع الأثافي يمثل قطع الحبل السري بين البيت والأرض الأم وهذه الصورة توحى بولادة جديدة للكون.

إن الحفر في رمزية تجديد البيت من خلال التحليل الأنثولوجي تكشف عن حقيقة أنه ورغم التطور الحاصل فإن الإنسان مازالت في ذهنيته الكثير من البدائية، نجدها ماثلة في الطقوس التي تحتضن معتقداته، فطقس تجديد الأثافي يرمى من ورائه إعادة خلق الكون وفقا للنموذج الكوسومولوجي، وفي عمق هذا الطقس الصراع القائم بين الإنسان المنتج للثقافة والطبيعة المعدّمة للثقافة، وبما أن نهاية السنة تعني استنفاد مصادر الحياة على جميع الأصعدة الكونية ونهاية حقيقة للعالم، فإنه يسعى بالطقوس إلى تجديد الكون وبالتالي حفظ النظام الثقافي القائم على الخصوبة.

<sup>1</sup> جيلبير دوران، الأنثربولوجيا رموزها أساطيرها أنساقها، تر: مصباح الصمد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط3، 1426، 2006-3، ص220.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>3</sup> محمد أسوس، كوكرا في الميثولوجيا الأمازيغية، مرجع سابق، ص85.

## ثانيا: الطقوس التأثيرية

في يناير يعتقد الناس أن كل ما يحدث في هذا اليوم يؤثر على السنة بأكملها، وفقا لهذه الحاجة يتسلح الناس بممارسات طقوس تأثيرية تفاعلية تعود على الإنسان والحيوان والنبات بالخير الكثير يُؤمن من خلالها بقاءه، على اعتبار أن حفظ البقاء إحدى الحاجات الأساسية للإنسان، انطلاقا من بحثه في هذا اليوم، عن أعشاب مفيدة واستغلالها بطريقة تأثيرية وطبخ أكلات تأثيرية وبالتالي ضمنا يمارس السحر الإيجابي، ويتجنب الأعشاب الأخرى الضارة والمرة حتى لا يكون العام لا خير فيه، وهناك يمارس السحر السلبي، وهذا ما تكلم عنه فريزر إذ يقول: "مثمما يأكل البدائي الكثير من النباتات والحيوانات كي يكتسب ميزات يرغبها، ويعتقد أنها تتمتع بها، كذلك يمتنع عن بعضها الآخر التي يرى فيها صفات غير مرغوب فيها ويخشى أن تنتقل إليه، في تناول الأطعمة السابقة، إنما يمارس السحر الإيجابي، وفي امتناعه عن الأطعمة اللاحقة إنما يمارس السحر السلبي"<sup>1</sup>، وبالتركيز على الصيغ الكلامية فيحرص الناس على أن يكون الكلام حلوا وطيبا، يقع بتأثيره على العام كله، ففي "وادي سوف" يحرص الأهالي على سماع كلام طيب خاصة من عند الأطفال الصغار، إذ يقول المثل الشعبي "الله يجعل فالها عند صغارها". يستبشر الأهالي خيرا إذا سمعوا أحد الصغار يلفظ كلاما يبشر بالخير كأن يسمعونهم يقولون "سعيدة أو سعيد... الخ، كما أن الكبار في المنطقة يرددون كثيرا في هذا اليوم دعاء "حَسُّ العَامِ على العَامِ الله يَهَيِّ الاسلام"، أي أنهم يتمنون مع ولادة العالم الجديد، أن يبقى المسلمون يمارسون الشعائر؛ لأنها تحفظ لهم توازن الحياة على حد قولهم، كما يُستحب الدعاء في هذا اليوم. لقد أخبرتني إحدى الراويات أنهم يتذكرون في هذا اليوم الشهداء في قبورهم، ويتمنون صلاح حال البلاد، ويتذكرون بالدعاء الزرع والنبات والحيوان، وكل ما يدب فوق الأرض، ويتمنون أن يصيبهم الله بنصيبهم في الرزق، كي يمر العام بكل سلام، وكذلك نجد في بلاد القبائل يهنئون بعضهم متمنين أن يكون العام مباركا بقولهم "أسقاس أمقاس" أي؛ عام سعيد، وعليه يتجنب الناس الكلام السيء في هذا اليوم، لاعتقادهم أن حياتهم من صنع كلماتهم، كما يمارس الناس في هذا اليوم السحر الأبيض المنتج، الذي يرجى منه إحداث أثر مشابه مرغوب، لهذا نجد الطقوس مشحونة برموز تحوي

<sup>1</sup> جيمس جورج فريزر، الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين، تر: نايف الخوص، دار الفرق، ط1، 2014، ص42.

حمولات ثقافية يرجى من ورائها صلاح أحوال العام الجديد من خلال التأثير على المناخ أولاً على اعتبار أنه يحدد مصائر النبات والإنسان في العام الجديد ، وعلى الإنسان الذي يعتقد أنه يؤثر في النباتات كما سنلاحظ من خلال ممارسة الطقوس التأثيرية، وعلى النباتات التي تؤثر على كل ما يدبّ فوق الأرض، وهذا ما قصده الحكيم أبقراط بقوله: "إن قوى النفس تابعة لمزاجات الأبدان، ومزاجات الأبدان تابعة لتصرف الهواء، إذا برد مرة وسخن أخرى خرج الزرع نضيجا ومرة غير نضيج، ومرة قليلا ومرة كثيرا، ومرة حارا ومرة باردا فتتغير لذلك صورهم ومزاجاتهم، وإذا اعتدل الهواء واستوى خرج الزرع معتدلا فاعتدلت بذلك الصور والمزاجات"<sup>1</sup>.

وإذا كانت أسطورة أصل نشأة الكون الأمازيغية تجعل من إقامة البيوت عملا إلهيا، تبعا لهذا يعتبر العيش فعلا دينيا وليس دنيويا، وهذا ما يتوافق مع المفهوم الإليادي، الذي يقول: "إذا عدنا إلى أقدم مستويات الثقافة نجد أن العيش ككائن بشري، هو بحد ذاته فعل ديني، إذ أنّ الغذاء والحياة الجنسية والعمل لها قيمة قدسية"<sup>2</sup>. ومن خلال الحفر في الطقس وصلنا إلى نتيجة مفادها أن طقوس يتأير في الأصل موجهة إلى الوسيط المتمثلة في الحرس، والأرواح والصلاح؛ لأنهم هم المكلفون بشؤون العباد، وبالتالي فإنها أرواح مقدسة، لهذا كانت وظيفة "الشعائر باعتبارها مبتكرات إنسانية تهدف إلى استرضاء المقدس"<sup>3</sup>، أي الأوصياء.

من خلال ما سبق يتضح أن طقوس تجديد البيت وتغيير الأثاثي كان الهدف منها الحفاظ على النظام الثقافي القائم على الخصوبة، باعتبارها يعود إليها الوجود كله، ولما كانت الخصوبة هي مركز الطقوس، فلا غرابة أن تكون كل الممارسات في هذا اليوم الفاتح يرجى من ورائها تثبيت نظام الخصوبة، ودرء نظام العقم لضمان عامٍ خَصِيبٍ على حسب ما يحتاج إليه الإنسان في كل المواسم، خاصة الجانب الغذائي الذي يحفظ ذات ونوع الإنسان؛ لأنه كما يؤكد باشلار أن "الواقع

<sup>1</sup> أبو الحسن بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر<sup>2</sup>، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ط1، 1425-2005، ص178-179.

<sup>2</sup> ميرسيا الياد، البحث في التاريخ والمعنى، تر: سعود المولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2007، ص 41.

<sup>3</sup> مرسيا الياد، المقدس والعادي، تر: عادل العوا، دار التنوير، دط، 2009، ص 21.

طعام قبل كل شيء، ويعني بذلك أن تناول الطعام يؤكد حقيقة المواد<sup>1</sup>، وبالتالي فإن الأهالي يستقبلون يناير بمأكولات خاصة، تضي عليها طبيعة المنطقة لمسة خصوصية، ففي منطقة القبائل، يرتكز عشاء يناير على طبق كسكس محضر بسبع حبوب جافة ويزين بالبيض ولحم الديك أو الدجاج، وأما في وادي سوف، ففي بعض النواحي يحضر طبق الكسكس المصنوع بالخضار التي تنتجها أرض المنطقة ولحم الديك، وفي نواحٍ أخرى يفضل تحضير دشيشة "حساء مصنوع من سميد القمح أو الشعير"، فما هي الدلالات التي يحملها هذا التنوع؟

إذا أمعنا النظر نجد مكونات هذه المأكولات ترتكز على ما تنتجه الأرض الأم من خيارات تتكيف مع جو المنطقة، وسنتوقف بشيء من التفصيل عند كل مكون ونحفر في رموزه، حتى يتسنى لنا إعطاء تبرير إثنولوجي لكل الممارسات، وأول ما نسجل من ملاحظة على هذه الطقوس أن السحر فيها يتماس مع العرافة، لذلك يقول فراس السواح: "إن للطقوس خاصية توقعية، فهي تؤدّي كي تحقق شيئاً معيناً كأن تجلب النسل والصحة والزيادة في الإنتاج الزراعي وخصوبة الماشية<sup>2</sup>، وكذلك الأمر بالنسبة لطقوس احتفالات السنة الجديدة في منطقتي الدراسة، فهي تهدف إلى تحقيق التّوقع لضمان التّوازن الكوني، ومن معاني المواد المشكلة للطقوس نجد:

### 1- الديك

من الممارسات المتشابهة في منطقتي الدراسة بل في دول شمال إفريقيا هو التّضحية بدجاجة أو ديك بلدي يوم احتفالات يناير، والرّاجح أن هذه التّضحية ليست موجهة إلى قوى علوية أي الله، بل هي موجهة إلى الحرس (إعساسن)، لأنهم هم المكلفون صراحة بشؤون العباد حسب معتقدات الأمازيغ<sup>3</sup>، كما يُشترط أن يكون الديك المضحى به "بلدياً" وهو أيضاً معتقد شائع في دول شمال إفريقيا، ويرجع سبب الحرص على إقامتها في البيوت قبل نحرها ليلة الاحتفال من يناير إلى اعتقاد مفاده أن روح الحيوانات ناقلة لقوى الشر والآثام والآلام، وبذلك يستطيع الإنسان نقل خطاياها إليها عن طريق تربيتها في مكان سكناه وعن طريق لمسها يوم النّحر، وبالتالي في يناير

<sup>1</sup> جيلبير دوران، الأنثربولوجيا رموزها أساطيرها، أنساقها، مرجع سابق، ص 234.

<sup>2</sup> فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، الشعوب البدائية والعصر الحجري، الكتاب الأول، مرجع سابق، ط4، 2017، ص20.

<sup>3</sup> ينظر: آدموند دوتي، السحر والدين في شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص375.

وهو اليوم الذي يتم فيه تجديد الكون، يتطهر الإنسان من آثام السنة الماضية كلها عن طريق إراقة دم الحيوان المدجن، ويعتقد أنها تخرج مع الأحشاء والدم، وهذا ما أكدته "دوتي" حينما نقل عوائد تمارس في المغرب "إذ يعتقد الناس أن الاهتمام بخنزير يتم تدجينه والاحتفاظ به في إسطنبول يبعد الجائحة الحيوانية عن القطيع، لأن الجن أو الأرواح الشريرة التي تتسبب في الأمراض تجد مأواها عادة في جسم الخنزير: إنه وسيط مصرف لها"<sup>1</sup>، وقد أكد "دوتي" في دراسته أن هذه العوائد معمول بها في دول شمال إفريقيا باعتبار أنها أرض أمازيغية، وبهذا يصبح الديك كوعاء يحوي كل شرور الكائنات الخفية التي قد تصيب الأجساد أو الأنفس أو مكان الساكنة، أو حتى الزروع وغيرها، والديك باعتباره قربانا تُسترضى به القوى المقدسة، وإذا اكتشفنا أن هذا القربان قد تكون فئة منه موجهة إلى أرواح الأولياء المُكرمين بالبركة، فإنه يرجى من خلال تقديمه كقربان إنزال بركة الأولياء، لا سيما في مواد الطعام التي تقوم عليها الحياة في المنطقتين خاصة، والديك باعتباره ذكر الدجاج فهو رمز الفحولة والخصوبة المنشودة في هذا الاحتفال الهادف إلى تثبيت نظام الخصوبة، لذلك كان من القرابين الحيوانية المفضلة، إضافة إلى أن الديك في العرف الشعبي يتمتع بخصائص روحية مستمدة من الدين الإسلامي خاصة الديك الأسود، حيث يعتبر ذا فضائل قربانية أسمى، فهو يعلن حلول الفجر ويتردد بصياحه ليلا الأرواح الشريرة، وهو الرمز الصوفي للنور والحياة<sup>2</sup>، ورمزية الديك في شمال إفريقيا نجد لها صدى في مختلف الثقافات الإنسانية، فالديك من الطيور الداجنة الطاردة للشر كما أوضحنا، فإنه في الثقافة المسيحية أيضا يشير إلى الصلاة، كما كان يوضع على بعض أجراس الكنيسة ليعبد الشيطان، وبأمارته الصياح قبل شروق الشمس فهو رمز للحبوية والعمل، كما أنه يحمي روح الميت، ويعاود ولادتها في عالم آخر كما كان يعتقد سقراط، وفي اللغة الحديثة ما يزال الديك رمز الرجولة أو الدونجوانية، لأن ذكرا واحدا يكفي في زريبة لتخصيب كل الدجاج<sup>3</sup>،

<sup>1</sup>ادموند دوتي، السحر والدين في شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 372.

<sup>2</sup>ينظر: المرجع نفسه، ص 379.

<sup>3</sup>ينظر: فيليب سيرنج، الرموز في الفن - الأديان - الحياة، تر: عبد الهادي عباس، دار دمشق، ط1، 1992، ص184-

صفوة القول: إنَّ الديك يدخل ضمن معتقدات الأمازيغ المتعلقة بالخصوبة والبركة والتّضحية والدين والسحر، فهو طارد للآثام، يحرض على الأعمال الموجهة للمقدس من صلاة وعمل، كما أن دمه ينقل الخصوبة إلى الأرض الأم، باعتباره رمز الرجولة.

## 2-الكسكس

إن تحضير طبق الكسكسي ليلة بوابة السنة الجديدة التي تمثل ولادة العالم، ليس محض تلقائية، وإنما هو اختيار معين ومحدد، وعندما نبدأ في فك رموز هذا الطقس ننتقل من الكيفية التي يحضر بها، إذ تعد النساء إلى وضع حفنة من السميد ثم تبدأ في رش الماء عليه، وتخلط بواسطة أطراف الأصابع، وفي كل مرة تضيف القليل من السميد وقليلًا من الماء، وهي تقتل بيدها شيئًا فشيئًا تتشكل حبيبات صغيرة وتزيد، ثم تغريل المزيج جيدًا إلى أن تتشكل حبات "السكسو" المراد الحصول عليها. إذا أمعنا النظر في طريقة تحضير الطعام يتبين أنها ترمز إلى الكثرة والاعتناء، أي تقوية الخصوبة وهذا نوع من السحر التّشابهي، وبالتالي فإن اختيار طبق الكسكس يُرمى من ورائه محصولًا جيدًا للسنة الجديدة، كما لا ننسى أن هذا الطبق أمازيغي الأصل، وبالتالي فإن بوابة السنة مناسبة جيدة للتمسك بالهوية من خلال إعداد المواد التي تميز الجماعة الشعبية، فاختيار صنع حبات الكسكس الكثيرة والمتفرقة، يرجى منه كذلك أن يكون العام خصيبًا في كل الأراضي الأمازيغية. ومعلوم أن "الكسكسي" أو "السكسو" مصنوع من سميد القمح الصلب، وللقمح في الثقافة الشعبيّة الأمازيغية حديث يذكر فهو طارد لعنات القوى الخفية، وهو الخيط الرابط بين الإنسان والحياة، كما تبين الحكاية الشعبية المعروفة في منطقة القبائل باسم البذرة الناطقة(أعقًا إيسوالن)، "وهي حبة تتكلم، تمنحها الأم لابنتها الذهاب في رحلة للبحث عن إخوتها السبعة، فظلت على اتصال معها بواسطتها، وكانت حياتها تسير في الاتجاه السليم المرسوم لها ما دامت حاملة للبذرة، لكن ما إن ضاعفت الحبة حتى خفت صوت الأم ببطء، إلى أن سكت وترك المجال للصمت، لتجد الفتاة المنقطعة عن صوت الأم نفسها في مواجهة العالم المتوحش، وموازين قواه الشرسة، فكان ضياعا للحياة، وانجاس الموت".<sup>1</sup>

<sup>1</sup> محمد أسوس، كوكرا في الميثولوجيا الأمازيغية، مرجع سابق، ص 28.

ومن هنا يمكننا أيضا فهم طقس عشاء الميت الذي غالبا ما يكون في المنطقتين عبارة عن طبق "كسكس"، إذ أنّ هذه الممارسة سحرية يرمى من ورائها ربط روح الميت بالحياة، ونستذكر أنّ الطعام المحضر في احتفال يناير يقدم منه لأرواح الموتى ما يعبر عن رغبة عودتهم للحياة، كما يمكن الإشارة هنا إلى حكاية "بُوقَمَحَة" في منطقة "وادي سوف" التي تشير إلى أنّ القمحة الواحدة قد تكون مبدأً لنشاط مثمر ومعمر ولو عن طريق خداع البيئة، تقول الحكاية: "واحد يريش ديمة يريش حتى لقي قمحة، يمشي يمشي لقي مرا ترحي قال لها هاكي ها القميحة. زكي بيها تدير لك لوح تاع دقيق. عقب دار دار... خلاها ماكملت الرحي. وجاها قال لها وين هي هاك القميحة؟ قالت له قلت لي زكي بيها. قال لها ماشي عارفة عمي بريش العام الكل وهو يريش لقي قمحة والقمحة بلوح دقيق. قال لها اعطيني لُوح دقيق. عطاته لوح دقيق. هز اللوح وعقب يمشي يمشي يمشي لقي مرا تعجن في العجين. هاك لويح الدقيق زكي بيه شداته خلاها ماطيبت وجاها قال لها وينه لويح الدقيق. قالت له قلت لي زكي بيه. قال لها ماشيكي عارفة عمي بريش العام الكل وهو يريش لقي قمحة والقمحة بلوح دقيق ولوح الدقيق بخبزة. قال لها تعطيني خبزة... عطاته خبزة. عقب يمشي يمشي لقي فوال قال له: هاك ها الخبزة كولها انت تاكل كان في الفول. عطاها له وعقب. خلاها ماكلاه الكل. ورجع قال له وين هي هاك لخبزة. قال له قلت لي كولها. قال له ماكش عارف عمك بريش العام الكل وهو يريش. لقي قمحة والقمحة بلوح دقيق ولوح الدقيق بقيزان فول. تعطيني قيزان فول. هز قيزان الفول وعقب. لقي جماعة يقطع في النخل قال لهم التمر وحدة يحرق هاك قيزان الفول. بردوا بيه. عطاها لهم وعقب. خلاها ماكلوه وجا. وين هاك قيزان الفول قالوا له كليناه قلت كولوه. قال لهم ماشيكم عارفين عمي بريش العام الكل وهو يريش لقي قمحة والقمحة بلوح دقيق ولوح الدقيق بخبزة والخبزة بقيزان فول وقيزان الفول بقلبة تمر. تعطوني قلبية تمر. هز قلبية تمر وخش الصحرا. لقي سارح. قال له يا سارح ماك جعان تاكل التمر قال له اي. عطاها قلبية التمر. وعقب. فرح هاك السارح. خلاها ما كلا هاك التمر الكل وجاه وقال له يا سارح. وينه التمر؟ قال له: قلت لي كولوه. قال له ماكش عارف عمي بريش العام الكل وهو يريش لقي قمحة والقمحة بلوح دقيق ولوح الدقيق بخبزة والخبزة بقيزان فول وقيزان الفول بقلبة التمر وقلبة التمر بفحل بقر. تعطيني فحل بقر. ساق فحل بقر وعقب. يمشي يمشي لقي عرس.

قال لهم هاكم فحل البقر زكو بيه لحم العرس فرحو هزوا الفحل وذبحوه جاهم بعد ما كلوه الكل وقال لهم أعطوني فحل البقر نتاعي. قالوا له عطيته لنا هدية. قال لهم ماكمش عارفين عمكم بربيش العام الكل وهو بربيش لقي قمحة والقمحة بلوح دقيق ولوح الدقيق بخبزة والخبزة بقبزان فول وقبزان الفول بقلبة تمر وقلبة تمر بفحل بقر وفحل بقر بالعروس وجملها. عطوه الجمل والعروس هُنْاي هُنْاي خش الصحرا. لقي غولي هيا الغولي نصاحب نا واياك نذبحو ها الجمل. نترحموا فيه الغولي قال خليني ناي نذبح وانت بره هات الماء والحطب..... طول ماجاه واشبيك طولت قال له.....هات الماء. . راح ردم شكوة حليب في لرض.....بعد ماشبعوا باللحم. قال له منهو اللي يدي العروس. قال له اللي يخرج حليب لرض يدي العروس. ضرب الغولي ما خرج حتى شي ضرب عمي بربيش في مضرب الشكوه خرج الحليب. قال له الغولي نتصارعوا اللي يغلب يدي العروس الغولي غلب بربيش خنقه عادت عينين بربيش ناطرة. نشدت الغول واش بيك حل عينيك في لفوق قال له نشوف لك خرقة في السماء اباش نطيشك فيها. هرب الغولي وخلي له العروس، وكما سمعناها رديناها\*<sup>1</sup>، فالقصة الشعبية تُبين حكمة القمح في الإعمار والاعتناء بكل خيارات الحياة.

\*شخص يحفر دائما، حتى وجد "قمحة"، بقي يمشي حتى وجد امرأة تقوم بعملية الرحي، فقال لها: خذي هذه القمحة، حتى تزكي لك محصولك فيكثر الدقيق، ثم ذهب صال وجال، ولما أكملت المرأة عملها، عاد إليها، وسألها: أين تلك القمحة؟ قالت له: لقد قلت لي زكي بها، قال لها: ألا تدرين أن عمي بربيش، طيلة السنة يحفر حتى وجد قمحة، والقمحة بكيس الدقيق، قال لها: أعطيني كيس الدقيق، فأعطته المرأة كيس الدقيق، أخذ كيس الدقيق، وأكمل سيره حتى وجد امرأة تعجن في العجين، أعطاه كيس الدقيق لتزكي به، وما إن أكملت طهي الخبز، عاد إليها متسائلا: أين كيس الدقيق، قالت: لقد قلت لي زكي به، فقال لها: ألا تدرين "عمي بربيش" طيلة العام وهو يحفر حتى وجد قمحة والقمحة بكيس الدقيق، وكيس الدقيق بخبزة، وقال لها: أعطيني خبزة، فأعطته خبزة، ثم أكمل سيره حتى وجد "بائع الفول"، فقال له: خذ خبزة، تناولها مع الفول، ثم ذهب، ولما أكمل الرجل أكل الخبزة، عاد إليه وسأله: أين الخبزة؟ فقال بائع الفول: لقد أكلتها، قال: ألا تعلم أن "عمي بربيش" طيلة العام يحفر حتى وجد قمحة، والقمحة بكيس دقيق، وكيس الدقيق بقدر فول، أعطني الفول، فأعطاه==الفول، أخذ الفول وذهب حتى وجد جماعة يجنون التمر، فقال لهم: تناول التمر وحده يسبب لكم الحرقه، تفضلوا الفول يخفف عنكم الحرقه، ولما أكملوا أكل الفول، عاد إليهم وسألهم: أين الفول، قالوا له: أكلناه، قال لهم: ألا تعلمون أن "عمي بربيش" طيلة السنة يحفر حتى وجد قمحة، والقمحة بكيس دقيق، وكيس الدقيق بخبزة، والخبزة بقدر فول، والفول بإناء تمر، أعطوني إناء التمر، أخذ التمر ودخل الصحراء، وجد سارحًا، فقال له: يا سارح، أنت جائع أليس كذلك؟ أتأكل التمر؟ فرد السارح: بلى، ناوله التمر، وذهب، ثم رجع إليه، وسأله عن التمر، فقال السارح: لقد أكلته، فقال له: ألا تعلم أن "عمي بربيش" طيلة السنة وهو يحفر حتى وجد قمحة والقمحة بكيس دقيقين وكيس دقيق بخبزة، والخبزة بقدر فول، والفول. بإناء

وللقمح رمزية مماثلة في الثقافات العالمية، ففي مصر القديمة كان القمح "رمزا عاما لحفظ قوى الحياة أكثر من الحياة نفسها، وكان هذا أحد الأسباب التي دعت إلى وجود نماذج في المقابر لزراعة القمح فاقت جميع المناظر الأخرى في العدد. ويعتبر نبت القمح رمزا لنهوض أوزيريس وعودته للحياة"<sup>2</sup>، كما كان القمح في أوربا علامة رخاء؛ لأنه أساس الغذاء، ففي آرغوس حيث كانت تزدهر عبادة هيرا، كانت سنابل القمح تسمى "زهور هيرا"، وفي مصر يمكن مشاهدة دمية من سنابل القمح، معلقة على شباك السيارات كجالبه للحظ، وبالنسبة للمسيحيين فإن للقمح مدلولاً هاماً مبنياً على الكتب المقدسة، وقد أبرز من قبل الرسامين والنحاتين، حتى القرن العشرين حيث تزين موائد تناول القران الحديثة بسنابل القمح أو الخبز -في النقوش-<sup>3</sup>، وعُرف في الديانة النيوليثية أن الهاونات المستخدمة لطحن القمح كانت في بعض الأحيان تُطمر في أرضية البيوت المستديرة، قرب الموقد، وقد تستعمل كشاهدات قبور... إن الدفن المتكرر بكثرة للموتى في حفر تستعمل لتخزين القمح يؤكد وجود صلة وثيقة بين الموتى وعمليات تأمين وتحضير الطعام المصنوع من القمح.<sup>4</sup>

تمر، والتمر بفحل بقر، أعطني فحل البقر، فأعطاه السَّارح فحل بقر، ساق فحل البقر وذهب، حتى وجد عرساً، قال لهم: خذوا فحل البقر زكوا به لحم العرس، فرحوا وأخذوا الفحل وذبحوه، وبعدما أكلوه، جاء إليهم، وقال لهم: أين فحل البقر، قالوا له: أعطيتَه هدية لنا، فقال لهم: ألا تعلمون أن "عمكم برييش" طيلة السنة وهو يحفر حتى وجد قمحة والقمحة بكيس دقيق، وكيس دقيق بخبزة، والخبزة بفول، والفول بتمر والتمر بفحل بقر، وفحل بقر بالعروس وجملها، أعطوه الجمل والعروس، ثم دخل الصحراء وجد الغولي (شخصية أسطورية) فقال له نصبح أصدقاء ونذبح هذا الجمل نشبع من لحمه، فقال الغولي: أنا أدبجه، وأنت اذهب وأحضر لنا الماء والحطب، ذهب "عمي برييش".... تأخر ولم يعد..... أحضر الماء... ذهب وردم شكوة الحليب تحت الأرض، ..... وبعدما شبعوا من اللحم، قال له الغولي: من يأخذ العروس، قال عمي برييش: الذي يخرج الحليب من الأرض، ضرب الغولي الأرض ولم يخرج شيئاً، ثم ضرب "عمي برييش" مكان الشكوة، فخرج الحليب، قال له الغولي: نتصارع والغالب هو الذي يأخذ العروس، غلب "الغولي" عمي برييش، خنقه، فسأل الغولي: لماذا تحرق بعينيك إلى الأعلى، فقال له: أنظر إلى السماء، علني أجد ثقبه أرميك فيها، هرب الغولي وترك له العروس... وكما سمعناها روينهاها.

<sup>1</sup>مدونة مكتوبة بحوزة الأستاذ أحمد زغب.

<sup>2</sup>مانفرد لوركر، معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة، تر: صلاح الدين رمضان، مر: محمود ماهر، مكتبة مديولي، القاهرة، ط1، 2000، ص202-203.

<sup>3</sup>ينظر: فيليب سيرنج، الرموز في الفن، مرجع سابق، ص311.

<sup>4</sup>فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان الشعوب البدائية والعصر الحجري، الكتاب الأول، مرجع سابق، ص332.

يمكننا على ضوء ما قدمنا أن نظفر بفهم عميق لهذه الممارسة، فالكسكس يرمز للخصوبة ويعبر عن الهوية الأمازيغية، وهو من القوى الحافظة للحياة.

### 3- البيض

كان البيض يحمل مدلولاً وجودياً، وهذا المعتقد موروث عالمي نجده في جميع الثقافات، ففي العقيدة المصرية القديمة يرمز إلى خلق الحياة وولادة العالم، وإخراج الوجود من العدم، وقد كان البيض يقدم للموتى لربطهم بالحياة، ويعتبر البيض من الشعائر المرتبطة بالخصوبة ويستخدم في الطقوس التي تهدف إلى استثارة خصوبة الأرض<sup>1</sup>، وحسب الأسطورة الأمازيغية التي تفسر نظرة الأمازيغي للكون، فإن للبيض دوراً مهماً في بنائه وتمثله، "الفكرة التي يتصورها القبائل عن العالم أن الكون يستقر على قرون ثور ضخم، وهذا الثور يقف بقوائمه الأربع فوق أربع بيضات، وأن ليلة السنة، تعتبر لحظة محفوفة بالمخاطر، ففي هذه المرحلة ينتقل العالم من قرن إلى آخر، بل إن ما يتم إعداده من طعام طقوسي بمناسبة رأس السنة، إنما يكون لاسترضائه، وإتقاء غضبه، وضمان استمرار توازن العالم على قرنه"<sup>2</sup>، وفي الثقافة الشعبية يعتبر البيض رمزاً للخصوبة والتناسل لذلك نجد له حضوراً مهماً في طقوس الزواج وطقوس فكّ العقر والولادة، ففي منطقة "وادي سوف" ينصح للمرأة العاقر بخلط مجموعة من الأعشاب من "شبح، وخزامة وبصل وملح أحرش وزيت زيتون" تصنعهم على شكل بيضة تدهن بها سترتها<sup>3</sup>، ومن عادات الزواج في منطقة سوف أن تزين "قَصْعَة صباح" العروس بالبيض، وبهذا "يعد البيض المستخدم في الزواج، استبشاراً بزيادة الإخصاب أو بتسهيل حصول الزواج، أو تسهيل الولادة فيما بعد"<sup>4</sup>. فالبيض في احتفالات رأس السنة يساهم في ولادة الكون، وحفظ توازن العالم، وتفعيل نظام الخصوبة.

<sup>1</sup> ينظر: عصام ستاتي، شم النسيم (أساطير وتاريخ وعادات وطقوس)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط، 2006، ص44.

<sup>2</sup> محمد أسوس، كوكرا في الميثولوجيا الأمازيغية، مرجع سابق، ص 34-35.

<sup>3</sup> لقاء مع الراوية نصيرة قعري، 66 سنة، 7-11-2022، وادي سوف.

<sup>4</sup> أدوار ويسترمارك، موسوعة تاريخ الزواج (دراسة أنثربولوجية)، تر: مصباح الصمد وآخرون، مكتبة طريق العلم، ط1، 2001م، ص19.

## 4- الشعير والنخلة

أما إذا انتقلنا إلى الطقوس التأثيرية الممارسة في منطقة سوف نجدها تختلف بعض الشيء عن تلك الممارسات في منطقة القبائل، وهذا طبعا راجع إلى ثقافة المنطقة، حيث أنه في منطقة سوف لا يُشترط المواد الجافة في إعداد طعام رأس السنة، كما أنه في بعض النواحي في المنطقة يتم الاعتماد على وجبة "الدشيثة البيضاء" أي سميد الشعير كما ذكرنا أعلاه. إن هذا الطقس يعتمد على السحر التّشابهي حيث الشبيه يأتي بالشبيه، فتجنب وضع الطماطم الحمراء في الدشيثة، بهدف تجنب عام يسوده الجفاف، وأيضا لدرء خطر الرياح العاتية التي تفسد المزروعات والمحاصيل، أما أكلة الدشيثة التي تعتمد على الشعير، فالسبب راجع إلى أن المنطقة الصحراوية قديما بصفة عامة كان محصولها الزراعي قليلا جدا، بسبب طبيعة المنطقة القاسية والجافة، "إذ لا يزرع فيها سوى الشعير، وحتى ذلك ليس في كل مكان"<sup>1</sup>، وقد أكد الباحثان ريفيير وليك Riviere et Lecp في كتابهما الزراعات في جنوب الجزائر وتونس أنه "من بين الزراعات الجنوبية، لا شك أن زراعة الحبوب هي الأقل تناسبا مع مناخ البحر الأبيض المتوسط، وهذا التأكيد صحيح بالنسبة للقمح أكثر من صحته بالنسبة للشعير الذي لا يخشى الجفاف كثيرا، وينضج قبل القمح بشهر، لذلك يجب تفضيل الشعير على القمح في الأراضي التي يقل فيها المطر"<sup>2</sup>، و"وادي سوف" من المناطق الصحراوية التي يزرع فيها الشعير، لأنه يتحمل التربة المالحة، لهذا فإن في هذا اليوم الذي يتحدد فيه مصائر العام، وجب استعمال أكلة الشعير، كي يتوفر في العام القادم، كما أن انتفاخ حبات الشعير عند طبخها يُرجى منه محصول وفير في العام الجديد.

وأما اختيار جريدة خضراء، فذلك راجع لرمزية اللون الأخضر والنخلة، فالأخضر هو لون يرمز للبعث والتّجديد، كما أنه يرمز للخصوبة، "فحين يضرب أحدهم بغصن شجرة أو عصا خضراء، يكون ذلك بغرض أن يمرر له التأثير المخصب والقوي للنباتات"<sup>3</sup>. كذلك للنخلة أبعاداً أنثربولوجية،

<sup>1</sup>لمارمول كرفجال، إفريقيا، تر: محمد خجي وآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ج1، د. ط، 1984 ص50.

<sup>2</sup> اصنطيفان الكُصيل، تاريخ شمال إفريقيا القديم، مرجع سابق، ص147.

<sup>3</sup>ادموند دوتي، السحر والدين في شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 453-454.

فهي ترمز للحياة و للأبدية والأنوثة والإنجاب والاستمرار والارتفاع والمركز والمقدس والموت والانبعث، وهذه الرموز نستجمعها من خلال التّعرف على الثقافات العالمية ففي مصر "كان لسعف النّخيل معنى رمزيّ بصفته العلامة المخصصة ((سنة))، وسعف النخيل الموضوع على الرأس أو الممسوك في اليد كان أحد صفات الإله حح Heh وتجسيدا للأبدية"<sup>1</sup>.

وأما السبب الثاني فيرجع اختيار جريدة النّخلة حسب رأينا إلى مكانتها في منطقة "وادي سوف"، إذ أنها تعتبر الدعامة الأساسية لاقتصاد\* المنطقة، فسوف هي بلد النّخيل، والتمر هو خبز الفقراء، والنّخلة هي الشجرة التي تتحمل ماء سوف المالح، وهي التي تصبر على جوها الحار، لذا يطلق عليها في المنطقة لقب "عمتي النّخلة" وهنا نشير إلى ماورد في الأثر أنّ الرسول ﷺ قال ((أكرموا عمتم النّخلة))<sup>2</sup>، إجلالا وتقديرا واعترافا بخيراتها، إذ يقول المثل الشعبي "عمتي النّخلة كان ما كليناش من ثمارها ناكلو من جمارها"، فهي كلها نافعة، تُعطي للإنسان مصادر لاستمرار الحياة، ولشدة تعلق السوفي بالنّخلة وتمحور حياته عليها، رفع من مكانتها إلى حدّ التّقديس، فسّمها "الجّامع" أي "المسجد"، وهذه النّظرة المقدسة طبيعية على رأي "فراس السّواح"؛ لأنها -بالنسبة للسوفي- "تمثل قوى النّماء في الطبيعة، لذا يجري الاعتقاد بأنها تساعد المحاصيل على النمو والقطعان على التكاثر والإنسان على التزاوج"<sup>3</sup>، لذلك نجدها حاضرة في كل الاحتفالات الموسمية والدينية وكذلك في طقوس العبور وكل الطقوس المتعلقة بدورة الحياة من الولادة حتى الموت. يقول اللّغز الشعبي: "إلّلي إيّدامه منهّ فيه كسرأمّ اللي ما يخدمش عليه" ويقصد به تمر النّخل باعتباره غذاءً كاملاً، لذلك يُعاب في المنطقة قديماً كل من لا يملك نخلة، ولا يسعى لخدمتها والاستفادة منها، ويجري الاعتقاد بأن للنّخلة مشاعر وأحاسيس مثل الإنسان، وهذه لفظة للنظرية الأرواحية أو الإحيائية Animism، فالبدائي كما يرى "تايلور" لم يفرق بين الكائنات الحية والجمادات، لذلك فقد نقل إيمانه بأرواح البشر إلى الإيمان بأرواح المظاهر الطبيعية، وفسر

<sup>1</sup> مانفرد لوركر، معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة، مرجع سابق، ص 145-146.

\* وسمعنا بعضهم يقول الغنى في ثلاث نونات: (نخلة، نعجة، ناقه).

<sup>2</sup> إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصّروف في تاريخ الصّحراء وسوف، تع: الجيلاني بن إبراهيم العوامر، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، د. ط، 2007، ص74

<sup>3</sup> فراس السّواح، موسوعة تاريخ الأديان الشعوب البدائية والعصر الحجري، الكتاب الأول، مرجع سابق، ص34

ما يراه من حركة هذه المظاهر بالأرواح التي تسكنها<sup>1</sup>، فما هي النَّخْلَة تعاتب مالکها الذي أهملها، ولم يعد يعلفها، فعزرتة بكسله وطلبت منه إن كان عديم المال أن يستلف، لأنها في مدة قصيرة ستثمر عراجين لشدة كبر حجمها تكسر الجريد الذي يحملها، وبهذا يكون محصول التمر وفيرا جدا، يبيعه الفلاح ما يكفل في تسديد ديونه، تقول النَّخْلَة على لسان الشاعر:

إِخْصِيَتْ وَاسْتَوْحِشَتْ يَا مُوَلَايَا      جِيَتْ عِنْدَ الْفَقْرِيِّ مَا بِكَاشْ أَبْدَايِي  
قِيْسٌ وَجَرَّبٌ وَسَأَلٌ عَلَيَا      مِنْ عَافٍ وَزَرَّبٌ  
عَرَاجِيْنُ عَلَيَّ رُوْسُ الْجَرِيْدِ ائْتَصَلَّبُ      أَوْ مِنْ تَقْلَهْنِ ائِكْسِرُنِ الْوِنْرَايَا<sup>2</sup>

ويسود الاعتقاد في منطقة وادي سوف أنَّ النَّخْلَة شجرة مباركة، لذلك فإن تناول تمر النَّخِيل وقاية من العلل والأسقام والأسحار، خاصة عند تناوله في الصَّبَاح، وهذا المعنى نجده في اللُّغز الشعبي، إذ يقول: "لَا نِيَّ وَلَا خَاصَةَ مِلْحٍ مِنْ أَشْهَى الشَّهَاوِي، إِلَّيْ يُفْطَرُ مِنْهُ الصُّبَاخُ تُهْرَبُ مِنْهُ الدَّعَاوِي"، وفي هذا اللُّغز إشارة إلى حديث الرسول ﷺ: ((إِنَّ مِنْ تَصْبِحَ بِسَبْعِ تَمْرَاتٍ لَا يَمْسُهُ فِي يَوْمِهِ سَحْرٌ وَلَا سَمٌ)).

وأما الأوراق الخضراء التي توضع في الجريد ويحرك بها القدر فيرجى منه حسب تفسيرنا أنَّ استعمالها في احتفال "خشوش العام"، هو تقاؤل بأن تعود الحياة إلى النباتات الصحراوية الطبيعية التي تدهورت بسبب تصرفات الإنسان اللامسؤولة، وبسبب تحول الرمال وانتشارها بفعل العواصف الرملية وأيضا انخفاض مستوى الطبقة الجوفية الذي أدى إلى غياب بعض النباتات<sup>3</sup>. إذا النَّارُ المخصبة والمرأة المخصبة، والنَّخْلَة الأنثى والذكر الشعير، مكونات تتكامل فيها عملية الإنتاج والولادة والتجديد، وهذا هدف احتفالات السنة الجديدة في المنطقتين، بل وفي كل ربوع العالم.

ما يمكن أن نستخلصه من خلال هذه الطقوس أن للنبات دورا تأثيريا في هذا اليوم المصيري، لاعتقاد راسخ عند أهل الصحراء بأن كل شجرة نابئة فيها حكمة ثابتة، كما أن هذه

<sup>1</sup> ينظر: فراس السواح، دين الإنسان، مرجع سابق، ص313.

<sup>2</sup> علي بوصبيح، الغوط اليهود أو الهرم المقلوب، مديرية الثقافة ولاية الوادي، ط1، 2015، ص72.

<sup>3</sup> ANDRE-ROGER VOISI، سوف مونوغرافيا، ص222-223.

الطقوس التي تستعمل فيها النباتات والأشجار، تكشف عن معتقد بدائي يربط بين مصير الإنسان والنباتات، ويرى أن حياة الإنسان هي امتداد لحياة النبات، والعكس صحيح أيضا، فالعلاقة بينهما علاقة تأثير وتأثر، وتتجلى في الطقوس من خلال نقل خواص المرأة المخصبة إليها أي النباتات، وهذا ما يضمن استمرارها وإعادة بعثها، و من خلال نقل خواص النباتات والأشجار للإنسان، فهي الولودة المتجددة وهي الصابرة الشامخة، وهذه العلاقة الترابطية التكاملية تحدث عليها جيمس فريزر بقوله: "النبات ينقل العدوى للإنسان تماما كما ينقلها الإنسان للنبات، لذلك اعتقد أن هناك فعلا وردة فعل تماما كما في الفيزياء"<sup>1</sup>، ويفسر "إدموند دوتي" الفكرة ذاتها، ويظهر ذلك في قوله: "الأغصان الخضراء تحتوي على القوى الفتية للنباتات وتنقلها للناس والدواب، والتأثير القوي والمخصب الذي تمارسه النباتات الخضراء على الناس والدواب هي معتقد شائع عموما لدى الشعوب نصف المتحضرة وفي الفولكلور الأوربي"<sup>2</sup>.

نلمح في منطقة سوف أن احتفالات السنة الجديدة لا تمارس فيها الطقوس التأثيرية كثيرا كما في منطقة القبائل، ذلك أن أرض المنطقة لم تحنّ على السوفي إلا بالنّخيل والشعير، وبعض النباتات التي أكرمتها بها الطبيعة، ومع تداخل الظروف الطبيعية العنيدة أدّى إلى تدهورها واختفاء البعض منها، فالطقوس التي كانت تمارس في احتفال خشوش العام تهدف أساسا إلى التمسك بهذين الغدائين. وأما في منطقة القبائل باعتبارها منطقة ساحلية فإن اقتصادها يعتمد على زراعة النباتات الموسمية من حبوب وخضر<sup>3</sup>، وبالتالي فإن الطبيعة هي التي تؤطر وتؤثر في طبيعة ومواد طقوس الاحتفالات، فكلما كانت الطبيعة معطاءة تنوعت الطقوس، وكلما كانت شحيحة قلّت الطقوس.

<sup>1</sup> جيمس فريزر، الغصن الذهبي، مرجع السابق، ص 51.

<sup>2</sup> إدموند دوتي، السحر والدين في شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 446.

<sup>3</sup> ينظر: زهية طراحة، فضاء النوع بين تنظيم الخيال وتنظيم الواقع دراسة أنثربولوجية للحكاية القبائلية العجيبة، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2011 ص 54.

## المبحث الثالث: أنثربولوجيا احتفالات السنة الجديدة بين المحلية والعالمية

## أولاً: احتفالات "النيروز" و "نويل" عند المسيحيين

إن احتفال بداية السنة الجديدة الراسخة في ثقافات شعوب شمال إفريقيا، تعددت الآراء حول أصلها، ذلك أن المصادر لم تحسم أمره، فمنهم من اعتبر احتفال يناير من بقايا الرواسب الرومانية في المنطقة؛ لأن الرومان سمو هذا الشهر باسم الإله يانوس ganns وهو إله الشمس وإله لتيوم Latinm وهذا الإله عندهم حارس أبواب السماء، فكانوا يمثلونه بصورة رجل تام التركيب، وكما له لشروق الشمس وغروبها، كانوا يمثلونه بشكل تمثال ذي وجهين، وجه يستقبل الشمس ووجه يودعها، وكان لهذا الإله مقام رفيع؛ لأنه كان شفيحاً كل بداية وكل نهاية، وكان يانوس يجلس عند مدخل السنة الجديدة فيتطلع إليه العباد ليمنّ عليهم بالخير والحظ<sup>1</sup>، وعن سبب اختيار يوم 12 جانفي كبداية السنة، فيبدو أنها توافق بداية السنة اليوليانية، وهي متأخرة بثلاثة عشر يوماً عن السنة الجريجورية (الميلادية)<sup>2</sup>، وهناك من يعتبره من الاحتفالات الأمازيغية الخالصة خاصة الروايات الشفاهية، وهو احتفال بالأرض وبالهوية، ذلك أن الأراضي الأمازيغية فلاحية، ويُنَّابِر باعتبارها الشهر الأول حسب التقويم الفلاحي المحلي، يعتبر شهر المؤتمر الذي تحدد فيه مصائر العام، وهناك من اعتبر احتفالات السنة الجديدة في البلاد المغاربية بصفة عامة، امتداداً لاحتفالات عُرفت في أمم أخرى، وذلك لتشابه العوائد، ف"مادام الأمازيغ يسكنون شمال إفريقيا المحاذية للبحر الأبيض المتوسط فقد كان من الطبيعي أن يتشربوا معتقدات الشعوب المجاورة لهم تأثراً وتأثيراً، لذا فقد تأثروا بالمعتقدات الفارسية والفينيقية والمصرية والرومانية والأيبيرية والأصقلية"<sup>3</sup>، وأقرب هذه الاحتفالات ليناير، عيد "النيروز"، وعيد "نويل"، وهذا ما جعل العديد من الباحثين يربطون بين هذه الاحتفالات، ويعتبرون احتفال يناير امتداداً لها، وممن تكلم بهذا الرأي "محمد عباسة" في كتابه "الموشحات والأزجال الأندلسية"، ويظهر ذلك من خلال

<sup>1</sup> ينظر: أنيس فريحة، أسماء الأشهر في العربية ومعانيها دراسة فيلولوجية تاريخية، دار العلم للملايين، بيروت، 1952، ص 16-17.

<sup>2</sup> ينظر: إدموند دوتي، السحر والدين في شمال إفريقيا، ص 442.

<sup>3</sup> جميل حمداوي، معالم الحضارة الأمازيغية، ط2، 2016، ص 146.

كلامه عن الاحتفال بيناير في العهد الأموي في الأندلس حيث عرف "النَّير" بأنها كلمة لاتينية وتعني الشهر الأول الشمسي أي يناير أو جانفه، وأكد أن الأندلسيين يحتفلون بالنَّير منذ العهد الأموي، وبعد سقوط الأندلس اقتصر "النَّير"، على المناطق الشمالية للمغرب الأقصى والغرب الجزائري، وأصبح يسمى "النَّير"، وبقي مجهولاً في بقية مناطق الجزائر، وخاصة سكان الجبال الذين عرفوه لأول مرة في السبعينات من القرن العشرين، وكانوا يحتفلون بهذه المناسبة حسب التقويم اليوليوسي<sup>1</sup>، وإلى الرأي نفسه يذهب "دوتي" الذي اعتبر احتفال يناير الأمازيغي يماثل احتفال ميلاد المسيح عند المشاركة، ويتضح ذلك من خلال قوله: "المشاركة يحتفلون بعيد مولد عيسى ويتناولون فيه كميات كبيرة من "العصيدة، ونحن نعثر بالمغرب على عيد ميلاد عيسى هذا، فيما أن عيدنا يتم في منقلب الشتاء فمن المحتمل أن يكون مولد عيسى صنواً لعيد ايناير"<sup>2</sup>، ويشيء من التفصيل سنتعرف على أوقات هذه الاحتفالات وعلى أصولها الأسطورية وعلى الممارسات المقامة في أيام هذه الاحتفالات.

## 1- احتفالات النُّيروز

### 1.1. ميقاته وجذوره

النُّيروز هذا الاحتفال المتجذر له أهمية كبيرة عند الفرس وعند الأقباط في مصر، فهو يوم الفرح الذي يرجى منه التجديد، وتقدير المصائر، ويتلفظ أيضا "توروز" ومعناه اليوم الجديد، وهو عيد لعدد من الشعوب الهندو أوربية-الآرية، وهو يصادف 21 آذار من السنة الميلادية<sup>3</sup>، وإذا كانت سنة العالم -على ما اتفق عليه المنجمون- هي من حين حلول الشمس رأس الحمل وهو

<sup>1</sup> ينظر: محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية وآثرها في شعر التروبادور، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، مستغانم، الجزائر، ط1، 1433-2012، ص155.

<sup>2</sup> دوتي، السحر والدين في شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص450.

<sup>3</sup> هيرش محمد أمين، نوروز ودلالاته في الشعر العربي القديم والحديث، قسم اللغة العربية، كلية اللغات، جامعة السليمانية، 2017، ص6.

الاعتدال الربيعي<sup>1</sup>، فهذا ما يتوافق مع ابتداء السنة الفارسية. النيروز مثل كل سناريو شعائري للسنة الجديدة، كان يجدد العالم بالتكرار الرمزي للنشكونية<sup>2</sup>.

ولقد كثر الكلام حول أصله وجذوره التاريخية، ويتفق الملاحظون أن أول من اتخذ "جمشيد" أحد ملوك الفرس الأول ويقال: فيه جمشاد، ومعنى جم القمر، وشاد الشعاع والضياء، وسبب اتخاذهم لهذا العيد أن طهومت لما هلك، ملك بعده جمشاد فسمي اليوم الذي هلك فيه نُوروز، أي اليوم الجديد<sup>3</sup>، وقد أرفد "البيروني" عدة روايات عن أصل النيروز<sup>4</sup>، يرى "الخيام" في كتابه "نوروز نامه" أن كيومرث-الأول من ملوك الفرس- حينما ترعب على العرش، أراد أن يضع أسماء لأيام السنة والشهر وينشئ تاريخا لها كي يعرفها الناس، وفي اليوم الذي دخلت فيه الشمس برج الحمل، جمع موابذة العجم وأمرهم أن يبدؤوا التاريخ من تلك اللحظة... وحين أدرك جمشيد ذلك اليوم، سماه النوروز واحتفل به، ثم حذا الملوك الذين أتوا بعده حذوه في صنيعه هذا<sup>5</sup>. وهناك من يرى أن هذا الرأي هو أقرب للصواب بحجة أنه يتفق مع ما ورد في "الشاهنامه"، عن كيومرث وجمشيد على اعتبار أن الشاهنامه أوثق المصادر التاريخية عن تاريخ الفرس<sup>6</sup>.

## 2.1. تقاليد الاحتفال بعيد النيروز

يُوم الاحتفال بالنيروز عند الفرس ستة أيام، ومن العوائد التي تشيع عندهم تقديم الهدايا، ولا يقدم أحدهم إلا مما يحب، وكان من عادة الملوك في هذا اليوم إخراج ما بخزائنهم من كساء وتوزع على الناس على حسب مراتبهم<sup>7</sup>، ومن عوائد العوام في هذا اليوم إضرام النار في ليلته، وصب

<sup>1</sup>شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الارب في فنون الأدب، تح: مفيد قميحة، ج1، د. ط، د. ت، ص154.

<sup>2</sup>مرسيا الیاد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، تر: عبد الهادي عباس، ج1، دار دمشق، ط1، 1986-1987، ص 393.

<sup>3</sup>شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الارب، مرجع سابق، ص 175.

<sup>4</sup>ينظر: المرجع نفسه، 265.

<sup>5</sup>رمضان رمضان متولي، عمر الخيام عالم الفلك والرياضيات وكتابه نوروز نامه، مر: السباعي محمد السباعي، المركز القومي للترجمة، د. ط، د. ت، ص152.

<sup>6</sup>ينظر: المرجع نفسه، ص153.

<sup>7</sup>ينظر: المرجع نفسه، ص156-157.

الماء في صبيحته<sup>1</sup> وكما جرت العادة أن يلحق كل فرد ثلاث لعقات عسل قبل الكلام، ويدهن بالزيت ويتبخر بثلاث مطاع من الشمع، ذلك لاعتقادهم أن في ذلك شفاء من الأمراض، كما يتهادى الناس السكر فيما بينهم<sup>2</sup>.

حين احتل الفرس مصر انتقلت تقاليد النوروز إلى احتفال بداية السنة الزراعية، ومن التقاليد المتوارثة التراجم بالبيض والتضارب بأنطاع الجلود والأخفاف والعمائم، وكان بعض كبار القوم يفعلون مثل ذلك في بساتينهم وداخل بيوتهم<sup>3</sup>، كما تتشابه تقاليدهم مع العوائد الممارسة في بلاد الفرس "كإشعال النيران والتراش بالماء، وكان من مواسم لهو المصريين قديما وحديثا"<sup>4</sup>.

## 2- احتفالات "تويل" عند المسيحيين

### 1.2. ميقاته وجذوره

كثيرة هي الاحتفالات في الثقافة المسيحية، وهي تمثل عندهم تكرار لحدث حدث في الماضي، لكن يستحيل إعادته لتقوم الاحتفالات بالإنابة عنه، فيعيشون في جو مفعم بالقداسة، وأهم هذه الاحتفالات وأعظمها "ميلاد المسيح"، مخلص البشرية من الآثام حسب زعمهم، لذا تنص الشريعة المسيحية في كل سنة بإعادة تحيين يوم الميلاد، ففي آخر كل سنة تقام احتفالات يرمى من ورائها التخلص من آثام السنة الماضية، كما تمارس طقوس تأثيرية يرجى من ورائها استقبال عام جديد خالٍ من الذنوب والخطايا، وعام خصيب يؤمن فيه نظام الخصوبة.

ومن الاحتفالات الكبرى عند المسيحيين ما يسمى عيد الميلاد المجيد، ويختلف المسيحيون المصريون الشرقيون، مع الغربيين في موعد احتفالاتهم بعيد الميلاد، فبينما يحتفل به في 25 ديسمبر (كانون الأول)، عند الكاثوليك والبروتستانت تحتفل مصر والشرقيون يوم 7 يناير (كانون

<sup>1</sup> ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصرى، كتاب المحاسن والأضداد، طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، ط1، 1324، ص236.

<sup>2</sup> رمضان رمضان متولي، مرجع السابق، ص158.

<sup>3</sup> ينظر: محمد الشتاوي، منتزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعشاني، دار الأفق العربية، ط1، 1419، 1999، ص316-317.

<sup>4</sup> ينظر: تقي الدين أحمد بن علي القرمزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخط القرمزية، تح: محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، ج1، مكتبة مدبولي 1998، ص741.

الثاني) 29 كهيك\* بالتقويم القبطي والاحتفال يسمى بالانجليزية "كريسماس" وفي الفرنسية "نويل" أصله "تانيفيتاس" في اللاتينية، ولم يبدأ الاحتفال بعيد الميلاد إلا منذ منتصف القرن الميلادي، بعدما تحولت الدولة الرومانية إلى الديانة الجديدة على يد الامبراطور قسطنطين، ولا أحد يدري كيف اختير الخامس والعشرون من ديسمبر فقد كان هذا اليوم الاحتفال بهيليوس الذي يمثل الشمس عند الرومان<sup>1</sup>.

## 2.2. تقاليد الاحتفال

تحدث "المقريزي" عن طريقة الاحتفال بهذا اليوم فقال: عيد المسيح ويزعمون أنه اليوم الذي ولد فيه المسيح وهو يوم الاثنين فيحيون عشية ليلة الميلاد، وسُنَّهم فيه كثرة الوقود بالكنائس وتزيينها، ويعملونه بمصر في التاسع والعشرين من كهيك<sup>2</sup>، أما الباحث عصام ستاتي فقد كانت له دراسة ميدانية أسفرت عن الآتي: الصيام والصلاة والاحتفال الكنيسي، هذا بالإضافة إلى شجرة عيد الميلاد التي تزين باللمبات الكهربائية، و يقدم في هذا الاحتفال كعك العيد، و يقوم الأطفال بارتداء ملابس العيد، تقدّم لهم في الكنيسة الألعاب المسلية، ومن التقاليد المعمول بها عند الأسر القدرة ذبح عجل أو خروف ويوزع لحمه على الفقراء، وهناك من يقوم بزيارة المقابر<sup>3</sup>، تماما هذه الممارسات تقوم بها بعض الجماعات في الأمة الإسلامية في أعيادها الدينية، كما اعتاد

\*كهيك: أوله الأربعينيات بمصر ويدخل الطير وكره، في سادسه بشاره مريم بحمل عيسى عليه السلام، وفي سابعه أو كانون الأول وفي عاشره آخر الليالي البلق، وأولها أول هاتور في حادي عشر أول الليالي السود ويدخل النمل الأحجرة، وفي ثالث عشرة يطلع الفجر بالشولة وتظهر البراغيث ويسخن باطن الأرض وفي سادس عشر يسقط ورق الشجر وفي السابع عشر تنتقل الشمس إلى برج الجدي فيدخل فصل الشتاء، وفي حادي عشر يكون آخر الليالي البلق، وفي ثاني عشر عيد البشارة، وفي ثالثة عشره تزرع الحلبة والترمس وفي سادس عشره يطلع الفجر بالنعائم ، وفي تاسع عشره الميلاد، وفي هذا الشهر يتكامل بذر القمح والشعير، وفيه يكون إدراك النرجس والفول الأخضر . وفيه يقل هبوب رياح الشمال ويكثر هبوب رياح الجنوب، وفيه يزرع أكثر حبوب الحرث، ولا يزرع بعده في شيء من أرض مصر غير السمسم والقطن = تقي الدين أحمد بن علي القرمزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ص 271.

<sup>1</sup> عصام ستاتي، مقدمة في الفولكلور القبطي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د ط، د ت، ص 114.

<sup>2</sup> ينظر: تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ج2، الهيئة العامة لقصور الثقافة، د . ط ، 2002، ص 295.

<sup>3</sup> ينظر: عصام ستاتي، مقدمة في الفولكلور القبطي، مرجع سابق، ص 59.

الفلاحون الألمان في عشية عيد ميلاد المسيح أن يربطوا الأشجار المثمرة ببعضها بعضا بحبل من القش لتزيد من ثمارها، ويقولون إن الأشجار الآن تزوجت<sup>1</sup>.

ثانيا: الخصوصية المحلية لاحتفالات السنة الجديدة "خشوش العام" في منطقة وادي

سوف، "يناير" في منطقة القبائل

وبالمقارنة بين احتفال "يناير" المحتفل به في دول شمال إفريقيا -ضمنيا منطقتي الدراسة- نجد اختلافات بينة، حيث أنّ هذه -النيروز والنويل- الاحتفالات تختلف عن احتفالنا بِنَّايِر من حيث التوقيت ومن حيث الجذور التاريخية والمرجعيات الأسطورية. فالنيروز يحتفل به في مقدم الربيع ونويل على الرغم أنه يتم في المنقلب الشتوي كما في يناير، إلا أن سكان شمال إفريقيا يحتفلون به يوم 12 من يناير الميلادي، وهو بذلك يختلف يوم احتفاله عن احتفالات المسيحيين سواء عند الشرقيين أو الغربيين، أما رأي "محمد عباسة" الذي أكد من خلال دراسته أن "النَّير" بقي يُحتفل به بالغرب الجزائري فقط، بينما بقي مجهولا في باقي الجهات يبدو حَظِل هذا الرأي، من خلال الواقع الممارس في المناطق الجبلية وحتى الصحراوية منذ أقدم العصور، وهذا ما أثبتته الدراسات الإثنوغرافية للمستشرقين وأهل البلاد، كذلك من حيث الطقوس الممارسة في هذه الاحتفالات نجدها تختلف عن احتفالات يناير بوجه عام، حيث أن طقوس احتفال يناير الأمازيغي نجدها تركز على الأرض والمحصول الزراعي في الأراضي الأمازيغية، إضافة إلى طقوس أخرى لها علاقة بالهوية كاللباس والحلي وطبخ الأكلات الشعبية الخاصة بالمنطقة الجغرافية، كما أن احتفال يناير لا يرتبط بواقعة دينية كما عند المسيحيين، إضافة إلى أن تشابه العوائد إلى حد التّطابق في دول شمال إفريقيا يجعلنا نستبعد فكرة أن يناير هي امتداد لاحتفالات النيروز أو النّويل.

وربما هذا ما جعل بعض الدارسين يعتبرون احتفال "ينَّايِر" أمازيغي الأصل وربطوه بمرجعية أسطورية وتاريخية وطبيعية، باعتباره احتفالا متعلقا بالزراعة، فمنذ القدم عُرف الأمازيغ بارتباطهم الشديد بالأرض الأم، ذلك راجع للمناخ المناسب فهي منطقة كثيرة الأمطار والثلوج، كما أن طبيعة

<sup>1</sup> جيمس فريزر، الغصن الذهبي، مرجع سابق، ص 159.

أرضهم خصبة، تدمهم بالكثير من الخيرات التي تتفع العباد، من الخضروات والفواكه والبقوليات فهي كما وصفها "هيرودوت" تربتها سوداء وتمدها الينابيع بالمياه الوفيرة، لا تخشى الجفاف ولا الأضرار التي تتسبب بها الأمطار الشديدة؛ لأن الأمطار تتساقط في هذه المنطقة من ليبيا بما فيه الكفاية، وهذا ما جعل معدلات منتج المحاصيل بما فيها البذور توافق محصول أرض بابل<sup>1</sup>، وحتى المرويّات الشعبية في منطقة القبائل تدلنا على أن هذا الاحتفال له علاقة بالطبيعة والمناخ والإنتاج الفلاحي، ففي الحكاية الشعبية المعروفة في منطقة القبائل أنه في إحدى السنوات، وفي شهر يناير بالتحديد هطلت الأمطار بمنطقة القبائل بغزارة كبيرة، فأثمرت الحقول المزروعة بخيرات كثيرة، وهنا قرر الفلاحون جمع الثمار وخلطها ثم توزيعها بالعدل على أهل القرية، من ثم صارت تلك عادة تقام في بداية شهر يناير من كل سنة، وهذا للتضامن وشكر الله على نعمة الأمطار والثلوج التي تسقط في يناير<sup>2</sup>. طبيعي إذن أن يقدر الأمازيغ الطبيعة، ويمارسون في يناير عادات وطقوس تقاؤلية وتأثيرية ويعتقدون أنها مملوكة ومسيرة من قبل قوة خفية، يستطيعون استمالتها بالطقوس والقرابين، وقيمون احتفالات قارة وثابتة في كل المواسم، وأما الأسطورة المرجعية التي تعتبر مؤسسة احتفال يناير حسب الأعراف الشعبيّة فهي أسطورة "عجوز يناير" أو "قرّة العنز"، ففي منطقة "وادي سوف"، هناك من يقول إن "قرّة العنز" تدوم يوماً واحداً وهو يوم الرابع عشر فيفري، وتدل الأسطورة أن العنز سخرت من يناير؛ لأنه انقضى ولم يستطع القضاء عليها رغم برودته القاسية، ولأن من عادة الماعز التأثر بالبرد، حتى إنهم يقولون عن "الجدي" -صغير الماعز- أنه يقول للراعي "يا سيدي الراعي أعطني مسيمير وبيتي في نوغيز\*" بمعنى أعطني القليل من الحليب، أما المبيت فأدخلني في نوغيز؛ لأن البدو قديماً كانوا يحفرون حفراً للجديان -صغار الماعز- ويخبئونها فيها من أجل الدفاء، وبذلك فإن الماعز وصغيره يفضل الدفاء على الأكل في الأيام الباردة، أما الخروف ابن

<sup>1</sup>أحاديث هيرودوت عن الليبيين(الأمازيغ)، تر: مصطفى أعشي، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2009، ص110.

<sup>2</sup>ينظر: فارس كعوان، احتفالات يناير بالجزائر جذورها التاريخية، مظهراتها ودلالاتها الرمزية (مقاربة تاريخية أنثربولوجية)، مجلة التاريخ المتوسطي، العدد الأول، ديسمبر 2019، ص43.

\*النّاغور: حفرة في الأرض دافئة تُخبأ فيها الجدي لحمايته من البرد.

النعجة فإنه يندفأ بصوفه لذلك يقول للراعي: "عَبِيلِي الزُّنْدَاخَةَ\*، وَبَيْتِي فِي السَّاحَةِ" ويقول أيضا "أَعْطَيْتِي صَاعٌ وَارْمِينِي فِي لَصْقَاعٍ" بمعنى أن بعض الحيوانات تفضل الأكل حد الشبع، ولا تخشى البرد، عكس الماعز التي تتأثر بالبرد، لذلك فإنها تسخر من يناير؛ لأنه بالرغم من برودته القاسية التي يقولون عنها: "يَنَابِرُ نَارٌ عَلَى نَارٍ، لَا تَفْرَحُ فِيهِ الْأَطْيَارُ، وَلَا جَارٌ يُطْلُ عَنْ جَارٍ"، فلما سخرت منه العنز غضب وتحداها قائلاً: "أَيَّامَ عِرَّةِ النَّارِ، نِسْلَفَكَ نَهَارٌ مِنْ فُورَارٍ، نِرْمِي فُرُونِكَ وَرَاءَ الدَّوَارِ، يَلْعَبُوا بِيَهْنُ الصَّغَارِ"، وحسب الأسطورة الشَّعبية المتداولة في منطقة "وادي سوف" فإن يناير أخذ يوم من فيفري حيث جاءت عاصفة شديدة البرودة وقتلت العنز<sup>1</sup>، وفحوى أسطورة "عجوز يناير" بمنطقة القبائل، أن عجوزا قررت أن تتحدى الطبيعة وتصدع الجبل قبل الأجل، ذلك أن من عادات القبائل قضاء الشتاء في التَّلُّ قرب المنازل، أما في الصيف فإنهم يصعدون الجبل لقضاء المصيف هناك، لكنها أبت احترام الأعراف واختارت عنزاتها وكلبها ليخففوا عنها عناء الرحلة، وعلى الرغم من التحذيرات والإرشادات التي تلقته من الجيران إلا أنها لم تصغ لأي طرف واختارت اختراق الأعراف، فكان جزاؤها فصلها عن الجماعة والدعاء عليها بالهلاك بالثلوج، فقد كانوا يرددون:

أربي افكد أمتشيم      يا رب أمدنا بالثلوج

ذقني أذياغ أعلون      يتساقط من الأعالي

أتشلق نيزي نكولان      حتى تتغلق المنافذ

وفي طريقها لبلوغ الجبل تلتقي بعدة شخصيات منها "راعي القرية، و"الأرنب" وبيادرها بالنصيحة من مخاطر مجازفتها، لكنها أعرضت واعتبرت تحديها إنجازا تتربع به على طبيعة الجبل وتتعلم هي ومعرزاتها بخيراته، وبلغ بها العجب والكبر بأن أعلنت العداء ليناير وخاطبته باحتقار قائلة:

\* الزُّنْدَاخَةَ: البَطْنُ.

<sup>1</sup> - الراوي محمد الصالح بن علي، 09 جويلية 2023، وادي سوف.

تزدق يا عمي يناير  
أتحداك يا عمي يناير  
عشرة قلنيك  
عشرة في عينيك يا يناير  
ففع فغنت ثغطنيو  
خرجت وخرجت عنزاتي

فقبل يناير تحدي العجوز، وتوسل من فورار أن يسلف له ليلا ونهارا فقال له:

اتسخيلك يا عمي فورار  
أتوسل إليك يا عمي فورار  
رضلي كان ليل ونهار  
سلف لي ليلا ونهارا  
ادسرغغ ثامغارث ملغرور  
نجمد العجوز فم العار

استجاب فورار لطلب يناير وسلف له آخر يوم من أيامه، وحانت فرصة يناير للانتقام فهبت عواصف وأمطار قوية وشديدة البرد، وسقطت الثلوج، فلم تقو العجوز ومعزاتها على تحملها وبذلك هلكت هي ونسلها وأهل قريتها وأملاكهم ولم يبق سوى تمثالها وأربعة صخور على شكل حيوانات تمثل العنزات الثلاث والكلبة، ويعتقد الأهالي في جرجرة أنه منذ هذه الحادثة أصبح 31 يوما ليناير، و28 أو 29 يوما لفيبرير<sup>1</sup>، وتختلف روايات أسطورة عجوز يناير من منطقة لأخرى، تنتوع مروياتها عبر ربوع الوطن ويتفق محتوى الأسطورة، فالعنز أو العجوز تحدت يناير شهر البرد الشديد والأمطار والثلوج أي أنه شهر الخصوبة، وفي آخر المطاف كانت نهايتها الموت حين استنف يوما من فورار وعاقبها بحيث أبادها هي وأمتعتها وأغنامها، ووصل انتقام يناير حسب المرجعية القبائلية، بأن قضى على نسلها وأهل قريتها وأملاكهم، وبالتالي فإن الأسطورة تتحدث عن مصير اختراق الثاموس الطبيعي والثاموس الاجتماعي الذي تواضعت عليه الجماعات الشعبية، حين أرادت العجوز صعود الجبل قبل موسم الصعود المتعارف عليه اجتماعيا، وأيضا لم تُصغي لإرشادات الراعي الذي يعتبر "خبيرا" وهو أدري بشؤون المناخ، وبالتالي فإن العجوز حاولت هدم الأعراف التي تنظم الحياة الاجتماعية، والانسلاخ من الجماعة واتباع الهوى والتّموقع حول الذاتية، وهذا ما لم تقدر عليه وانتهى وجودها.

<sup>1</sup> ينظر: خالد عيقون، مرجع سابق، ص من 56 إلى 62.

وبالتالي فإن احتفال يناير الأمازيغي يحمل في طياته معاني كإلزامية احترام النواميس الكونية والطبيعية والاجتماعية، كما يهدف هذا الاحتفال بناء على هذه الأسطورة المحلية إلى عقد الصلح مع الطبيعة، فيناير بما أنه شهر الخصوبة له سلطة على بقية الشهور، وبالتالي فإنه يمكن أن يعود بعواصفه الغاضبة في أي شهر أراد، لذلك الأمازيغ يبجلون يناير ويحتفلون بالأيام الأولى لدخوله، احتفاء بخيرات الأرض و تعبيراً عن الامتنان والخوف من العقاب ومعاودة الحادثة الأليمة التي قد تتسبب الخيرات إذا أعيدت، وهذا ما يخلق الفوضى ويؤدي إلى انتشار المجاعة وربما العودة إلى الحالة الأولى أي العماء، لذلك تُمارس في احتفالات يناير عدة طقوس استرضائية كطهي الأكل بمنتجات الأرض، وأيضاً التبخير الطارد للشر، ومع دخول الإسلام تقلصت هذه الممارسات وتحولت إلى طقوس شفوية على شكل أدعية إسلامية تدعو الله بأن يحفظ النعم التي تنتجها أراضي البلاد، وتُمارس في بعض المناطق طقوس وقائية لإرضاء الطبيعة، فمنهم من يعزف عن الخروج للرعي وكأنهم يُشاركون الطبيعة لعنتها على العجوز ويعبرون عن استيائهم لخطأ العجوز، كما يهدف احتفال يناير إلى تثبيت الأجهزة الأمنية التي يقوم عليها المجتمع كنظام "التوزيعي" ونظام "تجمعات"، وتفاعل الفرد مع المجتمع من خلال الوقوف على التابوهات والعادات والأعراف... وتلقينها للأجيال القادمة عن طريق المشاركة في أداء الطقوس.

يمكن اعتبار احتفال يناير غرضه انقاء شرور العجوز؛ لأن عودتها تجلب سوء الطقس، وإذا تأملنا بعض المعتقدات الخاصة بالعجوز في المنطقتين نجد ربط بين العجوز والروح الشريرة، إذن نفهم من هذه الأسطورة أن العجوز هي من جلبت الطقس القاسي المخرب، وأن روحها الشريرة قد تعود كما يدلنا المعتقد السائد في المنطقتين يوم يناير، وتلحق الضرر بكل من لا يحترم الطقوس المقررة في ذلك اليوم، حيث في منطقة القبائل يتوجب على الأطفال الأكل حتى الشبع، وإلا فإن هذه العجوز ستفتح بطونهم، كما أنه من لا يشبع في ذلك اليوم فإنه ستجعله جائعاً طوال السنة، وفي منطقة "وادي سوف" يطلق عليها "ذبوعة" وهناك عدة معتقدات عند السّوافة عند مجيئ هذه الشخصية ليلة 14 يناير، حيث يعتقدون أن الماء في هذه الليلة يتحول إلى دم، وحين يغفل أحدهم ويشرب منه يموت مباشرة، ولتفادي هذا التّحول المميت حسبهم فإنهم يرمون نواة التّمّر في الماء

لاعتقادهم أن النواة في الحقيقة هي خاتم النبي ﷺ. ومن عوائد نساء منطقة سوف في هذه الليلة أنهم حين يطبخن العشاء، يتركن بقية الطعام مع قطعة لحم وملعقة، فقد ساد الاعتقاد أن دُبوعة قد تكون جنية تأتي في هذه الليلة لتأكل نصيبها من طعام العشاء، ومن عوائدهن أيضاً أنهم لا يغسلن قدر الطعام في هذه الليلة، كما أنهم يتحاشين ذكر اسمها (دُبوعة) حتى لا تلحقهم لعناتها<sup>1</sup>، نلاحظ من جهة أخرى النظرة المقدسة لعجوز يناير في منطقتي الدراسة، فمن جهة تعتبر رمزا للشر ومن جهة أخرى رمزا للخير إذا مورست طقوس لاسترضائها، وهذه النظرة تماثل نظرة مجتمع الدراسة إلى الحرس (إعساسن)، وهذا ما يجعلنا نفترض مرة أخرى أن احتفال يناير هو مناسبة لإعادة عقد الصلح مع الأرواح الخفية التي تنتشر في احتفالات يناير باعتباره اليوم الذي تعاد فيه ولادة العالم.

كما لا ننسى أن احتفالات السنة الجديدة في منطقتي الدراسة توافق خروج الليالي البيض ودخول الليالي السود حسب التقويم الفلاحي الشعبي، ففي هذه الفترة ينقضي الشتاء الصغير أو ما يعرف في التقويم الشعبي "الليالي البيض" وتمتد هذه الفترة من يوم خمسة وعشرين ديسمبر وتنتهي يوم ثلاثة عشرة جانفي وهي كما ذكرنا سابقا تتميز بالبرد الشديد الذي يعطل نمو الإنسان والحيوان والنبات، وعن هذه الليالي نقول الأمثال الشعبية في منطقة "وادي سوف":

"فِي يَنَابِرٍ لُكُونِيَيْنِ قِمَائِرٍ" أي؛ أنه في شهر يناير يكثر الناس من إيقاد الكانون لغرض الاستدفاء.

"صَمُورٌ خَيْرٌ مِنْ فُطُورٍ" أي؛ أن الناس يفضلون إشعال النيران للاستدفاء على الأكل في هذه الليالي.

إذا تمثل هذه الفترة الزمنية الانتقال من البرد إلى الاعتدال في جو الأرض، لذلك يقولون عن هذه الليالي "في الليالي السود يُقَرَحُ كُلُّ عُوْدٍ، وَيُرْحَلُ كُلُّ مَسْعُودٍ" و"تَحَلَّنَا اللَّيَالِي السُّودُ يَحْيَا كُلُّ عُوْدٍ" ويقولون أيضا عن هذه الليالي "يَجْرِي الدَّمُ فِي الْعِرْقِ، وَيَجْرِي الْعِرْقُ فِي الْأَرْضِ وَيَجْرِي الْمَاءُ فِي الْعُودِ" بمعنى أن درجة حرارة الأرض تباشر في الارتفاع، ودليلهم إلى ذلك "يُرْحَلُ كُلُّ مَسْعُودٍ" والمَسْعُودُ هو "الفُئُذ"، وقد مثل البدوي بالقنفذ؛ لأنه عمليا يَعْمَلُ "البيات الشتوي" أي أنه يختفي من

<sup>1</sup> لقاء مع الراوية زهرة زغدي، 75 سنة، 20-01-2023، وادي سوف.

شدة البرد، ففي هذه الليالي يخرج القنفذ إيذانا بأن عملية دفئ الأرض قد انطلقت، حتى إن هناك بعض خشاش الأرض تتم مراوغتها من طرف الجو، فحين ترتفع درجة الحرارة في وضوح النهار تخرج كالشرشمان (السَفَنُفُور)، لكنه بعد العصر يكشف من شدة البرد، حتى إنه قيل في المثل الشعبي: "عَرَّتْ بِهِ شَمْسُ اللَّيَالِي". وبالتالي تبدأ الأرض وليس الجو في عملية الدفء، لذلك في هذه الليالي يخرج الأزهار وأوراق النباتات، أما الجو في هذه الليالي فقد تحدث فيه عواصف يسميها الأجداد "الشَّرَاوِي"، ولذلك فإن الفلاح خاصة يستبشر خيرا بهذه الليالي، وفي هذا يقول المثل الشعبي: "إِذَا مَا تَوَّأَ اللَّيَالِي هِزُّ عَصَاتِكَ وَوَالِي" وبهذا تنطلق عملية الفلاحة. وفي الثقافة الشعبية عند أهل سوف فإن الشجر يفضل تقليمه في الليالي السود، حتى قيل في المثل الشعبي أن الشجرة تقول للفلاح: "أُزْرِنِي فِي اللَّيَالِي وَلَا خَلِي حَالِي"<sup>1</sup>، وبما أنه في هذه الليالي تبدأ عملية الغراسة فإنه كذلك ينشط سوق النبات والأشجار. احتفالات السنة الجديدة إذا ترمز إلى احتفاء الفلاحين خاصة بالأرض والزراعة، فالأرض الأم حسب اعتقادات الأمازيغ هي منبع الثقافة، وما يتولد منها ساهم بشكل كبير في تقدم الإنسان وبناء الحضارة، والانتقال من الوحشية إلى الإنسانية القائمة على طابوهات تحفظ ضروريات الإنسان من حفظ الذات وحفظ البقاء.

ومن جهة أخرى ربطت الروايات الشفوية احتفال يناير بحدث سياسي وتاريخي حصل في تاريخ الأمازيغ، يتمثل في وصول "شيشناق" البربري إلى الحكم في مصر الفرعونية سنة 950 قبل الميلاد، ويعتبر تولى شيشناق الأول عرش ملك الكنانة بوصفه فاتحة فراعنة الأسرة الثانية والعشرين بداية إنعاش للروح الحربية والسياسية في تاريخ مصر الحربي والسياسي مما أعاد لها بعض مجدها السالف، والملاحظ أنه كان لهذه الشخصية مطامح واسعة المدى، خاصة وأنه مدعوم من قبل الأجناد المرتزقة من اللوبيين<sup>2</sup> و"لما توالى ((شيشناق)) مقاليد الحكم أخذ أولا في توطيد أركان السلام والأمن في ربوع البلاد، وبعد ذلك عزم على أن يقوم لآلهته الذين نصره وعزروه بتجميل

<sup>1</sup> جمعنا هذه المعلومات من عند الراوي محمد الصالح بن علي، 9 جويلية 2023، وادي سوف.

<sup>2</sup> ينظر: سليم حسن، مصر القديمة، مطبعة جامعة فؤاد الأول، ج9، 1952، ص129.

معابدهم"<sup>1</sup>، من هذا المنطلق افتعل البربر ما يُسمى بالتَّقويم البربري وسموه التقويم الششنقي، واعتمده كراس للسنة البربرية والاحتفال به كعيد وطني موغل في القدم<sup>2</sup>.

غير أن العديد من الأبحاث التاريخية فندت الروايات الشعبية التي تحدثت بهذا الأمر من بينهم الباحثة أم الخير عيقون، وتبريرها على ذلك البعد الزمني بين رمسيس الثالث وشيشنق، ثم إن الفرعون رمسيس الثالث لم يصل إلى تلمسان ليخوض معارك كما هو معروف حسب الروايات الشعبية؛ لأن الوثائق التاريخية تؤكد أن أبعد مدينة التحم فيها بجيش القبائل الليبية يقدرها المختصون بأنها تبعد حوالي 18 كم فقط غرب حدود دلتا المصرية، ولأن ((شيشنق)) اعتلى عرش مصر بطريقة سلمية\* وليس بالقوة كما روجت له المرويات المحلية، ومن الحجج التي تدحض هذا الرأي حسب اعتقاد الباحثة أن شيشنق لم يعترف به الليبيون؛ لأنهم كانوا يعتبرونه حاكما مصرية، فكيف لأحفاد هؤلاء الليبيين أن يعتبروا اليوم هذا الرجل الذي ينتمي إلى الثقافة المصرية رمزا أسطوريا للأمازيغ. تتساءل الباحثة أم الخير عيقون، ذلك أنه لا يربطه بالأمازيغ رابط سوى أصله، فهو متشرب عادات المصريين، وتقترح الباحثة ربط هذا الاحتفال بأول شخصية أمازيغية عُرُفت بالمقاومة والثبات رغم عدم تكافئ القوى بينه وبين الفرعون الذي أراد التدخل في الشؤون الداخلية لليبيين الأمازيغ وتقصده بقولها العظيم "كبر" وابنه "مششر"<sup>3</sup>.

ومهما تعددت الآراء حول أصل هذا الاحتفال، تبقى الخصوصية المحلية بادية في الاحتفال، من خلال الاحتفاء بخيرات الطبيعة، ومن خلال الاحتفاء بالألبسة التي تعكس الهوية، وأيضا ربط الاحتفال بأساطير لها علاقة بالموروث الثقافي الأمازيغي، وأيضا من خلال إقحام بعض الممارسات المستمدة من الثقافة العربية الإسلامية، كما لا يمكن إنكار تأثير الثقافات

<sup>1</sup> سليم حسن، مصر القديمة، ص109.

<sup>2</sup> ينظر: عثمان سعدي، البربر الأمازيغ عرب عاربة وعروبة الشمال الإفريقي عبر التاريخ، دار الأمة، دط، 2018، ص13-14.

\* للاطلاع أكثر بخصوص هذه الفكرة يراجع كتاب: سليم حسن، مصر القديمة، جامعة فؤاد الأول، ج9، مرجع سابق.

<sup>3</sup> ينظر: أم الخير عيقون، يناير حقيقة أم مغالطة تاريخية: أو الحقيقة بين الرواية الشفوية والكتابة التاريخية، مجلة العلوم الإنسانية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران 1 (أحمد بن بلة)، ص12.

المتعاقبة على هذه الأرض، وبالتالي يمكننا القول: إنَّ احتفالات السنة الجديدة، قد تكون رومانية أو هي بقايا احتفالات قديمة بالماهية، وأمازيغية عربية إسلامية بالعرض.

### ثالثا: المشتركات الثقافية بين الشعوب في احتفالات السنة الجديدة

على الرغم من أن الحديث أعلاه يبرر خصوصية احتفال السنة الجديدة، بدول شمال إفريقيا أو بالأحرى بالأراضي الأمازيغية، فإنه لا يمكن إنكار التداخل الثقافي في الاحتفالات العالمية، وهذا التداخل يكون عادة نتيجة الرواسب الثقافية وليدة تعاقب الثقافات على الحيز الجغرافي، وهذا ما يخلق التفاعل بين الثقافات، من ذلك كل الأمم احتفلت ببداية السنة باعتبارها عتبة العالم الجديد، وهنا تظهر المشتركات الثقافية التي تتم عن وحدة الفكر البشري الذي يتصرف بطريقة متشابهة ومتقاربة تهدف إلى تلبية حاجات الإنسان الضرورية، ومن هذه المشتركات نذكر:

#### 1- العودة إلى البدايات وإعادة خلق العالم

يعتبر الاحتفال بالسنة الجديدة مشتركا ثقافيا عرفته العديد من شعوب العالم، وعلى الرغم من اختلاف المرجعيات والتوقيت لهذا الاحتفال إلا أن المشترك هو تفاعل الشعوب مع عتبات السنة، واعتقادها أنها تُساهم في تجديد الكون، وهذا ما يوضحه فراس السَّواح في قوله: "في أعياد رأس السنة يساهم المحتفلون جميعا من خلال مشاركتهم بالطقس بإعادة خلق العالم وتجديده"<sup>1</sup>، فكما أوضحنا فإن شعوب شمال إفريقيا تحتفل بيناير، وأما الفرس يحتفلون بالنيروز الذي يجرى فيه تجديد العالم حيث يقول الملك: "هذا يوم جديد، من شهر جديد من عام جديد، من زمان جديد، نحتاج أن نجدد فيه ما أخلق من الزمان"<sup>2</sup>، والمسيحيون يحتفلون بولادة المسيح، وهم بذلك يعتقدون أنهم يساهمون في ولادة الكون من جديد وتجديد دورة الطبيعة، وذلك عن طريق العود إلى زمن الانطلاق و مشاركة الآلهة أعمالها الأولى، وكذلك يحتفل العراقيون بالمقدم من السنة باحتفال يُسمى "الأكيتو"، وهو من أهم الأعياد وأجلها عند العراقيين القدماء، و"الاسم السومري لهذا العيد

<sup>1</sup> فراس السواح، الأسطورة والمعنى-دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية، دار علاء الدين، دمشق، ط2، 2001، ص143.

<sup>2</sup> شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب، مرجع سابق، ص175-176.

a-Ktil الذي يعني قوة تعمل على إعادة إحياء العالم، تيل Til يعني عاش وعاود الحياة وشفى<sup>1</sup>. تتشابه طقوسه الاحتفالية مع احتفالات النيروز في بعض عوائدها، هذا الاحتفال-الاكيتو- عام يحتفل به الناس من مختلف طبقاتهم وعلى رأسهم الملك، ف"ما دام يعتبر ابنا وخلفا للإله على الأرض، فهو بهذه الصفة مسؤول عن انتظام الإيقاعات في الطبيعة"<sup>2</sup>، يشاركون الأرض الأم في ولادة الكون، وفي الأصل فإن الاحتفال هو بوابة العام الجديد، يهدف إلى تطهير وتحرير العالم من الجرائم والآثام التي قد تؤدي إلى عودة العالم إلى العماء، وأيضا يهدف إلى تشييع سنة مضت، واستقبال عام في هذا اليوم يعتبر مازال صفحة بيضاء، وعن طريق ممارسة طقوسهم وشعارهم يوم الأكييتو يعتقدون أنهم يكتبون عليها ما يشاؤون من مستلزمات الحياة، أما أيام الاحتفال فكانت تدوم اثني عشر يوما بحسب أشهر السنة. فتبدأ الاحتفالات اليوم الأول من شهر نيسان، وتنتهي في الثاني عشر منه<sup>3</sup>، وفي كل يوم من أيام الاحتفال كانت تقام طقوس معينة في بيت الاكيتو، و في احتفال الاكيتو تُقرأ قصة الخليقة التي يمجّد فيها الإله مردوك، ويعاد تمثيل درامي أحداث الصراع بين مردوك رمز الخير و الآلهة تيامات رمز الشر والفوضى<sup>4</sup>، يشارك المحتفلون في هذه الدراما وهم يشعرون بطريقة ما بأنهم يعملون جنبا إلى جنب مع الآلهة الخالقة على إعادة خلق وتجديد العالم الذي بلي في السنة القديمة، وإخراجه غصّا ونَصِرا كشأنه عندما انبثق لأول مرة من لجة الهيلولى<sup>5</sup>.

وكما يحتفل اليهود بعيد رأس السنة "روش هاشانا" في أول وثاني يوم من شهر تشرين أيلول-تشرين أول وبالرغم من أن هذا العيد ليس له مرجعية دينية أو أسطورية، إلا أنه يعد من أجلّ الأيام عند اليهود، فحسب عقيدتهم اليهودية فإنه اليوم الذي خلق فيه الله العالم، وفي كل سنة من نفس

<sup>1</sup> مرسيا الياد، تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية، ج1، مرجع سابق، ص84.

<sup>2</sup> مرسيا الياد، أسطورة العود الأبدي، مرجع سابق، ص105.

<sup>3</sup> محمود حسين الأمين، اكييتو أو أعياد رأس السنة البابلية وعقيد الخلود والبعث بعد الموت، اشور بانبيال للكتاب، ط1، 2018، ص29.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص31-34

<sup>5</sup> فراس السواح، الأسطورة والمعنى -دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية، دار علاء الدين، دمشق، ط2، 2001،

ص143. ومرسيا الياد، المقدس والعادي، ص 111

اليوم تمر فيه المخلوقات أمام الله كقطيع الأغنام، لذلك فإنه يهدف هذا الاحتفال حسبهم-اليهود- إلى محاسبة أنفسهم على ما اقترفوه طوال السنة، ومن عادات وتقاليد اليهود في هذا الاحتفال تناول وجبات معينة كالخبز والتفاح المغموس في العسل الذي يؤكل مع تلاوة صلوات تعبر عن الأمل في أن تكون السنة القادمة سعيدة، ومن عادات اليهودي في اليوم التالي أن يتذوق فاكهة لم يتناولها في السنة المنقضية، ومن عوائدهم في احتفال رأس السنة التوجه بعد العصر إلى الأنهار أو أي مكان فيه المياه الجارية قصد التطهر وإزالة ذنوب السنة الفائتة، وبذلك يعتقدون أنهم يبدؤون السنة الجديدة خالية من الذنوب<sup>1</sup>.

ومنه فإن الشعوب العالمية مارست طقوس الاحتفاء بدخول عام جديد، ومحو سنة منصرمة، واعتقدت أنّ هذه الممارسات تُساهم في ولادة العالم من جديد وإرجاعه صفحة بيضاء كما خلقته الآلهة أول مرة، لكننا بالتأكيد نلاحظ جلياً تعدّد أزمانة الاحتفال برأس السنة، حيث أن الثقافات الإنسانية لا تشترك في يوم معين أو فصل محدد وتعيينه لحظة ثابتة يُعلن فيها بداية السنة، راجع طبعاً إلى الطبيعية والجغرافيا والبيئية والثقافية والدينية والسياسية، فلكل شعب تأملاته وفلسفته الخاصة، لذلك يقول "مرسيا": "مكاننا مفهوم لنهاية دورة زمانية وبيدائتها، قائماً على أساس ملاحظة الإيقاعات الحيوية-الكونية"<sup>2</sup>، ولكن كما بيئاً فإن الغرض الأساسي من الطقوس العودة إلى الزمن الأول الأصيل ومحاكاة العمل الإلهي الأول الذي أعلن البدايات.

## 2- عودة الأموات

إن عقيدة عودة الأموات آمنت بها شعوب عديدة، حيث اعتبرت هذه الشعوب أن الأجساد هي التي تغادر الحياة الدنياوية، أما الأرواح فتبقى عالقة تتحين الفرص للعودة ومشاركة ذويهم في ترميم حياتهم، وبما أنه في رأس السنة الجديدة يتجدد "الأمل بإلغاء الزمن، ممكن في هذه اللحظة الميظيقية حين ينتهي العالم ويعاد خلقه من جديد، عندئذ يكون بوسع الأموات أن يأتوا ثانية؛ لأن كل حاجز يتهدم بين الأحياء والأموات"<sup>3</sup>، وعودة الأموات -خاصة الصالحين- في هذا

<sup>1</sup> ينظر: غازي السعدي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، دار الجليل، عمان، ط1، 1994، ص12.

<sup>2</sup> مرسيا اليباد، أسطورة العود الأبدي، مرجع سابق، ص100.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص116

اليوم يكون بغرض مشاركة الأحياء في تقوية الخصوبة هذا ما شاهدناه في طقوس يناير، وأما الأشرار فيكون غرضهم إلقاء الشرور في هذا العالم، لذلك نجد في احتفال يناير طقوسا تهدف إلى إبعادهم ويتضح هذا الأمر حين تعمد النساء إلى حل النَّسِيج في منطقة القبائل حتى لا تعلق في خيوطها الأرواح الشريرة، كما تمارس في احتفالات السنة الجديدة طقوسا لاسترضائهم كعادة إحراق البخور التي تمارسها النساء السوفيات في "خُشوش العام".

إن الاعتقاد بعودة الأسلاف في شكل قوى خفية حامية للبيوت، معتقد شائع في كل الثقافات، فتكشف عادات وطقوس الدفن عن اعتقاد المصريين بأن القوة الحيوية في الجسد الإنساني تبقى على اتصال بالعالم الدنيوي بعد الممات<sup>1</sup>، ومن معتقدات الشعوب التي تسكن القسم الشمالي من نيجيريا، يطلق "الحوصة" على الجن اسم بوري Bori، ويوجدون دائما حول الناس والذين يجب تهدئتهم وإرضائهم، فهم قادرون على الحب والغضب والعرفان بالجميل، ومن أجل كسب رضاهم تقدم لهم ضحية من الدجاج أو الخراف<sup>2</sup>، و في روما هناك معتقد أن الموتى يبكون أعضاء في العشيرة، ويتوجب تبجيلهم، وهذا المعتقد بمثابة حجر الزاوية في الدين والحياة الاجتماعية للرومان، وإلى جماعة الأسلاف ينتمي الـ دي بناتي De Penates الذين اعتبروا منذ أقدم الأزمنة بمثابة القوى التي تؤمّن ما يكفي من الطعام للناس، كانوا يعبدون في المنازل، ثم تحولوا فيما بعد إلى حماة قوميين<sup>3</sup>، وكان الجرمان في جميع مناطقهم يكتّون الخوف والتبجيل لأرواح الموتى ويعتقدون بامتلاكها لقوى سحرية خارقة<sup>4</sup>، وفي الميثولوجيا التيونية كان هناك نوع من الجن الذين استقروا في منازل البشر كأرواح أليفة يدعون الكوبولد Kobolds يجلبون المنفعة للبيت، يجلبون الماء

<sup>1</sup> ينظر: فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، الشرق القديم، الكتاب الثاني، تر: ديميتري أفينيريوس وآخرون، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط4، 2017، ص22.

<sup>2</sup> ينظر: فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الأول، مرجع سابق، ص281.

<sup>3</sup> ينظر: فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، اليونان وأوروبا قبل المسيحية، الكتاب الثالث، تر: أسامة منزلي وآخرون، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ط4، 2017، ص251، 252.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص346.

ويحتطبون ويطعمون القطيع ويمشطون شعر الأحصنة، ولم يكن واحدهم يطلب إلا القليل في مقابل خدماته، وهو بعض الحليب وفتات من مائدة العشاء<sup>1</sup>.

وبالتالي في المعتقدات الشعبية، فإن كل نفس لا يمكن لها أن تفارق هذا العالم للأبد، بل تبقى تؤدي وظيفتها على نحو طبيعي، وما الموت إلا مرحلة عبور وليس انقطاعا دائما.

### 3- ممارسة العرافة أو التَّكهن والتَّفَاوُل

التنبؤ بالمستقبل ومحاولة كشف أسرار وأخباره، معتقد إنساني قديم، ذلك أن الإنسان فضولي وعجول بطبعه، يحاول دائما تفكيك غموض الغد المجهول بالاعتماد على إشارات اليوم المعلوم، وقد عرف الإنسان على مرِّ التَّاريخ العديد من الممارسات التي تنتوع من ثقافة إلى أخرى، يعتقد أن لها القدرة على معرفة إرادة الآلهة كالعرافة والتنجيم والضرب على الرمل والشوافة والتفازة وقراءة الفنجان و"تَدْرُويْشَتْ"... كما مارس الإنسان عدة أساليب تفاؤلية تجلب المراد، وهذا ضرب من السحر التَّشابهي، وهو تماما ما نجده في احتفالات رأس العام، فكما بينا فإن رأس العام "يناير" يعتبر يوم تقرير المصائر، حيث يركز الاحتفال على تزكية الجانب الغذائي على اعتبار أنه هو الذي يحقق الوجود أولا، والجانب الاقتصادي الذي يُزهر فترة تكوين الماهية، دون إغفال الجوانب الأخرى التي تؤسس الحياة كالأنظمة الاجتماعية والسياسية والدينية... وعلى أن ما يخشاه النَّاس أن يكون المستقبل يخبي لهم ما لا يتوقعونه، وهذا ما دلتهم عليه التَّجارب، ولتفادي التَّوقعات السلبية والتشاؤم، يمارسون طقوسا تفاؤلية تهده من روعهم، ومن ذلك فإن احتفالات رأس السنة تعجَّ بالطقوس التي تنتوع فيها الأكلات التي تكون مكوناتها بالأساس حول ما تنتجها الأرض وذلك فالأبأن تدوم تلك الغلَّة، ومحاولة لكشف مستقبل الإنتاج المحلي، وعليه يُشترط في منطقة القبائل طبخ الكسكس بالمواد الجافة "سكسو سفعة إسْبَفَار"، وهذا نوع من العرافة أو الكهانة، على اعتبار أنها تهدف إلى المعرفة الفورية لنيات القوى الروحية ومزاجها"<sup>2</sup>، إذ أن وضع المواد في الماء حدَّ الانتفاخ، يُنبئ عن نمو محصول العام كله، كما لا ننسى أن منطقة القبائل يعتمد اقتصادها على

<sup>1</sup> ينظر: فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، اليونان وأوروبا قبل المسيحية، الكتاب الثالث، مرجع سابق، ص 351.

<sup>2</sup> فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، الشعوب البدائية والعصر الحجري، الكتاب الأول، مرجع سابق، ص 20.

إنتاج المواد الجافة، وذلك راجع إلى لطافة جوها ما يجعل أرضها صالحة لزراعة الحبوب، وهذا ما أكده اصطيفان أكصيل في قوله: "لطافة الجو في مناطق القبائل في فصل الشتاء تمكن الحبوب من الاستمرار في النمو ومن الوصول بسرعة إلى النضج"<sup>1</sup>، عكس منطقة سوف الصحراوية التي لا تنمو فيها الحبوب، بسبب طبيعة المناخ، والحبوب يؤتى بها من التلؤل، لهذا فإن عشاء "خشوش العام" في المنطقة لا يشترط على الحبوب الجافة كما هو معمول به في منطقة القبائل، بل إن أساس الطبخ في احتفال خشوش العام يعتمد على الجريد الأخضر سواء الذي يُستعمل في إشعال النار، أو في تحريك القدر، وذلك تقاؤل بأن يكون العام خصيبا والغلة كثيرة، وعلى الرغم من تحريم الدين الإسلامي -حسب اجتهاد الفقهاء والعلماء- من ممارسة هذه الأساليب، وفتح باب الاستخارة والدعاء، إلا أن الأهالي لم يستغنوا عن الطرق الشعبية المتداولة والمتوارثة.

وممارسة التنبؤ بالمستقبل مشترك ثقافي إنساني، تُمارسه الجماعات الشعبية خاصة في عتبات السنة، ففي احتفالات النيروز، حيث كانت العادة أن يزرع في جرة سبعة أنواع من الحبوب ويستخلص من نموها نتائج حصاد السنة، وتشبه هذه العادة عادة تقرير المصائر عند الصابئة واليزيديين<sup>2</sup>، ومن تقاليدهم أيضا أنه كان يبني قبل النيروز بخمسة وعشرين يوما في صحن دار الملك اثنتي عشرة أسطوانة من لبن على حسب عدد أشهر السنة، تزرع أسطوانة منها بُراً-القمح- وأسطوانة شعيرا، وأخرى أرزاً، وأخرى عدساً، وأخرى باقليا، وأخرى قرمطا، وأخرى دخناً، وأخرى ذرة، وأخرى لوبيا، وأخرى حمصا، وأخرى سمسما، وأخرى ماشا، وكانوا يزرعون هذه الحبوب للتقاؤل بها<sup>3</sup>، و"في احتفال خميس المشايخ وهو احتفال الربيع في مدينة حمص السورية، يحاول الناس عشية آخر أربعاء في السنة معرفة فألهم، وذلك من خلال رمي أشياء شخصية في جرة، ثم تُخرج منها صبيحة الخميس، ويقرأ الفأل في ديوان حافظ الشيرازي الذي يفتح دون تحديد، فيشير المقطع الذي يفتح

<sup>1</sup> اصطيفان أكصيل، تاريخ شمال إفريقيا القديم، ج1، تر: محمد التازي سعود، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007ص146.

<sup>2</sup> ينظر: مرسيا إلياد، العود الأبدي، مرجع سابق، ص120.

<sup>3</sup> ينظر: رمضان رمضان متولي، عمر الخيام عالم الفلك والرياضيات وكتابه نوروز نامه، المرجع السابق، ص156-157.

الكتاب عليه إلى فال صاحب الشيء الذي تم إخراج<sup>1</sup>، ومن الطقوس التفاضلية التي تمارس في هذا الاحتفال التقاف الناس حول "بئر الأمانى" أو "بئر الحظوظ" كما يشاع تسميته، ويلقون فيها الحجارة ويتمنون ما يشتهون من الأمور الدنيوية التي يحسبون أنها تحقق لهم السعادة كفك عقر العاقر، ضمان مستقبل زاهر للذرية... وإذا سمعوا صدى للحجارة الملقاة فرحوا واستبشروا، وإن لم يسمعوا الصدى تشاءموا من أيام هذا العام<sup>2</sup>، وينتشر اعتقاد الفأل والتكهن في الثقافة المسيحية فقد ذكر ابن الحاج أبو عبد الله في كتابه "المدخل" من تقاليد المسيح في عيد رأس السنة "أن النساء يعملن صبيحة ذلك اليوم عصيدة لآبد من فعلها لكثير منهن، ويزعن أن من لم يفعلها أو يأكل منها في ذلك اليوم يشتد عليه البرد في سنته تلك ولا يحصل له فيها دفء، ولو كان عليه من الثياب ما عسى أن يكون"<sup>3</sup>، وقيل أن من تقاليد النيروز رش الماء في صبيحته، وهذه سنة يرجى منها صب المطر في أوقاتها خلال العام<sup>4</sup>.

يبقى المستقبل يثير في النفس القلق والإحراج، ويبقى الإنسان يلجأ إلى ممارسة التوقعات علّه يعرف نوايا القدر، ورغم أن هذه التوقعات قد تصدق أحياناً وتكذب أخرى، إلا أن الإنسان لا يتوقف عن العمل بها على الرغم من التعاليم الإسلامية بالنسبة للمسلمين تثبت بأن معرفة الغيب شأن الله وحده، لقوله تعالى في سورة النمل/ الآية 65 ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾، والتطور العلمي الذي يفند هذه الممارسات ويعتبرها من الخزعبلات وعلامات التخلف والتحجر، وتبقى العرافة من الأسرار الكونية الغامضة.

#### 4- طرد سنوي للعفاريت والأمراض والخطايا

يعتقد الإنسان الشعبي المتدين بضرورة تنقية العالم من الشوائب التي تحدثها الذنوب والخطايا أو الأرواح الشريرة الخفية التي تثبت بشروها على العالم، فتحل الأمراض والأسقام، لذلك لجأ

<sup>1</sup> خالد عواد الأحمد، عادات ومعتقدات في محافظة حمص، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 1، 2011، ص75.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص76.

<sup>3</sup> ابن الحاج أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري المالكي الفارسي، المدخل، الكتاب الثاني، مرجع سابق، ص59.

<sup>4</sup> ينظر: أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ج2، دار الكتب الخديوية، 1331هـ-1913م، ص409.

الإِنسان إلى عدة ممارسات تطهيرية يعتقد أنها طاردة للشُرور كالتَّبخير، والصلاة وقراءة التَّعاويد والرَّقى والتَّحصين، وأيضاً إحداث فوضى تفرق الأرواح الخبيثة، و"الصوم، والوضوء، والتطهير، إخماد النار ثم إضرامها، وطرده العفاريت بواسطة الضوضاء والصراخ والخبط والللبط يعقبه مطاردتها بإحداث ضوضاء شديدة في أنحاء القرية، كما يمكن أن يمارس طقس طرد العفاريت في شكل طرد احتفال حيواني".<sup>1</sup>

وفي احتفالات رأس السنة الجديدة يعمد الإِنسان المتدين إلى طرد العفاريت والأمراض والخطايا عن طريق الطقوس المنتشرة في محيطه، ففي منطقتي الدراسة رأينا عدة أساليب كتنظيف البيوت، وتغيير الأثاثي، ورمي كل بالٍ وقديم، وشراء الجديد من ملابس وأفرشة، وإشعال النَّار بجريد أخضرٍ جديد، وإحراق البخور، وهذه الطقوس تساعد الإِنسان المتدين من الرجوع من الزمن المدنس للزمن المقدس، وهذا ما بينه "مرسيا إِياد" في قوله: "الطرد السنوي للخطايا والأمراض والعفاريت هو في الأساس محاولة -ولو مؤقتة- لإعادة إنشاء للزمن المييطيقي والبدئي، الزمن النَّقي زمن لحظة الخلق"<sup>2</sup>، وإذا انتقلنا إلى ثقافات شعوب أخرى نجد مثيلاً لهذا المعتقد، ففي احتفالات النيروز تُمارس عدة طقوس طاردة للشُر، يكون غرضها "تحليل العُفونات التي أبقاها الشتاء في الهواء"<sup>3</sup>، وفي احتفالات شم النَّسيم المصري تضمم النَّيران "وتُسمى هذه العملية براغيث الشتاء، هذا دلالة على الحرق ما تبقى من كابوس الشتاء من حشرات ضارة كانت موجودة في فراشهم طيلة الشتاء وبسبب برودة الجو وعدم سطوع الشمس كثرت هذه البراغيث ليأتي الربيع فيشعلوا النَّار فيها"<sup>4</sup>. وفي مناطق أخرى يقوم مجموعة من الشباب بحفر حفرة يرمون فيها القش والحطب ثم يبدأ الشباب في إشعال النَّار والقفز عليها وهم يرددون "خدي براغيتك وهاتي شلايتك" وعند الانتهاء من الاحتفال تردم النساء الحفرة بالتُّراب ويرش الماء فوق التُّراب، في إشارة إلى التخلص من الشرور والأمراض، ومن عاداتهم أيضاً الاستحمام في هذا الاحتفال ووضع الكحل

<sup>1</sup>مرسيا إِياد، العود الأبدي، مرجع سابق، ص101.

<sup>2</sup>مرجع نفسه، ص102-103.

<sup>3</sup>أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ص409.

<sup>4</sup>أحمد مرسي الصباع، دراسات في الثقافة الشعبية، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2001، ص132.

على العين، وترك النوافذ مفتوحة حتى الصباح، وترك الفرش فوق الأسطح ليستقبل الدخان في المساء والشمس في الصباح....<sup>1</sup>، كما تُقام طقوس إزالة الشوائب في احتفالات رأس السنة البابلية، ففي اليوم الخامس من احتفالات الاكيتو تقام فيه طقوس التّطهير برش الماء المأخوذ من حوض دجلة والفرات في المعبد، إضافة إلى إحراق البخور، ودهن أبواب الهيكل بصمغ الأرز، كما يقوم أحد الطباخين بذبح كبش فيفصل رأسه على جسمه، ويمسح كاهن التّعاويذ جدران المعبد وبالأخص محراب الإله بجسم الكبش، ثم يلقي الكاهن بذلك الكبش في النّهر، ويفعل نفس الأمر الجزار برأس الكبش ثم ينصرف إلى الحقل ويمكث فيه حتى اليوم الثاني عشر<sup>2</sup>.

من خلال عرض المشتركات الثقافية بين الشعوب نستنتج أنه بالرغم من الفروقات الفردية والجماعية التي تقر بها الجماعة الاثنية وتتعصب لها، إلا أنه في العمق هناك وحدة إنسانية تتمثل في الرؤية والرؤيا والوسيلة. فالإنسان يشبه الإنسان مهما تنوعت الأمكنة وتعاقت الأزمنة واختلفت الظروف.

<sup>1</sup> ينظر: عصام ستاتي، شم النسيم (أساطير وتاريخ وعادات وطقوس)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2006، ط1، ص135-136.

<sup>2</sup> ينظر: محمود حسين الأمين، اكيتو أو أعياد رأس السنة البابلية وعقيد الخلود والبعث بعد الموت، مرجع سابق، ص31.

## استنتاج

من خلال العمل الميداني والاطلاع على الطقوس الممارسة في منطقتي الدراسة، تبين أن احتفالات رأس السنة ليست محصورة في المناطق التي يتكلم أهلها باللهاجات الأمازيغية فقط، كما هو متداول عند النَّاس، بل هي احتفالات عرفت حتى في المناطق التي يتحدث أهلها العربية كمنطقة "وادي سوف" التي تقع في الجنوب الشرقي الجزائري، وهي احتفالات متشابهة في بعض الطقوس.

وفي مقارنة بين المنطقتين نلاحظ أن هذا الاحتفال ينتشر أكثر في منطقة القبائل، وذلك راجع حسب اعتقادنا إلى أن الانتماء الأمازيغي أقوى في المناطق القبائلية، أما المناطق التي تعتمد اللغة العربية كمنطقة وادي سوف، فعلى مستوى الوعي لا تدرك الانتماء الأمازيغي، إذ يعتقد أهلها أنهم عرب خُصَّ وهذا ما تناقشه الطقوس.

تشابه الطقوس في منطقتي الدراسة بل وفي كل مناطق البلاد، نفسره بوحدة المعتقدات حول تجديد السنة، والانتماء إلى الأرض، إضافة إلى أن ثقافة المنطقتين تنهل من الثقافة الأمازيغية والعربية الإسلامية، أما اختلاف الطقوس فنفسره بخصوصية المناطق، فلكل حيز جغرافي مميزات يتركز عليها في احتفالات بداية السنة فمثلا في منطقة سوف يكون الارتكاز على النَّخْل، وفي منطقة القبائل على الحبوب والقمح ...

من خلال الاطلاع على الدراسات الثقافية تبين أن احتفالات السنة الجديدة لا تخص مجتمعات بعينها، بل هي عامة عرفت من الشعوب الإنسانية، وهذا ما يدل على وحدانية الفكر البشري الذي يركز على حفظ الذات والبقاء، وما يمكن تأكيده أيضا أن الفكر البشري مرن يتكيف مع الثقافات النازحة ويتلاقح معها إن كانت تحفظ خصوصية معتقداته، من هنا تتبثق الثقافات وتعبّر الحدود وتؤثر وتتأثر، فكل شعوب العالم مارست شعائر لاستقبال السنة الجديدة تهدف إلى تجديد الكون والتأثير في دورة الطبيعة، وتنظيم الفصول، وزيادة الخصوبة، من خلال التكرار الرمزي للنشكونية، ومنه يمكننا القول إن احتفالات السنة الجديدة في البلاد المغاربية بصفة عامة إنسانية بالماهية، وأمازيغية بالعرض.

إن احتفالات رأس السنة عرفتها شعوب العالم، ومارستها لأجل تطهير العالم وتحريره من الشرور التي تهدد بفنائه، عن طريق إعادة ولادة الكون، وهذا الفكر نتاج عقيدة راسخة عند الإنسان القديم أن العالم يدور في حلقة ثابتة وقارة، وأن هذا العالم لا يُصلح ما أفسده الزمن منه، بل يرمم عن طريق إيقاف حركة التاريخ والعودة بالشعائر إلى الزمن الديني الأول، ومحاكاة الأعمال البدئية التي قامت بها أبطال مؤلهة.

طقوس احتفالات السنة الجديدة تهدف إلى إعادة ولادة الكون، والاحتفال بالنظام الثقافي الذي أساسه الزراعة، فيعتقد أن تكرار الطقوس يضمن المحافظة عليها، كما تبين هناك اختلافات في الطقوس الممارسة في المنطقتين، وذلك راجع إلى الظروف الطبيعية والمناخية، وهذا ما يدل على اعتقاد الإنسان في قدرته على التأثير على الطبيعة، وهي تؤثر عليه كذلك، فكل منطقة تركز على ما تنتجه أرضها. وما يركنُ إليه شعبها من معتقدات.

## الفصل الثالث

### أنثربولوجيا استحضار المطر

### في منطقتي وادي سوف والقبائل

تقديم

المبحث الأول: اثنوغرافيا احتفالات استحضار المطر في منطقتي وادي سوف والقبائل

المبحث الثاني: إثنولوجيا طقوس استحضار المطر في منطقتي وادي سوف والقبائل

المبحث الثالث: انثربولوجيا استحضار المطر بين المحلية والعالمية

استنتاج

## تقديم

كما رأينا في الفصل الثاني- إذا حلّ المنقلب الشتوي، يمارس الأهالي طقوس ولادة الكون، وتجديد نظام الخصوبة، وفي هذا الفصل سنتعرف على طقوس تنشيط نظام الخصوبة بطلب المطر في موسم المطر، التي تؤدي إلى تأييث العالم.

يعتمد الاقتصاد في المنطقتين على الزراعة، تبعا لهذا فإن الأرض هي الرأسمال الرئيسي في المنطقتين، وبالتالي فالناس ومنهم الفلاحون بخاصة، يعتنون بالماء كأحد الموارد التي تؤثر في خصوبة التربة، خاصة ماء السماء الذي يسقي الأرض وما يوجد عليها، خاصة في الفصول الزراعية (بداية الربيع والخريف). حينما يفسد الزمن بطباع البشر حسب المعتقدات الشعبية، تشح السماء ويتأخر نزول الأمطار، كما يُصيب الحياة العطش و تهدد المزارع، يحتاج الزمن إذا إلى إصلاح عن طريق العودة إلى زمن الأجداد، الزمن الأول، المقدس والمثالي، وبالتالي يوقف الإنسان حركة التاريخ، ويرفض المتدين الاندماج فيه، ويعمد إلى إلغاء الزمن الدنيوي واستعادة الماضي بعودة الناس إلى عصر البدايات الذي تكونت فيه الأفكار الدينية الأولى ودقت أوتادها، هذه الرغبة في العودة إلى الماضي تتجسد عن طريق محاكاة النماذج الأولى، أي تكرار الأعمال البدئية التي قامت بها الآلهة وعلمتها للبشر ثم كررها الأسلاف والأجداد، على شكل طقوس تحمل طابع العود الأبدي، حسب تعبير "مرسيا إلياد"<sup>1</sup>.

كما ألمحنا أن اضطراب النظام الكوني ينذر بنقصان المياه خاصة في مواسم المطر، والناس أرجعوا هذا العطب إلى الآثام والذنوب التي يرتكبها بنو البشر، حينما غرتهم الحياة المادية، فاحتباس الأمطار استنشعار إلهي للعودة إليه، فالآثام الخلقية سبب مباشر للجفاف، والتطهر منها يستعيد تنظيم سير الطبيعة، ونقصان الماء يضعف الرابطة ما بين الإنسان والأرض، وبين الإنسان والإنسان، وبالتالي فهو يضعف الاستقرار والنماسك الاجتماعي<sup>2</sup>، ومنه فإن وجود الماء

<sup>1</sup> ينظر: مرسيا إلياد، أسطورة العود الأبدي، تر: نهاد خياطة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 1987، ص167-168.

<sup>2</sup> محمد بن عبد العزيز بنعبد الله، الماء في الفكر الإسلامي والأدب العربي، ج1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية، 1417-1996، ص9.

يقوي الرابطة ما بين الإنسان والأرض، وبين الإنسان والإنسان، كما يقوي الاستقرار والتماسك الاجتماعي، وسقوط الأمطار وسيلة للحفاظ على الفرشة المائية *nappe*، ومنها تأخذ في التقيب عن مياه الشرب، فمياه الأمطار لها اتجاهات متعددة منها ما ينفذ إلى باطن الأرض ويصبح مياه جوفية، وأخرى تذهب صوب البحار، وأخرى تمتصها التربة وتصبح غذاء النباتات، والمتبقية تتبخر، فالمياه أساس الوجود والموجودات. إذا عدنا إلى منطقتي الدراسة نتبين أهمية ماء الأمطار في منطقة "القبائل" ومنطقة "وادي سوف"، إذ أن اقتصاد المنطقتين كما بيّننا يقوم على الزراعة أولاً<sup>1</sup>، ورغم قلة الأراضي في منطقة القبائل إذا ما قيست مساحتها بعدد سكانها، ورغم المناخ الحار والجاف الذي تمتاز به منطقة وادي سوف الصحراوية، إلا أن اجتهادات وتدابير الفلاحين، جعلت من الزراعة أساساً انتعاش الاقتصاد المحلي، تبعاً لذلك فإن الفلاحين في منطقة "سوف" وفي غياب الأمطار اضطنوا الاعتماد على المياه الجوفية، أما مياه الأمطار فالاعتماد عليها جدّ محدود في رعي المواشي في البادية. لذلك يحفر المزارع الأرض إلى غاية الوصول إلى مستوى الفرشة الأولى *nappe phréatique* وغرس النخيل بالقرب من المياه حتى تسقي نفسها بنفسها. أما في بلاد القبائل فإن مواسم الاستمطار ينتظرها الأهالي وكلهم أمل بنزول المطر، وبالتالي فإن المواسم التي تشهد نزول كميات المطر، تنشط فيها الحياة، فالأسواق مثلاً تنشط في فصل الربيع والخريف، كما تكثر طقوس التكريس والتأهيل.

بناء على ما تقدم يمكننا الحديث عن الأهمية المتفاوتة للأمطار في المنطقتين، في مختلف مجالات حياتهم، وبخاصة في الزراعة بالقبائل وتربية المواشي بسوف، لهذا يعتبر تأخر الأمطار كارثة حقيقية تهدد نظام الحياة، على إثر ذلك يسرع الأهالي إلى ممارسة طقوس سحر-دينية هدفها طلب المطر في أقرب الآجال، حتى تستعيد الطبيعة دورتها على نحو منظم، وهو ما يؤثر على حياة الناس وخصوبة الطبيعة من جهة أخرى. فما هي الطقوس التي يلجأ إليها أهالي المنطقتين طلباً للمطر؟ وإلام يعود التشابه أو الاختلاف الحاصل بينهما؟ وهل هذه الطقوس وليدة ثقافة المنطقتين أم أنها تأخذ أبعاداً أنثربولوجية عالمية؟

<sup>1</sup> ينظر: مدخل هذا البحث.

تبدأ الدراسة بعرض المستوى الاثنوغرافي، نتعرف فيه عن طقوس استئزال المطر في منطقتي البحث: "وادي سوف ومنطقة القبائل"، وبعدها ننتقل إلى المستوى الاثنولوجي، ونحل رموز المواد المستعملة في الطقوس، ونتعرف على الأساطير المؤسسة إن وجدت أي أننا نقوم بعملية الحفر في الطقوس، أما المستوى الثالث وهو المستوى الأنثروبولوجي فننتعرف على مكانة الماء في الثقافات الإنسانية منذ القدم، ونبحث عن تقاطع الثقافات في الأساطير والمعتقدات، حتى الممارسات.

### المبحث الأول: اثنوغرافيا احتفالات استحضر المطر في منطقتي وادي سوف والقبائل

#### أولاً: اثنوغرافيا احتفالات استحضر المطر في منطقة وادي سوف

نظرا لحاجة الحياة إلى المطر في منطقة وادي سوف، فإن الناس يمارسون طقوس الكهانة، التي يعتقدون أنهم يتنبؤون من خلالها بمواسم الأمطار، ففي احتفالات المنقلب الشتوي تعمد النساء إلى وضع صوفة مبللة فوق سطح البيت، وفي الصباح إذا وجد فيها التراب يستبشرون بقولهم: "عام ضامن" أي؛ أنه عام ممطر.

ويدخول الليالي السود تبدأ عملية الزراعة حسب التقويم الفلاحي الشعبي، فهي الأيام التي يبدأ فيها دفء الأرض، وفقا لهذا تنطلق الحياة وتنشط الفلاحة في المنطقة، ويبدأ الفلاح في غرس الخيل، وبهذا يحتاج التبات إلى الماء حتى ينبت الزرع، يستبشر الأهالي خيرا بمطر الربيع، ويتشاءمون من قلته، فالمثل الشعبي يقول "إذا خان مَارَسَ مَا يُخُونِشْ أْبْرِيرِ وَإِذَا خَانُوا الْاَثْنَيْنِ الدُّنْيَا مَا عَادَ فِيهَا خَيْرٌ"<sup>\*</sup>، كما يترقب الناس مطر الخريف بكل شغف؛ لأنه موسم زراعة القمح والشعير، وتردد العامة في ذلك كلمات غنائية مثل:

"بَرْقِ الْهَمْدَ لَأَحْ فِي مِرْنَهْ عَالِي فِي وَفْتِ الْفَلَّاحِ الْزَيْحِ جِبَالِي"<sup>\*\*1</sup>

<sup>\*</sup>أي؛ "إذا خان مَارَسَ لم ينزل المطر - فإن أفريل لا يخون أي سينزل المطر، أما إذا خانا الشهرين، فلم يبقى خير في الدنيا".  
<sup>\*\*</sup> المزن: السحاب الممطر/ وقت الفلاح: هو أكتوبر حسب التقويم الفلاحي الشعبي/ ريح جبالي: ريح تهب من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي في فصل الخريف.

<sup>1</sup>لقاء مع الراوي علي بن عيشة، 25-09-2023، 90 سنة، وادي سوف، وفي رواية إبراهيم بن سميحة: برق الهمد لاح في مزنه عالي\*\* في وقت الفلاح والنصر موالى. ينظر: ديوان إبراهيم بن سميحة جمع وتوثيق وشرح وتعليق أحمد زغب. رابطة الفكر والإبداع ولاية الوادي، 2004، ص 64.

ويقول المثل الشَّعبي عن مطر الخريف "مَطَرُ الْخَرِيفِ خُضْرَةٌ حَتَّى لِلصَّيْفِ".<sup>\*</sup> فمنطقة سوف الصَّحراوية تشهد الأمطار في أيام من موسم معينة، وتشح في باقي الموسم، وحياة النباتات متعلقة بأمطار هذه الموسم، وكذلك حياة الإنسان المرتبطة بحصاد خيرات الأرض، وبالتالي فإن تأخر الأمطار يُفزع الأهالي الذين يخشون قلة المحاصيل، وقد عبرت إحداهن عن جفاف الأرض بسبب قلة الأمطار فقالت: "أَرْضُنَا شَاحَتْ وَقَلَّ ثَرَاهَا دُمُوعُ السَّمَاءِ عَزَّتْ عَلَيْنَا مَاهَا"<sup>\*\*1</sup>.  
ومنه فإن قلة الأمطار في مواسمها مشكل يعوق الحياة في "وادي سوف"، لذلك يُمارس السَّوافة كغيرهم من الشعوب طقوسا تهدف إلى التأثير في المناخ وجلب المطر، وسنذكر فيما يلي هذه الطقوس:

### 1- طقس أم قَطْمَبُو (تَاغْنَجَة):

يستحضر الأهالي طقس "أم قَطْمَبُو" لطلب المطر كلما تأخر نزوله، حيث يحمل الأطفال هيكلا آدميا يصنع من الخشب ويزين بمختلف أنواع الخرق والألبسة ويطوفون به البيوت، وهم يرددون نشيدهم الفولكلوري: أم قَطْمَبُو حَلَّتْ رَأْسَهَا يَا رَبِّي بِلْ خُرَاسَهَا<sup>\*\*\*</sup>  
وهناك من يربط على معصم الدمية حبات الشَّعير ويأخذ طبقا من سعف النَّخيل، فيضاف مقطع إلى النشيد: أم قَطْمَبُو هَازَةَ الشَّعِيرِ رَبِّي يَعْبِي جُرْتَهَا بِالْقَدِيرِ<sup>\*\*\*\*</sup>  
وأي بيت يدخلونه يقدم لهم بعض العطايا، من قمح، وشعير، وشحمة، وفرماس، وطماطم، وفلفل، وكروية، وزيت زيتون، وسكر، وشاي... الخ، كل واحد يُقدم حسب ما تيسر له من العطايا، "فالجُودُ بِالْمَوْجُودِ" كما يقول المثل الشَّعبي، ثم تجتمع النِّساء في مكان، فيصنعن حساء الشَّعير المعروف بطبق "الدَّشِيشَة" أو يُعدن طبق "الْبَرْكُوكِشْ"، ويأكل منه الجميع، بما في ذلك الأطفال الصغار، ويدعين كل غريب يمر أمامهم للمشاركة في الأكل "لنيل البركة"، كما يقمن بحرق البخور

\* المطر التي تنزل في فصل الخريف، يكون محصولها الزراعي كثير، والخضر تبقى متوفرة حتى فصل الصيف.

\*\* أرضنا جفت وقلَّ خيرها، دموع السَّماء حبست عنَّا ماءها.

<sup>1</sup> لقاء مع الراوية يمينة بيات، 09-10-2022، وادي سوف.

\*\*\* أي: أم قَطْمَبُو كَشَفَتْ رَأْسَهَا يَا رَبِّي بِلِّلِ أَخْرَاسَهَا

\*\*\*\* أم قَطْمَبُو تَأْخُذُ الشَّعِيرِ يَا رَبِّي اْمَلْءُ جُرْتَهَا بِالْمَطْرِ.

لاسترضاء أرواح الصُّلاح حسب اعتقادهم، ويعتقد أهل المنطقة بأن الأمطار تنهمر عليهم أثناء أدائهم طقس "أُم قِطْمُبُوا"، فترتفع أصواتهم أكثر وهم يغنون:

صُبِّي صُبِّي يَا الْمِطْرُ صُبِّي عَنْ قِطَائِي نِمْشِي لِأُمِّي وَخَالْتِي.

صُبِّي عَنْ قِطَائِي وَقِطَائِي ذَهَبْ كِرْكَبْ كِرْكَبْ نِمْشِي لِدَارِ خَالْتِي وَتَلْعَبْ بِالْكَعَبِ\*<sup>1</sup>

ومن الأهازيج التي تردد طلبا للمطر:

صُبِّي صُبِّي يَا النَّوْ مَا نُصُوبِيْشْ عَلَيْنَا صُبِّي عَلَى جِيرَانَا وَالنَّخْلَةَ عَطْشَانَةً\*\*

يقال بأنهم لا يبرحون مكانهم إلا وهم فرحون بما آتاهم الله من غيث نافع، وإذا نزلت المطر تفرح النساء وتغني وتخاطب الأعشاب الطبيعية، تقول: "إِنْتَ يَا عَزِّي يَا عُشْبَ مَفْتَحِ نُورِهِ، ثَابِرْمُتَوَفِّرْ فِي أَكْتُوبِر مَرْدُوفِ أَمْطَارِهِ"<sup>2</sup>. أما الرجال فيصلون صلاة الاستسقاء كما نصت عليها الشريعة الإسلامية، وقد أخبرنا أحد الراوي "علي بن عيشة" أن الطلبة-حملة القرآن- هم الذين يمارسون صلاة الاستسقاء بإذن من الحكومة.

## 2-طقس التبرك بالأولياء والطقوس الشفوية

إلى جانب طقس "أُم قِطْمُبُوا" تمارس في وادي سوف -المعروفة بالجفاف- ممارسات أخرى، منها التبرك بالأولياء الصالحين، فإذا تأخر المطر، وظن الناس أن غضب الله واقع عليهم، بسبب الذنوب والمعاصي، أو بسبب هجر أوليائهم، أو عدم الوفاء بالثذور لهم، تنظم زيارات طارئة يقصدون بها الأضرحة، أما إذا كان الولي من الأحياء فإنهم يتبركون به ليكتب لهم على لوحة من الألواح الآية القرآنية التي يستجلبون بها الغيث<sup>3</sup>، وقد حدثتنا الراوية عن إحدى الزيارات الطارئة لجدهم الولي "سيدي الحاج عطية" بقصد طلب المطر، حيث قاموا في مقر الضريح بطبخ

\*صُبِّي صُبِّي يَا مِطْرُ صُبِّي عَنْ عُرْتِي اذْهَبْ لِأُمِّي وَخَالْتِي

صُبِّي عَنْ عُرْتِي وَعُرْتِي ذَهَبْ كِرْكَبْ كِرْكَبْ اذْهَبْ لِبَيْتِ خَالْتِي وَأَلْعَبْ بِالْأَكْعَابِ (الأكعاب: لعبة ذكرناها

بالتفصيل في الفصل الأول، ص 85-86) .

<sup>1</sup>لقاء مع الراوية زهرة بن لخصر كرطي، 62 سنة، 20-09-2022، وادي سوف.

\*\*صُبِّي صُبِّي يَا الْمِطْرُ، لَا تُصْبِي عَلَيْنَا، صُبِّي عَلَى جِيرَانِنَا، وَالنَّخْلَةَ عَطْشَانَةً.

<sup>2</sup>لقاء مع الراوية صالحة دريدي، 60 سنة، 05-07-2023، وادي سوف.

<sup>3</sup>Andre-RogerVoisin، سوف مونوغرافيا، تر: أبو بكر مراد، دار المعرفة، الجزائر، د.ط، د.ت، ص 179.

العصيدة\* والشَّاي، وإشعال البخور والجاوي، ورش الحنَّاء والطور، ثم طلبوا من الولي إحداث المطر، وأكدت لنا أن زيارتهم تمت يوم الجمعة، ومن الغد السبت نزلت المطر<sup>1</sup>، وقديما كان إذا استمر الجفاف وطال أمده قيدوا الرجل الصالح على عمود بالشمس، ورحمة بهذا الرجل الصالح ينزل الله الغيث من أجل حمايته<sup>2</sup>، ومازال الأهالي في بعض المناطق يذهبون إلى قبور الأولياء ويتبركون هناك، ويقدمون الذبائح من أغنام وشياه، ويمكنون أياما وهم يدعون بنزول المطر، ويتوسلون للأولياء ويتوسطون بهم باعتبارهم الأقرب إلى الله -حسب اعتقادهم- من أجل جلب المطر.

كما يمارس الأهالي طقوسا شفوية لجلب المطر، اعتقادا منهم بأن حبس المطر، سببه تدنيس قلوب النَّاس بالغل والبغضاء، لذلك يقول المثل الشعبي "صَفِي وَعَاكَ واطْلُبْ مُوَلَاكَ حتى شَرَّ مَايُنَالُكَ"<sup>\*\*</sup>، وتصفية القلب تكون بذكر الله ورسوله، والإكثار من الصدقات، ومن الأدعية التي يرددونها الأهالي لطلب الغيث: "يَا رَبِّي أَعْطِينَا غَيْثًا نَافِعًا"، "يَا رَبِّي لَا تُكَافِي الْهَمَائِمَ بِأَهْلِ الْجَرَائِمِ"<sup>\*\*\*</sup>.

### 3- طقس متعلق بطائر السنوسو ونذر الشجر

ومن الطقوس الممارسة لغرض التَّحْكَم في المناخ، وجلب غيوم المطر، في معتقدات الأهالي أنه في فصل الرَّبِيع، تخرج طيور "الخُرْطِيف" -السنونو-، و حسب المعتقدات الشعبية المحلية، يطلق على هذه الطيور "غنم فاطمة بنت النبي" أو "المُبَارَكِيَّات"، يعتقدون أن له قدرة على جلب المطر، لذلك تعمد النساء إلى الإمساك بواحدة، ثم تدهن لها جهة الرقبة بزيت الزيتون، وترتبط رجلها بخيط أحمر أو أخضر، وقبل أن تتركها تقول لها: "سَلْمِيلِي عَنْ فَاطْنَةَ بِنْتِ النَّبِيِّ

\*العصيدة: ينظر فهرست الصور (صوّر رقم 08، ب-)

لقاء مع الراوية فائزة مبروكة، 67 سنة، تم اللقاء معها يوم 25-03-2023، وادي سوف. ينظر: التسجيل الصوتي رقم (14).

<sup>2</sup> Andre-Roger Voisin، سوف مونوغرافيا، ص 179.

\*\*أي؛ "صَفَّ قَلْبِكَ وادعُ ربك، كي لا يُصيبك شر".

\*\*\*أي؛ "يا رب لا تكافئ الهمايم" ويقصد بهم الأطفال الصغار والحيوانات والنباتات، و "أهل الجرائم" ويقصد به الإنسان الذي يرتكب المعاصي والآثام.

وَقَوْلُهَا خَلِيلِي بِلَاصْتِي فِي الْجَنَّةِ\*<sup>1</sup> ثم تتركها تحلق في السماء<sup>1</sup>، وبهذا يستبشرون بنزول المطر. كما أن هناك أمارات تنذر الساكنة بمجيئ الأمطار، فهم يعتقدون بأنهم يتنبؤون بنزول المطر عن طريق النظر إلى الشمس، فإذا ظهر قطعة صغيرة من "حزام فاطمة بنت النبي"<sup>\*\*</sup> من الجهة اليسرى فإنهم يدركون أن المطر سينزل في ذات اليوم استنادا للمثل السَّارِي : "كَانَ جَاءَ فِي يَسَارِهَا إِنْشَاءَ اللَّهِ يَصُبُّ فِي نَهَارِهَا"<sup>2</sup>. يُمَثِّلُ مَا سَبَقَ الطُّقُوسِ الَّتِي تُوَدَى بِشَكْلِ جَمَاعِي، أَمَا بِالنِّسْبَةِ لِلطُّقُوسِ الْفَرْدِيَةِ فَقَدْ كَانَتْ تُوَدِيهِ إِحْدَى النِّسَاءِ، فَقَدْ أَخْبَرَتْنَا الرَّاوِيَةُ<sup>3</sup> قَائِلَةً: "كِي طَوَّلَ وَمَا نُصْبِشِ الْمِطْرَ، نَرُوحُ لَشُجْرَةَ وَنَقُولُهَا: "بِيرِكْنِكْ يَا هَا الشُّجِيرَةَ يَا رَبُّ نُصَبُّ النَّوَّ تَتَّبَلِي إِنْتَ وَغَيْرِكْ"<sup>\*\*</sup> وتندر بأن تطبخ "عصيدة" حين نزول المطر، وتحرق البخور أمامها، و حسب المعتقدات السائدة بالفعل كثيرا ما ينجح طقس المرأة، وتوفي بنذرنا للشجرة.

#### 4-طقوس ألعاب المطر

أذكر حين كنا صغاراً، لما نشاهد الغيوم تجمعت، أو نسمع قطرات المطر محدثة قرعاً خفيفاً لدى تساقطها نخرج من البيوت إلى الشوارع نباشر في الرقص لجلب المطر الغزير، وذلك بأن نحل شعرنا ونفتح أيدينا ونبدأ في الدوران حول أنفسنا في الاتجاهات الأربعة ونردد: "صَبِّي صَبِّي يَا الْمَطْرَ" ولن نتوقف حتى نصاب بالدوار ونسقط على الأرض، كما نأخذ الرمل الذي بللته المطر ونصنعه على شكل كرة نترشق بها، أو ننثره في الهواء ويسقط كما حبات المطر، كما ننبي بيوتا من التراب المبلل، أما الكبار فكانوا ينقسمون إلى فريقين ويلعبون كرة القدم في جو يسوده الفرح والسرور. ويعتقد الناس في منطقة سوف أن للمطر فوائد جليلة، إذ يحرص الأهالي أثناء هطول الأمطار على أوانٍ يجمعون فيها ماء المطر، ليستعمل في الخلطات السحرية التي يراد منها العلاج، أو إزالة اللعنات، فحين يكتب "الطالب" (الفقيه) حرزاً، يخبر المريض بوضعه بماء المطر ويشربه، حتى يتمثل للشفاء.

\* بلغي سلامي للسيدة فاطمة بنت النبي وأوصيها تترك لي مكانا في الجنة.

<sup>1</sup> الراوية زهرة بن لخضر كرطي، المصدر السابق.

<sup>\*\*</sup> يقصدون به "قوس قزح"، ففي المعتقدات الشعبية القوس قزح هو حزام فاطمة بنت النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

<sup>2</sup> الراوية صالحة دريدي، المصدر السابق.

<sup>3</sup> الراوية نفسها.

<sup>\*\*</sup> بِيرِكْنِكْ أَيُّهَا الشُّجْرَةَ يَا رَبُّ يَنْزِلُ الْمَطْرَ وَتَتَّبَلِي أَنْتَ وَغَيْرِكْ.

قد ذكرنا بعض الطقوس الممارسة في منطقة "وادي سوف"، تهدف إلى استحضر المطر، يحرص الأهالي على ممارستها ولا يفوتون أي طقس منها إذا لزم الأمر، ولكن قد يحدث أن تنهمر أمطار كارثية بحيث يخشى الفلاحون على الزرع، كما يخشى الناس على بيوتهم، وأرزاقهم المدخرة -العولة- \* هنا يعتمد الأهالي إلى ممارسة طقوس صدّ المطر \*\*، ومن هذه الممارسات تخبرنا الراوية<sup>1</sup> " كِي تُصَبُّ يَاسِرُ الْمِطْرُ نَزَعْرُتُو بَاشُ تَحْبِسُ \*\*\*"، وتُضيف الراوية نفسها "نَهْرُو صَمَّةَ وَنَحْطُوهَا فُوقَ النَّارِ تَحْمَى يَاسِرُ، وَنَحْطُوهَا فِي وَسْطِ الْحُوشِ، كِي تُبْلِهَا الْمِطْرُ تَبْرَدُ وَتَحْبِسُ الْمِطْرُ \*\*\*\*"، كما تُخبرنا إحدى الراويات<sup>2</sup> عن ممارسة أخرى قائلة: "كِي تَكْتَرُ الْمِطْرُ نَشِدُو مُوسَ وَنَشْفُو لَارِضَ قَاطِعَ وَمَقْطُوعَ \*\*\*\*\*"، وتضيف الراوية ممارسة أخرى قائلة: "كَانَ شُوفْنَا قُوسَ قِدْحَ مِنْ جِهَةِ الْقِبْلَةِ نَعْرِفُو الْمِطْرَ بَاشُ تَحْبِسُ، وَكَانَ شُوفْنَا مِنْ جِهَةِ الْغَرْبِ نَعْرِفُو مَا هَيْشَ بَاشُ تَحْبِسُ، مَا لَّا نَحِي حَزَامِي وَنَطْلَعَهُ فُوقَ وَنِشْ بِيَهُ نُوعَ حَزَامَ فَاطْنَةَ بِنْتِ النَّبِيِّ، كِي تُكُونُ السَّحَابِ سُودَاءَ، وَنَا نُضْرِبُ بِحَزَامَ فَاطْنَةَ، يَبَانَ مِنْ بَعِيدِ قُوسَ قِدْحَ، هَكَأ تَحْبِسُ الْمِطْرَ \*\*\*\*\*"، وكما رأينا أنه لاستجلاب المطر يلجأ الناس إلى ممارسة الطقوس الشفوية، كذلك "إذا درت السماء بالماء الطهور وخشوا على بيوتهم وممتلكاتهم ردوا دعاء منسوباً إلى الرسول صلى ﷺ >> اللهم حوالينا

\* فالمنطقة شهدت تهطل أمطار كارثية في فترات من تاريخها، كذلك التي سقطت في شهر أبريل 1947 وفي شهر ماي 1967، وألت إلى انهيارات وخسائر جسيمة"، أ. روجيه فوزان، مرجع سابق، ص 69.

\*\* لاحظنا أن بعض الموردين ييغضون هذه الطقوس وينعتونها بالممارسات السحرية، وبالكاد أخبرونا بها، وقالوا أنها لا تمارس إلا للضرورة القصوى، بل إن هناك من يتهم المجموعة التي تلجأ إلى هذه الممارسات بالسحرة.  
<sup>1</sup> الراوية صالحة دريدي، المصدر السابق.

\*\*\* إذا انهمرت الأمطار ترفع النساء أصواتهن محدثة زغاريد، وبهذا تحبس السماء أمطارها.  
\*\*\*\* تأخذ نوع من أحجار الصوان التي تصلح للتيمم، وتضعها على النار حتى تسخن جيداً، ثم تضعها في وسط البيت، حتى تتبلل بالمطر وتبرد، وبذلك تتوقف المطر.

<sup>2</sup> الراوية زهرة بن لخضر كرطي، المصدر السابق.

\*\*\*\*\* إذا كثر المطر نأخذ سكين ونشق به الأرض على شكل قاطع ومقطع (+).

\*\*\*\*\* إذا رأينا قوس قزح من جهة القبلة ندرك بأن المطر سيتوقف، أما إذا رأيناه من جهة الغرب ندرك بأن المطر لن يتوقف، لذلك أنزع نطاقي وأحملة عالياً، ثم أمرره بطريقة تشبه حزام فاطمة بنت النبي، فحينما تكون ألوان الغيوم أسود حالك، وأنا أضرب بنطاق فاطمة بنت النبي، الذي يرى المنظر من بعيد، يضمنها ألوان قوس قزح وليس نطاقي، وهكذا تتوقف المطر ( في المعتقدات الشعبية القوس قزح ونطاق المرأة يُطلق عليهما حزام فاطمة بنت النبي، وأطلقوا عليهما نفس الاسم لتشابه الألوان، وحسب المعتقدات فإن حزام فاطمة يفرق السحب).



عابرو السبيل وتوضع العروس الممثلة في وسط الجموع وتزوجها النسوة زواجا رمزيا وهي تخاطب الإله أنزار:

أنغ يا أنزار أتسنن نسلينيك

ألا أيا أنزار هاهي ذي عروسك

أفكغ أمان ذي-لعناينيك

نزل علينا الغيث إننا نتوسل إليك<sup>1</sup>

وفي قرية "إيفعاء" يجتمع الموكب أمام ضريح الولي الصالح سيدي "أحمد أو صالح"، وتشرع الفتاة (الممثلة لعروس المطر) في الطواف حول الضريح سبع مرات، وعليها العلف وهي تردد مع المرأة:

أيا أسياد المياه، قدموا لنا الماء

لقد وهبنا روحنا لمن أرادها<sup>2</sup>

وفي مناطق أخرى ينشدون:

أنزار أنزار أنزار

أربي أسويتد آز آزانيا ربي أروي الأرض حتى للعروق

أد بنت يزدن تمزين كي ينضج القمح والشعير

أد نجبارت تيدرين ولا يفسد المحصول

أخام أد يشار ذ لخير ويكون الخير في البيت

أنزار أنزار أنزار

أغنجا يتكريب المغرف يتمايل

أذك لغ إيماء عيشة

احلف أمي عائشة

أدفاك أمان آز لعيشتهطينا الماء حتى العشاء<sup>3</sup>

وقد حدثتنا الراوية<sup>4</sup> عن ممارسة طقس "أنزار" في منطقة "احسناوة" بقولها:

<sup>1</sup> ينظر: نبيل حويلي، منظومة الأسطورة في منطقة القبائل -دراسة أنثربولوجية-، ص 365-366.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 369.

<sup>3</sup> وردة زرقين، تيزيمت من التراث الشفوي القبائلي، دار بهاء الدين للنشر والنزيع، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2021، ص 96.

<sup>4</sup> الراوية وهيبة حمادي، 33 سنة، تيزي وزو، 14-11-2022.

"Ma di tamnađt n iħesnawen temgarad cwiđ tegnawt, imi yesmenyif ad srun taqcict i ilaq ad tili d tamrabeđt, amzun yiwet seg tlawin n taddert ad tsuy fell-as armi ad ččurent wallen-is d imetđawen, imi imetđawen nni mmalen-d ayelluy n ugeffur, akken id tru teqcict d imetđawen ad iru igenni d ageffur"\*.

وفي منطقة "خراطة" ببجاية تجتمع جماعة القرية بعد رؤيتهم القحط والجفاف، يتفقون فيما بينهم على ممارسة العمل الخيري المتمثل في لوزيعة، وتأخذ إحدى العجائز مغرفة كبيرة وتزينها على شكل دمية تشبه العروس، ويفضل أن تأخذها بنت يتيمة وفي بعض المناطق تعطى لطفل صغير من أطفال التظاهرة الشعبية. يشرع الأطفال في التجوال ويتقدمهم حامل المغرفة "الدمية"، وهم يرددون نشيدهم الفولكلوري "أنزار"، وحينما يقفون على عتبة أي بيت تخرج لهم الجدة أو الكبيرة البيت وتهرق المغرفة بالماء وهي تقول: "أَنْقَبْلُ رَبَّ أَنْشَالله" أي: "يتقبل الله إن شاء الله"، وبعدها ترش باقي الموكب بالماء، وهي تقول لهم: "فُذْ مَاوُون، أَنْدِيفِك رب نشالله الغيث" كما تعطيمهم بعض مستلزمات الوعدة، وهناك من يقول لهم: "كَمَلْتُ لُحْذُ مَاوُون، تُرَى أَدْرَلْعُ وَدُذْعُوْعُ رَبِّ أَنْقَبْلُ" أي: "واصلوا عملكم، سأصلي وأدعوا الله بأن يستجيب لنا"، وأخيرا يتفقون على مكان لطهي الكسكس، أما المغرفة قد كانوا قديما يغمسونها في الماء ولا يخرجونها إلا بعد الانتهاء من الطعام، أما في الآونة الأخيرة فقد اكتفوا برشها بالماء فقط، وبها يتم إخراج المرق من القدر لسقي الكسكس، يذكر أن بعض القرى تستعمل العصا أو العمود بدل المغرفة<sup>1</sup>.

وفي منطقة جرجرة لطلب المطر، يقيم الرجال صلاة الاستسقاء، أما الصغار فيقومون بوعدة " أنزار"، وتتلخص في الدعاء إلى الله العلي القدير والتضرع إليه، كي يغيثهم بالأمطار وتمجيد رسوله المختار، وذكر ولي المنطقة المشهور، وجدّ القرية الأول، وجد العائلة، فيحتشد الصغار،

\*وأما في منطقة "احسناوة" فالطقس يختلف قليلا إذ يستحسن بكاء الطفلة التي يُشترط أن تكون من المرابطين، وهذه الطفلة تمثل عروس المطر، كما يشترط بكاء هذه الطفلة، فكما تذرّف الدموع تبكي السماء مطرا.

<sup>1</sup> ينظر: شهيرة بوخونوف، طقس أنزار في منطقة خراطة ببجاية -مقارنة اثنولوجية- دار الأمل للطباعة والنشر، ص 59-

وينطلقون في موكب يتقدمهم طفل يحمل قصبه فوقها مندبل قبائلي ذو لون أصفر، يطوفون الديار ويحصلون عن بعض العطايا، من دقيق وكسكسي وزيت وبصل وثوم وشحم ولحم مجفف، وكلما بلغوا دارا أنشدوا:

آنزار آنزار آرب سويت آنزار  
 آذرار آزغار العنايا النبي المختار  
 إقتي إزقراو أربي أسود إقران  
 انزور حيزر أعند يفك سلبحر  
 أنزور سي أفكند أمان بلا حد

وعندما ينتهون يعودون إلى نقطة انطلاقهم في الحقل أو المسجد، تشرع الفتيات في طهي الكسكسي ولما يكون جاهزا يستدعي الجميع فيلبون الدعوة اعتقادا منهم أن من يذوق من هذه "الوعدة" يحظى بكثير من البركة، ويوزع الطعام المتبقي<sup>1</sup>.

وأما في منطقة البويرة يسمى طقس استحضار المطر "تاغنا" وتتوافق مع الطقوس التي ذكرناها أعلاه، إلا أن النشيد الفولكلوري يكون كالآتي:

بوغنجة شمش راسو يا ربي واسقي ناسو  
 بوغنجة ألبس عقاش يا ربي قررة ورشاش  
 جلجة يا جلجاله وباه تعيش الهجالة  
 الجلبانة عطشانة واسقيها يا مولانا  
 القمح دلي ريشو يا رب باه نعيشو  
 الفول نور واذبال واسقيه يا بو لنوار<sup>2</sup>

<sup>1</sup> ينظر: خالد عيقون، عجوز يناير دراسة ميدانية أنثربولوجية، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريريج، الجزائر، ص 28-29.

<sup>2</sup> حوار مع الراوية خولة سوفات، 27-07-2024، وادي سوف.

وقد يحدث أن ينزل المطر بغزارة فيخاف الناس من آثارها الغير المحمودة، فيلجأون إلى ممارسات "طقوس صدّ المطر" كي تحبس السّماء أمطارها، ومن بين الممارسات المعروفة في قرية "إحسناوة" بمنطقة القبائل، تذكر إحدى الراويات<sup>1</sup> أنه:

"Tḥekku-d yiwet n tmacahut dakken mi ara tes3u yiwet n twacult tameɣra,ad uggaden ageffur s waṭas l izemren ad yessexser tameɣra aki yes3an azal, dɣa tawacult nni ad texdem amek ad tesseḥbes ayelluy n ugeffur-aki ,imi taqcict tameqqrant n twacult ad d-teddem amegger ad t-terr ɣef timest alamma yeḥma aṭas ad t-ld tekkes ad t-terr deg waman ugeffur akken ad yeḥbes ayelluy.

Yella wamek xedden akken nniden anda ad dmen izra iyef tesewway tmeṭṭut i wumi qaren inyan ad ten-ḍeqren sufella uqermud dɣa ad yeḥbes ugeffur".\*

وهناك من يذكر "طقس الاستدفاء" يمارس في منطقة جرجرة (انحار) فبحكم طبيعة المنطقة الجبلية الباردة، فهي مهددة بالبرد والثلوج والفيضان وانجراف التربة، وانزلاق صخور الجبل، مما دفع الإنسان إلى تقديم قرابين سنوية إلى السماء وإلى الجبل، وتتخلص عادة الاستدفاء أنه عندما تتهاطل الثلوج بكثافة وتتجاوز طاقة الإنسان والأرض، يلجأ السكان إلى ممارسة طقس الاستدفاء، فيتقربون بديك شديد السواد، يذبح ويرمى فوق الثلج، ويتوسل السكان إلى الله ويخاطبون السماء أن تكف عن صبّ الثلوج<sup>2</sup>

<sup>1</sup>الرواية وهيبة حمادي، المصدر السابق.

\*أنه حين يكون لإحدى العائلات احتفال عرس، ويخشى غزارة الأمطار التي قد تتلف هذه المناسبة الهامة، تمارس العائلة طقس إيقاف المطر، ذلك أن تأخذ البنبت الكبرى "منجل" وتضعه على النار حتى يسخن جيدا، ثم تضعه على ماء المطر، فيتوقف نزول المطر.

كما أنّ هناك طريقة أخرى تتم من خلال رمي أحد الأحجار التي تطبخ عليها المرأة، وتسمى تلك الأحجار "انيان"، حيث ترمى المرأة واحدة فوق السطح، فيتوقف المطر.

<sup>2</sup>ينظر: خالد العيقون، مرجع سابق، ص 30-31.

## المبحث الثاني: إثنولوجيا طقوس استحضر المطر في منطقتي وادي سوف والقبائل

بالاعتماد على المستوى الاتنوغرافي نلاحظ أن في منطقة "وادي سوف" تتنوع الطقوس مقارنة بمنطقة القبائل، وهذا يرجع حتما إلى طبيعة المناخ "القبائل لا يحل بهم الجفاف مثلما هو الحال عند أهل الجنوب... فماء السماء لا ينقصهم أبداً، وطقوس استحضر المطر قليلة الاستعمال بمنطقة القبائل"<sup>1</sup>، أما منطقة "سوف" فهي صحراوية تتميز بقلة الأمطار، وتذبذبها وتأخرها أحيانا أخرى، وبما أن اقتصادها يقوم على الزراعة خاصة النخيل وأيضاً على الرعي، وعلى الرغم من الحيلة التي اهتدى إليها السوفي لتوفير المياه للزراعة، من خلال الاعتماد على المياه الجوفية، إلا أنه يبقى ماء المطر له خصوصيته "أنه أصلح المياه للنبات، ولأنه لا يترك بقايا ملحية (...). ولأن من طبيعته الاعتدال والرطوبة فطبعه مشاكل لطبع الهواء"<sup>2</sup>، كما أن ماء المطر يساهم في انعاش الثروة الحيوانية. أما التشابه في طقوس احتفالات المطر بمنطقتي الدراسة فنجدته جلياً في عدة ممارسات منها:

## أولاً: زيارة الأولياء وتقديم الذبائح

كما تبين في منطقة وادي سوف يذهب الأهالي إلى قبور الأولياء أفواجا أفواجا، في زيارات طارئة مصحوبين بالشيء والأغنام وقد يمكثون أياماً عند ضريح الولي، يستجدون ويشكون حال البلاد، التي تأخر عنها ماء السماء، وهذا ما يهدد محاصيلهم وقطعانهم. وإذا كان الولي حياً يتبركون بالألواح التي يكتبها لهم بغرض جلب المطر، وإذا ضعف الطلب قيدوا الولي حتى يحنّ عليه الله ويغيثهم بالمطر، أما في منطقة القبائل فإنهم يمارسون الطقس أمام قبر الولي، أو يقع الاختيار على طفلة تكون من عائلة "المرابطين"، ففي طقوسهم يذكرون ولي المنطقة وجدّ القرية الأول وجدّ العائلة وهي صرخة استغاثة تتبع من أنفاس متعطشة للمطر فلا غيرهم يستطيعون إرواء هذا الظمّ حسب اعتقادهم، كما أنّ طقس "أنزار" عادة يتم اجتماع الموكب أمام قبر ولي، ثم

<sup>1</sup> زهية طراحة، فضاء النوع بين تنظيم الخيال وتنظيم الواقع دراسة أنثربولوجية للحكاية القبائلية العجيبة، دار ميم للنشر،

الجزائر، ط1، 2011، ص51، نقلا عن Rene Maunier :Melanges de sociologie nord africaine

<sup>2</sup> ابن بصال، كتاب الفلاحة، تر: خوسي ماريه مياس ببيكروسا ومحمد عزيان، معهد مولاي الحسن، تطوان، المغرب، 1955، ص21.

يمارسون طقس الزردة. على الرغم من أن الدين الرسمي "الإسلام" يلزم المؤمنين بإقرار بأن الله وحده هو الفعال لما يريد في الكون، وألغى كل الوسائط التي بين الإله والإنسان -آلهة وثنية، ملوك، سحرة،- التي عرفها الإنسان وقدسها قبل نزول الوحي، بل ألغى حتى التوسط بالأنبياء والتابعين والرجال أو النساء الصالحاء، إلا أن الشعبين جلّ طقوسهم لا تخلو من الاستنجاد بالأولياء، و إذا عدنا إلى ميدان الدراسة، نجد كل قبيلة أو عشيرة أو دشرة، يعتقدون في الجدّ الأول الذي ينحدرون منه، أو في إمام مسجدهم أو شيخ شُهد له بالصلاح والفلاح، يتلفظون بالحكمة ويمارسون خوارق تشبه السحر، ففي بحثنا هذا يُعتقد أن لهم قدرة على جلب المطر، فمن المؤكد أنّ من وراء هذه الممارسات سيلا متدفقا من الاعتقادات في قدرة الأولياء في التّحكم في الطقس بفعل قوة تأثيرية مقدسة. فمن هم الأولياء حسب الأعراف الشعبية الذين في كل محضر يحضرون؟ بماذا يتميزون؟ وكيف يتسببون بإنزال المطر؟

### 1- بعض الأساطير عن الأولياء

في منطقتي البحث تختزن الذاكرة الشعبية سيلا عارما من القصص والأساطير التي تحوم حول الأولياء، ومن الأولياء الصالحين المعروفين في منطقة القبائل "سيدي عبد الرحمن"، ومن المرويّات التي تروى عن بطولاته أنه في زمنه كلف تلاميذه بالتّوجه نحو الجنوب لنشر الطريقة الرحمانية، لكن تلاميذه احتجوا على سوء الأحوال هناك، حيث ندرة الماء وقلة الغذاء، فبشرهم بانفجار العيون الثلاثة، وهي: عين الزيت ويُقصد بها الغاز والبتترول، وعين الملح ويقصد بها الأملاح المعدنية، وعين الماء ويقصد بها الحمامات والمياه المعدنية<sup>1</sup>.

ومن الأساطير التي تحوم حول الولي "عبد الرحمن" وتلميذه الشيخ "أولقاسم"، أن التلميذ كان مسافرا عبر القطار لتقديم الولاء لشيخه عبد الرحمن، ولما حان وقت الظهر قام وأذن ثم استأذن من قائد القطار بالتوقفت لأداء فريضة الظهر، لكن القائد رفض وتحجج بوجود التزام موعد الوصول، احتج الشيخ وضرب بعصاه أرضية القطار وهو يردد "بسم الله مرساها" فتوقف القطار

<sup>1</sup> ينظر: خالد عيقون، القصص الشفوي الديني جمع ميداني ودراسة في الأنماط الأصول الدلالات، بدء الخليقة، الأنبياء، الصحابة، المغازي، الأولياء، الرويا والمستقبلية، دار إمل، تيزي وزو، الجزائر، 2020، ص56-57.

وشلّت مكابحه رغم محاولات السائق الفاشلة، نزل الشيخ مع الوفد وأدوا فريضة الصلاة، ثم ركبوا وضرب الشيخ بعصاه وهو يردد "بسم الله مجراها" فانطلق القطار مواصلا سيره، ومن الكرامات التي تجلت في هذه الرحلة وصول القطار في الوقت المحدد على الرغم من الانقطاع الذي أحدثه الشيخ<sup>1</sup>.

أما في وادي سوف ومن بين الأساطير التي تحوم حول الأولياء نذكر "الولي بن دويم" ، الذي تردد قبيلة "الدوايمة" أساطير عنه باعتباره جدّهم الروحي، فيروى أنه كان يملك إبلا، وكانت له قدرة على الاختفاء هو وحاجياته من الإبل والمواشي، ومرة كان معه رجل وكانا يرعيان الماشية فإذا بالأعداء يهجمون عليهما فاختمى بن دويم، وساق المهاجمون إبل رفيقه أما هو فظهر للعيان بعد مغادرة العدو، وطلب منه رفيقه استعادة إبله فأدركوهم عند حاكم مدينة قابس بتونس، ولأنهم شرفاء طلبوا منهم استرداد إبلم لأنهم؛ لا يريدون حلول اللعنة عليهم، فطلب منهم الخاطفون شارة تثبت نسبهم الشريف، فأخبرهم الولي بن دويم أن الرجل الذي سرق الإبل واسمه "لكنوز"، سيهلك قبل انقضاء الليالي السود، وبالفعل حصل كلامه، فبينما كان الرجل راكبا على الحصان، فإذا بالحصان يتعثّر ويقع الرجل في الحفرة ويقع الحصان فوقه ليسد فوهة الحفرة فمات مختنقا<sup>2</sup>.

وهناك أساطير تحوم حول الفرجان الذين يعتقدون أنهم شرفاء، وأضرحتهم حاليا موجودة في قرية "بن قشة" بوادي سوف، ويقولون أن هؤلاء القوم لهم موهبة من الله بسبب أصلهم الشريف، فالجن يهابونهم، ومن ثم فهم يعالجون الناس المسكونين بالجن بقدراتهم العجيبة، من كراماتهم أن الله منحهم شيئا اسمه الشيوب فأصله الشؤبوب وهو "الدفعة من المطر"، يقول الفرجان أن أجدادهم وهم مرتحلون من الأراضي الليبية وعندما وصلوا إلى إحدى المواضع حل بهم قحط شديد، وبفضل دعائهم وابتهالاتهم وبفضل نسلهم الشريف أيضا، أنزل الله عليهم غدير الماء، إذا ورده شخص مؤمن طاهر وجده صافيا غزيرا، أما إذا ورده عاص وجده جافا فلم يصب منه قطرة<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: خالد عيقون، القصص الشفوي الديني جمع ميداني ودراسة في الأنماط الأصول الدلالات، مرجع سابق، ص 57.

<sup>2</sup> ينظر: أحمد زغب، الفولكلور النظرية التطبيق، دار هومة، الجزائر، د. ط ، 2015، ص 208.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 208-209.

من خلال هذه الأساطير تتكشف هوية "الأولياء" ومعتقدات الشعبين حولهم، هؤلاء العباد هم الأجداد الأولين الحماة، يسمون أولياء الله باعتبارهم الأقرب إلى الله، فحياتهم متمحورة على عبادة الله والقيام بالأعمال الصالحة التي تنفع العباد، لذلك تكن لهم الجماعة الشعبية كل الاحترام والتقدير كما تخشى لعنائهم، وهناك العديد من المعتقدات التي تتسج حولهم وأساطير تبرر خوارقهم، تحتمي الجماعات تحت لوائهم، و تستغيث بهم في الأزمات، لذلك غالبا ما تتفاخر الجماعات الشعبية بالجد الصالح، فيقال: "جَدْنَا حَضَارَ نَعَارَ وَيُنْ نَدُّهُوَ يَحْضَرُ لِيْنَا"، فهم أناس خلاف غيرهم لهم مكانة أعلى وأسمى، دعواتهم مستجابة، كما أن لهم حق الشفاعة يوم القيامة لأتباعهم إذ يُقول أتباع الطريقة التيجانية في منطقة "سوف" "الشيخ ضامنلي" \*\* هكذا يستبشر اتباع الزوايا بدخولهم الجنة، لذلك نجد زيارة الزوايا والأضرحة تنتشر كثيرا في هاته المناطق، لاعتقادهم أن الأولياء لا يموتون وأن بركاتهم تبقى سارية، ويقال عن الأولياء أنهم الرجال المقربون إلى الله، يتصلون به أكثر من غيرهم، ولهم قدرة عجيبة على القيام بأفعال خارقة في حياتهم وحتى بعد مماتهم، ويظل الضريح رمزا لهذه القدرة على الفعل<sup>1</sup>، فمن خلال هذا التعريف تتضح هوية الأولياء كرجال يمتلكون صلاحيات يفتقر إليها باقي الناس، هذه الصلاحية متمثلة في قوى خارقة، منحت لهم من قبل الله، تبقى تتبع منهم حتى بعد مماتهم، فكل ما يتصل بجسدهم تسري فيه تلك القوة مثل الكهرباء، فأحجار أضرحتهم تصبح كريمة ومباركة، وبقايا ألبستهم كذلك، فالوليتظل البركة تخرج من قبره، ومن الأشياء التي كان يستخدمها، ومن ثم وجب على الناس استجلابها من القبر ومن بقاياها، وهنا تكمن أهمية زيارة الأضرحة والدعاء عندها، ويصبح كل ما يتعلق بقبره وبقاياها، تعويذة جالبة للخير<sup>2</sup>.

\*أي جدنا يغير علينا، متى استغننا به حضر وأغاننا.

\*\*أي يضمن لأتباعه دخول الجنة.

<sup>1</sup> ينظر: عبد الحميد بواربو بن الطاهر، القصص الشعبي في منطقة بسكرة دراسة ميدانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1986، ص22.

<sup>2</sup> ينظر: إدموند دوتي، السحر والدين في شمال إفريقيا، تر: فريد الزاهي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2918، ص361-361.

لذلك نجد حتى من النُخبَة من يدعو إلى الاعتقاد بهم، وخدمتهم بكل إخلاص ونية، وهذا ما ذهب إليه "العدواني" إذا يقول: "فعليك يا عاقل أن تخدم الشيوخ وتتم الاعتقاد معهم، وسر الله في صدق النية لقوله ﷺ، "نية المؤمن خير من عمله"<sup>1</sup>، لا غرابة إذن أن تجد الناس تكثر من الاستغاثة بهم، ففي منطقة سوف نجد الناس، يذكرونهم في كل الأحوال، فإذا بدأ الإنسان عملاً يفتتحه بـ "يا الشيخ" فهو يعتقد أنه يستدعي بركته، وإذا فرح يقول "كثر خير الشيخ". وفي الأعمال الموسمية كذلك نجد الأغاني والأهازيج كلها مدعومة بطاقة بركة وكرامات الأولياء، ففي موسم جز الصوف أو موسم الحصاد أو جني التمور، نجد ذكرهم مربوط بذكر الله والنبي المختار. إذ يفتتح الناس أعمالهم بقولهم:

أول ما نبدأ البادي	ها يا سيادي	وأف صلاة على النبي الهادي
أول ما نبدأ ونقول	وننظم القول	وأف الصلاة على الرسول

## 2- الولي سليل السّاحر حسب المعتقد الشعبي

تقودنا ممارسات الدراسة في منطقتي البحث إضافة إلى نماذج الأساطير المتداولة إلى طرح السؤال التالي: أليست أعمال الولي هي نفسها أعمال السّاحر؟ فالولي باعتباره صاحب قدرة على الاختفاء والظهور متى شاء، وصاحب قدرة المشي على الماء، وإلحاق الأذى بمن أذاه، كما له قدرة على شفاء الأمراض -خاصة المستعصية- وصاحب قدرة على التّواصل مع الجن ويصرفها كيفما يشاء، كما يحدث المطر، ويصرف الجفاف، فهو خادم الجماعات ويعول عليه أهله وقريته، هي نفسها قدرات السّاحر الذي عُرف قبل مجيء الإسلام. معظم الثقافات عرفت السّحر، وكان لها سحرة متخصصون بجلب المنافع للعامة كتأمين المحاصيل، واستجلاب الأمطار، وصرف الرياح. فهل الأولياء سحرة؟ وما الاختلاف بين الأولياء والسحرة؟ يقودنا هذا السؤال إلى الحفر في أصول الأولياء في الثقافة الأمازيغية والعربية والعالمية حتى نتحدد لنا معالمه.

يتفق أغلب الباحثين على أن الأولياء هم سليلو السّحرة الذين كانوا يتبوؤون المكانة الأولى في مجتمعاتهم، فعند الأمازيغ وحسب اعتقاد "دوتي" أن أسلاف الأولياء المسلمين كهنة سحرة، مارسوا

<sup>1</sup>محمد بن محمد بن عمر العدواني، تاريخ العدواني، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996، ص313.

مهنة الطب، وكانوا يحتلون المكانة الأولى في العشيرة أو القبيلة، ويدلنا على ذلك الاسم الأمازيغي "أغورام"، وهي كلمة مشتقة من جذر يعني "الأول" ثم بعد ذلك الأمير، هؤلاء "الأغورام" لم يكونوا لا كهنة ولا سحرة، بما أن التمييز بين السحري والديني لم يكن بعد ساريا آنذاك، وفيما بعد حين انتشر الإسلام بين الأمازيغ شيئا فشيئا وقبلت الجموع مبادئه العقديّة وتمثلتها صار كل شيء لا يدخل في إطار تلك المبادئ سحرا أو عمل ساحر<sup>1</sup>، وإلى نفس الموقف يذهب "مونتي" الذي يرى أن عبادة الأولياء هي إرث مشترك، وأن بعض الأولياء المسلمين هم ورثة الآلهة الوثنية الرومانية، وبالتالي فإن الأولياء من بقايا معتقدات الوثنية العربية وأيضا البربرية، فالبربر كغيرهم من الشعوب عبدوا الإنسان واعتقدوا فيه، واستند في موقفه هذا على معلومات نقلها باحثون مخبرون عن تبجيل البربر للكهنة الذين يكشفون عن المستقبل، هذا ما يدفعنا إلى الاعتقاد حسب مونتي أن عبادة الأولياء ذات جذور وثنية<sup>2</sup>، كما دعم "كولد زهير" Goldziher هذا الموقف ويظهر ذلك في قوله: "زيارة الصلحاء في شمال إفريقيا لا يعدو أن يكون شكلا من الأشكال التي تجلى تحتها في الإسلام، ميل "البربر" القداماء إلى السحر والتّقدّيس الذي يحيطون به سحرتهم وساحراتهم، لا باعتبارهم بقايا من السّحرة السوقيين وإنما باعتبارهم رسلا وعرافات ورهبانا"<sup>3</sup>، كما زعم بعض المؤرخين الفرنسيين أن الاعتقاد في بركة بعض الأشخاص من الرواسب الثقافيّة التي بقيت حاضرة في كل العصور، لم تستطع الديانات القضاء عليها<sup>4</sup>، و لكن العجز ربما لا يرجع للديانات، فمثلا الدين الإسلامي فصل في موضوع الأولياء بشكل دقيق وبسيط، فالقرآن يكشف صراحة عن هوية الأولياء، في قوله تعالى في سورة يونس / الآية 62-63 ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾، وإنما يرجع حسب رأينا إلى الإنسان الشعبي خاصة، الذي لديه قصور في فهم وإدراك معنى الولي الإسلامي المنفصل عن السّاحر، كما أن للدين الشّعبي معايير "خاصة للولاية"، إضافة إلى التّقوى

<sup>1</sup> ينظر: إدموند دوتي، السحر والدين في شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 52-53.

<sup>2</sup> ينظر: عبد الغني منديب، الدين والمجتمع دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، إفريقيا الشرق، المغرب، د. ط، 2006، ص 35 نقلا عن: **Edouard Montet : Le Culte des saints musulmans dans l'Afrique du Nord**

**et plus spécialement au Maroc**

<sup>3</sup> إدموند دوتي، الصلحاء، مدونات عن الإسلام المغربي خلال القرن التّاسع عشر، تر: محمد ناجي بن عمر، إفريقيا الشرق،

2014، ص 25 نقلا عن Goldziher :Materialien zur Kerniss des Almohade nbewung

<sup>4</sup> ينظر: جميل حمداوي، معالم الحضارة الأمازيغية، ط2، 2016، ص 146.

والصلاح، باعتبارهم أبطال بواسطة الخوارق التي تنسب إليهم، وأن الولاية تنتقل بالوراثة، ومن تحققت فيه هذه الشروط، يعتقد أنه من الأخيار وأنه من جلساء الله، وأن مجلسه تنتزل فيها البركات والرحمات، وأن قلبه عرشي، مقيم على الطاعة باتباع الأوامر واجتتاب النواهي، إضافة إلى أن مؤلفي كتب السحر يتعمدون الخلط بين الولي والسّاحر<sup>1</sup>.

إذا في البدايات عند الأمازيغ كانت القداسة "السحرة" الممتهين للطب، ومكانتهم بين الناس هي نفسها مكانة الولي المسلم اليوم، وهنا يُطرح السؤال: ما الداعي الذي حمل الناس على تقديسهم؟، منذ أن آمن الإنسان بالسحر، اعتقدت الكثير من الشعوب بوجود طاقة حيوية سارية في الكون تُسمى أحيانا "المانا"، كما ساد الاعتقاد بوجود أشخاص متفوقين يمتلكون القدرة على فهم القوة السّارية والتّحكم فيها وهم "السّحرة"، وفي العديد من الثقافات يمكن للسّاحر أن يأسرها في جسده ثم يحلها بدوره في جسد غيره<sup>2</sup>، و هناك ثلاثة قوانين للقوة، الأولى تدل على وجود تسلسل في القوى، تبدأ بقوة الله الفعال لما يُريد، ثم قوة الأجداد المؤسسين الحماية، ثم قوة رئيس الجماعة المسؤول عن تسيير شؤونها، وأخيرا قوة البشر والحيوانات والنباتات...الخ، وأما الثاني فيتمثل في قانون التّفاوت، حيث القوى تتفاوت استجابة للظروف الخارجية كالصحة والمرض، الفشل والنجاح وغيرها، والقانون الثالث يكمن في ارتباط كل القوى ببعضها، حيث أن الجزء يؤثر في الكل، فلا شيء يتحرك في العالم دون أن يؤثر بالقوى الأخرى بحركته<sup>3</sup>، إذا على حسب ما تقدم يكون الأولياء هم الأجداد المؤسسون، وبالتالي فإن تقديسهم نابع من مكانتهم المتفوقة بالقوة، فهم الأقرب إلى الله، ومكانتهم أرقى من السّحرة رؤساء الجماعات، وربما قوتهم تضاهي قوة الإله بما أنهم يتصدرون المرتبة الثانية بعده، وبالتالي فإن قوتهم أشد تأثيرا على الإله وعلى مجريات الطبيعة، وعليه يمكننا القول: إن التّقديس لا يمس ذواتهم البشرية، بل يكون للقوة التي تسكنهم التي تُساهم بشكل كبير في استقرار الحياة، لذلك عدت بعض القبائل كل الطقوس والشعائر الدينية، تهدف إلى تزويد العالم بالقوة الطبيعية لضمان إحيائه واستمراره، باعتبارها -القوة- أسمى القيم، فالسعادة

<sup>1</sup> ينظر: دوتي، السحر والدين في شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص54.

<sup>2</sup> ينظر: بول غليونجي، طب وسحر، دار القلم-دار النهضة، القاهرة، 1999، ص7.

<sup>3</sup> ينظر: فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان الشعوب البدائية والعصر الحجري، الكتاب الأول، دار التكوين، تر: غادة جاويش وآخرون، ط4، 2017، ص264-265.

عندهم تعني اكتساب قدر كبير من القوة، وأما التّعاسة فتعني ضعف القوة الحيوية<sup>1</sup>، هذه القوة الحيوية السّارية في الكون التي كان يعتقد أنها تسكن الساحر، ثم من خلالها يستطيع التّحكم في مجريات العالم الخارجي، لُطّفت مع مجيء الإسلام وقلبت كرامة" ويكون مصدرها الله، وبذلك يصبح الولي هو وسيط بين الله والإنسان، وكل خوارقه بإذن الله، و بركة من الله، والأفعال الخارقة التي ينجزها عوض أن تكون من باب السّحر تكون عبارة عن كرامة، والكرامات تحمل طابعا أخلاقيا؛ لأنّها تكون في خدمة الجماعة لا الفرد<sup>2</sup>، وبالتالي فإن الاختلاف الظاهر بين الولي والسّاحر يتأطر في "مصدر القوة"، فالولي مصدر طاقته إلهية، أما السّاحر فهي ذاتية داخلية، ومنه فإن الولي أقدر من السّاحر، وبهذا تمت أسلمة "المانا"، ووفقا لهذا المفهوم أصبح الولي الحجاب الشرعي أو الإسلامي للسّاحر.

هذه الطاقة عُرفت عند الشعوب البدائية، يمتلكها ملوك هم الذين يمنحون المطر في الأوقات المناسبة، فعلى هضبة بوما قرب مصب نهر الكونغو يعيش ملك المطر والإعصار "تامفولو فومو، ولا تعرف قبائل النيل الأعلى سوى ملوك المطر، وإذا تأخر المطر يقصد كل رب أسرة ملك المطر، ويهديه بقرة عسى أن ينفعه بالمطر المبارك كي يسقي المراعي الجافة، وإذا لم ينزل المطر شقوا بطنه لاعتقادهم أنه يحتجز العواف هناك<sup>3</sup>، وقد تطور هذا المعتقد حتى العصور الحديثة والمعاصرة ليظهر في الزوايا والأضرحة، حيث يعمد الأهالي إلى زيارة الزوايا والأضرحة، فهم يرجعون سبب الجفاف باعتباره مصيبة من الله، وهي ذات علاقة مع الآثام التي يرتكبها بنو البشر، ويكمن دور الأولياء في طلب الشفاعة الإلهية<sup>4</sup>.

أما عن نقشي ظاهرة تقديس الأولياء فقد عدد الأنثربولوجيون أسبابها، فمنهم "دوتي" يرجعها إلى الدخول الإسلام والمدّ العربي، حيث انتقلت هذه الاعتقادات إلى دول شمال إفريقيا، و لقيت

<sup>1</sup> ينظر: هوبير ديشان، الديانات في إفريقيا السوداء، تر: أحمد صادق حمدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2011، ص10.

<sup>2</sup> ينظر: إدموندوتي، السحر والدين في شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص53.

<sup>3</sup> ينظر: جيمس جورج فريزر، الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين، تر: نايف الخوص، دار الفرقد، سوريا، 2014، ص150.

<sup>4</sup> ينظر: إدموندوتي، السحر والدين في شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص480.

الأرضية خصبة لزراعة فكرة تقديس الأولياء، خاصة عند الجماعات الشَّعبية المقيمة في الأماكن المعزولة، أي التي لم تتلق تعاليم الدين الصحيح، بحيث ألحقت الجماعات الشعبية صفة الولي المسلم لبعض الأشخاص المتفوقين اجتماعيا، وترتبط القبائل كلها بأحد الأولياء<sup>1</sup>، وبهذا يصبح الأولياء الصالحون عماد الدين الشعبي، كما يُرجع "دوتي" أسباب الانتشار محاولة النَّاس إخفاء عقيدة تأليه الإنسان تحت مسألة الشفاعة، ذلك أن الدين المحمدي أفرط في التوحيد حين ألغى كل الوسائط بين الله وبين المؤمن، وتوضح أكثر مسألة تأليه الشخص في صدر الإسلام حين عجز المجالون للنبي محمد أن يتعاملوا معه باعتباره بشرا كباقي البشر بالرغم من تحريم الإسلام لعدة ممارسات<sup>2</sup>، فدوتي يردف إلى البقايا الوثنية فرط الإسلام، لكننا نعتقد أنه ضيق من نظرتة للإسلام، ذلك أن أتباع محمد لم يعاملوه كباقي البشر ليس "تأليها له" كما اعتقد "دوتي"، بل لأن في القرآن والسنة باعتبارهما أصلا للتشريع الإسلامي في عقيدة المسلمين، هناك دعوة صريحة لتلك المعاملة الخاصة للنبي محمد، كما أنه لو كان موقف "دوتي" صحيحا، لا نجد ممارسات إسلامية محضة تنشط أمام الأضرحة، فهم يتفرغون لعبادة الله كالصلاة الإسلامية والذكر، كما أنهم يوحدون الله ولا يجدون حرجا ولا تضيقا، ولكنهم في ذات الوقت يعتقدون في الأولياء كوسطاء لا أكثر، وهذا ما ذهب إليه "مونتي" الذي رفض بشدة موقف "دوتي"، وأرجع انتعاش ظاهرة الأولياء في منطقة شمال إفريقيا عموما بسبب الأحداث السياسية التاريخية التي شهدتها المنطقة خلال القرن السادس عشر، والمتمثلة في الانتصارات الصليبية بشبه الجزيرة الإيبيرية وبالشمال الإفريقي، وقد شكل الجهاد ضد العدو المسيحي مصدر إلهام بالنسبة لعدد من الأشخاص الذين تحولوا إلى صلحاء في نظر الناس، بسبب تزعمهم الحركة المقاومة ويفضل حماسهم الديني الزائد<sup>3</sup>، وأما "إدوارد فسترمار E. Westermarck فيرى أن "عبادة الأولياء نبتت في الأصل في حقل الوثنية السابقة على مجيء الإسلام، ولم يمنع التوحيد الصارم من نمو هذا الاعتقاد واتساع رقعة ممارسته إذا كانت هناك ضرورة فيما يبدو تقتضي ظهور وسطاء يردمون تلك الهوة ويملؤون ذلك الفراغ

<sup>1</sup> ينظر: إدموند دوتي، السحر والدين في شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 18.

<sup>2</sup> ينظر: إدموند دوتي، الصلحاء، مرجع سابق، ص 17.

<sup>3</sup> ينظر: عبد الغني مندبيب، مرجع سابق، ص 34.

الذي يفصل بين الناس وربهم"<sup>1</sup>، فريما ظاهرة تقديس الأولياء تهدف حسب المتفاعلين الاجتماعيين للمحافظة على قوة التدين، من خلال تعيين أناس يُعتقد أنهم من نسل النبي محمد، ولهم كرامات بأن يكشف الله عليهم حجب الغيب مرات، وأن يطلعهم على بعض أسراره، حتى يبسر حياة البشرية، و من ثم جعلهم كمراجع عليا يذكرونهم بالله، وبضرورة الاستقامة كلما غفل الناس عن دينهم، وبالتالي تُردف مهمة "الضبط الاجتماعي" إلى الأولياء، ويُقصد بالضبط الاجتماعي في علم الاجتماع "كل ما يضع أو يقنن عددا من الممارسات والتصرفات، والتي ينبغي علينا الالتزام بها في ظروف معينة، اهتماما أو اقتناعا منا"<sup>2</sup>. ونضيف أسبابا أخرى ربما تجانب الصواب، فبالإضافة إلى ما ذكر نعتقد هشاشة البنية الاجتماعية؛ من أسباب تفشي ظاهرة الأولياء، ونستدل على ذلك بأن الأولياء من أشد المعتقدات التي بقيت سارية المفعول، ذلك أنها تعاود إنتاج سلطات، على النحو الذي تريده النظم السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية ونظام العائلة وغيرها، فعلى المستوى السياسي مثلا يُلاحظ دور الأولياء والزوايا كإحدى الآليات التتويمية التي تستخدمها السلطة للهيمنة. ومهما تعددت الأسباب فإن تفشي ظاهرة الأولياء تعكس حاجة الإنسان إلى الحفاظ على بقائه.

أما عن الذبائح فإنها موجه صراحة إلى الأولياء، ذلك أنه بإمكان الإنسان التأثير في القوة التي تسكن الولي من خلال إراقة دماء الذبائح والكلمات<sup>3</sup>، ومن ثم يتم الحصول على البركة التي تتبع من الولي مُحدث المطر ومُخصب الأراضي حسب المعتقد السائد في منطقتي الدراسة، وبما أن تأخر الأمطار ينذر بغضب الأولياء من الآثام التي يقترفها البشر خاصة البُخل حسب ما يخبرني الرواة، أو بسبب امتناع الأتباع عن زيارتهم، لانشغالهم بالحياة الدنيوية، وعليه تنظم الزيارات الطارئة لنحر الذبائح كقربان استرضائية لأجل القيام بمهامهم -الأولياء- المتمثلة في استحضر المطر، هذه الحيوانات التي عادة ما تكون شياه أو ماعز أو ديكّة، يُشترط أن يكون

<sup>1</sup> عبد الغني منديب، مرجع سابق، ص22، نقلا عن Edward westermarck: Les survivances paiennes dans la civilisation mahometane, Payot, Paris, 1935, pp:8-9

<sup>2</sup> جيل فيريول، معجم مصطلحات علم الاجتماع، تر: أنسام محمد الأسعد، دار وكتبة الهلال، بيروت، ط1، 2011، ص150.

<sup>3</sup> ينظر: فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان الشعوب البدائية والعصر الحجري، الكتاب الأول، ص264.

لونها أسود وهو نوع من السحر التشابهي، فاللون الأسود يوحي بلون السحاب المحملة بالمطر الغزير، وهذه الممارسات تنتشر في عدة ثقافات، ففي "شرق أفريقيا عندما يريد ساحر صنع المطر، يأخذ شاة سوداء وعجلا أسود في يوم تسطع فيه الشمس ويضعهما على سطح منزل عام يسكنه الناس سوية، ثم تُقدما بكرشتهما ويبيعث محتواها في كل الاتجاهات، بعد ذلك يصب ماء ودواء في وعاء، وعندما ينجح السحر يغلي الماء ويهطل المطر"<sup>1</sup>، وهناك من يرفض هذا الموقف بحجة أن الأضاحي لا يُراد بها تقليد السحب بطريقة سحرية؛ لأن السحب تتشكل بإرادة الله وحده، وإنما هي من أشكال التعبير عن التفسير والذنوب التي يرتكبها الإنسان وتكون سببا مباشرا في حبس المطر، وعادة تقديم الأضاحي تقدم خدمة اجتماعية مهمة، تعمل على توحيد وتجميع الكلمة، فالضحية تخدم جماعته خصوصا عندما تقدم لإرضاء الله تعالى الذي هو مصدر الحياة، وأساس الوحدة الاجتماعية<sup>2</sup>، وبما أن طاقة الولي يمكن أن تتأثر بالكلمات، نجد الطقوس الممارسة في منطقة الدراسة تهتم بهذا الجانب، في منطقة "إيفيغاء" بتيزي وزو، عندما يصل الموكب أمام ضريح الولي، تقوم العجوز الحكيمة لتتزع من الفتاة -عروس أنزار رمزيا- الألبسة والمجوهرات، ثم تلف الفتاة حول الضريح سبع مرات، كما تدور حول عين الماء سبع مرات، وهي تمسك المغرف، وهما يرددان بالتأوب:

أَنْعُ أَيَا أَيَّتْ بْ-أَمَانُ، أَفَكُوْثِي أَمَانُ      أَيَا أَسِيَادِ الْمِيَاهِ، قَدَّمُوا لَنَا الْمَاءَ  
أَثْنُ نَفَاكَ تَرْوَحْتُ إِيَّوْنُ إِيْتِسِيغَانُ      لَقَدْ وَهَبْنَا رُوحَنَا لِمَنْ أَرَادَهَا<sup>3</sup>

وإذا استعنا بتحليلنا -في الفصل الثاني- نجد أن الأولياء لهم خاصية العودة إلى الحياة، وأن بركتهم يمكن استجلابها من أضرحتهم، وبالتالي فإن قصد الأهالي من الاستعانة بهم، الرغبة في مشاركتهم على جلب الخصوبة من خلال إحداث المطر، ولتقوية التأثير في قوة الأولياء يعمد الأهالي في قرية "إحسناوة" إلى اختيار فتاة من نسل المرابطين لتمثل رمزيا عروس المطر، ويُشترط

<sup>1</sup> جيمس فريزر، الغصن الذهبي، ص 106.

<sup>2</sup> ينظر: خالد عيقون، مرجع سابق، ص 29 نقلا عن دينكن ميتشل، معجم علم الاجتماع، تر: إحسان محمد الحسن، دار الطليعة، ط2، بيروت، 1986، ص 178.

<sup>3</sup> ينظر: نبيل حويلي، منظومة الأسطورة في منطقة القبائل، مرجع السابق، ص 369.

أن تنزل الفتاة دموع، وهو نوع من السحر التَّشابهي حيث دموع الفتاة يُشبه ماء المطر، وبما أن كل ما يصدر من الأولياء محمل بطاقة، فإنه يُرجى من بكاء الطفلة إنزال مطر محمل بقوة الخصوبة، ومنه فالأولياء مساهمون جيدون في تثبيت نظام الخصوبة الذي تقوم عليه حياة البشر.

إذا ظاهرة تقديس الأولياء كانت منتشرة قبل مجيء الإسلام، والأولياء حصيلة تفاعل إرث مشترك عبادة الإنسان، تقديس السحرة والملوك والأنبياء والقدسين والشهداء، وتعدد أسباب انتشار الاعتقاد في الأولياء في منطقتي البحث وفي دول شمال إفريقيا عامة بدافع الحاجة وبدافع الاندهاش من خوارق الأبطال، وأيضاً بسبب فتح الدين المجال للاعتقاد في الأولياء، وفي مجمي البحث نجد أن "عبادة الإنسان" صبغت بالثقافة الإسلامية، فبدل "كهنة، ملوك، سحر قدسيين" مانا" نجد هذا الإرث ينهل مصطلحاته من الثقافة الإسلامية، "ولي، زيارة، كرامة، ضريح".

### ثانياً: طقوس السحر-دينية لجلب المطر (أنزار، أم قَطْمَبُو)

إذا كان الفكر السحري يؤمن بأن حوادث الدهر متكررة وثابتة لا تتعرض للتغيير، ولا تستجيب لإغاثات البشر، فالكون تحكمه نواميس غير قابلة للتعديل؛ لأن المنطق السحري يفترض "بأن هناك أحداثاً في الطبيعة تستلزم حصول أحداث أخرى دون تعديل ودون تدخل القوة الشخصية أو الروحية"<sup>1</sup>، و لهذا فإن الإنسان في عصر السحر لم يلجأ إلى الجانب العاطفي والروحاني، فهو لا يقوم بطقوس يتقرب بها إلى قوى عليا، أو يعبد آلهة تستجيب لحاجاته بفعل دعائه، فهو يعتقد أن القوة تكمن في خصائص الأشياء، وبالتالي فإن المفهوم السحري يجبره على الالتزام بقواعد فن السحر<sup>2</sup>، ومع ظهور الدين أدرك الإنسان أن هذا الكون تسييره كائنات خارقة خفية مدبرة وواعية، فخافها وهابها ثم شيئاً فشيئاً قدسها، كما اعتقد الإنسان المتدين أن الكائنات تتأثر بأفعال وممارسات البشر، فبإمكان الإنسان أن يتزلف إليها بالطقوس الشفوية أو اليدوية حتى ينال رضاها وتستجيب لحاجاته، وهذا يعني أن الطبيعة في الفكر الديني ذات خصائص مرنة على عكس الفكر السحري الذي يقرّ بالثبات<sup>3</sup>، غير أن انتقال الإنسان من مرحلة التأثير في القوة، أي

<sup>1</sup> جيمس فريزر، الغصن الذهبي، ص 77.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 77.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 80.

السّحر إلى مرحلة الدين القائم على الصلوات والابتهالات لم يتم دفعة واحدة، بل ببطء شديد، لذلك بقيت الممارسات السحرية قائمة بقوة في قلب الديانات التي تقوم على الإيمان بالآلهة المشخصة<sup>1</sup>، وبهذا تعايش السحر مع الدين، وبقي الإنسان يتعامل مع الآلهة بطرائق سحرية، فحينما يبتغي السّاحر أمراً لا يتوسل السّاحر إلى هذه الكائنات بل إنه يجبرها على تنفيذ مشيئته<sup>2</sup>. وبهذا تماهى السّحر مع الدين، وبقي الإنسان يمارس طقوس سحر-دينية، فالسّحر بقي ينشط في قلب الأديان حتى العصر الحديث، وفي بحثنا هذا تظهر جليا الممارسات السّحر-دينية، من خلال الأسطورة المؤسسة لطقوس استحضار المطر "أنزار، أم قَطْمَبُوا" كما تظهر في الشعائر الشفوية والشعائر العملية.

### 1- الأسطورة المؤسسة

تعتبر الأسطورة من مكونات الدين، وهي بمثابة العمود الفقري للأديان؛ لأنها تقدم تفسيرات للممارسات التي تكون مشحونة بالمقدس والإلهي، كما تعلم الناس قداسة الكائنات العليا، التي يعود إليها أصل الوجود، وبالتالي تكون مصدر جميع أنشطة البشر<sup>3</sup>، كما أن "للأساطير وظيفة ضرورية، إنها تقدم القوانين الناظمة لأعراف ومعتقدات القبيلة، فهي تخبر بقالب قصصي عن الكيفية التي جرى بها فرض الأحكام البدائية المبجلة والسارية في تقاليد ومؤسسات الجماعة من قبل شخصية أبوية سلطوية عاشت في الأزمان البدئية"<sup>4</sup>، وأسطورة "أنزار" تُفسر كيفية وجود المطر، أي إعادة الرّوح إلى الأرض عن طريق الماء، كما تكشف عن الزواج المقدس مثل زواج السماء الذّكر بالأنثى الأرض.

وحسب بحثنا واطلاعنا عن المصادر لم نعثر عن أسطورة مؤسسة لهذا الطقس في منطقة "وادي سوف"، كما هي معلومة في أرض القبائل، بل إن طقس استئزال المطر في منطقة سوف

<sup>1</sup> ينظر: فراس السّواح، دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنتشأ الدافع الديني، منشورات دار علاء الدين، دمشق، سورية، 4ط، 2002، ص194.

<sup>2</sup> ينظر: فريزر، مرجع سابق، ص80.

<sup>3</sup> ينظر: فراس السّواح، المرجع السابق، مرجع سابق، ص58.

<sup>4</sup> فراس السّواح، موسوعة علم الأديان، الكتاب الأول، مرجع سابق، ص24.

يفتقر إلى بعض الممارسات المهمة التي يقوم عليها طقس "أنزار" في منطقة القبائل "كرش الماء" باعتبارها ممارسة مهمة لنجاح الطقس، حيث إنها تهدف إلى تقليد نزول المطر، ومنه نفهم بأن الطقوس لا يُشترط أن تكون لها أساطير مؤسسية، أو معلومة.

يمكن اعتبار طقس جلب المطر "أنزار"، "أُمُ قِطْمُبو"، "تاغنجايت"، من طقوس البربر القديمة التي لا تزال قائمة إلى الآن، هذا الطقس ما زال يمارس إلى الآن في بعض المناطق في وادي سوف والقبائل، كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

تقول الأسطورة المؤسسة لطقس أنزار: كان أنزار وهو ملك، أراد الزواج من فتاة فائقة الجمال، وكان من عادة هذه الفتاة أن تستحم في نهر، وكان سيد المطر كلما هبط إلى الأرض يدنو منها فتخاف وترجع إلى السماء، لكنه ذات يوم قال لها:

ها أنا أشق عنان السماء  
من أجلك يا نجمة بين النجوم  
فامنحيني من الكنز الذي وهبته  
وإلا حرمتك من الماء  
فردت عليه قائلة:  
أتوسل إليك يا ملك المياه  
يا مرصع جبهته بالمرجان  
إني نذرت نفسي لك  
بيد أنني أخشى الأقاويل

وبعد سماع هذه العبارات أدار ملك السماء خاتمه فحبست السماء أمطارها، وجفت الآبار، فحزنت الفتاة، لأنها لا تستطيع العيش بدون ماء، خلعت ثيابها الحريري وظلت عارية، فخاطبت السماء قائلة:

أنزار يا أنزار  
يا زهر السهول  
أعد للنهر جريانه

وتعالى خذ بئارك

في تلك اللحظة بالذات لمحت ملك المطر وقد عاد بهيئة شرارة برق ضخمة فضم إليه الفتاة، وعاد النهر إلى سابق عهده في الجريان فاكتست الأرض كلها اخضراراً<sup>1</sup>.  
إذا عدنا إلى تعريف "إلياد" للأسطورة نجد مكوناتها متوفرة في أسطورة (أنزار) باعتبارها أسطورة تسرد أحداثاً حقيقية حصلت في زمن البدء الزمن المقدس، أبطالها كائنات عليا، مثل أنزار والفتاة الجميلة في أسطورتنا، تهدف الأسطورة بالمفهوم الإليادي Eliade إلى تعليل أصل وجود الأشياء، كسبب وجود المطر، وزواج الأرض بالسماء وظهور المذكر والمؤنث، وإلى تبرير قدسية الكائنات العليا، التي علمت البشر كيفية إدارة الوجود، حينما كشفت اللثام عن النماذج البدئية، وبالتالي فهي تروي أحداثاً حقيقية نستدل عليها بوقوعها، فأسطورة أصل المطر برهن عليها وجود المطر، كما أن كشف سر أصل المطر يمكننا من السيطرة على المطر، وذلك بالعودة إلى زمن الأسطورة ومحاكاة الأعمال الأولى التي حدثت في الزمن الأول<sup>2</sup>.

## 2- الشعائر الشفوية السحرية التأثيرية

هي الممارسات التي تصرف الكلام لغايات سحرية تأثيرية، تتبع قوتها من المعتقد السحري إضافة إلى المعتقد الديني، وتتوسل التعزيم والإنشاد والتعويدة، والدعاء، والتراتيل والأغاني والأهازيج، وكل ما يصدر من الإنسان ويعبر عنه بلغة الخيال، ويعتقد أنه يفعل رد فعل عملي مشابه.

نلاحظ في طقوس الاستسقاء في المنطقتين، حضور نصوص شعرية وأغانٍ ترددها الجماعة المشاركة، وهي مهمة بل وإلزامية كي يحقق الطقس ما يصبو إليه. إذا كان الكلام الشعري تعويذة تستخدم لبلوغ المآرب، عن طريق الكلام الموزون والمقفى يحدث أثراً يشبه التنويم الإيحائي بلغة علم النفس، وبالتالي يشكل قوة مادية من شأنها أن تحدث أثراً في الواقع، وهذا ما أخذ على

<sup>1</sup> ينظر: محمد أسوس، طقوس الاستمطار الأمازيغية (البربرية) وأساطيرها بشمال إفريقيا، مجلة الثقافة الشعبية، فصلية علمية متخصصة، السنة الرابع عشر، صيف 2011، ص 87.

<sup>2</sup> ينظر: مرسيا إلياد: مظاهر الأسطورة، تر: نهاد خياطة، دار كنعان، دمشق، ط1، 1991، ص 10.

حصيلة التراث الثقافي الإنساني اعتماد الشعر كتقنية سحرية<sup>1</sup>. من هذا المنطلق أمكن لنا تفسير أهازيج الاستسقاء، إذ أن المشترك فيها أنها تتضمن مقولات يرجى من ورائها ضمان نزول المطر، وهي بذلك تتوسل بالعزم السحري حيث "أن حركة السحر المحاكاتي تعوض فيه بمقابله الصوتي"<sup>2</sup>، فيكفي أن ينطق الحاضرون بكلام متتال قد يتشابه في المبنى ويصب في نفس المعنى، بالاعتماد على أسلوب يكتنفه التمويه، مع اعتقاد تام بقدرته في أن يتحول من كلام إلى فعل، وهذا ما نستشفه في أناشيد طلب النوء في المنطقتين، حيث أن نظام اللغة في أغاني الاستمطار نجدته يرتكز على "القليل من العقل وكثير من العاطفة"<sup>3</sup>، و استنادا إلى قانون التشابه الذي يفترض أن "الشيء يأتي بمثله"<sup>4</sup>، ينطق الحاضرون بأسطورة "أنزار" بغرض تجديد وإعادة بعث الحياة، وفي ذلك يستعينون بالرموز لتقوية فاعلية التعزيم، وإصابة الهدف، فحين تحبس السماء أمطارها، يعبرون عن شيخوخة الأرض "بالمعرفة المتمايلة" وفي موضع آخر يصفونها بالمغرفة الساخنة وفي وادي سوف فإن لفظة "أم قطمبو" هي وصف للمرأة الطويلة جدا والهزيلة، كلها ألفاظ تدل على انعدام التوازن واقتراب الموت، وانعدام الإنتاج أي العقم، وهنا وجب استعادة دورة حياة الأرض، وسبيلهم إلى ذلك تقديم العروس "تيسلسلت" للإله "انزار" كما دلتهم الأسطورة على ذلك، فقولهم "هاهي ذي عروسك"، وأيضا قولهم في منطقة سوف "حَلَّتْ رَأْسَهَا" بمعنى كشفت عن زينتها، أي أنهم يقدمون "أم قطمبو" كزوجة للإله؛ لأنه وفق العرف السائد في المنطقة المرأة لا تكشف رأسها إلا لبعلها، وكنتيجة حتمية وفقا للسرد الأسطوري، فإن الإله يتقبل القربان، وينعم على الأرض بماء المطر وتستعيد شبابها من جديد وبالتالي إعادة تجديد دورة الطبيعة، كما أرادها الناس وتحيلنا العبارات التالية إلى هذا الفهم: اجعل المطر قويا، "يا رب ارويها جيدا"، "يا رب بلْ خُرَاسَهَا"، فالتعزيم هنا يتبنى "المنطق الوصلي الذي يرى أن اللفظ لا يحيل على شيء خارجه بل يتماهى

<sup>1</sup> ينظر: مبروك المناعي، الشعر والسحر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2004، ص19.

<sup>2</sup> دوتي، السحر والدين في شمال افريقيا، مرجع سابق، ص126.

<sup>3</sup> مبروك مناعي، مرجع سابق، ص25.

<sup>4</sup> فريزر، الغصن الذهبي، مرجع سابق، ص29.

بالشيء تماما فيصير وإياه واحدا ومن ثم يفقد طابعه الاعتيادي التواضعي وتتقي المسافة بينه وبين المرجع الذي يحيل عليه فإذا هو هو<sup>1</sup> "بمعنى أن اللفظ والمعنى في علاقة إلزامية.

الأهازيج من الفنون التي تنفرد بطابع سحري تأثيري، تكتسب من تراكيبها قوتها، فتلك القوافي والأسجاع والمجازات والاستعارات والكنيات لم توجد "لإحداث فن"<sup>2</sup> كما أن أساليب العرض والطلب والأمر والنهي والدعاء، يرمى من ورائها استثارة الطبيعة بقوة التحدث، وإقناعها أي التحكم بالطقس، فالكلمة هنا فعل كما الحركة اليدوية، والكلمة هنا من الطقوس الشفوية السحرية التي لا تقل أهمية عن الطقوس اليدوية، لذلك نجد في احتفالات الاستسقاء بالمنطقتين حضور الأهازيج كتقنية تساهم في ضمان نزول المطر، ذلك أن الكلمة الشعرية كما اعتبر موريس بلاشو M. Blanchat "طاقة غامضة شبيهة بالتعويدة التي تخضع الأشياء وتجبرها على الحضور خارج ذواتها"<sup>3</sup>، من هذا المنطلق نفهم قدرة الكلمة على صناعة الأشياء وبالتالي فإن للكلمة سطوة على الطبيعة بأكملها، ولا نستغرب إذا من حذر ومراقبة الكلمات، فأى انزياح في الكلمات قد يفسد الطقس ويطلب عكس ما يُطلب، وهذا ربما يفسر تلك القوالب الجاهزة التي تزد أثناء طلب المطر، فبرغم من براعة الشعبين في نسج الكلمات، والقدرة على إطلاق سلاسل من الأهازيج والدعوات المتنوعة والمختلفة والتي تصب كلها في الحصول على نفس الرغبة، إلا أنهم يميلون إلى الكلام الجاهز خوفا من الزلل أو النسيان، وبالتالي إحداث غير المرغوب، والنتيجة وخيمة، فاحتباس المطر يعني تعطل حياة الأرض، وما يدبّ عليها من إنسان وحيوان ونبات. والاعتقاد في الكلمة معتقد عام، فحين مال الإنسان إلى اعتقاد مفاده أن الطبيعة مسيرة من قبل قوى سحرية، راح يتزلف لها بكل ما يملك من وسائل وتقنيات، وبما أنه يتصف بطبيعته بالكلام، حاول استغلال هذه القدرة وحولها إلى سلاح بأن أضفى عليها طابعا سحريا يركز على ثقل العبارة، يستطيع من خلالها النجاح في التواصل مع القوى الغامضة وإقناعها بالاستجابة لرغباته "فالكلمة هي أولى الأدوات التي واجه بها الإنسان الطبيعة كي يعيش وأولى المظاهر التي عبر بواسطتها عن وجوده فيها"<sup>4</sup> والكلمة "أول قوة حية Animism يستطيع بها أن يدفع أذى الطبيعة الحية والصامتة وأن

<sup>1</sup>مبروك المناعي، الشعر والسحر، ص11.

<sup>2</sup>ينظر: المرجع نفسه، ص20.

<sup>3</sup>المرجع نفسه، ص24.

<sup>4</sup>المرجع نفسه، ص39.

يعيش معها في انسجام<sup>1</sup> تبعاً لهذا نجد في كل الطقوس الاستمطار يعول كثيراً فيها على نجاعة الكمات ذات طابع سحري، وهذا ما يدل على الإنسان لازالت فيه آثار العقلية ما قبل المنطقية كما يسميها "لوفي بريل"<sup>2</sup>، أما سريان مفعول الاعتقاد في الكلمة السحرية، في مجتمع الدراسة، فيمكن أن يكون لتعاليم الدين الرسمي تأثيراً على بقاء بريقها، فهناك العديد من الشواهد في القرآن الكريم التي تبين صراحة دور الكلمة في إحداث الأشياء، منها قوله تعالى في سورة يس الآية 82 ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>3</sup>، كما أنه من معجزات سيدنا عيسى عليه السلام إحياء الموتى عن طريق الكلام الذي يتضمن دعاء، وعلى إثر ذلك "من الطبيعي أن يبحث الإنسان عن سبيل تقوية هذه القوة بنطقه بالكلمة وتردادها وابتكار الجناسات اللفظية والأسجاع والقوافي وحروف الروي المتشابهة"<sup>3</sup>، فالأغاني التي يُرددها المشاركون في طقوس استحضر المطر في منطقتي الدراسة، تُساهم في تجسيد المتخيل، وخلق واقع مخصب بفعل المطر.

الأمازيغ كغيرهم من الشعوب عرفوا آلهة للطبيعة وعبدوها، لتقربهم إلى الله زلفى، فهم كغيرهم هابو وقدسوا القوة باعتبارها فعالة لما يريدون إذا استطاعوا استمالتها، وهذه من آثار العقلية البدائية "فالإنسان البدائي كان يحس بالقهر لعجزه أمام قوى الطبيعة، وذلك لأنه لا يوجد شيء بداخله يحترمه أكثر من القوة فهو يرضى بالسجود أمام آلهته دون أن يتبادل عما إذا كانوا جديرين بسجوده وعبادته"<sup>4</sup>، و"أنزار" باعتباره إله المطر عند البربر القدماء، وبالتالي فإن الأهازيج التي هدفها التعزيم وطلب المطر، في الحقيقة هي موجهة إلى إله وثني، لكن هذا الطلب مدعم بقوة اسم الإله الإسلامي "الله"، ونفهم هنا طريقة أسلمة المعتقدات، ونبررها بالروح المادية من جهة ومن جهة أخرى مقاومة الثقافة الشعبية.

وإذا كانت ميزة العامة أنهم غير متعلمين وبالتالي لا يعرفون شيئاً عن الوزن والقافية، نجدهم في أهازيجهم يعوضون هذه التقنيات البلاغية، بأساليب أخرى كالتكرار والمقابلة والوصف والتشبيه،

<sup>1</sup> أحمد شمس الدين الحجاجي، الأسطورة والشعر العربي، المكونات الأولى، مجلة فصول، العدد 2، 1 مارس 1984، ص43.

<sup>2</sup> ينظر: أرنيست كاسيرر، اللغة والأسطورة، تر: سعيد الغانمي، دار كلمة، أبو ظبي، ط1، 1430هـ-2009، ص7.

<sup>3</sup> إدموندوتوي، السحر والدين في شمال أفريقيا، مرجع سابق، ص95.

<sup>4</sup> برتراند راسل، عبادة الإنسان الحر، تر: محمد قدرى عمارة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ط1، ص11.

ذلك أن التكرار والمقابلة يعوضان الإيقاع أو الوزن، وبالتالي بدلا من أن يكون الإيقاع موسيقيا خارجيا، فإنه سيكون كتلا كلامية تتكرر وتتقابل بما يشبه الإيقاع<sup>1</sup>، وتعطينا المقاطع أغاني الاستسقاء أمثلة حية، كما في منطقة خراطة:

أَنْزَارْ، أَنْزَارْ	أَنْزَارْ أَنْزَارْ
يا رب ارزقنا المطر	أَرْبْ، تُفَكِّدُ أَغْبَارْ
المغرفة ساخنة	تُغْبَائِثُ تُفْلُوْلِيحْ
فوق بيت ساخن	زُنَيْقُ أَحَامْ أَقْلِيحْ
يا رب اروبها جيدا	أَرْبَّ تُصْرُوْبِيْتْ مَلِيحْ
يا رب اروبها جيدا	أَرْبَّ تُصْرُوْبِيْتْ مَلِيحْ
ماء، ماء، السماء	أَمَانْ، أَمَانْ، إِفْنِي
يا رب ارزقنا المطر الغزير	أَرْبَّ تُفَكِّدُ لُحْمَالِي
يا أمي عيشة أحضري ماء العشاء	أَيْمْنِي عَيْشَةَ أُوَيْدُ أَمَانُ لُعْشَى
يا أمي حواء أحضري ماء السماء	أَيْمْنِي حَوَاءِ أُوَيْدُ أَمَانُ لُهَوَى
نُورْ، نُورْ المطر	نُورْ، نُورْ أَغْبَارْ
يا رب اسقي البساتين <sup>2</sup>	أَرْبَّ سَقَى تَيْحِيَّارْ

أما دوتي فيعتبر أن الأغاني المصاحبة للمطر، كانت في الأصل طقوسا شفوية محضة، أي؛ تعاويذ وتعازيم تخلق الجنى، لكنها مع مجيء الإسلام عطلها وحولها إلى دعوات وابتهالات، ولكن سمة طريقة التفكير السحرية بقيت عالقة، لهذا نجد عبارات ذات طابع تأثيري<sup>3</sup>.

ومما يقوي فاعلية الطقس الشفوي الإنشاد، فهو يعمل على إخراج الرغبات في شكل قوالب جاهزة تردّد بأصوات مرتفعة على نغم موحد، وهذا ما يضيف قوة تأثيرية ترضخ لها القوى الخفية

<sup>1</sup> ينظر: خزعل الماجدي، أدب الكالا... أدب النّار دراسة في الأدب والفن والجنس في العالم القديم/ ميثلوجيا، دار الفارس، الأردن، ط1، 2001، ص78.

<sup>2</sup> شهيرة بوخنوف، طقس أنزّار في منطقة خراطة (بجاية) -مقاربة اثولوجية-، مرجع سابق، ص60.

<sup>3</sup> ينظر: دوتي، السحر والدين في شمال افريقيا، مرجع سابق، ص480.

إما طوعا أو كرها، وإذا كانت كلمة ناشد في اللغة العربية مرادفة لكلمة العراف الذي يدل على الأشياء المفقودة<sup>1</sup>، تتجلى علاقة الإنشاد بالعرافة ودورها في أحداث المطر، فما أن جميع المشاركين ينشدون فإنهم عرافون لهم القوة والقدرة الداخلية في السيطرة على المؤثرات الخارجية إذا أحسنوا استعمالها، بتكرار ما يريدون حصوله، والاستعانة بأسماء تحمل رموزا دينية تقوي عقيدتهم، "الله، حواء، عيشة.. الخ"، وأدعية تلامس الروح، تعترف ضمنا بالقوى الغيبية، هذا ما يساهم في ضمان استجلاب المطر عن طريق السحر الأبيض التأثيري، هذا ما جعل "الملاحظون يتفقون على أن الإنشاد يساعد في الجلسات المخصصة لمناجاة الأرواح على استحضر الظواهر التي يطلبون ظهورها"<sup>2</sup>، ذلك لما في الإنشاد من اعتراف بضعف واحتياج الإنسان للمطر، وإقرار بقدرة القوى الغيبية بإنزال المطر بالاعتماد على تقنيات بلاغية تحرك العواطف أكثر مما تقنع العقل، لتصبح على شكل ما يريده المشاركون، فالإنشاد يؤثر في قوة السحر وله دور في إنتاج الظواهر الباطنية، ويُعتبر لدى العرب ومنذ العصور السحيقة قوة عجيبة ناجمة عن الجن<sup>3</sup>، و من جهة أخرى "يساعد الإنشاد على الإصغاء والتأثر والحفظ من جهة المعنى، ومن جهة المبنى كان يستند إلى أسهل الأساليب البديعية علوقا بالأذان وأقربها إلى الأنغام الشعبية العامة وهي التضاد والطباق والمقابلة والسجع خصوصا"<sup>4</sup>.

وما يلاحظ أن المشاركين من خلال الإنشاد يتركون المجال للكلمات بغية إيصال المعنى، وأما إذا كثرت المطر وأصبح يهدد المحاصيل والسكان فإنيهم يتركون المجال للصوت أكثر من الكلمة، ففي منطقة سوف تعمد النساء إلى الولولة كأحد أساليب طرد المطر، ورُيما هذه من آثار البدائية، فالبدائي كان يعتمد طريقتين في الإنشاد الأولى تُسمى "لوغوجينك Logogenic" تعبر عن استقراره وراحته وفيها تكون للكلمة سلطان على الصوت، والطريقة الثانية تعتمد على "الأسلوب العاطفي pathogenic" يُعبر من خلالها عن خوفه بأن يُقدم الصوت عن الكلمة<sup>5</sup>، وبالتالي فإن

<sup>1</sup> ينظر: دوتي، السحر والدين في شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 96.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 98.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 98.

<sup>4</sup> فضل بن عماد العمار، الشعر والغناء في ضوء النظرية الشفوية، مكتبة التوبة، الرياض، دط، ص 25.

<sup>5</sup> ينظر: خزعل الماجدي، أدب الكالا... أدب النار، مرجع سابق، ص 14.

تلك الأهازيج الشعرية أهدافها سحرية، يسعى الحاضرون من خلال إنشادها وتكرارها التأثير في الطقس، وفي هذه الشعائر الشفوية تتعالق المعتقدات الوثنية مع المعتقدات الإسلامية، فالأهازيج هي تعازيم سحرية متضمنة أدعية إسلامية، موجه إلى إله وثني قد تم إلحاق اسم الإله الإسلامي به، كما أن طريقة عرضها تعتبر تقنية سحرية عرفت في معظم الثقافات الإنسانية تعتمد على الحكى الأسطوري<sup>1</sup>، يرجى من ورائها إحداث أثر مرغوب، ويبقى منطق الإنسان رهين احتياجاته. كما أن الاعتقاد في قدرة الأغاني على جلب المطر تذكرنا بأسطورة تروى في أمريكا اللاتينية، حينما اكتشفت فتاة أنها حية في إقليم البحيرات الشمالية الكبرى، ولما وصلت إلى كوخ خشبي استقبلها عشرة أخوة وطيور الرعد (طيور خرافية يعتقد الهنود الحمر أنها تحدث البرق والرعد)، وفي صباح سيء كانت تحضر الماء من المنبع قبض عليها ثعبان مُشعر وحملها إلى أعماق جبل صخري، كانت الثعابين على وشك أن تلتهمها حين غَنَّتْ. من بعيد سمعت طيور الرعد الغناء فهاجمت الجبل الصخري بالبروق، وأنقذت الفتاة، وضعت طيور الرعد الفتاة في قفل شجرة وقالت لها، سوف تعيشين هنا وسنعود في كل مرة تغنين فيها، وفي كل مرة تغني فيها ضفدعة الشجرة الخضراء يقصف الرعد وتمطر على العالم<sup>2</sup>.

### 3- الشعائر العملية السحرية التآثرية

وهي الطقوس التي يمارسها الإنسان باستعمال أدوات يعتقد أنها تستمد قوتها من خصائصها، وهي ليست بمعزل عن الطقوس الشفوية، وكلاهما يهدفان إلى تجسيد القوة والتحكم فيها، ففي وقت الجفاف يحنّ الناس إلى الزمن الإلهي ويرغبون في العيش فيه، وتكرار الأعمال المنتجة كزواج "أنزار" من العروس "تيسلسلت"، وهم بذلك يحيّتون الأسطورة، وهنا تبرز ضرورة الفن كمساعد يعيد التوازن للعالم، فعلى حدّ تعبير المصور موندريان: "إن الفن هو تعويض عن انعدام التوازن في الواقع الراهن"<sup>3</sup>، فعن طريق الفن -في طقوسنا- استطاع الإنسان تدبير أدوات من خلالها يحاكي الأسطورة التعليلية لأصل وجود المطر، مما سهل عليه تصوير الواقع على هواه، فيسلك بالفن

<sup>1</sup> ينظر: ميروك المناعي، الشعر والسحر، ص 80.

<sup>2</sup> ينظر: إدواردو كاليانو، ذاكرة النار، تر: أسامة إسبر، سفر التكوين، ط1، 1995، ص 14.

<sup>3</sup> إرنست فيشر، ضرورة الفن، تر: أسعد حليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، ص 13.

طريق تحقيق الأمانى بإنزال المطر التي فقدها في الواقع حين حلّ الجفاف، هذه الأدوات مع مرور الوقت استطاع أن يشحنها بملكة التخيل برموز سحرية ودينية، فتعددت رمزيتها على حسب الطالب والمطلوب.

مع اكتشاف الزراعة ظهرت ديانة الخصب التي تحيط المرأة بالقداسة، كما ظهرت طقوس التشبيه والمحاكاة التي تهدف إلى تصور قوة خصبة في الكون على شكل أنثى وهي رديفة الأرض الخصبة المثمرة<sup>1</sup>، وفي طقوس دراستنا نجد "العروس" التي يجوب بها الأطفال الشوارع لطلب المطر تتوب عن دمي ديانة الخصب فما هي دلالات رموز المواد المستخدمة في هذه الطقوس؟

### 1.3. المغرفة والعروس والزواج الأسطوري

تعتمد النساء في المنطقتين لإقامة طقوس جلب المطر، إلى تزيين مغرفة على شكل عروس، ويكسبها بالثياب والحلي المعروفة بالمنطقة، وفي هذا تعبير عنالأصالة، المغرفة تمثل عروس أنزار "لتسليث ونزار" وتمثلها في منطقة سوف "أم قطمبو" التي ستزف إلى عريسها أنزار ملك المطر، كي يتم الاتصال الجنسي الذي يهدف إلى خصوبة الأرض، عن طريق إنزال ماء السماء الذي يُمثل رمزيا مني الرجل، وتعتبر المغرفة من الأدوات المنزلية التي تستعملها النساء في المطبخ، وتستعمل في طقس "أنزار"؛ لأنها تتسم بخواص أنثوية تساعد على الخصوبة، وبالنظر إلى صلتها الجوهريّة بالسوائل، فهي تستعمل لاغتلاف الماء أو المرق أو غيره<sup>2</sup>، وأيضا المغرفة باعتبارها ترمز إلى العضو التناسلي الانثوي فهي إذا ستكون الحاوية للماء المخصب الذكري. وبالتالي فإن حملها يعبر عن رغبة الناس في اقتران الأرض بالسماء، الذي يبرره نزول المطر. كما أن شكلها المجوف، يوحي بدلالات أنثوية جنسية، مادام "كل تجويف يمكن أو يؤول جنسيا"<sup>3</sup> حسب دوران، كما يمكن اعتبار المغرفة صورة مصغرة للأرض الأمومية، والماء الذي يرش بالمغرفة يرمز لحليب الأم الذي يعتبر الغذاء الأساسي، فكما يلاحظ "باشلار" أن الفولكلور يفترض

<sup>1</sup> ينظر: خزعل الماجدي، أدب الكالا... أدب النار، مرجع سابق، ص16.

<sup>2</sup> محمد أسوس، طقوس الاستمطار الأمازيغية (البربرية) وأساطيرها بشمال افريقيا، مرجع سابق، ص92.

<sup>3</sup> جيلبيردوران، الانثربولوجيا، رموزها أساطيرها أنساقها، مرجع سابق، ص219.

"المياه أمهاتنا اللاتي يوزعن علينا حليبهن"<sup>1</sup>، وما يؤكد خُصوبية المغرفة المادة المصنوعة منها وهي خشب الشجر، والشجرة كما نعرف تحمل دلالات تخصيبية، في معظم الثقافات العالمية، وللأشجار في الثقافة المحلية بمنطقة "وادي سوف" يسود حولها اعتقادات عدة، فمازال يسري الاعتقاد عند الأهالي أن الأشجار تسكنها أرواح، خاصة الأشجار الغريبة التي لا توجد في الأماكن المسكونة، كشجرة الرّتم في المنطقة التي يعتقد أنها تحمل خواص سحرية، ويروي مخبر من أهل المنطقة أنه ذهب إلى الصحراء مع أصدقائه، ثم قام أحدهم بقطع جذع من شجرة الرتم وما أن ضرب بفأسه حتى سال دم من الشجرة، وصاحبهم أصابه العمى وأصبح يعاني من مشاكل في العمود الفقري، وقصد الأطباء لكنهم لم يستطيعوا أن يشخصوا الحالة، إلى أن زار عرافة وأخبرته بأنه ظلمهم بفعلته وتقصد الأرواح التي تسكن الشجر، وأعطت له بخورا يتبخّر به كي يصفحوا عنه<sup>2</sup>. كما تحفظ لنا الذاكرة الشعبية العديد من الشواهد على تقوية الخصوبة بفضل الشجر، خاصة المتواجد أمام أماكن مقدسة كالمسجد والضريح في منطقة سوف، من الطقوس المشهورة لتسهيل الحمل، أن تأخذ المرأة ابنها الأخير، وتضرب جبهته على ذكار نخلة بالمسجد، ومن خلال إلقاء تعويذة خاصة، تعلم أنها ستحمل في قادم الأيام، وأيضا ينصح للأزواج العاقرين، أن يخلطوا غبار الطلع، ويخلط مع العسل ليتناولوه حتى يفك عقدهم<sup>3</sup>.

والاعتقاد في أن الأشجار كائنات حية، من الرواسب الثقافية البدائية التي بقيت تراحم الثقافات المهيمنة في المنطقة، وبالتالي فإن المعرفة باعتبارها جزءا من الشجرة، فإن استحضرها في الطقس والطواف بها على البيوت يمثل ضمنا استحضر روح الخضرة<sup>4</sup>، "وقد كان الناس يؤمنون بأن إله النمو موجود في الغصن بشكل غير مرئي ويؤخذ في الموكب على كل بيت ليمنح بركته"<sup>5</sup>، وإذا عملنا بهذا الكلام، فإن كل أجزاء الشجرة، وكل ما يصنع منها يبقى حاملا لتلك الروح، وبالتالي فهو مصدر بركة وخصب أينما حلّ، ولعلنا نفسر رش الماء في الموكب الذي يتخلله

<sup>1</sup> جيلبيردوران، الأنثربولوجيا، رموزها أساطيرها أنساقها، مرجع سابق، ص 235.

<sup>2</sup> لقاء مع الراوي علي بن عيشة، 25-09-2023، 90 سنة، وادي سوف.

<sup>3</sup> لقاء مع الراوية صالحة دريدي، صالحة دريدي، 60 سنة، 05-07-2023، وادي سوف.

<sup>4</sup> ينظر: جيمس فريزر، الغصن الذهبي، مرجع سابق، ص 185.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 153.

النساء والأطفال وحتى الحيوانات يرمى منه زيادة التكاثر وتخصيب وإحلال البركة على الجميع، من جهة أخرى فإن روح الخضرة عندما تجسد على شكل دمية وتزين، يطلق عليها لقب أنثوي "أم" كما في منطقة سوف، "تيسلسلت" (العروس) في منطقة القبائل، و يلاحظ مانهاردت "أن هذه الألقاب تنطوي على أن الروح المجسدة في الخضرة تدل على حاكم ذي قوة إبداعية عظيمة"<sup>1</sup>.

وربما تكريس الاعتقاد في الأشجار كرمز للخصوبة نابع أيضا إضافة إلى الرواسب القبل إسلامية، من الثقافة الإسلامية، فتذكرنا قصة السيدة مريم عليها السلام، أنها أنجبت ابنها عيسى عليه السلام تحت جذع النخلة، ما يؤكد على أهمية النخلة كحاملة وناقلة للخصوبة، وربما لذلك تعدد بمنطقة سوف مخاطبة شجرة بأن تنزل المطر ببركتها وتروي نفسها والناس، كما تُحينا الثقافات العالمية إلى الرمزية التخصيبية للشجر، فقد كانت طقوس البغاء المقدس تقام تحت الأشجار الخضراء وما زال تقديس الشجرة الخضراء موروثا في أرض كنعان، وهي ذاتها ما كان يطلق عليها اسم ((عشيرة)) أي عشتار وهي رمز للخصب، وهذه الأشجار لا تزال حتى اليوم في لبنان وفلسطين وسوريا وتقصدها النساء طلبا لفاك العقر<sup>2</sup>، كما لم يكن تقديس الأشجار بين عرب الجاهلية بأقل من تقديسهم للحيوانات خاصة شجرة النخيل التي عبدت وقدس وحجوا إليها وقد استمر تقديس الأشجار لدى العرب وما زالت حتى أيامنا هذه<sup>3</sup>، وقد عُبِدت أشجار النخيل عند العرب كونها "تؤلف قواما من مقومات حياتهم"<sup>4</sup>، وينتشر تقديس النباتات والأشجار أيضا لدى الجماعات البدائية وفي الثقافات الأكثر تعقيدا، في المقاطعات البلاطينية الألمانية العليا، لا يزال الخطابون إلى الآن يهمسون للشجرة الكبيرة قبل قطعها طالبين منها الصفح<sup>5</sup>، وقد ذكر "فريزر" عدة أمثلة عن دور الأشجار في إعطاء الأمطار، فعندما كان المبعوث التبشيري يقنع الوثنيين

<sup>1</sup> جيمس فريزر، الغصن الذهبي، مرجع سابق، ص 178.

<sup>2</sup> ينظر: حسن نعمة، موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، دط، 1994 ص 30.

<sup>3</sup> حسن نعمة، مرجع سابق، ص 86.

<sup>4</sup> محمود سليم الحوت، في طريق الميثولوجيا عند العرب، وهو بحث مسهب في المعتقدات والأساطير العربية قبل الإسلام، ط1، 1900، ص 109.

<sup>5</sup> فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان الشعوب البدائية والعصر الحجري، الكتاب الأول، مرجع سابق، ص 34.

يقطع أشجارهم المقدسة، ذهب الكثير من النساء إلى أمير يتوسلنه لحماية بيت الإله الذي كانوا يحصلون منه على المطر والشمس، أما قوم مانداري في آسام فيعتقدون أن قطع الغابات المقدسة يغضب الآلهة فتحبس عنهم المطر<sup>1</sup>، ولجلب المطر يقوم سكان "مونييو" من مقاطعة "ساغايونغ" في "بورما" العليا، باختيار أكبر شجرة هندي قريبة من القرية، يقدمون لها العطايا ويصلون قائلين: "يا أيها الإله نات ارحمنا، نحن المساكين الفانين، ولا تحبس عنا المطر وبما أن عطايانا خرجت عن طيب خاطر دع المطر يهطل ليل نهار"<sup>2</sup>. إذا الأشجار حسب ما ذكر يعتقد أن طاقة "مانا" تسكنها، والمغرفة باعتبار مصنوعة من خشب الشجر هي أيضا تسكنها طاقة، والغرض من تزيينها بالألبسة وإعطائها اسم هو تجسيد الطاقة على هيئة عروس أي تشخيص المقدس، أو كما يعتقد دوتي تمثل هذه الحالة "خلق جنّي عبر تشخيص الأداة"<sup>3</sup>.

وإذا كان الفكر الديني يفترض أن دورة حياة الآلهة تُشبه دورة حياة الإنسان، فهي تمرض وتشبخ وتحيا وتزوج وتتجب...الخ، ويفترض أيضا أن الطبيعة تتأثر بأحداث تسري على الآلهة<sup>4</sup>، على إثر ذلك يربط الفكر الديني تغيير الفصول بموت وإعادة بعث الآلهة، التي تغلها أسطورة "عشتار وتموز"، وإذا عدنا إلى الطقوس الممارسة لجلب المطر في منطقة القبائل، نجد الطواف بالمغرفة ورش الماء عليها تذكرنا بعمل عشتار لانقراض تموز وإرجاعه للحياة، ففي بابل يظهر تموز على أنه زوج عشتار إلهة الأمومة العظيمة، أي تجسيد الطاقة التكاثرية للطبيعة، تموز يموت سنويا ويرحل عن هذه الأرض إلى العالم السفلي، تسافر خليلته للبحث عنه إلى عالم لا رجعة منه، دار الظلام حيث يغطي الغبار الأبواب والمزاج تتوقف عاطفة الحب عن عملها في أثناء غيابها، وينسى النار والوحوش أن تتكاثر، فنتهدد الحياة برمتها بالانقراض لذلك كان يرسل رسول الإله "إيا" لينقذ الإله الذي تعتمد عليه الكثير من الأشياء وكانت ملكة جهنم القاسية اريشكيفال تسمح كارهة أن ترش عشتار بماء الحياة كي تتمكن من المعادة وربما بصحبة عشيقها "تموز" ليصعدا معا إلى

<sup>1</sup> ينظر: جيمس فريزر، الغصن الذهبي، ص 163.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 164.

<sup>3</sup> إدmond دوتي، السحر والدين في شمال افريقيا، مرجع سابق، ص 477.

<sup>4</sup> ينظر: فريزر، مرجع سابق، ص 419.

العالم العلوي وبهذا تدبّ الحياة في الطبيعة ثانية<sup>1</sup>، كما أن غمس الملعقة في الماء بمنطقة خراطة وإخراجها تذكرنا بالأسطورة اليونانية القديمة منها أن ملكة الماء تيس Thetis غطّست ابنها أخيل Achille في النهر السّحري Styx ونتيجة لذلك امتلك قوة وشجاعة مفرطة جعلته أحد الأبطال الأسطوريين لدى الإغريق<sup>2</sup>، فغمس المغرفة عمل سحري يُراد منها جلب قوة سحرية تعمل على تقوية الخصوبة من خلال جلب المطر، وعليه يُمكننا القول: إن تزيين المغرفة والطواف بها ثم رشها بالماء ممارسة ترمز إلى الزواج الأسطوري الذي يهدف إلى جلب الخصوبة إلى الأرض وفي ذلك محاكاة للأساطير المؤسسة المحلية والعالمية.

### 2.3. النساء والأولاد والعطايا

نلاحظ النساء والأطفال هم الركيزة التي تقوم عليها احتفالات استحضر المطر في منطقتي الدراسة، إذ يمنع حضور الرجال، فالموكب تشارك فيه النساء والأطفال فقط، وذلك لاعتقاد راسخ مفاده أن للمرأة قدرة على إنزال المطر كما بين "فريزر" من خلال دراسته الأنثربولوجية، على بعض الشعوب الإنسانية، "إذ يفترض أن للنساء قدرة على صنع المطر، بالحرارة أو التظاهر بأنهن يحرثن، لذلك لدى قوم البشاو وكاكوسو طقس يسمى "حرارة المطر"<sup>3</sup>، وربما يرجع الاعتماد على النساء في استحضر المطر من رواسب عبادات قمرية لارتباطها بالمرأة وسيادة الألوهية المؤنثة<sup>4</sup>، وبهذا يصبح للمرأة تأثير على النباتات وإعادة بعثها من جديد، "كما اعتقد الإنسان قديماً بأن قوة الخصب لدى المرأة قادرة أن تثير الخصب لدى النبات، حيث أصبحت المرأة رأس الأسرة في المجتمعات التي مارست الزراعة"<sup>5</sup>، كما يعتقد "إلياد" أنه مع ظهور الزراعة، ظهرت قدسية المرأة باعتبارها كائناً يحمل سمات مخصبة تشبه تلك التي عند النبات، إذ يقول: "إن الرمزيات والمعتقدات حول الأرض-الأم والخصب البشري والزراعي، وقداسة المرأة... الخ، لم يكن لها أن

<sup>1</sup> ينظر: جيمس فريزر، الغصن الذهبي، ص 421.

<sup>2</sup> محمد حسين الشيخ، عبادة الماء في المغرب تخصيب للنساء، وشفاء للمرضى، 19-12-2021، <https://www.ida2at.com>

<sup>3</sup> جيمس فريزر، مرجع سابق، ص 104.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 124.

<sup>5</sup> حسن نعمة، موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة، مرجع سابق، ص 20.

تتطور وأشكل نظاما دينيا مصاغا باعتناء إلا باكتشاف الزراعة<sup>1</sup>، بهذا تحولت المرأة إلى إلهة "فحين اكتشف الإنسان الزراعة لجأ إلى المرأة وحولها إلى إلهة"<sup>2</sup>، وقد توحدت الأفكار والمعتقدات الدينية في جميع الثقافات حول المرأة ودورها في استعادة دورة الطبيعة، من خلال استغلال سماتها المخصبة، ما جعلها كائنا يُرتقى به إلى دور التقديس والتبجيل، "قلدى سكان الشرق الأدنى القديم، برزت آلهات متعددة تمثل الطبيعة وقواها ومظاهرها المختلفة، ولا سيما في مجال العطاء والتوالد والتكاثر والنمو والخصوبة والأمومة وعلى الرغم من تعدد أسماء الآلهات في مختلف حضارات الشرق الأدنى القديم، بقيت وظائفها الأساسية متشابهة، فمثلا "إنانا" عند السومريين تقابلها "عشتار" عند الآكاديين والبابليين والآشوريين و"عشتارت" عند الفينيقيين و"إيزيس" عند المصريين القدماء و"ثانيت" عند القرطاجيين"<sup>3</sup>. وفي ثقافات أخرى أطلق عليها لقب الأم، فلقد "وجد الإنسان في المرأة البدنية المعافاة الخصيية الحامل رديفا للأرض الخصبة المثمرة، ولذلك رفعها إلى مرتبة الآلهة وأصبحت الإلهة الأم لاحقا تبدو وكأنها سبب إخصاب الأرض في العقيدة الدينية"<sup>4</sup>، وفي اليونان القديمة انتشرت عبادة الآلهة الأنثى في مناطق واسعة من الشرق الأدنى؛ لأنها تمثل قوة الخصوبة في الطبيعة، وفي ذلك إسقاط للنموذج الأنثوي الأصلي عليها، وأطلق عليها أسماء متنوعة، فهي الأم والأم العظيمة وفيما بعد أم الآلهة<sup>5</sup>.

ويعتقد "جيلبير دوران" أن هناك تعالقا بين المرأة والمياه، ما يجعل المياه تحمل صفة الأنوثة، ذلك "إن ما يعطي صفة الأنوثة للماء هو أن السيولة هي عنصر الحيض ذاته"<sup>6</sup>، كما قرب قرب بين رمزية شعر المرأة والحياة، واعتبر "الشعر يؤنث لأنه رمز للحياة، المياه التي تمثل دم

<sup>1</sup> مرسيا الياد، المقدس والمدنس، تر: عبد الهادي عباس، دار دمشق، ط1، 1988، ص20.

<sup>2</sup> خزعل الماجدي، أدب الكالا... أدب النار، مرجع سابق، ص100.

<sup>3</sup> عيد مرعي، معجم الآلهة والكائنات الأسطورية في الشرق الأدنى القديم، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2018، ص16.

<sup>4</sup> خزعل الماجدي، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، دار الشروق، الأردن، ط1، 1997، ص82.

<sup>5</sup> جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير 1923-1990، ص61.

<sup>6</sup> جيلبير دوران، مرجع سابق، ص75.

الحيض مظهرها العضوي"<sup>1</sup>، أما دوتي فيفسر دور المرأة في الممارسات السحرية لاستحضار المطر لتفاعل المعتقدات الأمازيغية والعربية بل ومعظم الثقافات الإنسانية من البدائية إلى الحديثة، التي ترى بأن السحر من اختصاص النساء، وذلك راجع إلى وضعية جسم المرأة، فهي تظل في نظر البدائي موضوعا للدهشة والخوف، وقد تشاكلت المعتقدات حولها فبقيت نظرة الإنسان غامضة اتجاهها، فهي ذات طابع غريب ومقدس<sup>2</sup>، فالعرب كانت تسند مهمة الكهانة والعرافة إلى النساء<sup>3</sup>، وكذلك البربر إذ يعتقد أن العرافة والكهانة كانت معروفة لديهم أكثر من العرب، واعتبر أن الشخصيات الأسطورية والخرافية المتعلقة بالسحر ظلت دائما نسوية أكثر منها رجولية، فتحدث عن الكاهنة "داهية" من قبيلة جراوة التي كانت تدين باليهودية، وتكلم كذلك عن خالة وأخت حميم المتنبئ في قبيلة غمارة، فقد كانت الأولى، وتسمى "تتغيت" عرافة ساحرة، وكانت الثانية وتسمى داجو أو دبو، ساحرة وعرافة، وكانوا يلجؤون إليها في كل الأوقات التي تحتاج إلى تنبئ<sup>4</sup>، وإذا ما عدنا إلى أساطير الخلق وتصور العالم عند القبائل، التي جمعها "ليو فروبينيوس"<sup>5</sup>، نلمح جليا دور المرأة، في تعمير الأرض واكتشاف دور الأعضاء الجنسية في عملية الإنجاب ومن ثم التكاثر. فالمرأة باعتبار دورها يقوم على الإنجاب والتكاثر، أي حفظ النسل، تكون موضع اهتمام في الطقوس الزراعية باعتبار أن حياة النباتات - كما بينا - تشبه حياة المرأة.

لكن مع مجيء الإسلام تراجع دور المرأة حين منعها من المشاركة في بعض الممارسات الدينية، كصلاة الاستسقاء، "فتعود إليها تحت غطاء السحر الذي يغدو لديها ضربا من الديانة ذات المستوى الأدنى"<sup>6</sup>، هذا ما يفسر إذا تعايش الدين والسحر في كل العصور، ويفسر خروج النساء

<sup>1</sup> جيلبير دوران، الأنثربولوجيا، رموزها أساطيرها أنساقها، ص 80.

<sup>2</sup> ينظر: إدموند دوتي، السحر والدين في شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 35-36.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 32.

<sup>4</sup> ينظر: إدموند دوتي، السحر والدين في شمال إفريقيا، ص 34-35.

<sup>5</sup> ليو فروبينيوس، أساطير قبائلية في خلق الكون وتصور العالم، تر: نبيل حويلي، دار إمل، تيزي وزو، الجزائر، 2020، ص 17.

<sup>6</sup> إدموند دوتي، مرجع سابق، ص 36.

في المنطقتين لاستئزال المطر، وتقوية خصوبة الأرض، فمزال المجتمع على الرّغم من كل التفسيرات العلمية، يعتقد أن بركة النّساء مازالت تأتي مفعولها في الأوقات الحرجة كالجفاف. كما يشارك الأطفال إلى جانب النّساء في تأنيث طقس الاستمطار، كما يُستحسن مشاركة الرّضع ويطلق عليهم في منطقة سوف "الملائكة"، وضرورة مشاركتهم نابعة من قيمتهم الروحية، فيعتقد أنهم لم يرتكبوا الآثام بعد، ولم تغرهم الحياة المادية، وهم حاملون للبركة وبالتالي فهم الأقربون إلى الله، وحضورهم في هذا اليوم هو لاستعطاف الإله، فهم يخاطبون الإله بأن ينزل عليهم الغيث من خلال الأهازيج التي ذكرناها سابقا، كما أن أصواتهم المرتفعة الغرض منها توصيل معاناتهم إلى عنان السماء، "فلم يكن لهذا الطقس أن ينتج غايته بدون صوت الذي يرتفع متوسلا داعيا ليعيد العطف إلى عين السماء الغاضبة في نظرتها إلى الأرض المبتئسة"<sup>1</sup>، كما أن الغرض من أصواتهم إثارة عطف الإله "ففي تينيريف يتمثل طقس الاستسقاء في فصل الصبيان عن أمهاتهم حتى تثيرصرخاتهم مشاعر السماء"<sup>2</sup>، فحضور الأطفال حسب العامة، الغرض منه التأثير في الإله، بأن يرى حالهم، ويسمع كلماتهم المستتجدة به بأن يغيثهم بالمطر، كي يلعبوا ويفرحوا، ويأكلوا من خيرات الأرض التي لا تثمر إلا بنزول ماء السّماء، فإذا كان الكبار قد يؤثمون ويرتكبون المعاصي التي كانت آثارها غضب الإله وحرمانهم المطر، فما ذنب الصغار، الرضع والأطفال الذين في بادئ أعمارهم، لهذا يدعو الأهالي في سوف "اللهم لا تكافي الهمايم في جرة المحارم"، ويقصد بالهمايم الأطفال والحيوانات ما زالوا يعيشون على الطبيعة، ولم يتأثروا بالحياة الثقافية بعد.

كما أن وجود الأطفال في هذا الطقس بالذات والارتكاز عليهم في جلب الأمطار، لغرض تعليمي، فحضورهم يراد منه تمرير أفكار، تساعد على تكوين معتقداتهم وبناء شخصيتهم، فالشخصية في الحقيقة هبة المجتمع، والثقافة التي يتشربها الطفل في المناسبات الاجتماعية والدينية هي التي تحدد المسار الذي يسلكه، واحتفال الاستسقاء إحدى المناسبات الهامة التي يتلقى

<sup>1</sup> ناجي التباب، الموروث الشعبي ودوره في تجذر هوية الطفل العربي، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 48، السنة الثالثة عشر شتاء 2020، ص19.

<sup>2</sup> روني باصي، أبحاث فيدين الأمازيغ، تر: حمو بوشخار، دفاتر وجهة نظر، ط1، 2012، ص50.

فيها الطفل تعاليم الجماعة فكما قيل: إن الطفل يولد مرتين: في الأولى يولد ببيولوجيا، وفي المرة الثانية يولد اجتماعيا<sup>1</sup> ومشاركته في الطقوس وسماعه للمأثورات تضمن دخوله وانتسابه إلى الجماعة الشعبية، وربما أهم رسالة يتلقاها الطفل وتركن إلى منطقة اللاوعي أهمية الماء وضرورة المحافظة على هذه النعمة التي لا نحس بها إلا بعد فقدها، أو تأخر ماء السماء، فالطفل يجب أن يعلم أن نقصان الماء، يصيب الحياة بالعطش، وبالتالي تتعطل وتفقد توازنها، وهذا ما نبه إليه ناجي التباب في قوله: " الاستسقاء يتضمن رسالة خفية لا مجال للتشكيك في جدية مضمونها تنص على ضرورة المحافظة على الماء الذي سيشكل على المدى المتوسط معضلة كبرى للعديد من الشعوب خاصة العربية منها بفضل ما يشهده المناخ من تقلبات، فضلا عن قرب نضوب المصادر المائية الحالية ومشاكل التلوث وهي من الأمور المصيرية التي أصبحت تتحكم في الوجود الإنساني أصلا"<sup>2</sup>. إذا احتفالات المطر وما يتخللها من أغانٍ ورقصات وصدقات... ليس غرضها ترفيهي بالدرجة الأولى بل هي ضرورة لإحداث تأثير، فالأطفال يؤثرون على الإله بتوسلهم وصرخاتهم، والأهالي يؤثرون على الأطفال من خلال تبيان أهمية الماء.

ومن رسائل احتفالات طلب المطر ضرورة إعادة إنتاج التراث وتعليم النماذج الأولى المجبولة في أعماقنا وهي مصدر طاقتنا الروحية لذلك يجب العودة إليها دائما، من خلال العودة إلى الزمن الأسطوري وتقديسه، فالأديان كما يعتقد "إلياد" قائمة على فكرة العود الأبدي، على اعتبار أن الأبد هو طوق النجاة، من التاريخ الذي يمثل الألم، وبما أن الإنسان يعيش في التاريخ أي الزمن المدنس فإنه معرض للشقاء والفواجع، لذلك وجد الدين أساليب للحفاظ على المقدس، وأحد هذه الأساليب هو تحمل الآلام النفسية والجسدية باعتبارها تستجيب للنماذج الأولى أو لنظام إلزامي<sup>3</sup>، فالمؤمن هو الذي يتحمل جزءا من الألم نيابة عن البشرية، وبالتالي فهو المخلص، وفي طقوس الاستسقاء نلاحظ أن الاختيار يقع على الأطفال الصغار باعتبارهم خالين من الدنس، فهم الأحق والأنفع لتحمل ذنوب البشر والتخلص منها، ونفهم ذلك من خلال الطقس الممارس في قرية

<sup>1</sup> ينظر: ناجي التباب، الموروث الشعبي ودوره في تجذر هوية الطفل العربي، ص24.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص24.

<sup>3</sup> ينظر: مرسيا إلياد، أسطورة العود الأبدي، مرجع سابق، ص169.

"إحسناوة" بتيزي وزو، حينما تعمد المرأة العجوز إلى توبيخ الفتاة المتكبرة رمزيا إلى حدّ البكاء الذي يفهم منه التخلص من ألم الجفاف والاستبشار بالمطر، والبكاء كان دائما وسيلة إخراج الألم والتخلص منه، وحلول السعادة فمن شعائر أعياد رأس السنة في بابل "أن يقترب الكاهن الأكبر من الملك وينزع عنه الشارة الملكية ثم يصفعه على خده فإذا انسكبت الدموع كان معنى ذلك أن كل شيء على ما يرام"<sup>1</sup>، كما نلمح في الطقوس الممارسة في وادي سوف أن الولي الصالح أو الإمام هو الذي يتحمل الألم نياية عن الجميع من خلال تقييده حتى يحنّ عليه الله، وينزل المطر الذي يعتبر نهاية النعاسة والشقاء، وهكذا "الإنسان يتحمل التاريخ وما يصحبه من معاناة؛ لأنه يدرك تمام الإدراك بأن الألم هو مفتاح الخلاص"<sup>2</sup>، وقد مارست شعوب أخرى طقوسا مشابهة لهذا الطقس "ففي نيسان عام 1888م صلت قبائل الماندرين في منطقة كانتون للاله لنغونغ ليتوقف تسبب الأمطار المتواصل، وعندما رأوا منه آذانا صماء لطلبهم سجنوه مدة خمسة أيام، كان لهذا المفعول دور إيجابي إذ توقفت الأمطار فمنح الإله حريته ثانية، وقبل بضع سنوات مرت فترة قحط فتم تكبير الإله نفسه بالسلاسل وتُرك عرضة لأشعة الشمس في ساحة المعبد عدة أيام، قد يشعر بالحاجة الماسة للمطر"<sup>3</sup>.

ألا يذكرنا هذا بمآثر المسيحية التي تعتبر أن التاريخ فاسد، وأن السيد المسيح (اليسوع) جاء من أجل تخليص البشرية من الشرع عن طريق تحمله للآلام الصلب، فالمسيحية إذا تعطي للألم قيمة، وتحوله من قيمة سلبية إلى خبرة ذات محتوى روحي، وهكذا يصبح الإنسان يتقبل الألم من أجل صفاته الخلاصية<sup>4</sup>، حتى إن المؤمن الذي يدعو ربه إذا وصل إلى حد البكاء يحس بمشاعر روحية تعقبها سعادة تبشره بحلول النعمة، وإذا عدنا إلى الثقافة الإسلامية فإن النبي محمد يدعو إلى البكاء أو التباكي أثناء الدعاء، كسبيل لاستجابة الدعوات، كما يشاع أن المرض وتحمل المريض للألم يعتبرها الإنسان المؤمن وسيلة لتخفيف من الذنوب، إذا عدنا إلى الثقافة البدائية نجد

<sup>1</sup> جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، مرجع سابق، ص 27.

<sup>2</sup> مرسيا إلياد، العود الأبدي، مرجع سابق، ص 53.

<sup>3</sup> جيمس فريزر، الغصن الذهبي، ص 108.

<sup>4</sup> ينظر: مرسيا إلياد، العود الابدي، ص 169.

نواة هذا الفكر، فقد كان الطبيب الساحر يعالج مرضاه من خلال إخراج، أمراضهم وحلولها في جسده، ثم صرفها إلى الخارج، ويتوسط بتلك الطاقة "المانا" التي يُعتقد أنه يمتلكها دون غيره، لذلك كان يحتل المكانة الأولى اجتماعيا.

وطقس استحضر المطر "أم قَطْمَبُو" كما يعرف في سوف، يأخذ نفس التسمية ونفس الممارسات في تونس أو ليبيا، وذلك بسبب التقارب الحاصل بين منطقة سوف والبلدين والتأثير والتأثر الحاصل بينهم، ففي الدولتين يطلق عليها "أم قَطْمَبُو" أو "تطامبو"، وهي ترمز إلى إلهة المطر والخصوبة "تانيت"، وهذا ما أكدته الباحثة "نجاه أكعبون" أن هناك علاقة بين إلهة الخصب و"تاغنجا" وأبرزت مدى الارتباط الموجود بين المعتقدات القديمة والمناطق المعزولة فنقول: "هذا الفولكلور الغيبي يظل ظلا متطورا لهذه المعتقدات تاغنجا بمثابة إلهة الخصب عند القدماء"<sup>1</sup>، فمن هي تانيت؟

"إلهة قرطاج، كانت تعد رمزا للأمومة والخصب والتكاثر والازدهار، ومن رموزها النخلة والحمامة والعنب والرمان والتين وسنبلة القمح والهلال والأسد، طوبقت مع الآلهة "عشتار" الرافدية و"عشتار" الفينيقية و"أفروديتي" الإغريقية و"فينوس" الرومانية"<sup>2</sup>، و"انتشرت عبادة تانيت انتشارا واسعا في شمال افريقيا عقب القرن الخامس ق.م، ولم تقتصر على قرطاج وحدها بل تعدتها إلى الأقاليم الداخلية، فقد وجدت لها نقوش وأنصاب في الجزائر (نقوش معبد الحفرة)، وكانت الأكثر انتشارا بين الآلهة، أخذ تانيت لمعظم صفات عشتار يدل على استقلاليتها ونفوذها في المنطقة التي ظهرت فيها، فقد أخذت عنها صفة الخنوثة وتميزت كل منهما بصفة الأمومة، كما أنها - تانيت- كانت إله الخصوبة الخاصة بالطبيعة في قرطاج"<sup>3</sup>، وأما الرمز أو العلامة المميزة الخاصة بهذه الربة يتألف من مثلث يعلوه قرص، ويفصل المثلث عن القرص خيط أو ذراع أفقية، مما يجعل الرمز أشبه بالهيئة البشرية، وهو مكون من ثلاثة أجزاء على النحو التالي:

<sup>1</sup>المصطفى فرحات، طقوس وعادات أهل أبزو، مرجع سابق، ص45.

<sup>2</sup>ينظر: عيد مرعي، معجم الآلهة والكائنات الأسطورية في الشرق الأدنى، مرجع سابق، ص201-202.

<sup>3</sup>ينظر: مفتاح محمد سعد البركي، الصراع القرطاجي الاغريقي من القرن السادس حتى منتصف القرن الثالث ق.م وأثره على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في قرطاج، مجلس الثقافة العامة، 2008، ص208-209.

- القاعدة مكونة من شكل يميل مظهره إلى الشكل الهندسي ويشبه المثلث.
- الخط الأفقي الذي يعلو القاعدة في شكل أذرع بشرية ممتدة إلى أعلى، يرمز إلى طلب الخصوبة وإنزال المطر.
- القرص ويعلو الخط الأفقي وهو عبارة عن دائرة أو نقطة ضخمة<sup>1</sup>.

ومن طقوس عبادة "تانيت" ما ذكره هيرودوت أن المكليين والأوسيبيين الذين كانوا يقطنون بإزاء بحيرة تريتون (منطقة جربة، أو الجريد)، فكانوا يقيمون احتفالا على شرف آثينا، بأن تقوم البنات في مجموعتين، بتمثيل معركة بضرب العصي والحجارة، فاللأئي منهن يُقتلن من شدة الضرب الواقع عليهن، يُعتبرن عذارى زائفات، وحين تتوقف المعركة يختار كل فريق أجمل فتاة فيه فتُزين بأسلحة إغريقية ويُطاف بها على عربة في أرجاء البلاد، فتكون تلك البنت تمثل الآلهة<sup>2</sup>.

ومما يذكر أن التقدّمات التي كانت تمنح لهذه الآلهة الأطفال، حيث كان يذبح الأطفال عند طلب الحاجات منها، فكان "نتائج انتشار المعتقدات الدينية الفينيقية بين أطراف المجتمع، شيوع الشعائر والطقوس الجنائزية الفينيقية بينهم، وكان من أهم تلك الشعائر، شعيرة القرابين البشرية من الأطفال المقدمة للإلهين: تانيت وبعل آمون"<sup>3</sup>، ولكن ليس أي أطفال ف"عند القرطاجيين كانوا يضحون بأطفال ولدوا بعد احتفال السنة الماضية، بحيث تكون الضحايا البريئة، قد حمل عليها جميع أخطاء الشعب وتكون أزلّتها بموتها"<sup>4</sup>، وبهذا يعتقدون أن قتل الأطفال يضمن لهم استمرار الحياة وطرق العيش، إنه ناموس كوني يجب على الإنسان أن يُقتل كي يعيش، وبهذا ربما يكون حضور الأطفال لطلب الاستسقاء مع جمع التقدّمات هي تحيين رمزي لحدث التضحية بالأطفال لآلهة الخصب "تانيت"، وعادة التضحية البشرية من أجل تقوية الخصوبة منتشرة عند البربر، وهذا ما ذهب إليه "لاووست" فقد كانوا يضحون بصاحب الحقل نفسه، أو من ينوب عنه، ثم عوضت هذه التضحية البشرية فيما بعد بتضحية حيوانية، في حين بقي الهدف المنشود واحداً، استرضاء

<sup>1</sup> محمد علي أبو شحمة، المعتقدات الدينية الفينيقية في المدن الثلاث اللببية، مجلة البحوث الأكاديمية، ص 489-490.

<sup>2</sup> غابرييل كامب، البربر ذاكرة وهوية، تر: عبد الرحيم حزل، أفريقيا الشرق، 2014، ص 252.

<sup>3</sup> محمد علي أبو شحمة، مرجع نفسه، ص 484-485.

<sup>4</sup> اصطفياك اكصيل، تاريخ شمال افريقيا القديم، محمد. التازي سعود، ج4، الحضارة القرطاجية، الرباط، 2007.

الإله وجلب البركة وتقوية الخصوبة<sup>1</sup>، كما أكدت الدراسات الاثنوغرافية أن معظم الشعوب البشرية مارست " عادة قتل الطفل وتقديمه أضحية، ويتم القتل بصورة علنية، ويقوم في العادة ساحر أو رجل دين، كما أن الطفل الذي يضحى به هو المولود الأول؛ لأن الاعتقاد السائد لدى الذين يزاولون هذه العادة أن قتل المولود الأول يزيد عدد من سيولد لوالديه"<sup>2</sup>، أي تقوية الخصوبة، كما تشير الدلائل إلى ممارسة هذه العادة في فلسطين في منتصف العصر البرونزي، وفي العصر الكلاسيكي نجد سيدنا إبراهيم قد استعد لتقديم ابنه الأول كقربان ثم استبدل في نهاية الأمر بكبش<sup>3</sup>.

### 3.3. التقدّمات

العطايا لا تفارق الإنسان في كل احتفالاته ومناسباته، والغرض منها طبعاً تطيب خاطر، ونشر المحبة، عملاً بقوله ﷺ، <<تهادوا تحابوا>>، وتعاليم الإسلام مليئة بالأحاديث والآيات التي تدل على فضل الصدقات والعطايا في درء البلاء، واستجابات الدعوات، وكذلك لما للعطايا من أثر إيجابي على العلاقات الاجتماعية فهي تبعد الشحناء، وتقوي روح الجماعة.

وفي منطقتي البحث نلاحظ أن العطايا التي تقدم إلى موكب الاحتفال، عبارة عن مواد غذائية مما تنتجه الأرض الأم، أو مواد يتم استيرادها من أماكن بمناطق أخرى، والغرض منها زيادة خصوبة الأرض حتى تثمر إنتاجات محلية تحفظ النظام الاجتماعي والاقتصادي في المنطقة، وأيضاً حفظ نظام المبادلات التجارية التي تجرى بين المناطق، وهدفها إقامة التوازن الغذائي، أما المواد المجففة من "حمص وفول وشعير وقمح...". فغرضها تأثيري، وتكهنّي، فحين طبخها في الماء يتضاعف حجمها، وهذا ضرب من الكهانة بأن المطر سيأتي ويروي الزرع والنبات، وفي الوقت نفسه سحر تأثيري يراد منه استحضر المطر حتى تتبلل الأرض وتخرج خيراتها من الخضر والمواد الجافة، وغيرها، لهذا كانت عادة تقديم العطايا بمثابة واجب اجتماعي، يحبذ الالتزام به، لأن مشاركة الجميع يضمن حلول البركة، وإنزال المطر، وزيادة الخصوبة، و من

<sup>1</sup> ينظر: عبد الغني منديب، الدين والمجتمع، مرجع سابق، ص 38.

<sup>2</sup> مصطفى شاعر سليم، قاموس الأنثربولوجيا، جامعة الكويت، ط1، 19810، ص 167.

<sup>3</sup> عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، دار الكتب، ليبيا، ط1، 2001، ص 228.

جهة أخرى فإن تقديم العطايا ليست وليدة العصر، فهي إرث مشترك عرف عند كل شعوب العالم، ومع اكتشاف الزراعة وظهور الآلهة قدم الإنسان قرابين، بغرض استمالة الآلهة والحصول على الغرض المنشود، فقد كانت التّقدمات تهدف إلى التطهير النفسي وإلى التزلف لدى الأرباب، وقد كان الإنسان يعتقد أن العطايا سبب لتكاثر الحيوانات إذا كانت التقدمة عبارة عن حيوان، وازدياد المحصول إذا كانت التقدمة عبارة عن غلة من الغلال<sup>1</sup>، وفقا لهذا فإن كل المواد التي تقدم في احتفالات المطر يرجى مضاعفتها والإكثار منها، ويحدث ذلك بفعل ماء المطر الذي يخصب الأرض. كما يمكن اعتبار التّقدمات بهذا الشكلية تلطيف أو تطور للأضاحي البشرية، حيث القرابين كانت عبارة عن أضحيات بشرية، ثم بالتدرج تحولت إلى قرابين حيوانية وأخيرا بالخبز والمواد الغذائية<sup>2</sup>، وعملا بهذا الكلام فإن العطايا التي تقدم في طقوس دراستنا في الأساس كانت أضاحي بشرية وبالأخص الأطفال، ولكن بفعل تأثير الثقافات، والانتماء الإسلامي فإن مواد الطقس استبدلت إلى مواد غذائية كما أن المعتقد حوله استبدلت إلى أفكار تتماشى مع القيم الإنسانية الإيجابية كالصدقة. وفي الأخير إن هذه العطايا تطهى وتقدم وجبات يتناول منها الجميع، ذلك أن الغذاء ضرورة أنطولوجية، ولهذا يؤكد باشلار على أن "الشراة تأكيد لمبدأ الهوية"<sup>3</sup>، فالغذاء يثبت الوجود، وهو من أساسيات استمرار الوجود الإنساني، كما يمكن اعتماد "حفلات الأكل الجماعي" من طقوس التّقوية التي تُقام لإظهار وحدة الجماعة وتماسكها ولبعث الحيوية في أفرادها وتنمية الشعور بروح الجماعة<sup>4</sup>، وهذا يحمل رسالة حفية، توجي بالمصير المشترك لكل أفراد القرية أو القبيلة التي تمارس طقوس الاستمطار، وبهذا تكون الخصوية عاملا من عوامل حفظ الذات.

<sup>1</sup> ينظر: مصطفى أعشي، أحاديث هيروديت عن الليبيين الأمازيغ، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، د. ط، 2009، ص71.

<sup>2</sup> ينظر: عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، مرجع سابق، ص228.

<sup>3</sup> جيلبير دوران، الأنثربولوجيا، رموزها أساطيرها أنساقها، ص234.

<sup>4</sup> مصطفى شاكر سليم، قاموس الأنثربولوجيا، مرجع سابق، ص828.

## 4.3. الألعاب

نجد في منطقتي الدراسة ألعابا خاصة تلعب في مواسم احتفالات المطر، والغرض منها ليس ترفيهها فحسب، بل إن الهدف أبعد من ذلك، فتشييد البيوت بالتراب المبلل بماء المطر، يُعبر عن دور المطر في تأنيث العالم وتحسين مستوى المعيشة من خلال تحويل الأرض من صحراء إلى مكان عمراني صالح للعيش، وأيضا صنع كرة من التراب المبلل ورميها من فوق لتنتزل متناثرة كحبات المطر، يُعتبر ضربا من السحر التشابهي حيث أن الرمل المبلل يشبه قطرات المطر، ومن الألعاب التي يُمارسها الرجال في وادي سوف أيضا خاصة في فصل الخريف، "لعبة القوس"، حيث يتبارز فريقان بكرة تصنع من كومة صوف أو من وبر الجمل و تكون كبيرة الحجم، وتُلعب هذه الكرة بالأفواس وهي عبارة عن عصي مصنوعة من جريد النخيل، ويتكون الفريقان من عدد غير محدود من اللاعبين، فكل من يحضر يُسمح له بمشاركة اللعب، وبعدها يعينون مكانا يتوسط الصحنين الشرقي والغربي يكون الهدف من هذه اللعبة محاولة كل فريق التوغل في أرض فريق الخصم، وأول الواصلين إلى مركز صحن الفريق المنافس يكون المنتصر، وفي نهاية المباراة يحضر الفريق المنهزم الغذاء للفريق الفائز<sup>1</sup>، أما في منطقة القبائل ب"إيفيعاء" وعند انتهاء الموكب من أداء طقس الاستمطار، فتجتمع النساء والفتيات حتى الأطفال، ويقمن بحلقة الأورار أي عرس، ويتقدم العجائز بافتتاح الحلقة، وينشدن الافتتاحية ويقلن "أنصلي أف-أنبي أورار- أق ذ- أسعدي" أي "تصلي على النبي هذا العرس مبارك"، وبعدهن تتقدم الفتيات لأداء العرس وتتقدمهن عروس أنزار الرمزية، وهنا تقول لهن العجائز: "زَرَعَمْتُ أَثْحَدِيَيْن" أي؛ "ازرعن يا فتيات فلقد جاء دوركن لأداء الرقص وأداء الأورار"<sup>2</sup>، كما أن الأطفال يمارسون لعبة "زَرَزاري"، وتسمى في مناطق أخرى بمنطقة القبائل "تَغُولُث"، وهي لعبة تشبه رياضة الجولف (Golf)، ويعتقد الأهالي أنهم يُمارسون هذه اللعبة من أجل إمتاع إله المطر، لأنه يستحسن مشاهدة الأجواء المرححة<sup>3</sup>، وتُعرف هذه اللعبة في الدول المغاربية تحت مسميات عدة: "تاكورا، أو شيرا، أو أوجا"، ويتم فيها اللعب بكرة من

<sup>1</sup> الراوي بن مبارك علي بن الهادي، المصدر السابق.

<sup>2</sup> ينظر: نبيل حويلي، منظومة الأسطورة في بلاد القبائل، ص369.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص370.

عظم، أو خشب أو صوف أو عصي، حيث يتم التنازع عليها حتى يتمكن أحد اللاعبين أو اللاعبين في طقوس الاستقسام من إسقاطها في حفرة؛ لأن ذلك يعد بمثابة سقي البذور والأرض، وإذا دخلت الكرة الحفرة تُردُّ النسوة والفتيات أهازيج، منها "سقانا الله ماء" <sup>1</sup>، لأنهن قمن بأداء الطقس على أكمل وجه، وبما أن قانون السحر التائيري بقي راسخا في العقل الباطن أو اللاوعي الجمعي، فإنهن يأملن بنجاح طقوسهن.

كما أن الأهالي من خلال ممارستهم لمعارك شعائرية في الاحتفالات الشعبية، يُساعدون في خلق العالم وتأنيثه؛ لأنهم يحاكون المعارك الأسطورية التي حصلت في البدء، كما أن هذه المعارك تعبر عن مواجهة بين مبدئين كونيين، فالألعاب والمعارك توظف وتثير أو تزيد القوى الخلاقة للحياة <sup>2</sup>، هذه المعارك الشعائرية حسب دوتي غرضها إنزال المطر، وهي تتمتع دائما بطابع ديني، ودليل ذلك أن الناس لا تمارسها في أعياد التسلية <sup>3</sup>، وقد قدم تفسيرات لهذه الألعاب الهادفة إلى تقوية الخصوبة وطرده الأرواح الشريرة التي قد تسبب نقصان الخصوبة، فالضربات حسبها لها قيمة تطهيرية، كما أن الضرب بعصي أو غصن شجر، يكون بغرض تبادل التأثير المخصب بين البشر والنباتات، وأن الغصن الذي ينتمي إلى هذا النوع من الشجر أو ذاك كان في الماضي طوطما وأنهم يسعون إلى تقاسم قوته المقدسة <sup>4</sup>.

وفي منطقة وادي سوف نجد "لعبة نثر الشعر" في احتفالات المطر، وتندرج هذه الممارسة تحت طقوس الرقص الديني، ونجد مثيلا لهذا الطقس في الثقافة النيوليتية، ففي سمراء ظهرت رقصة نثر الشعور، ويشكل مظهر النسوة وشعورهن ما يُشبه الصليب المعقوف، أو رمز السواستيكا رمز الخصب الأنثوي، ويجسد علاقة المرأة بالخصب توسلا بالمطر أساس الزراعة <sup>5</sup>، و الهدف منه استثارة الطبيعة، وهو ضرب من السحر التَّشابهي ذلك أن البنات اللاتي يقمن بالدوران ونثر

<sup>1</sup> ينظر: محمد أسوس، طقوس الاستمطار الأمازيغية (البربرية) وأساطيرها بشمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 92.

<sup>2</sup> ينظر: مرسيا اليا، تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية، تر: عبد الهادي عباس، ج 1، دار دمشق، ط 1، 1986-1987 ص 62-63.

<sup>3</sup> ينظر: دوتي، السحر والدين في شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 453.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 453-454.

<sup>5</sup> ينظر: خزعل الماجدي، أدب الكالا... أدب النار، مرجع سابق، ص 20.

شعرهن يقمن بتحريك الهواء والغبار، مما يؤدي وفق القانون السحري إلى تحريك هواء العالم، وهذا ما يسوق الغيوم وتجعلها تمطر، خصوصا أن الأنثى في أغلب الأحيان هي التي تمارس هذا الطقس (في سوف) والغيوم والأمطار والمرأة كلها عناصر خصب<sup>1</sup>. وبالتالي فإن الألعاب في حقيقتها تعتبر نشاط يهدف إلى التزلف إلى القوى السحرية أو الدينية بغرض طلب المطر.

تعتبر كل الطقوس الممارسة في الاحتفالات عن حاجة الإنسان إلى الخصوبة أساس الثقافة، وسواء كانت هذه الطقوس موجهة إلى الله، أو الإله الوثني فهي تعبير صريح عن عجز الإنسان أمام متغيرات الطبيعة، وحاجاته إلى قوى أعلى منه سواء أكانت سحرية أو دينية التي من شأنها أن تحرك الغيوم وتصرف الرياح وتنزل الأمطار لتحقيق منافع للإنسان تحفظ وجوده، لذلك توصل بالصلحاء والشعائر الشفوية والشعائر العملية وشحنها برموز تخصيبية تستفز الطبيعة.

### المبحث الثالث: أنثربولوجيا استحضر المطر بين المحلية والعالمية

الماء باعتباره صنوا للحياة، بل إن بعض العلماء يعرفون الحياة بأنها ظاهرة مائية<sup>2</sup>، فمنذ البدء قدسته الشعوب الإنسانية، ومع اكتشاف الزراعة تعاضمت أهمية المياه خاصة ماء المطر، لأن استمرار الحياة مرهون بمياه الأمطار، خاصة في العصور القديمة التي لم يكن لديها وسائل للسيطرة على مياه الأمطار ثم التصرف فيها، وكان نتاج ذلك أن شعوبا عبدت الماء وألّهته، وأحكمته بمجموعة من الأساطير النشئية، ذلك أنّ الإنسان البدائي كما بينا تحيره قوى الطبيعة، وتجبره على الخضوع لها، لذلك يرضى الركوع لأي شيء يعتقد أنها تسكنه قوة من شأنها أن تؤثر على معيشته، ولما كانت القوة هي مركز الاحترام والتّقدّيس كان الماء باعتباره العنصر الأساس والمبدع الأول "فالماء قابل لكل صورة، ومنه أبدع الجواهر كلها من السماء والأرض وما بينهما، وهو علة كل مبدع، وعلة كل مركب من العنصر الجسماني"<sup>3</sup> كان منبع كل الخير والعطاء، فهو أصل وجود الكون و الآلهة، والإنسان... الخ، وسر الخلود، وهو المساهم الأول في ولادة ثم تأنيث

<sup>1</sup> ينظر: خزعل الماجدي، أدب الكالا... أدب النار، مرجع سابق، ص 22.

<sup>2</sup> محمد بن عبد العزيز بنعبد الله، الماء في الفكر الإسلامي والأدب العربي، مرجع سابق، ص 17.

<sup>3</sup> أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، تح: عبد العزيز محمد الوكيل، ج 2، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، 1968-1387، ص 121.

الكون، كما تخبرنا أسطورة الخلق البابلية: "أنه في البداية لم يكن شيء موجودا غير الماء، ثم كيف افترق السماء على الأرض بعدما كانا متحدتين كان العالم عبارة عن خواء، وهوة يختلط فيها الماء العذب الذي يختص بالإله "إيسو" بالماء المالح الذي يحكمه "تيامات"، من هذه المهواة خرج زوجان من الآلهة ثم زوجان آخران، ومن الزوجين الآخرين ولد "آنو" إله السماء و"إيا" إله البحر وبما أن "آيسو" و"تيامات" وبالأخص "تيامات" طلب "آنو" و"إيا" أن يثأر لهما للإهانات التي لحقت بهما منهما فانبرى هذا، وبعد معركة حامية تغلب عليهما، وقبض على ((تيامات)) وشطر جسمه فعمل السماء من الشطر الأول والأرض من الشطر الثاني"<sup>1</sup>، وبهذا يكون خلق السماء والأرض بسبب انشطار إله الماء المالح، وفي الفكر البابلي كان الماء يمثل الإله و المادة في نفس الوقت، ولقد عبر الشاعر البابلي عن هذا المفهوم في قصة الخليفة بقوله:

حينما في العلى لم يكن للسماء اسم  
وفي الدنى لم تكن الأرض شيئا مذكورا  
ولما لم يكن في البدء غير ((آيسو)) أبوهم  
والأم تيامة التي ولدتهم جميعا  
ولم تكن اليابسة ولا ضحضاح يرى  
ولم يكن أي من الآلهة قد ولد بعد  
بل ولا ذكرت أسماؤهم ولا كتبت مقاديرهم  
ثم خلقت الآلهة في وسطها<sup>2</sup>

ويشبه هذا ما تخيَّله المصريون في "أصل العالم المعمور أنه عليم واسع من الماء طفت عليه بيضة عظيمة خرج منها رب الشمس"<sup>3</sup>، وكذلك في قصة الخليفة في الهند "الحياة خرجت من بيضة ذهبية كانت تطفو على الماء في العماء"<sup>4</sup>، وفي الديانة الهندية هنالك "آلهة تُنسب إليها

<sup>1</sup>شارل قيرواللو، أساطير بابل وكنعان، تع: ماجد خيريك، 1990، ص20.

<sup>2</sup>كاسد ياسر الزيدي، لطبيعة في القرآن الكريم، دار الرشيد، 1980، ص29.

<sup>3</sup>عباس محمود العقاد، الله، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط4، 2005، ص37.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 45.

قوى الطبيعة ، فيذكرون المطر ويشنقون منه اسم "الممطر" فهو الإله الذي يتوجهون إليه بطلب الغيث، ومن هنا اسم "أندر" إله السحاب المشتق من كلمة "أندر" بمعنى المطر أو السحاب<sup>1</sup>.

وتعتبر أسطورة الخلق البابلية عن فكرة العيش والموت عند الإنسان القديم، الذي آمن بفكرة أن الموت والحياة يدوران في حلقة مفرغة، فيؤدي كل منهما للآخر، فلكي تكون حياة لابد من موت، فكانت الشخصيات المذكورة في الأسطورة، بمثابة قرابين قدمت للموت لتدب الحياة من جديد، كما تعبر الأسطورة عن فكرة تقديس العناصر المؤسسة للكون، لأن كل الموجودات وجدت من أجساد ودماء الآلهة<sup>2</sup>، إذا يمكننا من هنا تفسير الطقوس التي قدمناها (أنزار، أم قطمبو) على اعتبار أن قتل الأطفال الذي لطف بتقديم عطايا هي قرابين للموت، قد تولد حياة من جديد، عن طريق إنزال المطر، كما أن هذه الطقوس تهدف إلى تقديس إله المطر أنزار وآلهة الخصب التي جسدت رمزيا: "عنجة" أم قطمبو". و كذلك المصريون اعتقدوا أن الماء هو المكون الأساسي لنشأة الكون، وهو إله كل الموجودات، "فهو المحيط الأزلي البدائي الذي خلقت منه الآلهة والسماء والطبيعة وعُرف هذا المحيط البدائي باسم "نون"، وأطلقت عليه بعض النصوص المصرية القديمة لقب "كبير الآلهة" وكانت قوى الخير والشر موجودة داخل هذا المحيط، وكانت بذرة الخير تحتوي على كل شيء حي، بينما قوى الشر كانت تحوي الأفاعي العملاقة أبو فيس، وفي فترة من الزمن خرج الإله "آتوم" من البحر رافعا معه الأرض، حيث قال معلقا على ذلك: ليس لي أب، وليس لي أم، لقد خلقت نفسي من مياه المحيط، وأنا الإله في الكون وسوف أخلق الآلهة الآخرين"<sup>3</sup>، نلاحظ أن الماء في الأسطورة البابلية يمثل جسد الإله، أما في الأسطورة المصرية هو الإله الخالق، وإذا قرأنا الأساطير البابلية وجدناها تصف الإله شمس الذي هو قرص الشمس بأنه قدير وأنه الإله العظيم الذي صور رأسه جلامش وأتمه ومنحه الحسن، نراه أيضا في الأساطير المصرية سببا في انبثاق النيل الذي يحيي الأرض، ويسقي الزرع حتى أن "منحوتب" الرابع ينشد مخاطبا إياه:

<sup>1</sup> عباس محمود العقاد، الله، مرجع سابق، ص44.

<sup>2</sup> ينظر: وليد فكري، آرياب الشر، المعبودون والملعونون في أساطير الشعوب القديمة، الرواق للنشر والتوزيع، 2019، ص90-91.

<sup>3</sup> أسماء عبد الرحمن عبد الرحيم أحمد، أساطير حول الماء وأساطيله (دراسة مثبولوجية في الحكايات الشعبية)، جامعة الأزهر، حولية كلية اللغة العربية، العدد 24 للعام 2020، الجزء 11، ص15-16.

يا شمس النهار يا من تخشاه البلاد القاصية

أنت موجد حياتهم

أنت الذي خلقت في السماء نيلا

لكي تنزل عليهم ولهم

يتساقط الفيضان على الجبال كالبحر الزاخر

فيسقي مزارعهم وسط ديارهم

ما أبدع تدابيرك يا إله الأبدية<sup>1</sup>

الإنسان باعتباره يؤمن بوجود قوة حيوية تسكن في الماء، اعتقد في قدرته على الشفاء وإزالة الخطايا، نجد هذا المفهوم في قصيدة لأحد الشعراء البابليين وهو يخاطب ((نهر الفرات)) في تعويذته طالبا منه البرء من مرضه، إذ يقول:

فيا أيها النهر العظيم...أيها النهر المجيد...يا نهر المعابد المقدسة...

مياهاك تفرج الغمة، فتقبلني برأفة ...

وخذ ما في بدني، وارم به على شطآنك

وغرّقه عند ضفا فك، وغطّسه في أعماقك<sup>2</sup>

إنّ إزالة الخطايا بواسطة الماء عرفت عند العديد من الأمم، فمن طقوس عمادة الطفل في الهند أنهم يغطسون الطفل في الماء ثلاث مرات ثم يطلقون عليه الاسم الذي يريدونه، وعند البرهميين إن كان المعمد طفلا فيأخذه الكاهن البرهمي ويلطّخه بالوحل، ثم يغمره بالماء ثلاث مرات وعند تغطيسه يقول: "يا أيها الرب العظيم إن هذا الطفل خاطئ تلطّخ بالخطيئة كتلّطّخه من وحل هذه القناة فكما أن الماء ينظفه من الوحل طهّره وخلصه من الخطيئة"، والفرس قديما كانوا يأخذون أولادهم إلى الهياكل بعد الولادة ببضعة أيام، فيغمسه الكاهن في الماء<sup>3</sup>، كما أن

<sup>1</sup>كاسد ياسر الزيدي، لطبيعة في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص25.

<sup>2</sup>المرجع نفسه، ص30.

<sup>3</sup>ينظر: محمد بن الطاهر التتير البيروني، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، تح: محمد عبد الله الشرقاوي، دار الصحو للنشر، القاهرة، دط، ص179-180.

المكسيكيين كانوا يعمّدون أولادهم حيث يبيل الكاهن فم الطفل وصدرة بقليل من الماء، ثم يطلبون من الماء أن يُذهِب عنه الخطيئة حتى يتسنى له أن يحي بالولادة الثانية<sup>1</sup>.

لقد ارتبط الماء بمفهوم الإحياء في الفكر القديم، وهذا ما تدلنا عليه أسطورة عشتار "إينانا" حينما نزلت إلى العالم السفلي، ثم ماتت على يد أختها "ايريشكيكال"، إلا أنّ الإله "أنكي" استطاع إحياءها عن طريق رش جثتها بماء الحياة<sup>2</sup>، نفهم من الأسطورة فضل الماء وأهميته حتى على الآلهة أنفسهم، كما ارتبط الماء بالإماتة، وهذا ما تدلنا عليه الأسطورة العربية فقد قيل: "كان الملك ذو القرنين يفكر ويحلم أنه يملك الأرض ومن عليها، وقيل إنه كان يسخر الشمس والقمر حتى وصل مع الخضر إلى عين الحياة ليشرب الماء الذي يعطيه حياة أبدية لكنه منع ذلك"<sup>3</sup>.

وأما عرب الجاهلية فكغيرهم من الشعوب، قدسوا مواطن المياه، واعتقدوا أنها تستقر بها قوى خفية، قد تكون آلهة أو الأرواح المقدسة، ومن ثمة بإمكانهم السيطرة عليها، وإخضاعها لإرادتهم فقد كانوا إذا خفي عليهم أمر الغائب جاؤوا إلى بئر قديمة بعيدة ونادوا ثلاثا، يا فلان، ويزعمون أنه إن كان ميتا لم يسمعوا صوتا<sup>4</sup>، كما قدّس العرب مظاهر الطبيعة التي تلقي في نفوسهم الرعب والرهبّة، ومما يروي "بنو عدي" قد عبدوا البرق، و سموا ببارق؛ لأنهم تبعوا البرق، وإذا تأخرت المطر كانوا يقيمون شعائر استحضار المطر<sup>5</sup>، كما عبد العرب قوس قزح، ففي الإسلام منهم من نهى عن إضافة قوس إلى قزح بحجة أنّ قزح اسم الشيطان، ومن تعريفات "قزح" أنه ملك موكل بالسحاب، ولا عجب أن يكون المطر وهو سر حياة العرب، إلها جديرا بالعبادة وعلى ذلك نرى Smith يعتقد بأن النيران التي كانت توقدها قريش في المزدلفة، إنما كانت نيران

<sup>1</sup> ينظر: محمد بن الطاهر التنير البيروني، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص 181.

<sup>2</sup> ينظر: طه باقر، بشير فرنسيس، عقائد سكان العراق القدماء في العالم الآخر، سومر، مجلة علمية تبحث في آثار العراق القديمة، المجلد العاشر، الجزء الأول، 1954، ص 9-10-11.

<sup>3</sup> محمد عبد المعيد خان، الأساطير العربية قبل الإسلام، رسالة قدمها لكلية الآداب بالجامعة المصرية لنيل الدكتوراه، القاهرة، 1973، ص 34.

<sup>4</sup> ينظر: محمود شكري الألوسي البغدادي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج 3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ط، د. ت، ص 3.

<sup>5</sup> ينظر: محمود سليم الحوت، في طريق الميثولوجيا عند العرب، مرجع سابق، ص 115.

الإله قزح المقدسة<sup>1</sup>، ومن المعبودات المائية التي وجدت عند العرب، "تصب تمثال هبل" على بئر في جوف الكعبة ربما يدل على علاقته بالماء ومظاهر الخصب بشكل عام<sup>2</sup>.

وأما الديانات الموحدة، فقد أعطت هي الأخرى أهمية كبرى للمياه، ودورها في إخصاب الطبيعة، وديمومة حياة البشر والحيوان والزرع، ففي سفر التكوين المياه وجدت قبل الأرض "كانت الظلمات تغطي سطح الغمر، وروح الله كانت ترفرف على المياه"<sup>3</sup>، وفي الأناجيل يعتبر ماء اليسوع هو الحياة نفسها، ففي انجيل يوحنا "أجاب يسوع وقال لها: كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا، ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد، بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبوع إلى حياة أبدية"<sup>4</sup>، وامتدت هذه المعتقدات إلى أن وصل الإسلام و قد ذكر الماء في القرآن في أكثر من موضع، على أنه ظاهرة فريدة باعتباره سبب لإحياء كل شيء، وذلك في قوله تعالى في سورة الأنبياء/ الآية 30 ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>5</sup>، كما أكد القرآن صراحة على أن الماء يحي الأرض بعد موتها وذلك في قوله تعالى في سورة النحل/ الآية 25: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾<sup>6</sup> كما يصور القرآن حال الأرض العطشى التي حبست عنها السماء أمطارها، ثم حالها حينما ينزل عليها الغيث لتتعم وتنعم الخلائق، يقول عز وجل في سورة الحج، الآية/5: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾<sup>7</sup>، فالماء في الثقافات الدينية التوحيدية يحظى بالتقدير لخصوصيته الإلهية، فعرش الرحمان في القرآن على الماء، ففي قوله تعالى في سورة هود الآية 7: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾<sup>8</sup>، وفي المسيحية ماء اليسوع سر الأبدية، وفي اليهودية أيضا روح الله موجودة في المياه، من هذا المنطلق أفرزت ذهنية الإنسان القديم الكثير من الأساطير حول الماء وربطه بالقوى الغيبية المتحكمة في العالم، وبما أن

<sup>1</sup> ينظر: محمود سليم الحوت، في طريق الميثولوجيا عند العرب، مرجع سابق، ص 116.

<sup>2</sup> فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، الشرق القديم، الكتاب الثاني، دار التكوين، ط4، 2017، ص388.

<sup>3</sup> مرسيا البياد، المقدس والمدنس، مرجع سابق، ص98.

<sup>4</sup> الكتاب المقدس، أي كتب العهد القديم والعهد الجديد، درار الكتاب المقدس بمصر، ط5، 2006، انجيل يوحنا:

الصالح4/13-14.

الأسطورة مرتبطة بالطقوس فهي التي تبررها<sup>1</sup>، لا نستغرب إذن من استعمالات المياه السحر-دينية الموجودة في منطقتي الدراسة، إذ أن أغلب الطقوس تعتمد على الماء كمكون أساسي في طرد الشرور أو جلب المنافع.

كما آمن الأمازيغ بألوهية المياه وقدرته العجيبة، فقد كان "بوصيدون" إله البحار في الميثولوجيا الإغريقية والأمازيغية، ويُعرف في الميثولوجيا الرومانية باسم "نبتون"، وقد صورته هيرودوت كإله ينتقل في أعماق البحار على عربة تجرها أحصنة ذهبية حاملا حربة، وعند غضبه يهيج بها أمواج البحر<sup>2</sup>، لذلك قدسه الأمازيغ وقدموا القرابين لاسترضاء غضبه، كما انتشر في المغرب القديم عبادة الحوريات Sirenes وهي "مخلوقات أسطورية مؤنثة، ارتبطت في الفكر الروماني بالمياه العذبة والحمامات، كما ارتبطن بالغابات والجبال، وتجسد هذه المخلوقات القوى المنتجة للأرض، ويبدو أنهم قد تمّ تصويرهن بشكل دائم على هيئة بشرية ويعني اسمهن Nymphes باللغة اللاتينية : الفتاة الشابة أو العروس، وكانت تقدم هذه الحوريات في أغلب الولايات الرومانية كحاميات، وحارسات لمنابع المياه المعدنية والاستشفائية"<sup>3</sup>، ولقد كانت تقام طقوس عبادة الحوريات أمام المنابع، وكان الهدف منها التحرر من الأمراض العضوية بفضل استعمال الماء<sup>4</sup>، كما تعددت أساطير المياه في المغرب والأندلس، ومن الأساطير التي كانت تحوم عن جبل في "شقورة" بالأندلس، أنه: "من عجائب هذا الجبل أن من دخله كثر عليه الاحتلام، ومنهم من يجري عليه المني من غير احتلام ولا إرادة ولا تذكر، يقال إن ذلك من ماء عين هناك"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: روبرت إيه سيجال، الأسطورة مقدمة قصيرة جدا، تر: محمد سعد طنطاوي، هنداوي، د. ط، 2014، ص93

<sup>2</sup> ينظر: عبد اللطيف هسوف، الأمازيغ قصة شعب، مرجع سابق، ص34.

<sup>3</sup> سمير آيت أومغار، المعبودات المائية في المغرب بين العصر القديم والزمن الراهن، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الدراسات الدينية، الرباط، المملكة المغربية، ص 10، نقلا عن A. Belfaida, Leau au Maghreb Antique entre le sacre et le profane, Rabat net Maroc, Rabat, <https://www.mominoun.com>, 2011, p40

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص11.

<sup>5</sup> ذكر بلاد الأندلس لمجهول مؤلف، تح، تر: لويس مولينا، ج1، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، المعهد ميغيل أسين، مدريد، 1983، ص24.

وبالعودة إلى الثقافة الشعبية ارتبط خلق المرأة الأولى للعالم بالماء، ونستدل على ذلك من خلال أسطورة خلق الكون وتصور العالم، حيث في البدء لم يكن البشر يعيشون على سطح الأرض، ولم يكن في الوجود إلا امرأة ورجل وكانا يعيشان تحت الأرض، ويجهلان أنّهما من جنسين مختلفين، وفي يوم من الأيام وبينما هما قرب عين الماء ليشريا، قال الرجل: دعيني أشرب أولاً، وقالت المرأة: لا، أنا أشرب أنا الأولى، فنشب صراع بينهما حتى أسقطها الرجل على الأرض فانشق ثوبها وتمزق وبانت عورتها، حينئذ اكتشف الرجل اختلاف أعضائهم الجنسية، إذ أن للمرأة رحماً بينما يمتلك هو عضواً ذكرياً، فتساءل عن سرّ تلك الفجوة، وأدخل أصابعه وأحس بأن الرحم يتسع أكثر فأكثر حتى انشدد إليها وضاجعها ولم يفارقا فراشهما إلا في اليوم الثامن، وكان ثمار هذه العلاقة إنجاب فتيات وفتيان، ومنه بدأ عنصر البشر يظهر<sup>1</sup>. إذن حسب الأسطورة كان لعين الماء دور مهم في اكتشاف الفروقات الجنسية، وإقامة العلاقات الحميمة بين الذكر والأنثى، وبهذا يصبح الماء وأماكنه حاملاً وناقلاً للخصوبة، لذلك كانت طقوس الاستمطار في بعض المناطق تقام أمام منابع المياه.

كما نجد الأساطير الشعبية التي تعزو تدفق الماء إلى ولي أو ولية صالحة، ففي منطقة القبائل هناك قصة متداولة لامرأة صالحة تعرف باسم "لالة الياقوت"، فحينما كانت الحياة صعبة وقاسية كان أهل قرية الشرفاء يعيشون حياة ضنكة ويتكبدون العناء من أجل الحصول على لقمة العيش، ذلك أنهم لازلوا لم يكتشفوا الزراعة بعد، وبينما هم يستجدون بالولية "لالة ياقوت" فتضرب على الأرض برجليها، وتخرج ماء عذباً يُسمع خريره، فتسقى الأرض وتزهو الحياة، وينبت الزرع والشجر وأثمرت وأينعت، فتحولت القرية إلى طبيعة خلابة مخضرة تسر الناظرين، كما أن أعشابها تحمل خصائص سحرية علاجية يقصدها من يُريد الانتفاع والشفاء، ولا تزال عين "لالة الياقوت" موجودة في المنطقة يقصدها الصبايا العازبات ومن له حاجات، وما زالت بركتها سارية المفعول حسب أقوال المترددين عليها<sup>2</sup>، ونهل من الذاكرة الشعبية السوفية أسطورة أخرى تردّ انفجار الماء

<sup>1</sup> ينظر: ليو فروبينيوس، أساطير قبائلية في خلق الكون وتصور العالم، مرجع سابق، ص 17.

<sup>2</sup> ينظر: نبيل حويلي، منظومة الأسطورة في منطقة القبائل، مرجع سابق، ص 214.

إلى ولي صالح يُعرف "جدي علي بن خزان"، فمما يروى أن الدبيلة\* كانت أرض خالية، لا تصلح لشجر ولا حجر، و لما جاء سيدي علي ابن خزان من الشرق إلى منطقة نفاوة بالبلاد التونسية، ثم تركها إلى بلاد الجريد، ثم تركها بدورها إلى أرض سوف، وأخذ في تعمير منطقة تسمى حاليا "البهيمّة"، لكنه خرج راجعا إلى الشرق بعد أن هاجمه أشرار من تلك البلاد، ومع أن الله انتقم له من أولئك الأشرار، ووصل إلى إحدى المناطق وشرع في العمل الزراعي، وهناك هتف له هاتف قيل من الصالحين، أن أرجع إلى الغرب، فألقى عصاه، فوَقعت على بعد أكثر من عشرين كيلومترا في المكان المسمى حاليا "الدبيلة"، وانبجس الماء في موضع سقوط العصا، ومن ثمَّ عُمر المكان وأصبح صالحا للعيش<sup>1</sup>.

حسب هذه الأساطير كان للماء دور كبير في اكتشاف الزراعة وانتعاشها، فالماء ضروري للحصول على محاصيل زراعية تؤمن حياة البشر، خاصة ماء المطر، وفي المقابل فإن اضطراب الحصول على نتائج مضمونة في عمليات الزراعة بعد اكتشافها دفعت الإنسان للبحث عن أسباب روحية ومادية تعالج هذه الظاهرة ومن الأسباب المادية التي عرفها فيما بعد هو دور المطر ودور الرياح في جلب الغيوم الممطرة<sup>2</sup>، هذا ما جعل الإنسان يمارس طقوس سحر-دينية لاستئصال المطر، وقد أورد "فريزر" العديد من الأمثلة ساقها من ثقافات مختلفة، كلها تهدف إلى استحضر المطر، ودرء الجفاف<sup>3</sup>، كما مارس البربر طقوسا سحرية للغرض نفسه، حين كان يقبل الناس في ليبيا وتونس وكذلك المغرب على التّراش بالمياه المباركة في المنقلب الصيفي، ويعرف هذا الطقس باسم "أوسو"، وكان النساء في هيبون-عنابة- يستحمن في الماء عاريات، فهي دعوة إلى تخصيص الأرض المجذبة<sup>4</sup>. كما مارس الأهالي بمنطقة تلمسان، طقس "آغندجا" aghendja، حيث يتم تزيين ملعقة خشبية، حتى تظهر على شكل دميمة، ثم يتم تطوافها بأبهة على مقابر الأولياء المحليين، مع الغناء المتكرر:

\*الدبيلة: بلدية في الوادي، تقع شرق مدينة الوادي.

<sup>1</sup> ينظر: أحمد زغب، الفولكلور النظرية التطبيق، مرجع سابق، ص 212-213.

<sup>2</sup> ينظر: خزعل الماجدي، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، مرجع سابق، ص 127.

<sup>3</sup> ينظر: جيمس فريزر، مرجع سابق، ص 94.

<sup>4</sup> ينظر: غابرييل كامب، البربر ذاكرة وهوية، مرجع سابق، ص 243.

غوندجا غوندجا كشف رأسها

يا ربي، ستبلل أقرط أذنيها

السنبلة عطشت

امنحها تشرب، يا سيدنا<sup>1</sup>

من المعتقدات الشائعة في ريف حمص بسوريا، عادة الاستسقاء تشبه في بعض تفاصيلها طقس الاستسقاء المعروف في شمال إفريقيا "أنزَار، أم قِطْمُبو"، فإذا انحبس المطر خرج شيخ القرية وهو يلبس عباءته بالمقلوب مع عدد من الرجال والنساء والأطفال، ليبدأ بالابتهاال إلى الله والدعاء والناس يرددون خلفه، ثم يقوم الأطفال بصناعة "أم الغيض"، وهي على شكل إنسان من الخشب، يُلبسونها ثوبا لتصبح شبيهة بفزاعة الحقول، ثم يجوبون بها شوارع القرية وهم يرددون: أم الغيض يا رباً... عبى حواضنا مياً... لنغسل ونغتسل ونلبس ثوب أبو عبية، ويخرج الناس معهم ومنهم من يردد دعاء الاستسقاء وأدعية أخرى خلف الشيخ<sup>2</sup>، و في تونس يمارس الأطفال طقس "تاغنجا" تحت مسمى "أم قِطْمُبو" يتوافق الطقس مع طقس تاغنجا في كل تفاصيله إلا أن الأغاني التي تردد تكون طبعا باللهجة المحلية التونسية، من ذلك يردد الأطفال:

أمك طنقو يا نسا      طُلبت ربي على الشتا

أمك طنقو بسخبيها      طُلبت ربي لا يخبيها

وفي روايات أخرى تختلف حسب البيئة المحلية:

يا مطر يا خالتي صب على قُطايتي

قُطايتي مبلولة (مدهونة) بزيت الزيتون<sup>3</sup>

ولدى "بني شكران" بالجزائر، إذا لم ينجح طقس تاغنجا في استنزال المطر، يتتكر الرجال بأثواب أكياس القمح والخرق، وبقايا أثواب الخيام وأثواب النساء، إذ يصبح الأمر مسخرة حقيقية،

<sup>1</sup>روني باصي، أبحاث في دين الأمازيغ، مرجع سابق، 49-50.

<sup>2</sup>خالد عواء الأحمد، عادات ومعتقدات في محافظة حمص، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011، ص98-99.

<sup>3</sup>تاجي التباب، الموروث الشعبي ودوره في تجذر هوية الطفل العربي، مرجع سابق، ص19.

ويسير الرجال في تنكرهم ذاك لزيارة الولي الصالح للمنطقة، وكل واحد منهم يحمل كيسا مليئا بالرماد وبيدؤون في الترامي به مرددين: "يا ربنا المطر"<sup>1</sup>، وفي عصر "النيوليت" في سامراء، فقد بينت مجموعة من الآثار الدالة على ظهور طقس استتزال المطر، لعل أهمها ذلك الطبق الخزفي الذي تظهر عليه أربع نساء متقابلات تتطاير شعورهن من اليسار إلى اليمين، وهنّ في مظهر عار يؤدين رقصة واضحة أساسها نثر الشعر باتجاه الشرق"<sup>2</sup>، من الطقوس الموجه للأولياء لاستجلاب المطر ما نجده في اليمن، حيث يقوم المستسقون بأخذ حيواناتهم من الأبقار والمواشي، وفي بعض الأحيان الإبل عند البدو، ويقومون بنحرها في أماكن مقدسة، كأضرحة الأولياء وينحرونها، ويتركون الضحية للحيوانات، ويضرعون قائلين:

يا رحمن يا رحيم

يا رب العالمين

يا الله اسقينا الغيث

جل جلالك يا مولانا

واحنا عبادك لا تنسانا

يا رحمن

أنت الرحيم<sup>3</sup>.

ومنه فإن تقديس المياه من المشتركات الثقافية بين الشعوب، فجل الشعوب اعتقدت أن أماكن تواجد المياه تسكنها قوى خفية، لذلك تبركوا بها وقصدوها لطلب الإعانة، كما أنّ الشعوب الزراعية خاصة مارست طقوس سحر-دينية تهدف إلى استدرار المطر لخصوصيتها في تخصيب الأراضي، وهكذا تنوعت المعتقدات والأساطير لكنها بقيت كلها تصب في مجرى واحد، إذ تعبر

<sup>1</sup> إدموندوتي، السحر والدين في شمال أفريقيا، مرجع سابق، ص 477.

<sup>2</sup> خزعل الماجدي، أدب الكالا... أدب النار، مرجع سابق، ص 20.

<sup>3</sup> أروى عبده عثمان، فولكلور المطر في الذاكرة اليمنية، مجلة الثقافة الشعبية، السنة الثالثة، العدد 11، خريف 2010،

عن خوف الإنسان من قلة الأمطار في فصولها، وعن عجز الإنسان أمام الظواهر الطبيعية، وعن تسليمه أمام القوى الخفية المسيرة للكون حسب اعتقاده.

## استنتاج

من خلال طقوس طلب المطر في منطقتي الدراسة "وادي سوف، منطقة القبائل"، يبرز الصراع الكوني بين الخصوبة والجفاف، وكما لاحظنا فإن هذه الطقوس في الأصل هي تجسيد ثم تأليه للرغبة، عرفها البدائي منذ القدم، لكن بمجيء الإسلام، أقصيت عدة ممارسات، ومنها ما تمت أسلمتها، وأصبحت تحتمي بلواء الدين الشعبي الذي لا يرفضه الإسلام، ومنها ما بقي يحمل طابع الوثنية، وهذا ما يعبر عن ديمومة الثقافة التي تأبى الاندثار بسهولة، بل تبقى تتفاعل مع مختلف الثقافات.

هناك تشابه في الطقوس الممارسة لاستحضر المطر في منطقتي الدراسة، خاصة في طقس "أنزار، أم قَطْمَبُو" وذلك راجع إلى الثقافة المشتركة بالمنطقتين، التي تنهل من الثقافة الأمازيغية والإسلامية والثقافات المتعاقبة على هذه الأراضي، كما يوجد اختلافات بينة تمس تسمية هذا الطقس، ففي منطقة القبائل يُسمى "أنزار" والظاهر أنه إله المطر عند البربر القدماء، وأما في منطقة سوف فينسب إلى "أم قَطْمَبُو" والظاهر أنها تجسيد لـ"تانيت" الفينيقية آلهة الخصوبة عند القدماء. كما وجدنا تعددت طقوس استحضر المطر بمنطقة وادي سوف مقارنة بمنطقة القبائل، وذلك راجع إلى طبيعة المناخ الحار والجاف، الذي يفترق إلى الأمطار، ومن جهة فإن المنطقة اقتصادها القائم على الفلاحة وتربية المواشي، وبالتالي فأرض سوف بحاجة ماسة إلى ماء المطر، وبذلك تصبح الطقوس السحر- دينية جد ضرورية للحفاظ على قيام المجتمع، ويظهر الاختلاف كذلك في المواد المكونة لطقوس استحضر المطر، حيث أنّ كل منطقة تستمد المواد مما هو موجود في بيئة المنطقة، ففي الأغاني منطقة القبائل نجد ذكر الزيتون، وفي منطقة سوف النخلة. تكشف احتفالات المطر عن بقايا معتقدات بدائية، كُتبت لها الاستمرار والبقاء؛ لأنها تؤدي وظائف داخل الطقوس كعبادة الإنسان التي نفهمها من خلال زيارة الأولياء والتبرك بهم، وعبادة الأشجار التي نفهمها من خلال ممارسة طقوس أمام الشجر، أو إقحام بعض أجزاء الشجر في تركيبية الطقس، كالمغرفة التي تجسد دمية المطر.

كل الطقوس الممارسة لاستحضر المطر، كصلاة الاستسقاء وطقس أنزار، وسحر رمي الماء وأهازيج المطر، كلها ترجع لهدف واحد وهو طلب المطر، والاستسقاء سواء كان من الآلهة

الوثنية أو الإله الواحد في الثقافة الإسلامية المهيمنة، تبقى عبارة عن تعبير عن عجز الإنسان عن إنزال المطر بنفسه، ومن ثمَّ يلجأ إلى القوى الغيبية، سواء أكانت "أنزار" أو آلهة أخرى، أو الله ، لكن يبقى الهدف نفسه والوسيلة نفسها وهو الرجوع إلى القوى الميتافيزيقية.

الاحتفالات إذا هدفها الأول ديني وليس دنيويًا، فهي تذكر بالحوادث الأولية، وتعيد أعمال الكائنات المقدسة، لذا نجد الاحتفالات تقام في أماكن مقدسة كالمسجد وأمام الأولياء ومنابع العيون.

عرفنا أن هدف الطقوس هي المحافظة على نظام الخصوبة وتقويته، وإذا تبين أن المرأة هي صورة عن الأرض الأم، وبالتالي فهي المسؤولة عن تخصيب الأراضي وأيضًا صنع المطر، نفهم إذن سبب ممارسة أغلب الطقوس من قبلهن، فالرجال ليسوا بمعزل عنها أو أنهم لا يؤمنون بها، بل إنهم كانوا يزكون هذه الطقوس ويجعلونها من مهام المرأة؛ لأنها في كينونتها يكمن السرّ.

احتفالات المطر من المشتركات الثقافية بين الشعوب خاصة الزراعية، فكل الشعوب مارست طقوس استحضار المطر، وردت قلتها إلى أسباب دينية، كالبعد عن الآلهة والانغماس في الدنيا، وممارسات أفعال يومية دنيوية أو اختراق الطابوهات، كما أنها اعتقدت في فئة معينة لها قدرة على جلب المطر، كآلهة، وأرواح الأجداد والمرأة ونوع من الشجر وغيرها.

## الفصل الرابع

### أنثربولوجيا احتفالات عاشوراء في

### منطقتي "وادي سوف" و"القبائل"

تقديم

المبحث الأول: اثنوغرافيا احتفالات عاشوراء في منطقتي وادي سوف والقبائل

المبحث الثاني: اثنولوجيا احتفالات عاشوراء في منطقتي وادي سوف والقبائل

المبحث الثالث: انثربولوجيا احتفالات عاشوراء بين المحلية والعالمية

استنتاج

## تقديم

عاشوراء من المواسم الشرعية التي يحتفل بها المسلمون قاطبة، وحسب إشارات المصادر الإسلامية تتعدد أسباب الاحتفاء بعاشوراء، فقد قيل إن الله اصطفى آدم ورفع إدريس واستوت سفينة نوح على الجودي يوم عاشوراء بعد أن مكث الماء على الأرض مائة وخمسين يوماً، واتخذ الله إبراهيم خليلاً يوم عاشوراء، وغفر الله لداود يوم عاشوراء وردّ الله على سليمان ملكه فيه، وكشف الضر عن أيوب، وغيرها من الحوادث التي لها علاقة بالأحداث التي وقعت لشخصيات دينية مقدسة<sup>1</sup>، وفي بعض البلاد الإسلامية يُحتفل في عاشوراء بذكرى مقتل الحسين سبط النبي عليه الصلاة والسلام، وعلى الرغم من المرجعية الإسلامية لاحتفالاتهم، إلا أنّ عاشوراء بالنسبة لهم مناسبة حزن، وهذا ما نشهده في عدة بلاد منها: العراق وإيران ولبنان، ففي العراق "يسمى يوم عاشوراء بيوم "الطبك" أي اليوم الذي انطبقت فيه السماء على الأرض على إثر استشهاد الإمام الحسين في كربلاء"<sup>2</sup>، لذلك فإن الشيعة يحيونه بالبكاء والعيول.

وعلى غرار باقي البلاد الإسلامية يحتفل الجزائريون كغيرهم بمناسبة عاشوراء، وفي بحثنا هذا سنهتم برصد التراث الشعبي في منطقتي الدراسة، فكيف يحتفل "السّوافة"<sup>\*</sup> و"القبائل" بهذه المناسبة الدينية؟ وإلام تعود هذه الاحتفالات؟ وماهي دلالات الرموز التي تحملها طقوس احتفالات عاشوراء في منطقتي الدراسة؟

## المبحث الأول: أنثوغرافيا احتفالات عاشوراء في منطقتي وادي سوف والقبائل

### أولاً: احتفالات عاشوراء في منطقة وادي سوف

يحتفل "السّوافة" كغيرهم من المسلمين بالعيد الديني في عاشوراء، بالصيام والزكاة التي يطلق عليها بالمنطقة "لِعَشُورْ"، وقد اشتهرت بعض الحواضر كبلدة "الزقم"، بتخصيص غرفة تدعى "دار العشور" وفيها يضع كل من وجبت عليه الزكاة "العُشْر" من تمره، ويتولى "أمين الدار" عملية توزيع

<sup>1</sup> ينظر: عبد الرحمان الصفوري الشافعي، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ج1، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص224-225.

<sup>2</sup> إبراهيم الحيدري، تراجم كربلاء سوسيلوجيا الخطاب الشعبي، دار الساقى 1999، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص121.

\*السّوافة: جمع سوفي جارٍ على الألسن.

التمر على الفقراء والمساكين<sup>1</sup>، وقد أفادتنا الحوارات التي أجريناها مع الموردين أنه كان قديماً يُحتفل بعيد عاشوراء من يوم الفاتح من محرم إلى صبيحة اليوم العاشر منه، إلا أن الأهالي في وادي سوف في الوقت الحالي، لم يعودوا يحتفلون به إلا ليلة العاشر محرم، بسبب تبدل أحوال وطباع الناس، وغياب ذهنية التسليم لتراث الأجداد، التي كانت تبرز كل الممارسات الشعبية، وهناك مناطق لم تعد تحتفل به البتة، بسبب تحريم بعض الفقهاء لهذا الاحتفال، وهناك طائفة من الناس توقفت عن الاحتفال من تلقاء نفسها، حيث تقول الراوية<sup>2</sup>: "كِي جِينَا مِنْ الصَّحْرَاءِ لِلْبِلَادِ لُقَيْنَاهُمْ يُدِيرُوا فِي الرَّهْوِ، وَحَنَايَا فِي الصَّحْرَاءِ نَحْرُؤُوا فِي عَاشُورَاءِ، عَلَى هَكَأ بَطَلْنَا نُخْرُجُوا فِي عَاشُورَاءِ"<sup>3</sup>.

ومن الأسباب الدافعة للاحتفاء بهذه المناسبة حسب اعتقاد أهالي مناطق الحضر، هو أن عاشوراء كما أفادتنا الراوية<sup>4</sup> "خَلِيفَةَ الْعِيدِ، إِلَي مَا لَحَقِيشْ يَدْبَحْ فِي الْعِيدِ الْكَبِيرِ يَدْبَحْ فِي عَاشُورَاءِ، وَيَشْوِي اللَّحْمَ عَلَى الْعَافِيَةِ كَيْمَا فِي الْعِيدِ، وَيَفْرُقُ اللَّحْمَ كَيْمَا فِي الْعِيدِ"<sup>\*\*</sup>، وقد لاحظنا من خلال البحث في عدة مناطق بدوية، ما زالت تُمارس الذبيحة الإسلامية في عاشوراء كما في عيد الأضحى، حيث يشوون اللحم على الفحم كما جرت العادة في العيد الكبير، وهذا يعني أن المناطق البدوية احتفالاتها مزيج بين الفرحة والحزن، ومقارنة بين كلام الراوية والملاحظة العينية في مناطق البدو، نجد أن في منطقة البدو يمكن أن تقدم ذبيحتان واحدة في العيد الكبير والأخرى في عاشوراء، ذلك أن اقتصادهم ونمط حياتهم قائم على تربية المواشي وبالتالي فإن نظامهم الغذائي

<sup>1</sup> علي غنابزية، مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1300م-1374هـ/1882-1954م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، السنة الجامعية: 1428-1429هـ/2008-2009م، ص324، ص354.

<sup>2</sup> لقاء مع الراوية ربح مصباحي، 65 سنة، 03-01-2024، وادي سوف.

\* حين انحدرنا من الصحراء إلى الواحات وجدنا الناس يمارسون الأفراح في هذا اليوم، ونحن في الصحراء نحزن في عاشوراء، لذلك امتنعنا عن الخروج في عاشوراء (لأن حتى في الاحتفالات الحزينة كانوا يخرجون من بيوتهم لأداء الطقوس الجماعية).

<sup>4</sup> لقاء مع الراوية زهرة صوالح، 75 سنة، 20-11-2023، وادي سوف.

\*\* أي أن عيد عاشوراء يُعوض احتفال العيد الكبير، فمن لا يستطيع شراء الأضحية في عيد الأضحى، يجوز له تعويض الذبيحة في عاشوراء، بحيث يشوي اللحم على الفحم، وتُقسم الأضحية، ويوزع جزء منها كما جرت العادة في عيد الأضحى.

قائم على أكل اللحم، أما في مناطق الحضر حيث تقل تربية المواشي مقارنة بالبدو وبالتالي فإن هناك من يعجز عن توفير ذبائحتين ويكتفي بواحدة في موسم العيد الكبير أو في عاشوراء ويسود الاعتقاد أن لهما نفس القداسة ونفس الأجر، وبما أن أكل كميات من اللحم ضروري في احتفالات عاشوراء فإنه في مناطق الحضر هناك من يترك جزء من كتف أضحية عيد الأضحى، ويُطبخ مع الكسكس ويتناوله الأهالي في وجبة عشاء يوم عاشوراء. ومن طقوس احتفالات عاشوراء المشهورة بالمنطقة نذكر:

### 1- الأطفال وطقس "إزفَع لوكاس"<sup>1</sup>

يؤدي الأطفال عادة طقس "إزفَع لوكاس"، وهو من الطقوس المشهورة في احتفالات عاشوراء، التي تهدف إلى طرد شرور العام، حيث قديما ما إن يطل هلال محرم تنطلق احتفالات عاشوراء في مختلف المناطق بوادي سوف، ويشرع الأطفال في القيام بطقس أَرَفَع لوكاس، ويتمثل هذا الطقس في طواف الأطفال الصغار بين البيوت، وهم يحملون أعذاق النَّخِيل بعد تجريدها من الثمر وهم يرددون أهازيج خاصة منها:

أَرَفَع لوكاس

ارفع وكسي ووكسي الناس

يا رب عن هذه الناس... أَرَفَع لوكاس<sup>2</sup>

ويرددون أيضا:

"أَعْطُونَا اِرْفَع لوكاس"

وتعلق ربات البيوت أشرطة من القماش القديمة المختلفة الألوان، على الأعذاق الجافة بحسب عدد أفراد الأسرة، وكل شريط يسمى باسم شخص، وهناك من يضم الموتى، وربما الحيوانات والنَّخِيل الموجود في البيت بدعوى أن هذا الطقس يمارس على كل من له روح، ويأمل أن تبقى الأرواح الحية ترزق حتى عاشوراء القادمة، وأما الأموات فإن عاشوراء مناسبة مهمة للتخلص من ذنوبهم، وحلول مغفرة الإله عليهم، كما أنهم يعطرن العرجون ويرششونه بالحناء،

<sup>1</sup>ينظر: فهرست الصور (صوّر رقم 07، أ-، ب-، ج-).

<sup>2</sup>لقاء مع الراوية زهرة بن لخضر كرطي، 63 سنة، 29-12-2023، وادي سوف.

وهكذا ينتقل الأطفال من بيت إلى آخر. وتضيف المخبرة<sup>1</sup>: "ساعات نَحُو زَغِيَّاتٍ مَنْ رَأَسَالِإِغْشُورُ بِأَشِ يَطُولُ، وَنَحْطُوهَا فِي إِزْفَعِ لُوكَاسِ" ، وهكذا تستمر عملية الطواف بأعناق النَّخِيلِ إِلَى الْيَوْمِ الْتَاسِعِ مِنْ مَحْرَمٍ، كَمَا تَمَّ إِخْبَارُنَا مِنْ قَبْلِ الرَّابِيعَةِ<sup>2</sup> أَنَّهُ قَدِيمَا كَانَتْ هُنَاكَ مِمَارَسَةٌ تَخْصُ الْبِنَاتِ فَقَطْ، حَيْثُ يَحْمِلُنَ قَارُورَاتِ زَجَاجٍ فَارِغَةً يَطْفُنَ بِهَا الْبَيْوتَ وَهُنَّ يَرْدَدْنَ: "رَيْحَةٌ وَلَا بُحُورٌ وَلَا سَوَاكٌ وَلَا حِنَّةٌ"<sup>3</sup>، ثُمَّ تُجْمَعُ هَذِهِ الْمَوَادُّ التَّجْمِيلِيَّةُ فِي قَارُورَاتٍ وَيُحْتَفَظُ بِهَا لِاسْتِعْمَالٍ لَاحِقٍ.

## 2- طقس عروس عاشوراء\*\*\*

عروس عاشوراء من الطقوس التي كان يمارسها الأطفال في عاشوراء بإعانة من النساء، بحيث تقوم امرأة مسنة من الحي، بتحضير عروس عاشوراء، حيث تحضر قطعتين من الخشب وتصنعهم على شكل صليب، تكون القطعة العمودية طويلة، والقطعة الأفقية صغيرة، ويثبتون حوالي ثمانية خيوط طويلة في رأس الصليب، ويقومون بإدخال إطار غربال (طارة غربال) يكون محيطها كبير بحيث يمكن للفتاة أن تدخل فيها رفقة اللوحة الممتدة إلى الأعلى ويثبتون الخيوط الثمانية بمسافات متساوية ليصبح إطار الغربال يتأرجح في المنتصف وهو مستوٍ أفقياً، ثم يقومون بربط قطعة قماش أبيض على رأس اللوحة من فوق، ويغطونها بمحرمة ذات لون جميل، وبعدها يلبسون الهيكل ملحفة سوداء ويربطون حزاماً أبيض على طارة الغربال من فوق الملحفة، و تُكسى باللباس التقليدي وتُزين بالحلي، وبعد مغرب كل يوم يجتمع الأطفال تتوسطهن "عروس عاشوراء"، وفي كل مرة تدخل فتاة إلى الداخل وتقوم بتحريك الطارة بضربتين متتاليتين، تارة على اليمين وتارة

<sup>1</sup> الراوية زهرة صوالح، المصدر السابق.

<sup>2</sup> أحياناً ننزع شعيرات رفيقة من جديلة المرأة ونعتبرها زكاة العشر ونربطها في عذق النخلة ونعتقد ان ذلك يطيل شعر المرأة.

<sup>3</sup> الراوية زهرة بن لخضر كرطي، المصدر السابق.

\*\* عطر أو بخور أو سواك أو حنة.

\*\*\* ينظر فهرست الصور (صوّر رقم 10، أ-).

على اليسار، على إيقاع صوت الجواق والبندير أو الدربوكة، فيتخيل للناظرين بأن هذه العروس ترقص<sup>1</sup>.

### 3- طقس رمي "أَرْفَعُ لُوكَاسَ"

حسب ما أخبرتنا المورديات أنه قديماً كانت النساء يولين اهتماماً كبيراً لعيد عاشوراء، تقول الراوية<sup>2</sup>: "كُنَّا فِي كُلِّ يَوْمٍ بَعْدَ لِعِشِيِّ نَتَلَمُّوا فِي الرَّحْبَةِ تَاغَ النَّزْلَةِ، وَنَبْدُو نَبْرَشُوا"<sup>\*</sup>

وفي ليل التاسع من محرم أي ليلة عاشوراء، تقوم النساء في بيوتهن بإعداد "عشاء عاشوراء" وفي أغلب الأحيان يكون كسكسا باللحم، وهذا اللحم قد يكون جزءاً من كتف أضحية العيد، أو من النُفْقَةِ<sup>\*\*</sup>، أو من الذبائح التي تقدم بمناسبة عاشوراء، و يتبادل الجيران ما أعدوه من طعام، هذا ما تعارف عليه الناس في سوف، أما الوقت الحالي فقد تنوعت الأطباق وأصبح إعداد العشاء يخضع للأذواق، وفي مساء هذه الليلة توزع النساء الشموع على الأولاد الصغار ليجهزوا للاحتفال الليلي.

كما تقوم النساء في ليلة عاشوراء بتجهيز "أَرْفَعُ لُوكَاسَ" - بعد إتمام الأطفال مهمتهم - ويطلق عليه أيضاً في منطقة سوف "العُوفُ" ويقمن بتزيينه ورشه بالحناء وتعطيره بالروائح، التي جمعتها البنات طيلة ليالي الاحتفال<sup>\*\*\*</sup>، وبعد العشاء يتجمع موكب غفير من النساء، في مكان مخصص للاحتفال، وكل واحدة تحمل "إَرْفَعُ لُوكَاسَ" الخاص بها، وقد أخبرتنا الراوية<sup>3</sup>، أنه قديماً لم تكن الحلويات والعطايا تقدم بهذا الكم الموجود الآن، بل كان

<sup>1</sup>أخذنا هذه المعلومات من الراوة: أحمد مشري، 63 سنة، تم الحوار معه يوم 22 فيفري 2022، بلدية: الدبيلة، ولاية: وادي سوف.

فطيمة عمارة، 60 سنة، 04-10-2023، وادي سوف، الراوية: الزهرة كرطي، الراوية: الزهرة صوالح.

<sup>2</sup>الراوية مسعودة بيات، 80 سنة، 22-02-2023، وادي سوف.

<sup>\*</sup>كُنَّا فِي كُلِّ يَوْمٍ نَجْتَمِعُ فِي مَكَانٍ مَخْصُصٍ لِلْاِحْتِفَالِ، وَنَرْدُدُ أَغَانِي حَزِينَةَ تَسْمَى بِالْمَنْطِقَةِ "التَّبْرِيشِ". التَّبْرِيشُ: نوع من الأغاني الشَّعْبِيَّةِ الحَزِينَةِ، كُلُّ مَقْطَعٍ مِنْهَا يَسْمَى عِنْدَ الْعَامَّةِ "الجَرِيدَةَ".

<sup>\*\*</sup>النُّفْقَةُ: يتشارك أهالي القرية لشراء شاة أو عجل أو جمل ويذبحونه ويتقاسمونه فيما بينهم.

<sup>\*\*\*</sup>ينظر: مقطع فيديو رقم: (15).

<sup>3</sup>الراوية زهرة صوالح، المصدر السابق.

النِّسَاء يحضرن الحَمَام\* والبخور فقط، فقالت: "لِعِدْهَا فُرُوحَ حَمَامٍ تَدْبَحُهُ وَتَفْرَقُهُ، وَيَلْوَحُوا الْبُخُورَ فِي الْعَافِيَةِ"<sup>\*\*</sup>، وأضافت أنهم كن يشربن الشاي من وقت لآخر حتى لا يصيبهن التعب، وبعد مضي وقت تعلن كبيرة الحي عن بداية رمي "إِرْفَع لُوكَاس" بقولها: "يَلَّا بَاشْ نِرْمُوا إِرْفَع لُوكَاس"<sup>\*\*\*</sup>، ومن ثم تأخذ النساء "أِرْفَع لُوكَاس" ثم يتجهن مسرعات إلى مكان خال لرميه، وفي طريقهن يرددن عدة أهازيج منها:

"يَا رَافِعَ لُوكَاس، إِرْفَعِ وَكْسِي وَوَكْسِي النَّاسَ"

"إِرْفَعِ لُوكَاس يَا رَبِّي عَنْ هَا النَّاسِ هَذِهِ لَيْلَةٌ بُوَهْرَاسَ"

"نَبِينَا خَاشَ الْجَنَّةَ، وَلَكَدُولَةَ الْحَنَّةَ، أَوْ شَدَّتْ عَيْشَةَ فِي أَرْكَابِهِ"<sup>\*\*\*\*</sup>

"إِرْفَعِ لُوكَاسَ يَا رَبِّي عَنْ هَذِهِ النَّاسِ، حِلْقَةَ رَأْسٍ مِنْ بَيْنِ أَخْلَاصٍ، لَا تَسْمَعُ ذَلِيلُ الْمَوْسِ، هَذِي لَيْلَةٌ

البُوَهْرَاسَ"<sup>\*\*\*\*\*</sup>

"يَا مِيمْتِي عَاشُورَةَ حَشَبْتِي بِخَيْرٍ، أَعْفُوبًا لِدَائِرِ وَحَنًا حَبِيبِ"

ويرددون أيضا:

تَبْكِي عَلَيْكَ النَّاقَةَ وَدُمُوعَهَا شَقْلَابَةَ

لَيْلَةَ هَاي بُوَشْعْرَانُ إِنْشَاءَ اللَّهِ تَسَقِّمْلِي لِيَّامَ

تَبْكِي عَلَيْكَ الْعَقْرَبَ وَدُمُوعَهَا تَشَقْلَبُ

قَالَتْ لَا عِنْدِي دُوكَ كَانُ الْكَبْرِيتِ وَالْقَطْرَانُ<sup>1</sup>

في كرنفال من الدموع والنواح وهنَّ يتضرعن إلى الله أن يدرأ عليهنَّ الوكس، وعند الوصول

إلى مكان رمي العوف يلقين بعرجون "أِرْفَع لُوكَاس" من وراء ظهورهن ولا يلتفتن وراءهن أبدا، وفي

\* لحم الحمام يؤكل في وادي سوف.

\*\* من لديها حمام تدبحه وتوزعه على الحاضرين، ومن تحضر بخور ترميه في النار.

\*\*\* حان موعد رمي إرفع لوكاس.

\*\*\*\* نبينا داخل الجنة، ووضعوا له الحنة، ومسكت عائشة في ركبتيه.

\*\*\*\*\* كثير من الأهازيج تطبق عمليا وليس لها مورد مؤلف يوضح القصد، فهم يرددون عن طريق السجع لاستجلاب الخير وابعاد الشر، لا يدركون المعاني.

<sup>1</sup> استقيت هذه المعلومات من عند كل المورديات اللاتي ذكرهم البحث.

زمن الاحتلال الفرنسي كان يفضل رمي "إِرْفَع لُوكَاس" منجهة الغرب كما أخبرتنا الراوية<sup>1</sup>: "نُغْرَبُوا بِبِهْقَدَا العَدُو فرنسا"\*، ويرجعن مسرعات لاعتقادهن أن التي تتأخر أو تستببطاً خطاها، يلصق بها "وكس الجميع"، وقد أكدت لنا الراوية<sup>2</sup> "إِلِّي إِطِيح فِي عاشوراء يُجِيهَا الدَّنَّ\*\*"، كما أكدت أنها تعاني من ألم في ركبتيها من اليوم الذي سقطت فيه في عاشوراء بعد رمي "إِرْفَع لُوكَاس"، لذلك يفضل أن لا تمارس هذا الطقس الكبيرات في السن، ويمكن أن يمارس الطقس بطريقة أخرى، حيث تسبق امرأة الموكب دون علمهن وتتلثم بزبي رجالي، وما إن يصل الموكب إلى المكان المخصص ويرمين "إرفع لوكاس" حتى تخرج لهن من حيث لا يدرين، فيفزعن ويصرخن ثم يهرين وهن يرددن: "شايب عاشوراء" "شايب عاشوراء"... وفي طريقهن للعودة يرددن كذلك أهازيج خاصة منها: يَا عَوْفُ يَا عَوْفُ والصحراء مَا فِيهَا خُوفٌ غَيْرِ النَّعْجَةِ وَالخَرُوفِ<sup>3</sup>

قد يلتحق الرجال بهذا الركب خلف النساء، وهم يحملون الحلفاء المشتعلة بالنار، إلى أن يصل الموكب كله إلى المكان الذي سيُرْمَى فيه "إِرْفَع لُوكَاس"، وبعد عودة النساء يشعل الرجال النار على "إِرْفَع لُوكَاس"<sup>4</sup>. بعد العودة إلى مكان الاحتفال الذي انطلقن منه، تباشر النساء والفتيات في ممارسة لعبة "إِمْحِي" حيث تتشابك امرأتان بيديهما مع تقارب رجليهما وتدوران في النقطة نفسها، وهما يرددان الأزوجة التالية<sup>5</sup>:

تِي رِيحُ تِي رِيحُ  
الْغُرَّةُ تُلْقِطُ فِي لُبْلُخُ  
بُفُ بُفُ\*\*\*  
طَلْفَهَا يَا دِينُ الرَّحِّ

<sup>1</sup> الراوية ربح مصباحي، المصدر السابق.

\* نرميه جهة الغرب لأنها جهة قدوم العدو الفرنسي.

<sup>2</sup> الراوية زهرة بن لخضر كرطي، المصدر السابق.

\*\* التي تسقط في عاشوراء يصيبها المرض.

<sup>3</sup> الراوية صالحة دريدي، 60 سنة، 05-07-2023، وادي سوف.

<sup>4</sup> الراوية ربح مصباحي، المصدر السابق.

<sup>5</sup> الراوية زهرة صوالح، المصدر السابق.

\*\*\* ستربح ستربح الفتاة تلتقط البلح

طلقها (يا دين الزح: عبارة جاهزة تستعملها العامة عند الضيق) بعدا بعدا (صوت يخرج من الفم)

وتقول الراوية<sup>1</sup>: "لَتَوَ كِي نَرَجِعُوا نُبْخُبُخُو، لَعِنَدَه عَادَة يُدِيرَهَا، اللَّهُ لَا يَفْطَعُنَا عَادَة" ، وتستمر الاحتفالات في جو يسوده الفرح والمرح والرقص والأغاني إلى وقت متأخر، إلى أن تعلن امرأة مسنة عن إنهاء الاحتفال بقولها: "دَامَتْ عاشوراء دَامَتْ عاشوراء"، "عُقُوبًا لُدَايِر" \*\*، ليتفرق الجمع ويولون إلى بيوتهن.

#### 4- طقوس شايب عاشوراء

شايب عاشوراء من التمثيلات الهزلية التي أفرزتها المخيلة الشعبية ليلة عاشوراء، وكلمة شايب في اللغة العامية عند أهل "سوف" تعني "الشيخ الكبير"، لذلك كانت الشخصيات التي تؤدي مشاهد الفرجة لديها لحى طويلة، كما أن شخصية شايب عاشوراء تتكى على عصا ما يدل على كبر سنه. يقول الراوي<sup>2</sup> "بَكْرِي كَانَتْ الرَّجَالَةَ دِيرُ فِي شَايِبْ عَاشُورَاء فِي الْوَادِ، وَتَوَ وَلَتْ النَّسَاوِينْ هُنْ لِيُدِيرُوهَا، وَحْنِي بَطْلُنَاهَا عَشَانِكُ الطَّلْبَة فَهَمُونَا بَلِي رَاهِي حَرَامٌ وَبَلِي تَاعَ جَاهِلِيَة وَتَاعَ يَهُودُ وَمَا عِنْدَهَا شَ عِلَاقَة بِالْإِسْلَامِ، وَتَوَ أَصْلًا طَوَّرَتْ الدُّنْيَا عَادَاتِ خُرَافَاتِ شَايِبْ عَاشُورَاء" \*\*، فبعدما كانت احتفالات "شايب عاشوراء" حسب ما أخذنا من أفواه النساء يؤديها الرجال مسبقا وبحماس شديد، أصبح اليوم موضع ضحك وسخرية كلما طلبنا من أي رجل أن يعطينا معلومات عن "شايب عاشوراء"، حيث تتباين الردود بين ضاحك مستهتر، وبين متحفظ لا يمدنا إلا بمعلومات شحيحة تقتصر إلى التفاصيل المهمة بدعوى أنها احتفالات اندثرت مع الأيام، كما أن هناك فئة الرجال يتحاشون الكلام عنها، لأن لها خصوصية لا يستحب الإدلاء بها إلا في وقتها، وبما أنها لم تعد تمارس فلا يجب الكلام عنها نهائيا حسب اعتقادهم، وبالتالي فإن معظم معلوماتنا استقينها

<sup>1</sup>الراوية زهرة بن لخصر كرطي.

<sup>\*</sup>إلى الآن مازلنا نمارس لعبة إِمَّجِي، من لديه عادة يمارسها، الله لا يقطع لنا عادة.

<sup>\*\*</sup>العاقبة للعام المقبل.

<sup>2</sup>عبد الرزاق إبراهيمي، 77سنة، 03-7-2022، وادي سوف.

<sup>\*\*</sup>قديمًا كان هذا الاحتفال يمارسه الرجال في منطقة وادي سوف، ومع توالي الأيام استحوذت عليه النساء، والسبب الرئيسي الذي أدى إلى استغناء الرجال عليه، هو دور "الطلبة" في توعيتنا بأنه احتفال مخالف للشرع الإسلامي، وهو من عوائد الجاهلية واليهود وليس لها علاقة بالإسلام، وجب الاستغناء عنها في زمن العلم والتحضّر، وبالتالي أصبحت شايب عاشوراء خرافات.

من عند نساء كُنَّ مشاهدات لاحتفال "شايب عاشوراء" الرجالية، لذلك فإنهن يسردن ما رأيته أثناء التمثيلات، ولا يعرفن ما يجري في الكواليس أي أثناء تقسيم الرجال للأدوار، ومن الملاحظات المهمة التي توصل إليها البحث أن هذه الاحتفالات بعد استغناء الرجال عنها، التقطها مجتمع النساء وهي احتفال بالنسبة لهن، مناسبة جيدة للإدلاء بمعاناتهن عن طريق محاكاتها تحت ضوء القمر المنير -إذا سمح الفصل بذلك- ليلة العاشر من محرم، وإخراج ما تكتنزه أنفسهن من هم وغم، وللترويح عن أنفسهن. احتفالات "شايب عاشوراء" بالنسبة للنساء حسب ما فهمت تشبه جلسة علاج نفسي جماعية مفتوحة، يتماهى فيها المشاهد مع الممثل فيطرح تلقائياً إشكالاته ويُشارك خبراته، وربما يجد حلولاً لها، أو يكتفي بإخراجها حتى يحصل على قدر كافٍ من الراحة النفسية، فكيف تؤدي احتفالات "شايب عاشوراء" في منطقة وادي سوف؟

كما بينا فيما سبق كان الرجال يقومون بتمثيلات "شايب عاشوراء"، وتؤدي شايب عاشوراء في مكان مخصص لإقامة الاحتفالات يسمى (الحُوَيْطَة) في منطقة سوف، حيث يجتمع جمع غفير من المتفرجين يكون الرجال في جهة، والنساء في جهة مقابلة، يباشرون احتفالهم على إيقاع البندير، أما الممثلين فيختفون عن أنظار الناس ويتفاهمون فيما بينهم عن موضوع الفرجة ويتقاسمون الأدوار<sup>1</sup>. تتنوع موضوعات "شايب عاشوراء" لكنها تتحد في مضمونها، فهي تؤدي وظيفة اجتماعية غرضها الظاهر إمتاع الجمهور، وتمرير رسائل مبطنة بغرض إصلاح المجتمع، فهي تكشف عن هموم المجتمع على شكل درامي بأسلوب هزلي، أما الشخصيات الرئيسية فهي كالتالي: "شايب عاشوراء" رمز الخير، "الصَّيْد" رمز الشر، و"الشَّابَّة" ويطلق عليها أيضاً "وَرِيْدَة"، وقد تضاف شخصيات أخرى كشخصية "القُرْطُ" التي نجدها في إحدى الممارسات<sup>2</sup>.

يؤدي شخصية شايب عاشوراء، رجلاً يكون في الأغلب متزوجاً، يدخل إلى الحلقة ملثماً، وهو يرتدي برنوساً أو "عباءة بيضاء تُسمى "القِدْوَارَة" ويبرز الطربوش فوق رأسه بحيث يظهر شكل رأسه ضخماً، أو قد يعلق قروناً على رأسه، أو يربط نعليه فوق رأسه وتصبح على شكل قرون، كما أنه يمكن أن تُخبأ قرون أضحية العيد لأداء هذا الغرض، إذا ارتدى "شايب عاشوراء" "قدوارة" فإنه لا

<sup>1</sup>الرواة: أحمد نصيرة، 67 سنة، 10-10-2023، وادي سوف، وبشير كازوز، 70 سنة، 05-02-2021، وادي سوف.

<sup>2</sup>الراوي نفسه.

يلبس سروالا بحيث العضو الذكري يبقى يتأرجح، وهو يقفز ويضرب الأرض بعصاه التي يتكئ عليها، يتفاعل الجمهور مع "شايب عاشوراء" فيصدرون أهازيج تزيد من حماسه كأن يقولون:

شَايِبْ عَاشُورَاءِ حَنَّى

هَزُّ الكَاسِ وَغَنَّى

ثم تأتي شخصية "الشَّابَّة" (وَرِيْدَة)، حيث يرتدي رجل ملثم زي امرأة تلبس الحُولِي الرَّيِّ التقليدي للمرأة السُّوفِيَّة، تدخل ترقص على أنغام المزمارة والبندير، وتصفيقات وأهازيج الحاضرين، تتبادل النظرات والرقص مع شايب عاشوراء، كما أنه في كل مرة يلاحقها جريا كي يحصل عليها، يقول الجمهور: "هذي الشَّابَّة تاع شايب عاشوراء"\*، لكنهم يلمحون رجلا آخر ملثما ويرتدي قناعا مخيفا يحمل لقب "الصَّيْد" (الأسد) يستطيع بفطنته أن يقنع "وريدة" بالذهاب معه، فيحملها فوق ظهره هاربا، لكن "شايب عاشوراء" يلحق بالصيد، ويسدد عليه بعصاه وكأنها طلقات رصاص، فيقع الصيد طريح الأرض ويموت، يخطف شايب عاشوراء "وَرِيْدَة" و يحملها ثم يطوف بها الحلقة فرحا ملهوبا وهو يقول "يَا وَرِيْدَتِي"، يزيد حماس الجمهور وتتعالى أصوات الضحك والهتافات، ومن حين لآخر يرددون<sup>1</sup>:

يَا شَايِبْ وَاللَّحِيَّةِ عُرَّة

يَا شَايِبْ أَعْطِينَا حَرًّا

يَا شَايِبْ كَثَّرْ خَيْرِكْ\*\*

يَا شَايِبْ هَزُّ نَرَابِيْلِكْ

بعدما يشعل الجمهور الحلقة بالغناء والضرب على البندير، وهم يرددون: "لآلَة وَرِيْدَة سَعْدِي بِيهَا"\*\*\*، تدخل شخصية أخرى إلى الحلقة متمثلة في رجل يرتدي قناعا، يخفي داخله "الشُّبْرِيَّة"\*\*\*\* فيها ماء، تلعب هذه الشخصية دورة امرأة حامل في شهرها التاسع، وما إن تقترب من النساء حتى تبدأ في الصراخ والعيول من ألم المخاض، وتستنجد النساء قائلة: "هَيَالِي يَا

\* هذه زوجة شايب عاشوراء.

<sup>1</sup>لقاء مع الراوية مبروكة عزوز، 24-01-2024، 81 سنة، وادي سوف.

\*\*يا شيخ مر بنا يا شيخ واللحية بيضاء

يا شيخ احمل ثيابك يا شيخ الله يكثر صنائع معروفك

\*\*\*يا سيدة وريدة ويا فرحتي بها.

\*\*\*\*الشُّبْرِيَّة: في اللهجة السوفية، قلة متوسطة الحجم إلى صغيرة يوضع فيها السمن.

وَحَيْتِي، يَا رَبِّي يَا رَبِّي جَتَّ الْعَجُولَةَ جَتَّ الْعَجُولَةَ\*\*\*\*، وما إن تقترب إليها امرأة حتى ترشها بالماء ضاحكة، أو قد تصرخ شخصية المرأة الحامل، ثم تبدأ في ضرب بطنها حتى يخرج الطفل من تحتها، وفي الحقيقة شخصية شايب عاشوراء هي التي تخرج من تحتها<sup>1</sup>.

ومن المشاهد الهزلية في شايب عاشوراء:

يتقمص رجل شخصية شايب عاشوراء، ورجل آخر شخصية زوجته "وريدة"، وطفل صغير يؤدي دور ابنهم "الفرط"، ينزلون من الصحراء إلى البلد(المدينة) لأجل علاج ابنهم "الفرط" الذي أصابه مرض، يتيهون في الأمكنة ولا يجدون سبيلا يوصلهم إلى المستشفى، ينزعج "شايب عاشوراء" من هذا الوضع، ويزداد توتره، ثم يتعارك مع "وريدة" في السوق؛ لأنه لم يُصلِّ ولم يتلو أوراده، فيقول لها: "مَا صَلَّيْتُ مَا ذَكَرْتُ وَلِدْكَ مَاتَ وَلَا حَيِّي خَلِينَا يَرْحَمُ وَالِدِيكَ\*\*"، ثم يفرش السجادة ويصلي، ويبدأ في الذكر، حيث السبحة تكون خيطا مربوطا عليها جُلَّةُ الجمل وهو يردد: "نَكْرِطُ بِلْ فِطِيرْ، نَكْرِطُ بِلْ فِطِيرْ\*\*"، فيتفجر الجمهور ضاحكا<sup>2</sup>، وقد يتلاعب شايب بالألفاظ ويخترق بعض التعليمات الدينية كأن يقول لمن سأله عن الصلاة: "في الشتاء لا بالتيم ولا بالماء"<sup>3</sup>.

وكما ذكرنا مع مرور الوقت توقف الرجال عن ممارسة "شايب عاشوراء" فاحتضنتها النساء اللاتي لم يستغنين عن إحياء احتفالية عاشوراء حتى الوقت الحالي، فقد تتقمص امرأة شخصية شايب عاشوراء وابنه، فتلبس قناع رجل ذي لحية طويلة من ليف النخيل، وترتدي برونسا، ويدار حوار بين الشايب والابن كما تخبرنا الراوية<sup>4</sup>:

الابن: يَا شَايْبُ خُوذْ عَزُورًا

الشايب: لِعَجُورَةَ وَجَهْ لِيَهُودِي مَا تَلْبَسِشْ فِي لُبْرُودِي، يَا وَلِيدِي مِنْهَا بَرَانًا

\*\*\*\*تعالى يا أختي، تعالى، يا ربي يا ربي سألد، سألد.

<sup>1</sup> الراوي أحمد نصيرة، والرواية ربح مصباحي، والرواية وريدة بيات.

\* لَمْ أُصَلِّ وَلَمْ أَتَلُوْ أُوْرَادِي، ابْنِكَ مَاتَ أَوْ حَيَا، اتركينا يرحم والديك.

\*\* أتناول فطور الصباح بخبز الفطير.

<sup>2</sup> الراوي أحمد نصيرة، المصدر السابق.

<sup>3</sup> أحمد زغب، عمود الدخان، رواسب الآخر في ثقافتنا الشعبية، دار الثقافة، ولاية الوادي، ط1، 2015، ص66.

<sup>4</sup> الراوية وريدة بيات، المصدر السابق.

الابن: يَا شَايِبُ خُوذْ الْهَجَالَهٗ

الشَّايِب: يَا وُلَيْدِي مِنْهَا بُرَانَا

الابن: يَا شَايِبُ خُوذْ صَبِيهٗ

الشَّايِب: يَا وُلَيْدِي مَا ذَبِيَا

وومباعد يُطَيِّشُ شايِب عاشوراء عكازه، ويلحق البنت الصَّبِيهٗ، وهو يرقص ويهز في فدواته وتبان حوايجَه ويحَضَّنُهَا\*.

قد تؤدي الفرجة امرأة جريئة، أو حياتها تعيسة، تريد أن تمثل حياتها تحت ضوء القمر-إذا سمح الموسم بذلك- وهكذا تظن أنها تخلصت من وكس حياتها، حيث تختار امرأة لتلعب دور زوجها القاسي، وتحكي لها عن معاناتها معه بالتفصيل، مثلا تُخبرها عن طقوس الأكل التي كثيرا ما يخربها الزوج بقلب مائدة الأكل، وعن معاناتها في جانب حياتهم الجنسية، وغيرها من الأمور المهمة التي تتكد لها حياتها، ثم تتقدم الشخصيتان أمام الجمهور، وتقدمان عرضهما المتفق عليه، وفي كل مرة تردد النساء الأهازيج:

يَا شَايِبُ يَا شَايِبُ شَايِبُ

يَا شَايِبُ وَلُحْيَا عُرَّةٗ

يَا شَايِبُ أَعْطِينَا حَرَآ

يَا شَايِبُ كَثْرُ حَيْرِكُ

يَا شَايِبُ هَزْ دُرَابِيْلِكُ

يَا شَايِبُ مَا تُجِيبُ الضَّرَّةٗ

يَا شَايِبُ أَعْطِينَا حَرَآ

وبعد تتجه المرأة إلى القمر، ثم تبدأ مخاطبته بصوت حزين وتؤدي أغنية "يَا قَمْرَةَ يَا وَقَادَةَ وَالغَالِي وَيْنُ بِلَادِهِ"<sup>1</sup>، وهكذا تحس المرأة أنها أفرغت كل المشاعر السلبية التي بداخلها. يعتقد

\*الابن: يا شايِب تزوج عجوز

الشَّايِب: العجوز وجه اليهودي، لا تلبس في البرد، يا ابني لا نريدها

الابن: يا أبي تزوج المطلقة

الشَّايِب: يا ابني لا نريدها

الابن: يا أبي تزوج البكرة

الشَّايِب: يا ولدي هذا ما أريده

ثم يرمي عكازه، ويلحق البنت البكر ويرقص ويهز ملابسه لتبرز أعضاؤه الجنسية ويحتضنها.

<sup>1</sup>الراويَة عُرُوذ مبروكة، المصدر السابق.

الأهالي أن هذا الاحتفال يحضره "الصَّلَاحُ"(الْحَرَس) فيسمعون شكاوى الناس في أمل أن يخففوا من معاناتهم<sup>1</sup>، إذا تمثيلات "شايب عاشوراء" تشبه المحكمة يلعب الصلاح فيها دور القاضي.

#### 5- مستحبات عاشوراء

يعتقد الأهالي في منطقة وادي سوف، أن هناك أعمالاً نافعة يستحب ممارستها في عاشوراء من ذلك:

بعد العودة من الاحتفال تقوم ربة البيت بملء قلب الرّحى بالقمح والشّعير إذ يعتقدون أنه يجب أن لا تبقى الرّحى فارغة ليلة العاشر من محرم\*. أما صبيحة اليوم العاشر من محرم فتصنع النساء ما يعرف بـ "جَبَاسَة عاشوراء"<sup>\*\*</sup>، أو "زَبَاسَة عاشوراء" ويتم تجهيزها حسب ما أخبرتنا الرواية<sup>2</sup>: "يَجْبِيلِي بَايَا ثَرِشَة نَمْلِيهَا فِي الْعَافِيَة تَاغْ عَاشُورَاء، وَفِي اللَّيْلِ نَمْلِي الرّحَى بِالْقَمَحِ وَالشّعير، فِي الصَّبَاحِ نَرِحِي هَاكُ الْقَمَحِ وَالشّعير وَنَعَجْنَهُ نَدِيرَهُ خَبِيرَاتٍ صَغِيرَةً، وَهَاكُ الْجَبَسِ نُهُرَسَهُ وَنَعَجْنَهُ بِالماءِ وَنَدِيرَهُ خَبِيرَاتٍ، وَمَنْ بَاعِدُ خَبِيرَاتِ الْجَبَاسَة نُدِيرُوهَا فِي الشّعير، وَخَبِيرَاتٍ لُخْدَمَتَهَا بِالْقَمَحِ وَالشّعير نُدِيرُوهَا فِي الْقَمَحِ فِي دَارٍ (الْحَابِيَة وَلَا فِي الْغُرَارَة<sup>\*\*\*</sup>)، حَتَّى بَاشِ الصَّلَاحِ"

<sup>1</sup>الرواية الحاج أحمد مبروكة، 82 سنة، 20-02-2023، وادي سوف.

\* ينظر: فهرست الصور (صوّر رقم 10، ج-).

\*\* ينظر: فهرست الصور (صوّر رقم 10، ب).

<sup>2</sup>الرواية زهرة صوالح، المصدر السابق.

\*\*\* الحَابِيَة: (ج. خوابي) وهي نوع من الخزانات المدورة المبنية من الجبس السوفي في الغرفة التي تستعمل مخزناً، إلى جانب الخزان تبنى بلاطة يصعد عليها من يريد أن يأخذ حاجته من التمر بواسطة قرن غزال أو قرن ماعز. ج. كوفي، غراسة النخيل في سوف مذكرات 1900-1901، تر: عبد القادر ميهي، دار الثقافة، الوادي، ط1، 2013، ص50/. (ينظر: فهرست الصور: صور رقم 11، أ-، ب-)/الغُرَارَة: أكياس كبيرة من الوبر وشعر الماعز، الأصل فيها خاصة بجمولة الجمل.

مَا تَحَارِبُهُاشْ" وتحضر البركة"<sup>\*</sup>، وتضيف الراوية<sup>1</sup> بقولها: "نُعَلِّقُو زِبَاسَةَ تَاعَ عَاشُورَاءَ فِي الْحَيْطِ مَعَ الْفَلِّلِ لَحْمَرٍ بَاشْ طَيْرِ الْعَيْنِ"<sup>\*\*</sup>.

ومن الأعمال التي يُسْتَحَب ممارستها في عاشوراء، تجديد البيوت بكنسها وتغيير كل ما هو بال وقديم، وإحراق البخور أو "الطُلوْف"<sup>\*\*\*</sup>، ورش المنزل بالحناء رمز البركة، وفي بعض المناطق التي تعتبر عاشوراء مناسبة فرح، فإن النساء يتزيّن بمشط شعورهن، وهذه مناسبة جيدة لمن ترغب في إطالة شعرها، من ذلك تعدد الفتيات إلى قص شعورهن، وأيضاً يفضل وضع كحل العينين والسواك والحنة ليلة الاحتفال، وهناك طقس تمارسه النساء كثيراً ليلة عاشوراء، يُعرف بمنطقة سوف تحت اسم "وعدة عاشوراء" فكل من استعصى عليها أمر، أو تأخر عليها حدوث شيء تُريده، تستغل مناسبة عاشوراء، وتذّر بنذر في حال تحققت أمنيتها، كأن تقول مثلاً: "يا مِيمِتي عَاشُورَاءَ نُوْعِدُكَ نِحْتَقِلُّ كُلَّ عَامٍ بَعَاشُورَاءَ فِي حُوشِي"<sup>\*\*\*\*2</sup>، وهناك العديد من الروايات ترددها نساء المنطقة تثبت نجاعة هذا الطقس، وحسب اعتقادهن هذا ما يبرر استمراريته إلى الآن، فقد أخبرتني امرأة<sup>3</sup> أنها كانت تعاني من مشكلة تأخر الإنجاب، وكانت تتردد كثيراً على الطب الرسمي الذي فشل في إيجاد علاج لتأخر حملها حسب ما تزعم، فلجأت إلى طقس "وعدة عاشوراء" فتحقق لها المطلوب وأنجبت بنتاً، وفي العام الثاني أعادت ممارسة طقس "وعدة عاشوراء" بنية إنجاب ولد فكان لها ذلك، وفي العام الثالث مارست الطقس بنية حصولها على بيت وبالفعل حصل لها المراد، وفي كل مرة توعد عاشوراء بأنها ستلتزم بإحياء هذه المناسبة كل عام مادامت حية، وقد أخبرني

<sup>\*</sup> يحضر لي أبي حجرة جبس من الصحراء، أضعها تحت الموقد الذي أظهي عليه عشاء عاشوراء، وفي الليل أملاً الرحي بالقمح والشعير، وفي الصباح أقوم بطحن الشعير والقمح، ثم أعجن الخليط وأصنعه على شكل فطائر صغيرة=وأهرس حجرة الجبس حتى تصبح مثل الدقيق، ثم أعجنها بالماء وأصنعها على شكل فطائر، وأضعها في المكان الذي يخبأ فيه الشعير، أما فطائر القمح والشعير فأضعها في المكان الذي يخبأ فيه القمح في غرفة "الخابية"، أو أضعها في الأكياس، هكذا حتى لا يستطيع الحرس لمسها، كما أنها تزكي الحبوب فلا تنفذ بسرعة.<sup>1</sup> الراوية زهرة بن لخضر كرطي، المصدر السابق.

<sup>\*\*</sup> تُعَلِّقُ الْجِبَاسَةَ وَالْفَلِّلَ الْأَحْمَرَ فِي حَائِطِ الْمَنْزِلِ لَطَرْدِ الْعَيْنِ الشَّرِيرَةِ.

<sup>\*\*\*</sup> ينظر: فهرست الصور (الصورة رقم 06).

<sup>\*\*\*\*</sup> يا أمي عاشوراء، أعدك أن أحتفل كل سنة بمناسبة عاشوراء في منزلي.

<sup>1</sup> الراوية وريدة بيات، 03-01-2024، 75 سنة، وادي سوف.

<sup>3</sup> لقاء مع الراوية زهيرة فرحات، 25-10-2023، 80 سنة، وادي سوف.

رجل<sup>1</sup> بأنه في صغره حسب ما تروي له أمه أصابه مرض عضال، فمارست أمه طقس "وعدة عاشورا"، ووعدت عاشوراء بأنها ستذبح دجاجة كل عام في هذه المناسبة، إذا شفي ابنها، وقد أخبرني أنها التزمت بوعدها لعاشوراء إلى أن توفتها المنية.

#### 6-محرمات عاشوراء

كما أن هناك أموراً يفضل تجنبها ليالي الاحتفال بعاشوراء، وتعرف محلياً "بَطَائِلُ عَاشُورَاءٍ" ومن الممنوعات حسب ما تخبرنا الراوية<sup>2</sup>: "مَا يَغْرُؤُشُ وَمَا يَكْرِدُشُوشُ و مَا يَنْسُجُوشُ سَبْعَةَ وَثَمْنِيَةَ وَتِسْعَةَ وَعَشْرَةَ و كَانَ خِدْمَتُ تُوَجَّعَهَا يَدَهَا"<sup>\*</sup> وتضيف الراوية<sup>3</sup> "مَا يِعْرُقُوشُ لَارِضُ، وَمَا يَضْرِبُوهَاشُ، وَمَا يَبْنُوشُ، وَالْحَطَّابُ مَا يَخْدِمُشُ عَشَائِهَا أَعْيَادُ فِضِيلَةَ مَا تَزْعَزِعُشُ فِيهَا الْآرِضُ"<sup>\*\*</sup>، وتخبرنا الراوية<sup>4</sup> عن ممنوعات أخرى، إذ تقول: "مَا نَخْدُمُوشُ بِالرَّحَى فِي عَاشُورَاءِ، وَمَا نَخَيْطُوشُ، وَآلِي ثَحَارِبِ إِبْرَةَ تُشَدُّهَا الرَّعْشَةَ كِي تَكْبُرُ، وَمَا نَقْصُوشُ ضَفَارَتَا لَيْلَةَ عَاشُورَاءِ، وَمَا نَهْزُوشُ رَمَادَ الْعَافِيَةِ بَاشُ مَا نِسْتَأْدُوشُ، وَمَا نِدْعُوشُ بِالشَّرِّ عَشَائِهَا الدَّعْوَةَ مُسْتَجَابَةً فِي الْعَوَاشِرِ"<sup>\*\*\*</sup> لذلك نجد الأدعية تلازمها صيغة "بُرْكَةَ هَا الْعَوَاشِيرِ"<sup>\*\*\*\*</sup>، وتخبرنا الراوية<sup>5</sup>: "فِي الصَّبَاحِ فِي الْيَوْمِ التَّاسِعِ، كِي نَبْدُو نَضْفُو فِي الحُوشِ، كِي يَدْخُلُ مَوْلَا بَيْتِي هَازُ الْمَجَارِيحِ نَحْبَسُوا الْقَضِيَةَ كُلَّ حَتَّانِ الْيَلِ،

<sup>1</sup> لقاء مع الراوي عون الله لخضر، 50 سنة، 15-03-2022، وادي سوف.

<sup>2</sup> الراوية زهرة صوالح، المصدر السابق.

<sup>\*</sup> تبدأ الممنوعات من اليوم السابع حتى اليوم العاشر من محرم، وفي هذه الأيام يمنع لمس المنسج أو غسل الصوف، والتي تعمل في هاته الأيام يصيبها ألم في يدها.

<sup>3</sup> الراوية زهرة بن لخضر كرطي، المصدر السابق.

<sup>\*\*</sup> يمنع عرق الأرض، أو ضربها وأيضاً يمنع البناء في هذه الأيام، كما يمتنع الحطاب عن الحطابة، لأنها عياد فضيلة لا يجب أن تززع فيها الأرض.

<sup>4</sup> الراوية عامرة مريم، 91 سنة، 17-11-2023، وادي سوف.

<sup>\*\*\*</sup> يمنع العمل بالرحى في هذه الأيام، ولا يصلح الخياطة في ليالي عاشوراء، فالتى تسول لها نفسها وتخيظ أو حتى تحمل الإبرة فسيصيبها مرض الرعشة حين تكبر، كما يُمنع في هذه الأيام قص الأظافر خاصة في ليلة العاشر من محرم كما يمنع رفع الرماد في البيوت خوفاً من الأذى الذي قد يصيبهم به حرس البيت، وفي هذه الليالي لا يحبذ الدعاء بالشر؛ لأن الدعاء مستجاب في عاشوراء.

<sup>\*\*\*\*</sup> ببركة هذه العواشير.

<sup>5</sup> الراوية ربح مصباحي، المصدر السابق.

نَحْرُنُوا عَلَى الْحُسَيْنِ\*، فالفكرة أنه لما يدخل اللحم إلى البيت يجب التوقف عن ممارسة كل الأعمال المنزلية وتوَجَّل إلى الليل، وأما في بعض المناطق يُمنع على النساء التزين مثل وضع الكحل والحناء في هذه الليالي.

بعد الجمع الميداني بمنطقة وادي سوف نسجل عدة ملاحظات:

بصفتي فرد في هذا المجتمع يبدو لي جليا التغير الذي مسَّ احتفال عاشوراء مقارنة مع كلام الموردين الذين أثبتوا أهمية طقوس عاشوراء، وعظيم أثرها إذا مُرست جميعها كما أوردناها، كما نلاحظ أن هذا التغير متباين بين المناطق، ففي المناطق البدوية يبدو أقل من المناطق الحضرية. ففي المناطق الحضرية تقلصت المدة الزمنية فأصبح يحتفل بعاشوراء ليلة العاشر من محرم فقط، مع غياب شبه تام للممارسات القديمة، فنجدهم يتجمعون في أحد البيوت أو الأحياء ويتناولون ما لذا وطاب من المأكولات والحلويات العصرية، ولا يخوضون في أي موضوع اجتماعي أو ديني كما عهد أجدادنا السابقون، وأما جميع الممارسات الأخرى فلا نلمح لها أثرا، وعند سؤالنا عن مناسبة هذا الاحتفال الحديث، يجيب مخبرونا بأنها أصبحت مناسبة للترويح عن النفس، كما لاحظنا أيضا أن احتفال عاشوراء أصبح محطة تجارية يروج فيها التجار لسلعتهم، وعند حضوري لاحتفال عاشوراء في المناطق البدوية وجدت بعض الطقوس ما زالت تُمارس كما في السابق كطقس "ارفع لوكاس" و "عشاء عاشوراء" وأيضا طقس "وعدة عاشوراء"، وهناك بعض الطقوس التي استغنى عنها الأهالي مثل: شايب عاشوراء، وكما في المناطق الحضرية فإن احتفالات عاشوراء أصبحت حكرا على النساء والأطفال فقط.

#### ثانيا: احتفالات عاشوراء في منطقة القبائل

في حقيقة الأمر لم تكن لنا دراسة ميدانية في منطقة القبائل على تراث عاشوراء القبائلي، بل اكتفينا بما هو مبثوث في بعض الكتب لدارسين أنثربولوجيين فرنسيين عاشوا في الجزائر، والدراسات الأكاديمية الشحيحة جدا التي أشارت إلى احتفالات عاشوراء عند مجتمع الدراسة،

\*في صباح اليوم التاسع من محرم، حينما نكون منشغلين بأمر البيت، حين يدخل زوجي حامل اللحم نتوقف عن ممارسة كل الأعمال المنزلية وتوَجَّل إلى الليل حزنا على الحسين.

وبعض المعلومات التي نقلتها إلينا الزميلات من عند الكبار الذين بمنطقة القبائل، وفيما يلي سنرصد ما تحصل عليه بحثنا.

إن كلمة عاشوراء (ashura) صيغتها القبائلية "تعاشورث" (ta'ashurt) والصيغة المستخدمة في "زكار" (zekkar) و"الونشريس" (l'ouarsenis) "لعواشر" (l'awasher) مأخوذة من الجذر A-SHR "عشرة، ويقع هذا العيد في حقيقة الأمر في العاشر من شهر محرم الذي يصادف دفع الزكاة "العشور" التي يدين بها جميع المسلمين لله وللأعمال الدينية وللفقراء، وهناك اعتقاد شعبي أيضا بمثابة دعاء بأن يرحم الله في هذا اليوم الأنبياء العشرة الذين خلفوا بعضا منذ آدم. تعتبر عاشوراء في الأرياف احتفالا عائليا مليئا بطقوس الحداد، وصارت في المدن احتفالا صاخبا للأطفال، الذين يرتدون ملابس احتفالية، وقد احمرت أيديهم بالحناء<sup>1</sup>.

يمتتع الفلاحون في منطقة القبائل الكبرى، طوال شهر محرم من جميع الاحتفالات العائلية مثل الختان والزواج، ويستمر عيد عاشوراء ثلاث أيام، في اليوم السابق له، ويوم حدوثه، واليوم الذي يليه، ويتضمن العيد وجبتين: وجبة العشاء الصغير imensi amejtuh أو imensi ووجبة العشاء الكبير imensi amoqqran فقط، هذا الأخير الذي يشمل بصفة خاصة أطباق المناسبة، مثل الفطائر (إحدورن ihedduren) ولحم خروف عيد الأضحى المحفوظ المجفف<sup>2</sup>.

تأتي هذه الوجبة الأخيرة في نهاية يوم من الصيام، الذي يعلق عليه الفلاحون الأتقياء في هذه المنطقة كل أنواع المزايا، حيث يمثل هذا اليوم من عاشوراء عند الله مائة عام من صلاة لمن يحترمونه، ويجب احترام المحظورات من اليوم السابق: وجوب الطهارة الجنسية للجميع، وبالنسبة للنساء يحظر عليهن خضب أيديهن بالحناء، والتزين ونسج الصوف وخياطة الملابس وطحن الحبوب، وعدم لمس القمامة وغسل الملابس والعمل في الحقول، وجمع الحطب كما يمنع على كل أفراد الأسرة النوم في النهار. وفي يوم عاشوراء يمر الأطفال الصغار في شوارع القرى حاملين عصا طويلة في أيديهم، وهم ينشدون أغنية دينية ذات أدعية ملتسمين منها العطايا:

<sup>1</sup>Gean Servier:Tradition et civilisation Berberer.éditions du Rocher.p410.

<sup>2</sup>. Ibid: p410

أمي يا أمي عاشوراء

أعطيني قليلا من الفطائر(الرقائق)

ليحفظ الله صغيرك

ليجني لك الزيتون

بالقرب من البيت

ويغني أطفال قرية "آيت هشام" بجبال القبائل:

أمي العجوز، عجوز الجنة

أعطينا قطعة لحم قبل أن نموت<sup>1</sup>

ويغني أطفال قرية "آيت عيسي" بمنطقة القبائل ذاتها:

أمي أمي "دور دور"

أعطينا قليلا من الرقائق

رزقك الله بمولود ذكر

ويعد أن يتم الأطفال تجوالهم في القرية يجتمعون في الجامع ليتقاسموا ما جمعوه، من اللحم والبيض وفطائر الرقاق (إسمين)، ويتم إعطاء البيض بشكل خاص من قبل النساء الراغبات في إنجاب الأطفال. في منطقة القبائل الوسطى ب "إعكورن" توضع الاطباق المحضرة بساحة القرية للأطفال والمارة. وتحضر القرى ما يسمى "لوزيعة" أي الذبيحة أو الأضحية الجماعية التي يتم شراؤها بتبرعات تطوعية من حبوب أو أموال شارك فيها كل أفراد القرية، وهذا لتكون الرغبات التي طلبت في مقام "سيدي عزوز" محققة خلال العام، يذهب الزوار إلى مقام الولي ليقدموا له ذبائح الخرفان المنذورة له، أو يضعوا قطعا من القماش على "الطربوش".

ويمثل هذا اليوم كما رأينا يوم صيام المتقين، ويحضر في المساء عشاء يجمع كل أفراد الأسرة ويتكون هذا العشاء من الكسكسي ونوع من الخرشوف الطازج (تغديوث taghddiut) لدى سكان آيت هشام أو الفول لدى سكان "آيت يني"، وذييل خروف عيد الأضحى المجفف. وفي اليوم

---

<sup>1</sup>Gean Servie: op.cit, p411.

التالي لعيد عاشوراء، يقوم الناس بزيارة بعضهم البعض، وتذهب النساء لزيارة أضرحة الأولياء، وإلى الأحجار التي تقيم فيها الأرواح، إنهن يزيّن القبور والأضرحة بملابس الحداد، فهن بملابس أنيقة لكن دون كحل "تزلت" على العيون، ولا حمر "أوغسيم" (جذر الجوز) على الشفاه، يأخذن معهن فطيرة خبز مع تين مجفف ويأكلن قليلا منها على القبور، أو في الأضرحة ويتركن منها بقايا كنصيب للأرواح والمتسولين وعابري سبيل<sup>1</sup>، وفي كثير من القرى يقام كرنفال حقيقي، يقود موكبه شخصية ملثمة غالبا ما تكون مغطاة بجلود الحيوانات، وأحيانا راكبة حمارا من يسمى بوجلود، أو بوعيف، وتستقبله الصيحات: "عيردا" (الأسد)، في أغلب الأحيان يستمر هذا المهرجان سبعة أيام، حيث يكون هناك القليل من العمل<sup>2</sup>.

وفي قرية "الشرفاء" بتيزي وزو يذبح الأهالي عددا من الثيران وتُسمى هذه العادة "لوزيعة" ويوزعونها على الأهالي\*، وفي قرية "جمعة السحارج"، يجتمع الأولاد ويحضرون دمية تصنع من القصب يطلق عليها اسم "سيدي عاشوراء" يطوفون بها الشوارع والبيوت، وهم يرددون: تَمَلَّتْ أبو عَفير أَسْرُدي تَغ سِينُ" أي "يا بيضة أبو عفير قدموا لنا دينارا أو دينارين"، ليقدّم لهم الأهالي نقودا وبعض الهدايا الأخرى كالبيض والسكر والتين المجفف والفطائر، وحين العودة إلى ساحة القرية يتشاركون في أكل ما جمعوا وكلهم بهجة وسرور<sup>3</sup>، ولقد اعتاد "كتاميو إيكجان" في سطيف استقبال يوم عاشوراء في أجواء من البهجة والسرور، ومن الطقوس الشعبية المشهورة للاحتفاء بعاشوراء أن يتطوع رجل لتقمص شخصية شخص يرتدي ثيابا رثة وهو مطلي الوجه، بالرماد على هيئة مهرج الأطفال، ويدعى محليا "بوقلول" يلتف الأطفال حوله، ليبدأ الموكب بالطواف على منازل القرية وهم يرددون أغنية خاصة:

جيت نطلب عاشوراء في الليل

خرجت لي لالة كي الرويشة دي التليل

<sup>1</sup> Jean Servier: op.cit, P412

<sup>2</sup> Camille Lacoste-Dujardin: Dictionnaire de la culture berbère en kabylie, p21

\* ينظر: فهرست الصور (صوّر رقم 05، -أ).

<sup>3</sup> ينظر: نبيل حويلي، منظومة الأسطورة في منطقة القبائل -دراسة أنثربولوجية-، أطروحة لمناقشة شهادة الدكتوراه، جامعة مولود معمري -تيزي وزو - 06-10-2016، ص49.

لالة وأزرب لي النهار طلع علي  
أنا داري دار الشط والدورة دارت بيّ  
أعطيني قديد العيد باه يعيشلك لوحيد  
ألالة يا امرأة الكبير محزمة بحزام حرير  
أعطيني قمح الشتلة وما تعطينيش الشعير

ويتم خلاله جمع العطايا من الدقيق واللحم المجفف وبعض مواد الطهو، وفي صبيحة يوم عاشوراء تتطوع بعض النسوة لتحضير طعام خاص بالمناسبة من المواد التي تم جمعها ويدعى إلى مائدتها الكبار والصغار<sup>1</sup>.

وتحدثنا الراوية<sup>2</sup> عن احتفال عاشوراء في قرية "بوزقان" بتيزي وزو، حيث يبدأ الأهالي التحضيرات لعاشوراء من يوم عيد الأضحى، حين يتركون جزءا من كتف خروف العيد ثم يجففونه ليصبح "قديد"، ويطبخون به عشاء "عاشوراء"، وقديما كان رب الأسرة يستدعي بناته المتزوجات لوجبة عشاء عاشوراء، ومن المأكولات المشهورة قديما في المنطقة "المسفوف" حيث كانوا يصنعونه بالفول الأخضر، وأيضا "أشباط، إمسمن، ثيغرفين"، ويعتقد الأهالي أن الزكاة واجبة في عاشوراء لأنها؛ مفروضة من الله سبحانه وتعالى.

ويُمارس أهالي دشرة "آيت أوالحاج" بتيزي وزو طقس زيارة مقام "آيت أوالحاج" والتبركبه، حيث يقصد الناس المقام في عاشوراء، ويفضل أن يرتدون ألبسة جديدة، حاملين معهم صدقات قد تكون على شكل قطعة قماش يُغطي به الضريح أو مال أو كسكسي، أو سميد... الخ، وحين يذهب الناس لزيارة المقام يجدون هنالك شيوخا يقدمون لهم الصدقات (الوعدة)، وفي المقابل

<sup>1</sup> ينظر: رضا بن النية، الموروث اللامادي للإسماعيلي في مجال كتامة الدعوة قاعدة إيكجان وأحوازها أنموذجا، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد الثامن العدد الثالث، جوان 2023، ص532-533.

<sup>2</sup> الراوية فطيمة عزوق، 87 سنة، قرية حورة، بلدية بوزقان، تيزي وزو، يوم 1-10-2024. ينظر: التسجيل الصوتي رقم: (6).

\* هناك أسطورة مؤسسة لمقام "آيت أوالحاج" يردها أهالي المنطقة، حيث يعتقدون أن الصندوق الموجود داخل المقام، أتت به قديما أنثى الحمار، ربما تكون مبعوثة من عند الله سبحانه وتعالى، ومن ثمة اتخذها الناس وجهة وحددوا لها وقت للزيارة، وحين سألنا الراوية عن الشيء الموجود داخل الصندوق، أجابت بأنه لا يمكن لأحد أن يعرف، وقد حاول بعض الرجال قديما نقل الصندوق لكنهم أصيبوا بالسوء حيث سقطوا أرضا. وبالتالي بقي في مكانه يتردد عليه الناس في عاشوراء. ينظر: التسجيل الصوتي رقم (9).

يدعون للنّاس بالخير وتحقيق أمنياتهم، وفي المقام يمارس النّاس "وعدة" كبيرة بالكسكي واللحم، يأكل منها جميع الحاضرين لنيل البركة<sup>1</sup>.

وبعد عرض الجانب الاثنوغرافي لاحتفالات عاشوراء في منطقتي الدراسة نلاحظ أنه وعلى الرغم من التّشابه الحاصل في العديد من الممارسات، إلا أنه في منطقة "وادي سوف" الأهالي يولون اهتماماً أكثر لهذا الاحتفال، كما نلاحظ أن مظاهر الاحتفالات في المنطقتين هي مزيج بين الفرح والحزن، فالإلام يعود هذا الاختلاف وعلى ما يدل هذا التّشابه؟ أكيد إن وراء هذه الممارسات دواعٍ تذكّر، نحاول إبرازها من خلال البحث في الرموز والطقوس.

### المبحث الثاني: اثنولوجيا احتفالات عاشوراء في منطقتي وادي سوف والقبائل

سنهتم في هذا المبحث بتحليل الطقوس الممارسة في المنطقتين، ونفهم دلالة الأدوات المستعملة في هذه الممارسات، وبمزيد من التفصيل نبرز التّشابه والاختلاف ومواطن التداخل في تراث عاشوراء بين منطقة وادي سوف وبلاد القبائل، ومن ثم نعبّر إلى المرجعيات الدينية والاجتماعية للاحتفاء بهذه المناسبة عند مجتمع الدراسة. سنصف هذه الطقوس وفق ما تقرضه علينا مدونة البحث، ثم نحاول تحليلها تحت عنوان عريض يشمل معاني الطقوس ورموزها.

### أولاً: طقوس ولادة العالم في احتفالات عاشوراء

عاشوراء باعتباره مطلع السنة الهجرية، أي بداية السنة الإسلامية الجديدة، فيها يحرص النّاس على القيام بكل الأعمال التي يعتقد أنها تؤثر على السنة بأكملها، وكما جرت العادة في السنة الفلاحية (يناير) فإن هذه الاحتفالات الممارسة في منطقتي الدراسة "وادي سوف والقبائل" تُودع سنة انتهت، وتُساهم في ولادة سنة جديدة، لذلك نجد عدة عناصر مشتركة في هذين الاحتفالين "القمرى والشمسى" كعادة تقديم البيض في منطقة القبائل التي تشير إلى تسهيل ولادة العالم، فالبيضة تحتوي الكون، وهي عند العديد من الشعوب ترتبط بالتجدد<sup>2</sup>، وأيضاً طقوس تأثيث العالم نلمحها من خلال تجديد العقد مع "الحرس" بإرضائهم عن طريق تقديم الذبائح لهم، ومن

<sup>1</sup> حسينة طالب نقلا عن: كساي عجة، 55 سنة، قرية "أيت أو الحاج"، تيزي وزو، تم اللقاء معها 09 أوت 2022. ينظر: فهرست الصور ( صور رقم 05، ب-، ج-)، ومقاطع الفيديو رقم: (1)، (2)، (3)، (4).

<sup>2</sup> ينظر: جيلبير دوران، الانثربولوجيا رموزها أساطيرها أساقها، تر: مصباح الصمد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 2006، ص231.

خلال زيارة قبور الأولياء فكما رأينا في المعتقد المغاربي فإن الحرس هم أرواح الأولياء، وأيضا من خلال زيارة الأحجار التي يعتقد أنها تسكنها أرواح في منطقة القبائل، وفي احتفالات السنة الجديدة تتجلى رمزية قيامة الأموات التي تفسرها زيارة القبور وترك بقايا أكل لهم، ففي هذا اليوم حسب المعتقد العامي فإنه تتلاشى الحدود الفاصلة بين عالم الأموات وعالم الأحياء المادي، وفي عاشوراء كما في "يناير" يُمارس الأهالي طقوس طرد شرور العام، منها ما هو مستمد من الشريعة الإسلامية كالصدقة والصيام والزكاة التي يسعى الناس من خلالها إلى التقرب إلى الله بأحب الأعمال إليه، فمن مظاهر احتفالات عاشوراء بمنطقة القبائل نجد الأطفال يخرجون لجمع الصدقات وتقسيمها فيما بينهم، وأيضا "الوزيعة" باعتبارها عملا خيرا يرجى منه نيل ثواب الصدقة، وفي منطقة سوف النساء يخرجن الصدقات مما أعدنه من عشاء عاشوراء، وهو ما يُعرف ب"المَعْرُوف"، فهذه الأعمال كلها أعمال تُهذب الإنسان و تسمو به روحيا إلى أعلى الدرجات، كما أنها أفعال ترمي إلى التّطهر والتكفير عن الذنوب والخطايا التي ارتكبتها الإنسان في السنة الماضية. في المقابل نجد طقوسا ممارسة في عاشوراء ليس لها علاقة صريحة بالإسلام، كطقس "إِرْفَع لَوْكَاس" الموجود في منطقة سوف، فالإمام ما يعود هذا الطقس؟

الأوكاس جمع وكس، جاء في القاموس الوكس: النقصان والنقص.. وأوكس الرجل إذا ذهب ماله ... وبرأت الشجة على وكس إذا بقي في جوفها شيء، ويقال وُكِسَ فلان في تجارته وأوكس أيضا، على ما لم يسمّ فاعله فيها<sup>1</sup>. في لهجة وادي سوف فإن كلمة "الوكس" تطلق كل مكروه قد يصيب الإنسان في بدنه أو ماله أو صحته بسبب شرور الآخر (الحسد، العكس، السّحر...)، أو بسبب الذنوب والمعاصي فتتعطل حياته.

وفي منطقة وادي سوف نجد أسطورة يتداولها الناس، وتعتبر مؤسسة لهذا الطقس، فعند سؤالنا عن مناسبة هذا الطقس تجيب مخبرة<sup>2</sup> بقولها: "في عهد الرّسول، كي يُكُون حَارِجُ هُو وَالصَّحَابَةُ بَاشَ يُحَارِزُوا نُجِيهِمْ عَاشُورَاءَ، وَتَقُولُهُمْ قَوْلُوا هَكَأَ بَاشَ تَعْلَبُوا"<sup>\*</sup>

<sup>1</sup> أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، المجلد السادس، دار صادر، بيروت، ط1، 1310هـ-1990م، ص257-258.

<sup>2</sup> لقاء مع الراوية فطيمة عامرة، المصدر السابق.

\* في زمن رسول الله، حينما كان يخرج هو والصحابة للقتال، تأتيه "عاشوراء" وتقول له رددوا هذه الأهزوجة كي تنتصروا في المعركة.

### إزْفَع لُوْكَاسْ

يَا رَبِّيَ عَنْ هَذِهِ النَّاسِ

إزْفَعٌ وَكُسي وَوَكُسي النَّاسِ

من هناك أصبحت عاشوراء في الدين الشعبي مناسبةً دينيةً للتخلص من وكس السنة الماضية واستقبال سنة جديدة خالية من كل الشرور، لهذا ما إن يطل هلال محرم، يأخذ الأطفال عُرجونا فارغا يجوبون به الشوارع ويملؤونه بشرائط ملونة من بقايا أثواب قديمة، وتستمر هذه العملية حتى اليوم التاسع من محرم، ومما ذُكر قد يتكفل كل بيت بصنع وتزيين "العُوف" \* الخاص بهم فقط، وفي ليلة الاحتفال الكبرى، وعندما تلتقي النساء في المكان الخاص للاحتفال، تحضر كل واحدة العُوف بعد تزيينه وتعطيره بالمواد التي جمعتها الفتيات ويوضع وسط الجموع، وقد يُحاط عليه بالشموع، ثم تردد "النَّبْرِيشة" وقُبيل انتهاء الحفل يشيع كما ذكرنا إلى مكان خالٍ، وهناك قد يتكفل الرجال بإحراقه، وقد يرمى في الصحراء الخالية ويترك هناك، وقد ترمى الأعداق في حفرة عميقة وتشعل بالنَّار، كلُّ حسب ما تمليه عليهم أعرافهم الشعبية. واضح إذا أن طرد شرور السنة الماضية، يُتخلص منه بالاستعانة بعرجون النَّخلة، وبالتالي فإن للنَّخلة حضورا مقدسا، في الثقافة الشعبية، فمن أين استمدت قدسيته؟

ونحن نتأمل في الطقوس التي يكون للنَّخلة حضور بارز فيها، نجد أن النَّخلة قدست لاعتبارات عدة، فقد استمدت قدسيته من صيرورة معتقدات ضاربة في القدم مفادها أن القوى المقدسة قد تتشخصن في الأشجار كما الحجر أو الحيوان...، وبالتالي فإن الأشجار تسكنها أرواح مقدسة تتحكم في مصير البشر، لهذا احترمها الإنسان وأجلَّها إلى حد العبادة في بعض الأحيان، وهذا ما يفسر وجود أشجار معلق عليها خيوط الأمانى في دول شمال إفريقيا، بل إنها معتقد اعتنقته العديد من الشعوب، وأما في منطقة وادي سوف فنجد النَّخلة هي العطاء الإلهي في هذه المنطقة الصحراوية، فهي أكثر ما تنتجته صحراء سوف، وما طُبِعَ قُدسية النَّخلة ذكرها في القرآن الكريم، ومجتمع سوف باعتباره متحمس لتعاليم الإسلام ويعتبر القرآن من مراجعه العليا، وبالتالي فإنه يقدر الشجر باعتبارها ذكرت ضمن آيات قرآنية مشحونة بطرح البركة والرزق، ومن هذه الآيات

\* العرجون الذي يجوب به الأطفال ويُزين ببقايا الأثواب البالية يُسمى يوم عاشوراء "العُوف".

ذكر: قوله تعالى في سورة ق الآية (10): ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَعُّ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾﴾. وفي سورة الرحمن الآية (11): ﴿فِيهَا فَلَكَهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾﴾. وفي سورة الرعد الآية (4): ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مَّتَجَوَّرَتْ وَجَحَّتْ مِّنْ أَعْنَبٍ وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ صِنَوَانٌ وَغَيْرِ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِدٍ وَنُفَّضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾.

وبالتالي فهي شجرة مباركة، ومن جهة أخرى استمدت النخلة قدسيتها من كونها شبيهة بالإنسان في أمور عدة، وبهذا هي تتشارك الإنسان في خصائصه الحياتية، فهي كما يقولون: "إنها خلقت من فضلة طينة آدم عليه السلام وأنها تشبه الإنسان في أمور كثيرة، الأولى: استقامة قدها كاستقامة قد الأدمي، والثاني تمييز ذكرها عن أنثاها، الثالث أنها لا تثمر في الغالب إلا بلباقح الذكر كما أن الأنثى من الأدميين لا تحمل في الغالب إلا إذا لقحت من الذكر، الرابع أن رائحة طلع ذكرها كرائحة مني الرجل، الخامس أنها إذا قطع رأسها هلكت كالأدمي، السادس أن الغلاف الذي تكون فيه الطلعة كالمشيمة التي يكون فيها الولد، السابع أن الجمار الذي في وسط رأسها إذا أصابته آفة هلكت كدماغ الإنسان ومخه، الثامن أنها إذا قطع منها غصن لا يرجع بدله كعضو الإنسان، التاسع: أن عليها ليفا (جمع ألياف، شعر النخل) كالشعر يكون على الإنسان، العاشر أنها تعي كما يعي الإنسان وذلك أنها إذا لم تثمر أو تسقط ثمرها يأتيها رجل بيده فأس يتهددها ويقول له آخر اتركها هذه المرة فلا تضربها وستثمر أو تمسك ثمرها فتفعل"<sup>1</sup>، إذا حسب ما أوردنا فإن قدسية النخلة مستمدة من كونها معمرة ولها طابع إخصابي، وأيضا لأنها تسكنها أرواح حامية، وأرواح أخرى شريرة، وأيضا؛ لأنها قوام الحياة في سوف، وهي شبيهة الإنسان، كما أنها شجرة مباركة وقد نصت عليها الآيات القرآنية، وبهذا المنطق فهي تساهم في الحفاظ على نظام الخصوبة.

ومن مساعي الإنسان الوجودية أن يعيش في وفاق مع الطبيعة، ومع القوى الغيبية، فهو لا يشعر بالأمن والأمان إلا بممارسة الطقوس الاسترضائية التي من شأنها أن تبارك حياته ونشاطاته، وبما أنه كائن ناقص قد يفترق الآثام بقصد أو بدون قصد، فإنه يسعى جاهدا إلى التكفير عن أخطائه ومحاولة التخلص منها، وبما أنه كائن متدين يؤمن بأن حوادث السنة تتكرر

<sup>1</sup> إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، منشورات ثالثة، الأبيار، الجزائر، د. ط، 2007، ص74-75.

فيلحظات مقدسة من الزمن يُعاود فيها ولادة العالم وتأثيره عن طريق ممارسة طقوس سحر-دينية تطهر الأرض والنفوس من الدنس، لذلك فإن الأهالي يتخلصون من الوكس عن طريق ربط بقايا أثواب بالية في "العُوف" وهنا نتساءل لماذا يُسمى العرجون الذي يحمله الأطفال العُوف؟ ولماذا الأهالي يطردون الوكس ببقايا أثواب بالية؟

حسب تقديري ربما سمي بهذا الاسم بغرض "التلطيف"، ذلك أن العرجون حين يكون فارغا يُسمى "القُنط"، كما أن هذه اللفظة تطلق على الثمر اليابس أي الذي يصيبه الجفاف فيفقد طراوته ويفقد قيمته الغذائية، وكذلك قيمته الاقتصادية، فالفلاح -كلمة تطلق في سوف على العارف بشؤون النخيل- الذي يقنط محصوله يخسر أرباحه، وبالتالي فإن هذه اللفظة تحمل مدلول اليأس وانقطاع الرجاء، والوكس والخسارة، وبما أن السّوافة كغيرهم من الشعوب يؤمنون "بسحر الكلمة" يلفظون كلمة القُنط ويستعملون اللفظ المضاد لها (العُوف) وضمنيا يقبلون المعنى، فالعُوف من العافية، وما يدعم هذا المعنى الاعتقاد بوجود أرواح حامية تسكن النّخيل، وبهذا يكون مرمى الطقس استحضار الروح التي تسكن النّخيل وطلب حماية الناس منها أولاً، فالعرجون يسمى "قُنط"؛ لأنه أفرغ من محتواه المادي والنفعي وهو التمر، ويُسمى العُوف لأن الأرواح التي تحل العافية مازالت تسكنه، خاصة أرواح الأولياء التي بينا أن العامة يؤمنون بأنها لا تموت، بل هي تغادر الأجساد فقط، وأنها قد تسكن الأشجار خاصة النّخيل في المنطقة، وربما هذا ما يفسر تعليق تلك الخيوط الخضراء والحمراء في العُوف وهي نفسها التي تعلق على الأضرحة في الزيارات الموسمية والطارئة، كما أن العرجون بسبب سهولة حملته وانتظام أوراقه يحمل طاقة فتيّة لطرد الشر وهذا ما يفسر استخدامه من طرف النسوة لكنس البيوت، فهو يساهم في نقل الخواص المخصبة والمطهرة لكل البيت، وكذلك يستعمل لإيقاد النيران التي تحمل مدلولاً تخصيبياً. إذا العُوف باعتباره جزءاً من شجرة النّخلة الولود عروس الصحراء، فهو حامل للقوى المخصبة وطارده للشر لذلك نجد السّوافة يحبذون زرع النخلة في البيوت حتى تُلقِي بقوتها السحرية على المكان الموجودة فيه، وفي عاشوراء في هذا اليوم المبارك نجد أهالي الحي يببتون العُوف كل يوم في بيت حتى يضمن كل الناس نقل البركة إلى بيوتهم.

أما بقايا الأثواب فهي تحمل وكس وهمّ صاحبها، وحسب تفسير ابن سريين من رأى أنّ ثوبه وسخ، فإنّ الوسخ في الثوب ذنوب لابسها، ووسخ الجسد: هموم من سبب مال. الثياب المرقعة القبيحة تدل على خسرانٍ وبطانة<sup>1</sup>، واعتمادا على قانون الاتصال السحري فإنّ هذه الأثواب تبقى متصلة بأصحابها حتى بعد تغييرها أو الاستغناء عنها، لهذا نجد الطيّاحة\* لا تشتترط حضور الشخص المريض لتقديم العلاج، بل قد تكفي بممارسة طقوسها العلاجية على لباسه فقط، كما أنّ السّاحر يعتقد أنه يستطيع أن يؤذي أيّ شخص من خلال ممارسة طقوس تأثيرية على ملابسه، لذلك نجد المعالجين الشعبيين، ينهون عن إعاة الملابس، لأنها قد تصرف لأغراض سحرية، إذا وقعت في أيدي المشتغلين بالسحر. إذا كل هموم وخسائر وقنوط الإنسان تحملها ثيابه، وفي يوم عاشوراء تُعلق في العُوف، بنية التخلص من جميع الشرور التي أصابته، لكن نلاحظ أنّ الخيوط أيضا تشمل عدد النخيل والحيوانات الموجودة في البيوت، وهذه بقايا معتقدات الأمازيغ في المنطقة الذين يعتقدون أنّ القوى السارية تسكن النبات والحيوان، ولذلك قدسوا أنواعا معينة من النباتات والحيوانات.

إذا النّخلة باعتبارها شجرة مثمرة مخصبة ومتجددة، يكون الاشتغال على العرجون(العُوف) بهدف استحضار الأرواح الخيرة والحامية التي تسكن النّخل، وإحلال بركتها على الأفراد والزرع والقطعان، وهذا يتفق مع ما يذهب إليه فريزر الذي يفسر الطقوس الممارسة في المناسبات الدينية، بأنها في الأصل زراعية، هدفها "استحضار روح الخضرة والتخصيب والحفاظ عليها طوال السنة"<sup>2</sup>، والأمر نفسه معمول به في منطقة القبائل، حيث يجوب الأطفال الشوارع حاملين عصا، ويرددون أهازيغ ويطلبون العطايا، وبالتالي فإن الغرض من إقحام جزء من الشجر هو استحضار روح النبات الحامية وتميرير الخصوبة.

<sup>1</sup> محمد بن سيرين، عبد الغني النّابلسي، تفسير الأحلام، مكتبة الصفاء، اليمامة، دمشق-بيروت، ط1، 1429-2008، ص213.

\*الطيّاحة: معالجة شعبية، انظر: صفاء زغدي، الطيّاحة والتّحكم السحري في العين الشريرة-دراسة أنثربولوجية-، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، المجلد 11، العدد2، 2023، ص89-90.

<sup>2</sup> جيمس جورج فريزر، الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين، تر: نايف الخوص، دار الفرقد، ط1، 2014، ص 172.

وإذا فتشنا عند الشعوب القديمة نجد طقوسا تطهيرية مشابهة لتلك الموجودة في دراستنا، فقد انتشرت عبادة بعض الأشجار عند المغاربة القدماء واعتقدوا أنها تجسيد للمقدس، وكانوا يعلقون خيوطا وخرقا، بهدف تعبدي لطرد الشرور المتسببة فيها إما الأرواح الشريرة أو شرور الآخر، وإلى الآن في منطقة عين الدراهم ناحية "فريانة" بتونس توجد شجرة عملاقة، تنسب إليها الكثير من الكرامات، كما أنه يُمنع إيذاؤها أو اقتلاعها، يسميها السكان "لالة فريانة"، تربط عليه الخيوط عند الحاجة<sup>1</sup>، وكذلك الشأن بالنسبة "السدرة" المرابطة ببعض المناطق الجزائرية ويمثل ربط الخرق والخيوط بالشجرة التزاما من الشخص بعبادتها والتبرك بها<sup>2</sup>، أما منطقة "وادي سوف" فقد شاع فيها الاعتقاد بأن المولود حديث الولادة إذا لُفَّتْ سرُّته بخرق وربطت في نخلة المسجد فإنه سيتعلق قلبه بالقرآن وطاعة الله العمر كله، وغالبا ما تربط الخرق في نخلة من نخيل أبيه وتُسمى باسمه، تيمنا بالنخلة وأن تنقل إليه خواصها التأثيرية: القوة والصبر وطول العمر، ورجاء أن يتعلق قلبه بخدمة النخيل، كما أن هناك أشجار معينة معروفة في بلاد القبائل، وهي أيضا تعلق عليها خيوط الأمنيات، وينذر لها في حالة حدوثها بعمل عدة مثلا، وقد قدم "فريزر" العديد من الأمثلة من بلدان مختلفة عن تقديمهم للشجر وعن طريقة التخلّص من الشرور بتعليق الأقمشة والخرق، ففي قبيلة ديري في استراليا الوسطى تُحترم جدا لأنها تجسد آباءهم حسبهم، ويحرصون على حمايتها، والفكرة نفسها تشيع عند بعض سكان جزيرة الفلبين<sup>3</sup>، وفي شمال الهند هناك شجرة مقدسة في الحادي عشر من كل شباط تُراق الدماء على أسفل الشجرة ويُربط خيط أحمر أو أصفر حول جذعها وتُقدم لها الصلوات لأجل خصوبة النساء والحيوان والمحصول<sup>4</sup>، في السيركاس فيعتبرون شجرة الإجاص حامية للماشية، لذلك يأخذون قطع من أغصان الشجرة إلى المنزل وتعبد كإله، وفي يوم الاحتفال في الخريف، تُحمل الشجرة إلى البيت ضمن طقوس تتخللها الموسيقى والرقص والأهازيج والصرخات، تُغشى بالشموع ويربط إلى أعلاها الجبن، ويلتفون حولها ويمارسون طقسا

<sup>1</sup> ينظر: محمد الصغير غانم، الملامح الباكورة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، دار الهدى، د. ط، د.ت، ص 69.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 70.

<sup>3</sup> ينظر: جيمس فريزر، مرجع سابق، ص 160.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 164.



### ثانيا: طقوس الخصب في احتفالات عاشوراء

نجد في احتفالات المنطقتين حضورا للعروس، يطلق عليها في بعض المناطق القبائلية "أمي عاشوراء" كما بينت الأهازيج التي يرددونها الأطفال، وفي وادي سوف يُطلق عليها "عروس عاشوراء"، وقديما كان يؤدي طقس عروس عاشوراء في سوف بالطريقة الآتية: "تعد دمية كبيرة تلبس الزي النسوي ليجوب بها جمع من الشبان الملتمين شوارع المدينة وأزقتها، وسط الأهازيج والتصفيقات وهم يرددون: بوهراس يا مذهب الأوكاس لينتهي هذا الحفل بوليمة يستهلك فيها اللحم بكثرة"<sup>1</sup>، ثم تجدد هذا الطقس، فكما بينا أعلاه طيلة أيام الاحتفال يجتمع الأطفال حول العروس، وهم يدقون على الطبول ويؤدون الأغاني، وفي كل مرة يدخل طفل تحت "الطارة" ويحرك العروس، حتى تبدو وكأنها عروس ترقص يوم زفافها. يبدو أن هذه العروس قرينة الاحتفالات الدينية والموسمية في منطقتي الدراسة، فإلى جانب عروس عاشوراء، وعروس الاستمطار، نجد في منطقة سوف أيضا عروس رمضان، وعروس المولد، فإلام ترمز العروس؟

بلغة مرسيا "إلياد" عرفنا أن الاحتفالات الموسمية والدينية في أصلها مناسبات دينية، يتصل بها الإنسان مع المقدس ويستعيد اللحظات الكونية، وذلك بالانفصال المؤقت عن الدنيوي، والاتصال بالزمن الديني، كي يستطيع الاندماج في التاريخ وهكذا يحس بالرضا، ويتطلع إلى الآتي، ومنه فإن كل الأفعال والسلوكيات التي تقوم بها الجماعة زمن الاحتفال مشحونة بالقداسة، لذلك تؤدي في أوقات معلومة ومعينة، وبطريقة منظمة ومرتبطة قصد بلوغ الهدف، هذا هو حال الألعاب في الاحتفالات الدينية، فاللعبة يوم الاحتفال يُفرغ من محتواه الدنيوي المتمثل في التسلية والترفيه، ويشحن بالمحتوى المقدس المتمثل في محاكاة أفعال الآلهة في الزمن الأسطوري، وبالتالي فهو يؤدي وظيفة تعبدية، ومنه فإن الألعاب إلزامية في زمن الاحتفالات، لأنه: "يتحول إلى قضية اجتماعية أو نوع من الطقوس الثقافية، فإنه يصبح إلزاميا، ويخضع للشروط الواجبة والقوانين التي تحكم أي لعبة"<sup>2</sup>. من ذلك نجد الكبار يلزمون الأطفال عن طريق تقديم المغريات (الشموع، صنع

<sup>1</sup> Andre-Roger Voisin، سوف مونوغرافيا، تر: أبو بكر مراد، دار المعرفة، الجزائر، د.ط، د.ت، ص177.

<sup>2</sup> يوهان كوتسينغا، ديناميكية اللعب في الحضارات والثقافات الإنسانية، تر: صديق محمد جوهر، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، ط1، 1433-2012، ص52.

تمثال العروس وتقديمها لهم...) على اللعب يوم الاحتفال، كما أنهم يشرفون على الألعاب التي يؤديها الأطفال زمن الاحتفال عكس باقي الأيام، خشية حدوث خلل قد ينبع من الأطفال في صيرورة الألعاب، يؤدي إلى غضب الإله فيمنع عنهم المطر أو يُصيبهم بما يكرهون في أولادهم أو قطعانهم أو في زرعهم، ومنه فإن احترام قانون اللعبة له أثر كبير، فالألعاب المقدسة الهادفة إلى إرضاء الآلهة، تؤدي إلى الرخاء الاقتصادي والاجتماعي، هذا هو هدف لعبة "عروس عاشوراء"، التي تعبر عن رغبة الناس في حدوث أثر عظيم على السنة الفاتنة وذلك بتطهيرهم من جميع الأوكاس، وحلول سنة قادمة تنذر بالخير الوفير.

وحسب بعض الدارسين فإن العروس أو الدمية التي يجوب بها الأطفال الشوارع في احتفالات عاشوراء، تعتبر من الموروث الفينيقي في المنطقة، وهي تمثيل لآلهة الخصب "تانيت" رمز عشتار، وقد ذكر "أحمد نجاح" أنّ هذا الاحتفال كان يتم بمنطقة "سوف" في منتصف شهر أوت، أي في نهاية فصل الصيف، وحسب اعتقاد أهل المنطقة يكون هذا الاحتفال برأس السنة الجديدة، والواضح أن هذه الفترة ليس لها علاقة بالتقويم الإسلامي، ولا التقويم اليولياني<sup>1</sup>، ولكن إذا علمنا أن عاشوراء مرتبطة بالحساب القمري، وبالتالي فاحتفالاتها تتغير من فصل لآخر، فقد تحل في الصيف أو الخريف أو الشتاء، وبما أنّ الطبيعة متغيرة في هذه الفصول، نجد عاشوراء تحوي الاحتفالات المرتبطة بالطبيعة، فإذا أخذنا بكلام "السيد نجاح" فإن منتصف شهر أوت يوافق اليوم الثاني من شهر "عُشت" الفلاحي، الذي يعلن عن مقدم الخريف، ويُفتح هذا الفصل عادة حسب الخبرات الشعبية الفلاحية بمنطقة "وادي سوف" بزخات المطر، حتى إنّه يقال إن الجازية أو الزازية كما تُسمى عند الشعبين كانت امرأة فائقة الجمال وحكيمة حسب ما يروون، عندما سألوها بقولهم: "يا الزازية وش خيز من زينك؟ قالت: خُطوطُ الخريف"<sup>\*</sup>، لأن هذه المطر لا تعم كل البلاد، بل تنزل في مناطق معينة على شكل خطوط من السماء، لذلك فإن البدوي كان يترقب مكان نزولها ليرحل لها مع أغنامه<sup>2</sup>، فالخريف إذا حسب الخبرات الشعبية، فصل الغيث وفصل جني الصابة،

<sup>1</sup> ينظر: Ahmed NAJAH: Le Souf des Oasis. Editions La Maison Des Livres. ALGER.p30

\* يا الجازية: ما أجمل منك؟ قالت: مطر الخريف.

<sup>2</sup> الراوي محمد الصالح بن علي 15-01-2024، وادي سوف.

ويعرف أيضا عند الشعبين ب "فصل لِفُضَالَة" لأن كل شيء يكون بالفاضل أي مضاعف ومتوفر بكثرة، ففيه يجني مالك النخيل ثمار نخيله، وفيه تدخر عولة العام، وفيه يقبض التجار أموالهم؛ لأنه تنتشط فيه أسواق بيع التمور وبيع الأغنام، وكذلك الأعراس والمناسبات تكثر في الخريف، وحتى المواعيد والاجتماعات تحبذ في فصل الخريف<sup>1</sup>، لذلك في الخريف تقرر مصائر السنة خاصة فيما يتعلق بالجانب الاقتصادي في منطقة سوف، ويدلنا المثل الشعبي السَّاري في المنطقة على ذلك، إذ يقول: "الشَّتَاءُ شِدَّةُ الرَّيْبِغِ مِثْلُ الخَرِيفِ هُوَ العَامُ والصَّيْفُ ضِيفٌ"<sup>2</sup>، فالشتاء شدة؛ لأن فيه تنقل حركة الإنسان والحيوان ونمو النبات لشدة البرد، والربيع منام لأنه خفيف ويرحل بسرعة، والخريف هو العام لأنه فصل الحركة والبركة، وفيه تقرر مصائر السنة، أما الصيف فهو ضيف، لذلك يمارس الأهالي طقوس استحضار المطر في فصل الخريف، لأن مطر الخريف تخصب الأرض فنتج ذخيرة السنة فتعش كل الجوانب التي يركز عليها استمرار العنصر البشري بالمنطقة، وفقا لهذا فإن الدمية المستعملة في طقوس عاشوراء ترمز إلى عروس المطر "أَنْثَرَارٌ" عند القبائل، و "أُمِ قَطْمُبُو" في منطقة سوف، الغاية من استحضارها هو طلب المطر، وبما أن الدمية ترمز إلى العروس البكر فإن غاية الطقس هو تقوية الخصوبة التي تؤثت العالم، وتثبت الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية...الخ. يتبين إذا التداخل الحاصل بين الاحتفالات الموسمية والدينية، فعاشوراء باعتبارها عيدا قمريا تدور مع السنة الشمسية وتحتضن طقوسها الاحتفالات المرتبطة بالطبيعة التي تشهدا الفصول، وهكذا انتقلت احتفالات بداية السنة الشمسية إلى عاشوراء القمرية.

وحسب ما صورت العقلية الشعبية، فإن تمثال العروس يكون على شكل امرأة عملاقة، وهذا من آثار محاولات عقل الإنسان الأولى، حين أحس أن هذا العالم تحكمه قوى غيبية، وحين أراد أن يجسد أفكاره لجأ إلى الفن القائم على التَّشخيص في الصور والتماثيل، ومنذ أن اكتشف الزراعة، وربطها بالمرأة على اعتبار أنها ولودة وبالتالي لها قدرة على التأثير في الأرض حتى تثمر الزرع (طبعا قبل أن يعرف دوره في الحمل)، وبدافع الرغبة في الحفاظ على وسيلة الزراعة، راح يجسد هذا الكائن الأنثوي

<sup>1</sup>لقاء مع الراوية وريدة بيات، 03-01-2024، 75 سنة، وادي سوف..

<sup>2</sup>الراوية مسعودة بيات، 80 سنة، 22-02-2023، وادي سوف.

على شكل دمي كبيرة بارزة أعضاؤها الجنسية، وكذلك بطنها منتفخ وهي إشارة صارخة تدل على الإنتاج والتكاثر<sup>1</sup>. من هنا أمكن لنا تفسير عروس عاشوراء باعتبارها تجسيد لآلهة الخصب والنماء، والطواف بها يهدف إلى تتقية العالم من شرور الأرواح الشريرة، وطرح البركة والخصوبة.

### ثالثاً: طقوس البكاء الجماعي في احتفالات عاشوراء بين الإرث الشيعي والإنساني

نلمح ظاهرة الحزن والحداد موجودة في احتفالات عاشوراء في منطقتي الدراسة، فكما بينا في الجانب الاثنوغرافي فإن عاشوراء هي مناسبة حداد عند الفلاحيين في منطقة القبائل، وهو احتفال يتجنب فيه كل مظاهر المتعة والزينة والفرح، كالحناء ووضع الكحل على العين، والزواج والختان...، والأمر نفسه سارٍ في احتفالات منطقة "وادي سوف" حيث يستوجب التوقف عن ممارسة معظم الأنشطة اليومية، ومن مظاهر الحزن في منطقة القبائل زيارة مقابر الأولياء، وبالنسبة للنساء تكون الزيارة بملابس الحداد، كما يمارس الأهالي في منطقة وادي سوف يوم العاشر من محرم طقس الحزن الجماعي، ومن مظاهره البكاء والنواح أثناء تشيع "البوهروس"، حيث يشرع النساء في طقوس المناحات والصياح والطم على وجوههن وهن يرددن: "إِنْدِينْ يَا نَدْبَاتْ عَنْ شَايْبْ عَاشُورَاءْ مَاتْ"، و "هَآيْ الدِنْيَا نَدْبَتْ عَنْ شَايْبْ عَاشُورَاءْ مَاتْ"، و "يَا دَايَا عَنْ عَاشُورَاءْ خَلْتِي الْقِدْرَةَ مَقْعُورَةً"<sup>2</sup>، كما نلمح الحزن والرثاء في الأغاني التي تردها النساء في الاحتفال والذي يطلق عليه في المنطقة "التبريش"، فما دلالة هذه العوائد الذي يعترف بها الإسلام السني خاصة؟

### 1- البكاء الجماعي: بقايا الإرث الشيعي في منطقتي البحث

عند سؤالنا عن سبب الحزن والنواح في عاشوراء يجيبنا مخبرونا بمنطقة "سوف"<sup>3</sup>: "بكري كيف مات الحسين نأضوا الوليات بيكوا ويندبوا"<sup>4</sup>، فعاشوراء حسبهم إذا تحيين ذكرى مقتل سيدنا

<sup>1</sup> ينظر: خزعل الماجدي، أدب الكالا... أدب النار دراسة في الأدب والفن والجنس في العالم القديم، دار الفارس، ط1، 2001، ص16.

\* ابكين يا باكيات عن شايب عاشوراء لموته.

\*\* كل الدنيا تبكي وتسخط لموت شايب عاشوراء.

\*\*\* يا حسرتاه على عاشوراء خلتي القدرة غير سالحة (مثقوبة).

<sup>2</sup> لقاء مع الراوية واغد جروة، 03-01-2024، 92 سنة، وادي سوف.

<sup>3</sup> الراوية زهرة صوالح، 75 سنة، 20-11-2023، وادي سوف.

\*\*\*\* قديماً لما مات الحسين بدأت النساء في البكاء والندب.

الحسين بن علي رضي الله وجهه، كما تخبرنا موردة أن تعليق الأشغال المنزلية يرجع للسبب ذاته، وفي ذلك تقول الراوية<sup>1</sup>: "كي سَمِعُنُ النِّسَاءَ بِمُوتِ الشُّهَدَاءِ عَلَقْنَ مَنَاسِجَهُنَّ وَدَرَّوْنَ غَرَابِيْلَهُنَّ، حَزَنُوا عَلَى الْحُسَيْنِ"<sup>\*</sup>، فطقس الحزن ومظاهره تُعتبر نوعا من المواساة المعنوية لمعاناة الحسين ورفاقه يوم معركة كربلاء بغية الحصول على الخلاص المعنوي كما يعتقد الشيعة، وربما الشفاعة يوم القيامة، وبالتالي فإن البكاء يوم عاشوراء واجب ديني ف"على كل محب لأهل البيت أن يشعر بأن من الواجب عليه أن يذرف على الأقل دمعة واحدة على الحسين خلال حياته، وأن كل قطرة يذرفها تتجيه من النار"<sup>2</sup>، وقد ربط "جون سيرفي" **jean Servier** بين احتفالات عاشوراء في منطقة القبائل، وبين احتفالات عاشوراء الشيعية، على اعتبار أن هذه الاحتفالات في حقيقتها تعتبر تحيين لحادثة كربلاء المأسوية التي أصابت الإسلام، في العاشر من شهر محرم سنة 60 هـ 680م، التي قتل فيها سيدنا الحسين بن علي أبي طالب حفيد النبي محمد ﷺ<sup>3</sup>، كما أكد أن الحداد في احتفالات عاشوراء هو الذي يُساهم في إعطاء المهرجان، في سكان الريف الجزائري طابع الجاذبية، الذي لم يتغير منذ الدولة الفاطمية<sup>4</sup>، وقد فسر تلك الزيارات التي يقوم بها الأهالي إلى مقابر الأولياء، على أنها محاكاة لطقوس الحج الشيعية إلى قبر الحسين في كربلاء، فقد ساد الزعم أن الأولياء ينحدرون من العلويين<sup>5</sup>.

وبناء على ما ذكر يمكن تفسير مظاهر الحزن في عاشوراء على أنها بقايا تأثير الدولة الفاطمية الشيعية، ويُسَمَّونَ أيضا العبيديون نسبة إلى أبي عبد الله الشيعي، التي استوطنت دول شمال إفريقيا ردا من الزمن، فقد تأسست الدولة الفاطمية في شمال إفريقيا سنة 289 وسقطت سنة 567 هـ<sup>6</sup>، وآثارها لازالت عالقة في اللاوعي الجمعي، الذي لازال في كل عام يستذكر حادثة مقتل

<sup>1</sup> الراوية واغد جروة، المصدر السابق.

\* لَمَّا سَمِعَ النِّسَاءَ بِمُوتِ الشُّهَدَاءِ تَوَقَّفْنَ عَنِ خِدْمَةِ النِّسِيجِ، وَخَبَأْنَ الْغَرَابِيلَ حَزَنًا عَلَى الْحُسَيْنِ.

<sup>2</sup> إبراهيم الحيدري، تراجم كربلاء، مرجع سابق، ص 316.

<sup>3</sup> ينظر: Jean Servier: P415

<sup>4</sup> ينظر: مرجع نفسه، ص 410.

<sup>5</sup> ينظر: مرجع نفسه، ص 415.

<sup>6</sup> ينظر: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تاريخ الخلفاء، دار بن حزم، ط 1، 1464 هـ - 2003 م، ص 526.

سيدنا الحسين، رمز الخير والشهادة والحق، ولا نجد في الذاكرة الشعبية معرفة بحيثيات المعركة، فالمخبرات في منطقة "وادي سوف" يذكرون أن معركته هو والصحابة كانت مع الكفار الذين لا يدينون بالإسلام، عكس ما نجده عند الشيعة في دول المشرق الذين يفقهون حيثيات المعركة حسب ما تمليه عليهم مصادرهم الشيعية، فما يميز فاجعة كربلاء حسبهم، هو تجلي أعلى قمم البشاعة التي ارتكبت من قبل جنود بني أمية، ضد الإمام الحسين الذي قتل لأنه رفض البيعة ليزيد بن معاوية، وقد مارس الجيش الأموي أبشع أنواع التمثيل والوحشية بجسد الإمام الحسين، وحملوا رأسه الشريف وطافوا به في البلدان، لذلك كان الشيعة يعادون إحياء هذه المناسبة كل عام يتذكروا ويذكرون الناس بهذه الفعلة الشنيعة، وحتى يستفاد الناس العبر حسب زعمهم<sup>1</sup>. ومن خلال الاطلاع على أحوال الشيعة في عاشوراء، نجد التَّشابه في احتفالاتهم واحتفالات المجتمع المحلي واقعا في العديد من الممارسات، لكن الفرق أنَّ الأهالي في المجتمع المحلي يؤدون الطقوس بطريقة ملطفة، لا تحمل معاني رمزية عميقة كما التي عند الشيعة، فالمجالس التي تعقدها النساء في احتفالات عاشوراء بمنطقة "وادي سوف" كل ليلة خلال العشرة الأيام الأولى من محرم وترديد الأغاني الحزينة (التَّبريش) تشبه مجالس عزاء الحسينية المعروفة عند نساء الشيعة في العراق، حيث تقام مجالس التعزية أو (القرائية) كما تسمى في العراق، من تجمع عدد غفير من الناس في مكان معين، للاحتفال بذكرى مقتل الحسين، في مثل هذه المجالس يقوم خطيب بقراءة قصة من قصص واقعة كربلاء، ومن المعتاد أن يقرأ الخطيب في كل يوم من الأيام العشرة الأولى من شهر محرم قصة معينة تتحدث عن مأساة تخص الشهداء وبطولاتهم في معركة الطف، ويكون اليوم السابع لقصة استشهاد القاسم بن الحسن<sup>2</sup>، نذكر أيضا تتجلي الرواسب الشيعية في احتفالات عاشوراء من خلال التفسير الذي يعطيه الأهالي للعرجون "رَفَع لَوْكَاس"، فهو يُمثَل حسب اعتقادهم تجسيدا لرأس الحسين بعد مقتله، وما يُدعم هذا التفسير هو الاسم الآخر الذي يطلق على العرجون "البُوهراس" وحديث الراوية<sup>3</sup> يفسر لنا سبب التسمية، إذ تقول: "كي قُتِلوا الكُفار الحسين عَادُوا

<sup>1</sup> ينظر: حسن بن موسى الصفار، عاشوراء.. ثقافة النهضة والبناء، ط1، 1434هـ-2013م، ص31-32-33.

<sup>2</sup> ينظر: إبراهيم الحيدري، تراجم كربلاء، مرجع سابق، ص97.

<sup>3</sup> الراوية زهرة كرطي، 63 سنة، 2023-12-29، وادي سوف.

يُطَبُّوا بِرِجْلَيْهِمْ رَأْسَهُ وَيَقُولُوا "يَنْتَعَلُ بُوْهَا الرَّاسُ، يَنْعَلُ بُوْهَا الرَّاسُ"<sup>\*</sup>، وتضيف أنه هذا السبب الذي جعل "الطلبة" يحرمون عليهم الاحتفال بعاشوراء، وأما مخبرة أخرى<sup>1</sup> فنفسر "بُوْهُرُوسَ" بمعنى أبو هذه الرؤوس التي ستتخلص من وكس هذه السنة، فيكون الغرض من محاكاة رأس الحسين المقتول حسب اعتقادهم هو التَّوَسُّلُ لِنَسْلِ اللَّهِ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ لِمَا هُوَ أَوْكَاسُهُمْ، وعلى ضوء الثقافة الشيعية نجد طقوس دفن "إرفع لوкас" شبيهة ب"احتفالية يوم الأربعاء في كربلاء وهي ذكرى رجوع رأس الحسين من الشام إلى العراق ودفنه مع الجسد في كربلاء، ويسمى هذا اليوم في العراق (مرد الرأس)"<sup>2</sup>، لكن تبدو أن هذه الممارسات غير متطورة في المجتمع المحلي كما عند الشيعة. وأما تعليق الخيوط المزخرفة والمعطرة والتي تهدف إلى رفع الوكس كما بينا، فهي تعبير عن الأمل لتحقيق الأمان، يمكن ربطها بفكرة الأمل الخلاصي<sup>3</sup> الموجودة في الفكر الشيعي، فالشيعة يعتبرون الإمام المنتظر هو الذي سينتقم للإمام الحسين، وهو الذي سيجدد الأرض ويخلصها من كل ظلم وجور أي رفع الوكس، وبهذا يكون موت الحسين إيذانا ببعث المهدي المنتظر. "فكرة الأمل الإنقاذي مرتبطة بفكرة الألم التراجمي التي انبثقت عن مأساة كربلاء الحزينة"<sup>4</sup>.

ثمة إذا حضور بارز للفكر الشيعي في ثقافة الوعي الجمعي في منطقتي الدراسة، ولكن نلاحظ أن التأثير الشيعي في منطقة "وادي سوف" يبرز أكثر مقارنة بمنطقة القبائل، إذ أن مظاهر الحزن تتجلى في الحداد وأكثر في البكاء واللطم، وهذا راجع حسب ما تخبرنا المصادر التاريخية إلى نزولهم حقة من الزمن في أرض سوف، فقد أكد العدوان أن "بعضهم (العلويين) مرّ بتراب سوف القبلي لما حكي أنهم مروا بورقلة فإن صح ذلك نتيقن بمرورهم هنا، ... ويذكر بعض أوائلنا أن العلويين حين مروا بهذه الأرض نزلوا بنواحي سندروس\* لحسن أرضها وكثرة أشجارها ثم بعد

\* لما قتل الكفار الحسين، أصبحوا يقدفون رأسه بأرجلهم وهم يقولون: يلعن أبو هذا الرأس، يلعن هذا الرأس.

<sup>1</sup> الراوية فطيمة عامرة.

<sup>2</sup> إبراهيم الحيدري، مرجع سابق، ص 131.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 335.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 335.

\* قرية بولاية وادي سوف موجودة ببلدية العقلة، وهي قرية أثرية رومانية اختفت معالمها مع تقادم السنين.

زمن لحق بهم جماعة آخرون وارتحلوا جميعاً<sup>1</sup>، وبارتحالهم تركوا إرثاً ثقافياً، لعل هذا ما يبرر انتعاش الفكر الشيعي في المنطقة.

صحيح من الملاحظ أن هناك عوائد في تراث عاشوراء على غرار ما نجده عند الشيعة في تراثهم الديني الشعبي، وقد أرجعنا هذا التشابه إلى الوجود الشيعي في شمال إفريقيا بصفة عامة، واستقرارهم في منطقة سوف بصفة خاصة، لكن إذا دققنا في الطقوس خاصة الجانب الشفاهي منها، نجدها لا تراثي الحسين صراحة، وليست مرتبطة بأي حدث تاريخي إسلامي، فهي تارة تندب موت "شايب عاشوراء" ومرة "عاشوراء"، ولا نجد في المصادر الإسلامية -الشيعة خاصة- حضوراً لهذه الشخصية أو ما يرمز إليها، ربما نفسرها بشكل مبسط على مستوى الوعي، فإن الفاعلين الاجتماعيين يبررون طقوس عاشوراء على أنها ذكرى مقتل الحسين هذا ما يقوله الناس لأنفسهم، وبهذا تصبح هذه التبريرات معقولة وتُطَبَّع ممارسات النَّاس يوم عاشوراء؛ لأن لها علاقة مباشرة بالثقافة الإسلامية التي يدين بها سكان المنطقة فيتشكل وفق ما يرى "بورديو" *"الهابيتوس"* *habitus*\* لدى الجماعات الشعبية، لكن على مستوى أعمق وبالنظر إلى ممارسات أخرى نلمح البعد الإنساني جلياً في احتفالات عاشوراء، فهناك عوائد مشتركة موجودة في جميع ربوع الوطن الجزائري، تتقاطع أيضاً مع عوائد تمارس في دول شمال إفريقيا، وأخرى عرفتها جميع بقاع العالم كما تحدث عنها دوتي<sup>2</sup>، ومن جهة أخرى إذا عدنا إلى دراسات الباحثين العراقيين الذين اهتموا بالحفر في طقوس عاشوراء أنثروبولوجياً نجدهم يربطون بين احتفالات عاشوراء الشيعية وطقوس الحزن والبكاء في المجتمعات والأديان الشرقية القديمة، وهذا ما يجعلنا نعتقد أن هذه الطقوس ليست شيعية الأصل، إلا أن حادثة الحسين كما تعاطتها الفرقة الشيعية، عاودت بعث طقوس الحزن الجماعي وطورتها<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، مرجع سابق، ص 155-156.  
\* الهابيتوس: الاستعدادات السيكولوجية. بان ريمان، نظريات الأيديولوجيا قوى الاغتراب والإخضاع، تر: أشرف منصور، المركز القومي للترجمة، ط1، 2022، ص 370

<sup>2</sup> ينظر: إدموند دوتي، السحر والدين في شمال إفريقيا، تر: فريد الزاهي، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2018، ص 418.

<sup>3</sup> كتاب إبراهيم الحيدري، تراجم كيرلاء. وكتاب حكمت البخاتي، عاشوراء الجذر والتاريخ والطقس، د. ط، د. ت.

## 2- البكاء الجماعي: إرث إنساني مشترك

من مظاهر الحزن الجماعي المنظم في احتفال عاشوراء بمنطقة سوف "التَّبْرِيشُ"، وعادة يكون قبل دفن العرجون "إِرْفَعُ لَوْكَاسُ"، وسنعرض التّمودج الأشهر للتَّبْرِيش في احتفال عاشوراء وهي أبيات من أغنية "يَا قَمْرَةَ يَا وَقَادَةَ"، وتُؤدى هذه الأغنية مجموعة من النساء، تقول الأغنية:

يا قَمْرَةَ يَا وَقَادَةَ	والغالي وينهي بِلَادَهُ
قَمْرَةَ يَا بَقَاصَةَ	في البَحْرَ غَطَّاسَةَ
وَحَلِيلَ لِمَفَارِقِ نَاسِهِ	كَيْفَاشْ يُكُونُ رَقَادَهُ
قَمْرَةَ يَا لُمِيمَةَ	يَا شَكَيْتَكَ بِكَلِيمَةَ
وَالشَّايِبَ حَشْ دُعِيمَةَ	أَوْ عَزُورَةَ النُّفْرَادَةَ
قَمْرَةَ قَالَتْ رَيْتَهُ	وَفَسَطِ البَحْرَ حَلِيَّتَهُ
وَحِسَّ الطَّيْرَ يُعْنِي	رَاهْ شَغَشَبْنِي أَوْ ذَبْلَنِي
وَرُدُّ سُوَالِي لُمِي	وَلَّ وَخَيْتِي النُّشَادَةَ <sup>1</sup>

ترثي هذه الأبيات شخصا غاب عن أهله وبغيابه تبدلت أحوالهم، فأصبح شغلهم الشاغل نداء القمر الذي يغطس تحت البحر ثم يظهر كاملا منيرا يضيء الليالي، وسؤاله عن حال الغائب وأحواله، ليجيب القمر على لسان النساء بأن الشخص الغائب موجود تحت البحر. وفي مقاطع أخرى يأملون عودة هذا الغائب يوم العاشر من عاشوراء، والاجتماع به كما هو معهود.

إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْعَالِي يُجِيبُنَا	لَا يُرْقَدُ فِي مَدِينَةِ
إِيجِي رَائِسُ فِي أُنْدَادَهُ	عَاشُورَاءَ فِي عَشْرَةَ

وتبين عدة مقاطع أنّ هذا الغائب هو زوج مات ترك ابنتين لذا لا تكف العين عن البكاء

عليه:

<sup>1</sup> الراوية وريدة بوراس، تم اللقاء معها يوم 11-02-2023، بلدية الرقيبية، ولاية: وادي سوف. ينظر: المقطوعة كاملة في فهرست مدونة البحث، والتسجيل الصوتي رقم: (12).

وَيَا دَارِي عَيْنٍ      وَدَرِي يَا عَيْنٍ  
 وَدَرِي عَنْ بَابَاكَ      صَعَارُ الْحُرْمَةِ مَاتَ  
 يَا وَدَرِي بِالْدَمْعَةِ الثَّايَةِ      الشَّيْخُ عَلِيًّا مَاتَ  
 وَخَلَّى زُوْرُ بَنَاتٍ      يُنْفُو طُوْلَ الْحِينِ

كما تشتكي النساء للقمر في الأغنية عن تغير الأحوال والعباد، كالجيران الذين ابتعدوا وتفرقوا، وأيضا يخبرون القمر عن معاناة الفراق الذي يُسبب ناس المفارق:

قَمْرَةَ يَا الضَّوَايَةَ      نُضُوي عَنْ تَزَلُّنَا  
 وَالنَّاسَ اللَّيِّ كَانُوا بِحَدَانَا      بَعُدُوا عَنْ رِدَّتْنَا  
 سَعْدِ لَجَاهِ حَبِيبٍ      لِلظُّهْرَةِ مُغِيبٍ  
 رَاهِي الْفُرْقَةَ إِشْسِيبٍ      عَنْ رَائِسِ مِيعَادِهِ

كما تبين الأغنية فضائل الاحتفال بيوم عاشوراء وهو انتقال بركة هذه الليلة للأهل والأبناء:

عَاشُورَاءَ يَا مَا بُهَاهَا      سَعْدِ لِنَعْنَا وَجَاهَا  
 سَعْدِ لِنَعْنَا وَجَاهَا      تُكُونُ عَمَاهُ وَعَمَ وَوَلَادَهُ

ومن "النَّبْرِيش" الذي تردده النساء "البِيرِ لِشْرِينَا مَاه"، وهذه بعض المقاطع:

البِيرِ لِشْرِينَا مَاه بِالْمَلْفِ عَطِينَاهُ      يَا وَحِشَ قَالُوا مَاتَ رَحْلَنَا وَعَطِينَاهُ  
 عَقَبْنَا عَنْ الْمَلَّاحِ مَالِحٍ لَا يَنْضَاقُ      أَوْحَيْكَ يَا صَلَاحَ رُحْلَنَا وَخَلِينَاهُ  
 عَقَبْنَا عَنْ تُونَسِ أُوْبِيَانَهَا تَنْعَسُ      أُخَيْكَ يَا عَنِسَ رُحْلَنَا وَخَلِينَاهُ  
 عَقَبْنَا عَنْ جَرِيدِ وَبِيَانَهَا حَدِيدٍ      أُخَيْكَ يَا سَعِيدِ رُحْنَا وَخَلِينَاهُ  
 عَقَبْنَا عَنْ قَمَارِ وَبِيَانَهَا جُمَارٍ      وَخَيْكَ يَا عَمَّارَ رُحْنَا وَخَلِينَاهُ<sup>1</sup>

وأما مقاطع "النَّبْرِيش" هذه تصف حال البئر الذي كانوا يشربون منه، وبموت الأخ أصبح ماؤه غير صالح للشرب ولا للسقي، وبذلك تغيرت ملامح الحياة فوق الأرض، فما كان منهم إلا أن غطوا هذا البئر وفارقوه وبالتالي أصبح مكان البئر غير صالح للعيش.

\*البحث عن مفقود عزيز في النواحي المتوقع وجوده فيها ولكن دون جدوى.

<sup>1</sup>لقاء مع الراوية فاطمة سعيد، 85 سنة، 07-01-2024، وادي سوف.

التَّبْرِيش إذا موضوعه الموت، ولكن يبدو أن دورة الطبيعة متعلقة بحياة وموت شخص غائب أو ميت، إذ تتعش بحياته، وتذبل وتفقد بريقها بموته أو غيابه، وحسب المقاطع المذكورة فإن هذا الشخص مرة يكون "الأخ" ومرة هو "الزوج"، كما يبدو من خلال هذا "التَّبْرِيش" أن موت هذا الكائن لا يعني الفناء والانتها، بل المغادرة والاختفاء ثم الانبعاث من جديد حينما يكون القمر بدرًا منيرًا، هذه الأفكار تذكرنا بحال الآلهة عند معتقدات الشعوب القديمة، إذ أن "موت الآلهة ليست كموت البشر، فهو لا يعني الاختفاء التام، بل يعني الاختفاء ثم معاودة الظهور من جديد، كما كان يعني التحول إلى حالة أخرى بنتيجة القتل الذي لم يكن موتاً"<sup>1</sup>، كما يذكرنا هذا الغناء الحزين والبكاء في عاشوراء بمنطقة "وادي سوف"، بظاهرة الحزن الجماعي الذي كانت تمارسه الشعوب الشرقية مواساة لآلهة الخصب والنماء "عشتار" على فقيدتها الإله "تموز" اللذين يرمزان لدورة الحياة. وتسعنا عدة إشارات للتدليل على تحليلنا هذا، فالقمرالذي تشتكي إليه النسوة وتسالنه عن الغائب، يكون في ليلة العاشر من محرم على وشك الاكتمال ليصبح بدرًا منيرًا أول جرم سماوي عبده الإنسان، ولهذا توثته النساء كما دلت الأغنية "قمره"، وتشتكي إليها وتدعوها ووفقا للمنطق الأسطوري فإن عشتار تتجلى في القمر الذي يعيش في الأعلى كسيد، ثم يموت فينزل إلى الأسفل ليلاث ثلاثة أيام كسيد، شأنه شأن عشتار آلهة السموات التي تنزل إلى العالم السفلي لتمارس دورا إلهيا آخر كما تدل أسطورة العصر الحجري<sup>2</sup>.

وبذلك تكون مظاهر الندب الموجود في التَّبْرِيش الذي تؤديه النساء ليلة عاشوراء، تشبه في ثقافات شعوب أخرى إلى مظاهر المواساة للإلهة عشتار رمز الخصب والنمو، التي تغيب باحثة عن عشيقها الغالي إله الربيع تموز كما يعرف في الأدبيات الدينية في بابل<sup>3</sup>، الذي ينقطع وصاله بزوجه حين ينزل إلى العالم السفلي، وبغيابهما تشيخ الطبيعة، وتتقطع عاطفة الحب عن العالم فيصيبه الخراب، فيُرفع الخصب عن الدنيا، ويصيبها العقم، ما يجعل حياة الأدميين والحيوانات

<sup>1</sup>قاسم الشواف، ديوان الأساطير سومر وآكاد وأشور، الكتاب الرابع، الموت والبعث والحياة الأبدية، دار الساقى، ط1، 2001، ص17.

<sup>2</sup>ينظر: المرجع نفسه، ص64.

<sup>3</sup>جيمس فريزر، مرجع سابق، ص421.

وحتى النباتات مهددة بالزوال والفناء<sup>1</sup>، لذلك تتدبها النساء يوم عاشوراء بقولهن: "هاي الدنيا نَدِبَتْ عن شَايِبْ عَاشُوراء مَاتْ" \*، "وُؤُكْ عَنِّي عن عاشوراء خَلْتِي القِدْرَةَ مَفْعُورَةً" \*\*، في إشارة إلى شح الخضرة، وربما انتشار المجاعة، ويعتبر "تدب الإله الميت والتفجع عليه والمبالغة في إظهار الحزن هي أدوات سحرية تعينه على فك قيوده في عالم الأموات واكتساب القدرة على مقاومة قوى الفناء"<sup>2</sup>، وكانت هناك الكثير من النواح على رحيل تموز في الترانيم البابلية والتي تشبه بذيول النباتات السريع، يبدو أن موته يُرثى سنويا على وقع موسيقا الناي الحادة، تتدبه النساء والرجال في منتصف الصيف في الشهر الذي أخذ اسمه تموز<sup>3</sup>.

وقد عُرِفَت ظاهرة الحزن الجماعي في الكثير من الثقافات، فنجد أعياد أدونيس (تموز) كانت تقام في فصل الصيف في بلاد اليونان، أدونيس ذات الطفل ذي الجمال الأخاذ، أخذته "أفروديت" ووضعت في صندوق، وأودعته إلى ملكة الجحيم "بيزسيفون"، ولما فتحت آلهة الجحيم الصندوق شدها جمال الطفل، فرفضت إعادته إلى "أفروديت"، وهذا ما سبب عراك بين الإلهتين، ليتدخل "زيوس" وقضى بأن يبقى أربعة أشهر عند كل من الإلهتين، وما بقي من السنة فهي لـ"أدونيس" يتصرف فيها كيفما يشاء. لتكون نهاية "أدونيس" على يد خنزير بري ضخم، فبكنه "أفروديت" طويلا<sup>4</sup>، وكما بينا فإن احتفالات أدونيس تقام في الصيف أيام شدة الحر، وتذكر المصادر لما أراد أمبراطور روماني محاربة الفرس، كان الجنود يسمعون صراخ النساء عاليا على أدونيس<sup>5</sup>، وفي آسيا الغربية وعند الإغريق احتفالات أدونيس التي يندبون فيها موت الإله سنويا بالولولة المريرة وخصوصا من قبل النساء، وفيها يلبس مجسما على شكل جثة يحملونها وكأنها في جنازة ثم يلقونها في البحر أو الينابيع، وفي حرم أسنارت الفينيقي العظيم يقومون بالحداد على موت

<sup>1</sup> ينظر: ا جيمس فريزر، الغصن الذهبي، ص 422-424.

\* ها هي الدنيا تتدب عن موت زوج عاشوراء.

\*\* يا لَوْعَتِي على عاشوراء تركت لي القدر متقوبا.

<sup>2</sup> فراس السواح، الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية، دار علاء الدين، دمشق، ط2، 2001، ص 168.

<sup>3</sup> ينظر: جيمس فريزر، مرجع سابق، ص 421-422.

<sup>4</sup> ينظر: شارل قيروللو، أساطير بابل وكنعان، تع: ماجد خيريك، 1990، ص 106-107-108.

<sup>5</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 115.

أدونيس سنويا على وقع أنغام النواح على الشبابة المصحوبة بالبكاء والرثاء وضرب الصدور<sup>1</sup>. كما " كانت النساء في لبنان تبكين في كل عام موت أدونيس ويرخين شعورهن، ولكي يتذكرن موته كن يزرعن على الأحواض في السطوح بقلًا وشعيرا وشمرا ويحرقن البخور فوق المذابح"<sup>2</sup>، ويبدو أن هذا التقليد عُرف أيضا في الثقافة الإسرائيلية إبان السبي البابلي، ففي الكتاب المقدس العهد القديم سفر حزقيال الإصحاح الثامن: "فجاء بي إلى مدخل باب بيت الرب الذي من جهة الشمال وإذا هناك نسوة جالسات يبكين على تموز"<sup>3</sup>، وفي المزمور المئة والسابع والثلاثين من سفر المزامير نقرأ: "على أنهار بابل هناك جلسنا، بكينا أيضا عندما تذكرنا صهيون، على الصفصاف في وسطها علقنا أعودنا، لأنه هناك سألنا الذين سبونا كلام ترنيمة، ومعذبونا سألونا فرحا قائلين: رنموا لنا من ترنيمات صهيون، كيف نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة، إن نسيك يا أورشليم، تنسى يميني، ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك إن لم أفضل أورشليم على أعظم فرحي"<sup>4</sup>. في المقابل تذكرنا آلام وأحزان عاشوراء من احتفالاتها الدينية، في العراق عند الحرانية الكلدانية المعروفة بالصابئة تموز في النصف منه عيد البوقات يعني النساء المبكيات، وهو تاوز عيد يعمل لتاوز الآلهة وتبكي النساء عليه كيف قتله ربه، وطحن عظامه في الرحي، ثم ذراها في الريح ولا تأكل شيئا مطحونا في رحي<sup>5</sup>.

ومنه فإن عاشوراء تخضع للتقويم القمري، وبالتالي فهي تكون في أوقات متفاوتة من السنة، لذلك فإن طقوسها الممارسة في منطقتي الدراسة تحتضن عناصر مستعارة من الاحتفالات الموسمية التي تخضع للتقويم الشمسي، يُضفى عليها -في منطقتي الدراسة- صبغة دينية حتى تتقبل اجتماعيا بحكم أنها تتوافق ظاهريا مع الإسلام، وفي مظاهر الحداد والحزن الجماعي نلمح

<sup>1</sup> جيمس فريزر، الغصن الذهبي، ص 437.

<sup>2</sup> على عبد الواحد وافي، الأدب اليوناني القديم ودلالاته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعي، دار المعارف، مصر، د. ط، 1960، ص 135-141.

<sup>3</sup> الكتاب المقدس، أي العهد القديم والعهد الجديد، دار الكتاب المقدس بمصر، ط 5، 2006، حزقيال، الإصحاح الثامن، الآية 14.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، المزمور المئة والسابع والثلاثين، الآيات من 1 إلى 6.

<sup>5</sup> ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص 449.

التداخل بين الطقوس الشعبية في منطقتي الدراسة، ومنطقة شمال إفريقيا بصفة عامة وبين طقوس مناطق أخرى من البحر الأبيض المتوسط.

بيد أن موت الطبيعة الذي تمثله النساء يوم عاشوراء من خلال "التبريش" على العرجون ثم رميه، يعقبه انبعاث، ذلك أن "الموت صنوٌ للحياة ووجه الآخر، والطبيعة يجب أن تجدد نفسها بالموت والانبعاث إلى حياة غضة جديدة، مقتفية إثر أول حادث موت وانبعاث على المستوى الميثولوجي، وهي حادثة موت وقيامه الإله دموزي"<sup>1</sup>، ومن تعبيرات الانبعاث كثرة الضحك والفرح وإطلاق الأهازيج وأداء اللعب بعد رمي العوف والعودة إلى ساحة الاحتفال، فالضحك الاحتفالي طقوسي هدفه التجديد وإعادة الولادة للعالم "وقد ارتبطت أشكال الضحك الطقوسي كلها بالموت والبعث وبالفعل التكاثري وبرموز القوة التكاثرية"<sup>2</sup>، شيء آخر يرمز إلى الانبعاث هو النَّفخ أي إخراج الهواء بقوة من الفم أثناء أداء لعبة "أمحي"، حيث أن اللاعبات يصدرن صوت النَّفخ بحركة أفواههن "بُف بُف"، فالملاحظ أن النساء هنَّ الممارسات لطقس النَّفخ، وذلك راجع طبعا لخاصية قدرتهن على الولادة، وضمنيا فهن ينفخن في اللعبة لمساعدة على ولادة العالم أي إعادة بعثه، وقد ذكرت لفظة النَّفخ في القرآن الكريم للدلالة على نهاية الحياة الدنيوية، وبداية البعث وأيضا على الخلق والإحياء ويظهر ذلك في عدة آيات قرآنية نذكر منها: قوله تعالى في سورة طه الآية (102): ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾، وعندما تكلم سبحانه وتعالى على آدم في سورة الحجر، الآية (29) قال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾، كما وردت في القرآن الكريم قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾، من سورة الأنبياء، الآية (91)، وحتى في الثقافات الإنسانية قبل الإسلامية فإن الفم باعتباره تجويف فهو يحمل دلالات جنسية حميمة، وبالتالي فباستناد إلى قانون التشابه فإن الفم يُشبه الفرج في فعل الولادة، وقد جاء في ملحمة الخليقة البابلية أن الإله خلق الإنسان من لبه:

...ففتح فاه وقال لأيا...

دما أخلق وعظما أبري

<sup>1</sup> فراس السواح، الأسطورة والمعنى، مرجع سابق، ص 160.

<sup>2</sup> جون ستوري وآخرون، الكرنفال في الثقافة الشعبية، تر: خالدة حامد، مكتبة الفكر الجديد، ط1، 2017، ص 57.

وأصنع لولو: يدعى بشرا

أجل لأخلق لولو: الإنسان

ولأفرض عليه عبادة الإنسان حتى يستريحوا<sup>1</sup>

فالظاهر إذا أن الفم كان المكان الأسطوري للولادة<sup>2</sup>، كما أن اللعاب رمز أسطوري للحياة في دول الشرق، فلعباب الإله البابلي مردوك يسمى لعاب الحياة<sup>3</sup>. نفهم مما تقدم أن النَّفْخ طقسي في اللعبة الشَّعبية "أمحي" يوم عاشوراء بداية السنة، هدفه المشاركة في تجديد الطبيعة. ويبدو أن الأغاني التي ترددها النساء بعد العودة من رمي "العُوف" تحمل دلالات خصوبة الطبيعة وتأثير العالم، فمن الأهازيج التي تردد: "حَبْبُوهُ يَا حَبْبُوهُ"

حَبْبُوهُ يَا حَبْبُوهُ	وَالْفَقْرِي مَا نَبْغُوهُ
نَبْغِي مُوَلَا الدَّار	وَالنَّخْلُ أَسْطَازُ أَسْطَازُ
حَتَّى عِنْدَ أَضْرَازُ	وَاشْ عَلِيكُمُ فِيهِ
نَبْغِي مُوَلَا البِلْ	وَالخَرْصُ مَكَلْلُ
حَتَّى أَعْمَى فُوقَ جَمَلُ	رَاؤُ بِيَدِي نُفُودُ فِيهِ
نَبْغِي مُوَلَا البَيْتُ	وَالكِسْرَةَ وَالزَيْتُ
حَتَّى كَانَ بِكَيْتُ	وَاشْ عَلِيكُمُ فِيهِ
نَبْغِي مُوَلَا النَّاقَةَ	وَالخَرْصُ وَالْعَلَّاقَةَ
وَحَتَّى فِيهِ شِفَاقَةَ	بِالشَّحْمَةِ نَدَاوِيهِ <sup>4</sup>

<sup>1</sup> تركي علي الربيعو، العنف والمقدس والجنس في الميثولوجيا الإسلامية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 1995، ص26.

<sup>2</sup> ينظر: مانفريد لوركر، معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة، تر: صلاح الدين رمضان، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2000، ص210.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>4</sup> الراوية خديجة قرافية، 70 سنة، تم اللقاء معها 11-09-2024، بلدية الرقبية، ولاية: وادي سوف. ينظر: المقطوعة كاملة في فهرست مدونة البحث، والتسجيل الصوتي رقم: (13).

فهذه الأهازيج تمدح الحب رمز الخصوبة، وتذم الفقر الذي ينقص من الخصوبة، كما تشجع على الزواج من شاب قوي، يمتلك ثروة من نخيل أو أغنام، فهذه كلها رموز تفسر عوامل تقوية الخصوبة خاصة من الجانب الاقتصادي...

وأیضا أغنية بعنوان: "ديدي يا حني"<sup>1</sup>

يَا دِيْدِي يَا حَنِّي وَرَأْسَ لِيْغَدَارِي	وَصَلَّنِي نَجَعُ أُمِّي يَا زَهُوْ بَالِي
وَشْ قَالَتْ النَّخْلَةَ هِرُّوَا تْرَابِي	يَا سَعِدُكُمْ بِيَّ نِمْلَى الْخَوَابِي
وَشْ قَالَتْ النَّخْلَةَ أَحْمُوا دُكَارِي	يَا سَعِدُكُمْ بِيَّ نَسَكِتْ صِنْعَارِي
وَشْ قَالَتْ النَّخْلَةَ عِرْجُونِي مَايْلْ	يَا سَعِدُكُمْ بِيَّ نِمْلِي الْغَرَايْزْ
وَشْ قَالَتْ النَّعْجَةَ وَاَحْمُوا ضَنْبَايَا	يَا سَعِدُكُمْ بِيَّ نَكْسِي الْعَرَايَا
وَشْ قَالَتْ النَّاقَةَ وَاَحْمُوا ضَنْبَايَا	يَا سَعِدُكُمْ بِيَّ نَهْزُ الْعِيَايَا
وَشْ قَالَتْ الْمِعْرَةَ وَاَحْمُوا ضَنْبَايَا	يَا سَعِدُكُمْ بِيَّ نَكْسِي الْحَفَايَا

تبين هذه الأهازيج دور النخيل والأغنام الموجودة في المنطقة الصحراوية في تأثيث العالم، والحفاظ على قيام المجتمع الإنساني، فالاهتمام بالنخلة يؤدي إلى إنتاج التمر الغذاء الأساسي للصغار والكبار في المنطقة، كما أن الاهتمام بالإبل والماعز يؤدي إلى إنعاش اقتصاد المنطقة، وتسهيل الحياة من خلال التنقل فوق الجمال، واستغلال لحومها وجلودها، ففي هذه الأهازيج معان تركز على قوة الخصوبة والتكاثر اللذين بهما يتأثث العالم منها: عاطفة الحب/ الزواج من شاب صغير/ الزواج من مالك النخيل والقطعان/ تأبير النخيل حتى تنتج تمر العولة/ الاهتمام بالحيوانات التي تعيش في المنطقة فمن لحمها يأكلون، وعلى ظهورها يركبون، وجلودها يستخدمونها فيما يستحقون، كالملابس والأحذية.

إلى جانب ما ذكر، نجد طقس "جَبَّاسَة عاشوراء" الممارس في منطقة "وادي سوف" يُعصد من أطروحة بقايا الاحتفالات الزراعية في عاشوراء، "فالجَبَّاسَة" تكون المماثلة للقمر في شكله ولونه،

<sup>1</sup>الراويّة عزوز مبروكة. كما تم تسجيل الأغنية عن الراوية: فايز مبروكة، 67سنة، تم اللقاء معها يوم 25-03-2023، وادي سوف. ينظر: المقطوعة كاملة في فهرست مدونة البحث، والتسجيل الصوتي رقم: (10).

وأساس هذا التّجسيد نقل الخواص التخصيبية من قمر السماء إلى قمر الأرض "الجَبَّاسة"، ذلك أن قمر السماء في هذه المرحلة يكون في أوج عطائه أي لحظة اكتماله التي تشبه لحظة ظهور الثمار وتكورها في النبات، كما تشبه مرحلة شباب الإنسان حينما يكون ينعم بالطاقة الفتية، وبما أن الشبيه يحدث الأثر نفسه، فإن "جباسة عاشوراء" يرجى منها إحداث أثر القمر الذي يكون في مرحلة العطاء، وعملا بمنطق أسطورة عشتار فإن القمر حين يكون "في طوره الأول عندما يرتفع الهلال فوق الأفق الشرقي آخذا بالتزايد حتى الاكتمال، تدير عشتار نحو العالم وجهها المضيء، وجه الخصب والحياة"<sup>1</sup>، يكون الغرض من "جَبَّاسة عاشوراء" هو نقل القوة الإخصابية المؤثرة، وتبقى سارية كما هي طول العام، لذلك فإن النساء تعمد إلى تعليق حجر "الجَبَّاسة" في "الخاوية" كي تبارك في الغلة كما يفعل القمر على الزرع، وأيضا يعلق في المنازل مع الفلفل الأحمر الحار، كي يطارد الأوكاس والأمراض والحسد مرض النفوس، وأيضا يبث الحياة في المنزل -العالم المصغر - وبيبارك في الأولاد، وأيضا يخصب الزرع خاصة النّخيل الموجود في كل البيوت التقليدية السّوفية، فالنّخيل يعتبر مصدرا غذائيا مهما بالنسبة إليهم، وبالتالي فإن محاكاة القمر من خلال "جَبَّاسة عاشوراء" من بقايا عبادات القمر.

#### رابعا: انثربولوجيا تمثليات شايب عاشوراء

كما بينا فإن العروض التمثيلية الموجودة في احتفالات "شايب عاشوراء" تهدف حسب مؤيديها والمتفاعلين معها، إلى الإمتاع والتسلية، أي الخروج عن الجد، وأيضا بالتمثيل والمحاكاة فإنها ترمي إلى معالجة الأوضاع الاجتماعية، وتقوية الأواصر الأسرية والاجتماعية، ولكن ما يشد الانتباه الغرائبية التي تنفّس في هذه الاحتفالات أي؛ خروج هذه المسخرات عن المعتاد، فالنّاس في "شايب عاشوراء" يمارسون ما يعتادون عليه وما لم يعتادوا على فعله، مثلاختفاء الممثلين وراء أقنعة حيوانية أو وجوه بشرية أخرى، وارتدائهم ملابس بالية تظهرهم بأشكال ضخمة، وقد يستغنون عن ملابس معينة كشخصية شايب عاشوراء الذي لا يلبس سرواله، وأيضا قلب هوياتهم فالرجال، الذين يرتدون ألبسة نساء ويحملون هوياتهن لا يتخرجون في هذا اليوم من ذلك، عكس باقي الأيام، كما لا تخلو هذه العروض من بذاءات كالإيحاءات الجنسية والشتم، ومنها ما يمس حتى التعاليم

<sup>1</sup>فراس السواح، لغز عشتار الالهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، دار علاء الدين، سورية، ط1، 1985، ص209.

الإسلامية كاستهزاء بالصلاة وقلب الأذكار، كل هذا يتقبله الناس في هذا اليوم، بل إنهم يطلقون صيحات من الضحك، ما يشعل حماس المؤدّين فيزيدون من مسخراتهم، فهم يعيشون بذلك في وقت عبثي مؤقت تُلغى فيه القوانين الاجتماعية والدينية، ويُسمح بالفوضى، فشايب عاشوراء بالنسبة لهم يلبي حاجة إنسانية، فمن خلال الاحتفال يستفرغ الفرد حمولاته النفسية، ويجدها معنويا إلى عاشوراء القادمة حسبهم، فما هي الدلالات الرمزية والوظيفة الاجتماعية والدينية لاحتفالات شايب عاشوراء؟

### 1- قناع شايب عاشوراء

الوجه من أهم معالم الهوية، يواجه به الإنسان كل ما يدور في العالم الخارجي حتى يتمكن من التفاعل معه، "فهو أهم مظهر على الإطلاق، ولذلك فالقناع يكتسب أهميته من أنه استبدال لوجه مستعار لشخص بشري آخر، أو حيوان أو حتى كائن مجرد أو متخيل"<sup>1</sup>، فما الدور الذي يؤديه القناع في الاحتفالات الدينية بصفة عامة؟ وفي احتفال شايب عاشوراء بصفة خاصة؟

منذ العصر البدائي قدس الإنسان الحيوان لاعتقاده بأنه تستقر في جسده قوة روحية، لذلك كان يعتمد إلى ممارسة طقوس خاصة قبل صيده، كما أن الإنسان بجّل الحيوانات لاعتقاده بإمكانه نسخ قوتها وبراعتها إن هو استطاع مشاركتها قدرتها الهائلة<sup>2</sup>، وقد كان يعتقد البدائي أن السبيل إلى ذلك يكون بمحاكاة صورها وحركاتها كشكل من أشكال العبادة، لذلك استعار بعض أجزائها لتقليدها ونقل خواصها المقدسة إليه، كما أنه في "العصر الباليوليت -العصر الحجري القديم- ظهر المكياج وتخطيط جسم الإنسان، وخصوصا عند زعيم القوم أو الشامان، بغية تفرده عن غيره وزيادة في هيبه الطقوس السحرية والدينية، ومن ضمنها الرقص وتقليد حركات الحيوانات"<sup>3</sup>، هذه هي المنابع الروحية الأولى لظهور القناع، ثم توسعت فكرة القناع وتنوعت دلالاته. وعن أسباب

<sup>1</sup> أحمد زغب، عمود الدخان، مرجع سابق، ص 63.

<sup>2</sup> ينظر: فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، الشعوب البدائية والعصر الحجري، الكتاب الأول، دار التكوين، ط4، 2017، ص 34.

<sup>3</sup> ينظر: خزعل الماجدي، أدب الكالا... أدب النار، مرجع سابق، ص 15.

لجوء الإنسان إلى لبس القناع كما تذكر إحدى الأساطير هو الحماية من الشيطان. فقد أرشد امرأة بأن ترتدي قناعا شبيها بقناعه من قشر شجرة معينة حتى تسلم من انتقامه:

الآن أصبح معروفا ان ارتداء

قناع القشرة

هو حماية كافية ضد الشياطين

لان من يرى صورته وجلده

هل يستطيع تدمير جنسه<sup>1</sup>

لذلك فإنه في معظم الثقافات لعب دورا هاما في حفظ وجودها واستقرارها، ومقاومة أخطار الطبيعة، فالهنود مثلا يستعملونه في مؤخرة الرأس للتمويه على الحيوانات أثناء الصيد<sup>2</sup>، وحينما أدرك الإنسان المغاربي أن العالم محفوف بالمخاطر، ووجب أن يتقرب إلى الظواهر الطبيعية حتى يسلم من الأرواح الشريرة التي تحول بينه وبين سعادته واطمئنانه، لذا عمد إلى التّفنّع والتّكرّر في شكل حيوانات ضخمة مفترسة، ومحاكاة حركاتها<sup>3</sup>، والقناع في الاحتفالات يشمل غطاء الرأس والجسد، بخلاف ما يعنيه في المسرح إذ يحدد الوجه فقط<sup>4</sup>، وفي افريقيا كان للقناع حضور بارز في المراسيم الجنائزية، والاحتفالات الدينية، وأيضا في الجمعيات السرية، وفي طقوس العبور ما يدل على أهميته في تراتبية الحياة، ومن المراسم الجنائزية عند قبائل (الدوجون) في افريقيا السوداء، ارتداء أقنعة مصنوعة من ألياف النبات<sup>5</sup>، وفي قبائل "البامبارا" يقيمون كل عام حفلا حول قبور الأجداد يشارك فيها لابسو الأقنعة بالرقص حول القبور<sup>6</sup>، ويسود الاعتقاد عند قبيلة "الدوجون" أن روح جدهم الأول، تستقر في القناع الأكبر، وهو تمثال من الخشب يمثل أفعى هائلة تنتهي

<sup>1</sup> عبد الستار البدراني، السحر المضاد: دراسة انثربولوجية في المكونات الأولى للقناع، ج2، موقع أنثروبوس <https://www.aranthropos.com>.

<sup>2</sup> ينظر: حسن يوسف، القناع بين المقدس والمتخيل السريدي، مجلة علامات، العدد الخامس، المدرسة العليا، مكناس، 123 أغسطس 2020.

<sup>3</sup> محمد الصغير غانم، الملامح الباكورة للفكر الديني الوثني في شمال افريقيا، مرجع سابق، ص12.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص13.

<sup>5</sup> هوبير ديشان، الديانات في افريقيا السوداء، تر: أحمد صادق حمدي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011، ص24.

<sup>6</sup> المرجع نفسه، ص25.

برأس دقيقة، لذلك فإنهم في العيد الديني سيجي sigui وهو احتفال يقام بغرض تغيير القناع، وتجديد روح الجد الأكبر، وذلك عن طريق ذبح حيوان وطير، لتنتقل أرواحهم إلى القناع الأكبر<sup>1</sup>، وكذلك فإن الجمعيات الدينية في افريقيا السوداء تشتترط على المنتسب إليهم اعتبار قناع الجمعية روحا مقدسة<sup>2</sup>. من خلال ما تقدم نفهم أهمية حضور القناع في الاحتفالات الدينية، فهو يعيد الغائبين الأموات لينالهم نصيبهم في هذا اليوم، كما أن ارتداء القناع يساعد مرتديه على الانسلاخ من الواقع المادي، والاندماج في الذات الروحية ما يمكنهم من مواجهة الخطر الكوني المتمثل في الأرواح الشريرة.

وفي عاشوراء فإن خصوصية اللّعب التي تتمتع بها "شايب عاشوراء" تستدعي التّفنّع والتّكر، ذلك أن اللّعب في عاشوراء يخرج عن المعتاد، فيصبح معبرا عن الثّقافة المجتمعية، من ذلك نجد الممثلين(شايب عاشوراء، وريدة، الأسد...) يتقمص وجها آخر يعبر عن دور لا يؤديه في حياته اليومية، كما أن التّكر في الاحتفالات يساهم في التّعبير عن الذات بحرية، وبذلك فإن المثلثين لا يهابون من نقد النظام السياسي أو الاجتماعي أو حتى ديني، وبما أن القناع "أصبح ملك الروح التي يمثلها"<sup>3</sup> حسب الفاعلين الاجتماعيين، فهو يساهم في ممارسة بذاءات عاشوراء كما ينبغي، لاعتقادهم أن المتكرر يستعير وجها آخر أي؛ هوية مغايرة ما يجعله راضيا على نفسه، ولا يخاف سخط الله؛ لأنه " أثناء اللّعب يتحول المرء إلى مخلوق آخر، وفي الواقع فإن عملية التّكر وارتداء الأّقنعة أثناء اللّعب تمثل حالة فريدة للتعبير عن الذات تتداخل فيها مخاوف الطفولة ومباهاجها والخيال الصوفي الجامح ناهيك عن الرهبة من الله وكل ما هو مقدس<sup>4</sup>. نفهم من هنا أن الغموض، وتفرّد لعب الاحتفالات هو الداعي إلى ارتداء الأّقنعة في عاشوراء.

وأما "دوتي" فإنه يفسر احتفالات "شايب عاشوراء" على اعتبار أنها تلطيف طقوس الموت الشعائري لإله التّبت بغية تجديد القوى المقدسة كما كان يُفعل بالملوك والسّحرة والكهان، ما يدل

<sup>1</sup> ينظر: هوبير ديشان، الديانات في افريقيا السوداء، ص54.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 83.

<sup>3</sup> ديانا ووفتر، الفن الهندي في أمريكا الشمالية، مجلة فنون عربية، العدد 7، المجلد الثاني، السنة الثانية، 1982، ص125.

<sup>4</sup> يوهان كوتسينغا، ديناميكية اللّعب في الحضارات والثّقافات الإنسانية، مرجع سابق، ص65.

على أن العقلية الشَّعبية مازال فيها شيء من البدائية، وكذلك "لاووست" يُرجع الاحتفالات الكرنفالية كلها إلى "دراما موت الإله وبعثه حيث يتم الاحتفال باقترب السنة من نهايتها وبداية زمن جديد، ويتبنى دينا زراعيا قديما، يعتمد تجدد الطبيعة"<sup>1</sup>، وتُسعفنا بعض الإشارات الموثقة في هذه الطقوس لاستدلالها على هذا التحليل، فمن خلال إحدى المشاهد يتبين أن شايب عاشوراء يرمز إلى الشخصيات المقدسة، فلفظة "شايب" تدل على الكبير الذي يكن له كل الاحترام والتقدير، حين يهاجم "الأسد" "شايب عاشوراء" فيلطمه بالأرض، فيستغيث شايب عاشوراء بالنَّاس، فيكلمهم بقوله على سبيل المثال "يا أيها الذي لم تفعل في حياتك أجر تعالي أنقذني لأجازيك بما ستفعله لي" من هنا نفهم أن "شايب عاشوراء" شخصية مقدسة فهو سليل الملوك والسَّحرة والكهان. إن القناع الذي يرتديه شايب عاشوراء يدل على الشيخوخة، غالبا يكون ليفا جافا للنَّخيل، ربما هو دلالة على الكفن؛ لأن في الواحات الصحراوية كان الأموات يكفنون بليف النخيل"<sup>2</sup>، وهذا يشير إلى موت الملك شايب عاشوراء الذي يمثل العام السابق، أما طريقة انبعائه فنفهمها من خلال تحويل عكازه الذي يتكى عليه، إلى سلاح يضرب به الأسد، "عصا الملك هي عضو التذكير"<sup>3</sup>، ما يدل على تجديد خصوبته، وأيضا حين يسترجع عروسته "وريدة".

هناك صلة بين شايب عاشوراء والشخصيات المقدسة الذين يتم التضحية بها، فلقد صور البدائي الله في صورة الإنسان، وأجرى عليه قوانينه، لذلك عده محكوم بالموت والفناء مثله مثل البشر، وبما أن الكون مرتبط بشخصيات مقدسة من ملوك وآلهة وسحرة، فإن أرواحهم تتلقى بعمق تأثيرات أجسادهم، فضعفهم يؤثر سلبا على مجريات الطبيعة التي تستجيب فتضعف وتخرف، كما أن موتهم مينة طبيعية حسبهم تؤدي إلى ضياع أرواحهم، فيحرم عابدها من عبادة روح الإله البشري، فيضيع الخير، ويفقد العالم توازنه، ويصبح الوجود مهددا بالفناء، لذلك كان يحبذ أن لا تشيخ الملوك لضمان سلامة العالم، وبما أنه عاجز على حفظ شباب تلك الشخصيات المقدسة،

<sup>1</sup> جون ستوري وآخرون، الكرنفال في الثقافة الشعبية، مرجع سابق، ص 99.

<sup>2</sup> مريم بوزيد سبابو، نن كيل سببيه في معنى شعيرة عاشوراء بواحة جانت، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ علم الانسان والتاريخ، العدد 19، ص 32.

<sup>3</sup> جيلبير دوران، الانثربولوجيا رموزها أساطيرها أنساقها، مرجع سابق، ص 112.

أملى عليه عقله بقتلهم بأيديهم حتى يضمنوا مرور أرواحهم اليافعة إلى شباب يخلفهم، وهكذا يعتقدون أنهم يحافظون على القوة التي تحفظ توازن العالم، فلدى العديد من الشعوب الأمريكية كانوا يقتلون الملوك ما أن يصابوا بمرض ما، كما ساد هذا الاعتقاد في إفريقيا فلدى بعض قبائل "قازوقل" حين يُفرض على الملك أن يقيم العدل تحت شجرة معينة، وإذا عجز عن أداء مهمته لداء أصابه، فإنهم بعد ثلاثة أيام يقومون بشنقه على الشجرة نفسها، وفي مملكة بونيورو في إفريقيا الوسطى فإن الملك يقتل نفسه بنفسه إذا بدأت بوادر الضعف والمرض تدب إلى روحه، حسب ما تمليه عليه النبوءة القديمة؛ لأنها تعتبر الميتة الطبيعية للملك علامة كبرى لانتهيار العرش، كما انتشر في كثير من البلدان عادة القتل بالوكالة، إذ يعوض الملك روحه شخص آخر بديلا عنه، ففي "البنغال" بسميرة كان الملوك الذين يتم قتلهم يُعوضون بقاتليهم، وكان ملك السويد "آون" يقوم بالتضحية بأحد أولاده كل تسع سنوات كبديلٍ عنه<sup>1</sup>، ومنه فإن غاية التَّقنع هو استعارة هوية لممارسة الحرية، وأيضا فإن القناع الذي يرتديه "شايب عاشوراء" هو بمثابة تعويض عن شخصيات مقدسة يتم التضحية بهم للحفاظ على القوة التي تسكنهم، والتي تُساهم في انبعاث الطبيعة.

## 2- الدلالات الرمزية لتمثليات وِذاءات شايب عاشوراء

تتعدد رمزيات "شايب عاشوراء" وفقا للتمثيلات التي تؤديها، فمن جهة فإنها ترمز إلى طقوس الخصب والتَّجدد، ومن جهة أخرى تنتقد أنظمة اجتماعية كنظام الأسرة، كما أنها تنقد نظاما دينيا. فهناك من الأنثربولوجيين يفسرون شايب عاشوراء باعتبارها طقوس زراعية ترمي إلى تجديد الطبيعة وتقوية نظام الخصوبة، ومن رواد هذا الاتجاه "دوتي" و"لاووست" لهذا عدوها بقايا "احتفالات وأعياد وثنية قديمة تحتفي بتجدد الطبيعة التحمت مع التقويم الإسلامي"<sup>2</sup>، وهكذا فإن الصراع القائم بين "شايب عاشوراء" الذي يمثل الخير على "الأسد" الذي يمثل الشر، يعبر عن الانتقال من زمن مضى إلى زمن آتٍ أي؛ قتل زمن بلغ أجله وولادة زمن جديد يسمو بالخيرات، كما أن هناك طقوسا تساعد على تأثيث العام الجديد يسمو بالخيرات، وأولها تثبيت نظام الخصوبة

<sup>1</sup> ينظر: إدموند دوتي، السحر والدين في شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 418-419. وجيمس فريزر، الغصن الذهبي، مرجع سابق، ص 349-353-362.

<sup>2</sup> جون ستوري وآخرون، الكرنفال في الثقافة الشعبية، مرجع سابق، ص 91.

المعبر عنه في هذه التمثيلات برمي شايب عاشوراء عكازه بعد تغلبه على الأسد، في إشارة إلى استرجاع شبابه وزواجه من الشَّابة البكر "وريدة"، ومنتبه هنا أن اسم "وريدة" يحمل دلالات "الورد" الذي نعلم أنَّه يتفتح في الربيع، لذلك نجد "لاووست" يرد هذا الاحتفال كان يمارس في الربيع مفتتح السنة ويظهر ذلك في قوله: " يبدو أن بربر الأطلس الكبير والصغير يحتفلون أثناء عاشوراء بحفل قديم الذي كان يتم في الأول في الربيع أو الصيف"<sup>1</sup>، وأيضاً ضرب "شايب عاشوراء للأرض بعصاه لتميرير الخصوبة، على اعتبار أن "شايب عاشوراء" هو الملك فهو المسؤول أيضاً عن طرد الأرواح الشريرة، أي تنقية العالم والاستعداد لاستقبال سنة جديدة خالية من الشرور، وأيضاً الماء الذي لا يغيب في هذه الاحتفالات يرمز إلى مني الرجل المطلوب لأجل التكاثر والإعمار، وإلى ماء السَّماء الذي تحتاجه الأرض للتبثبث والثمار، كما أن مشهد "المرأة الحامل" والأهازيج والتصفيق والضحك ربما يكون الهدف منه تسهيل ولادة السنة، ما يزيح الخطر الكوني "العقم والعودة إلى الحالة الأولى".

إن الهدف المعلن حسب الممثلين والمتفاعلين من "شايب عاشوراء" هو الفرجة والإمتاع والتَّرويح عن النفس، لكن حينما ندقق مع المشاهد نجد أن المضحك والمسلي في هذه الاحتفالية، هو جرم وتابو في الحياة الاعتيادية، ما يجعلنا نفسر أن الضحك والاستهزاء والرقص والأغاني البذيئة في "شايب عاشوراء"، بأنها مظاهر طقوسية هدفها أبعد من التَّسلية، فهو يبرز ويفضح الثقافة الغابرة، ثقافة الدين الشعبي المقاومة للدين الرسمي، فخلال شايب عاشوراء "يتم تعليق القوانين والضوابط والممنوعات التي تحدد بنية الحياة الاعتيادية، وأول ما يتم تعليقه هو البنية التراتبية وجميع أشكال الرهبة والتبجيل والتقوى والإتكيت المرتبط بها"<sup>2</sup>، كما تُلغى الحدود المعهودة بين الجنسين في الاحتفال، وبالمعنى الكرنفالي يحصل "الاتصال الحر والحميم بين الناس"<sup>3</sup>، من ذلك فإن حلقة "شايب عاشوراء" تكون مكونة من رجال ونساء في بعض مناطق "وادي سوف"، وفي بعض المرات تتجه إحدى الشخصيات صوب النساء لأداء مشاهد معينة حسب ما تقتضيه

<sup>1</sup> مريم بوزيد سبابو، ن كيل سببيه في معنى شعبية عاشوراء بواحة جانت، ص 31.

<sup>2</sup> جون ستوري وآخرون، مرجع سابق، ص 50.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 50.

التمثيلية، نفهم من هذا في عاشوراء يتم إلغاء الدين الرسمي القائم على الأوامر والنواهي، واشتغال الدين الشعبي الفولكلوري المتقل بالرواسب الثقافية، فنجد مثلا المقدس يدنس، ويتضح ذلك من خلال المحاكاة الساخرة للنصوص الدينية الإسلامية، فالسبحة التي يستعملها "شايب عاشوراء" بهدف الذكر، تصنع من جلة الجمل(براز الجمل)، وأيضا أذكاره بذئبة خاوية من الكلمة الروحية فنجده يردد: "نُكْرِطُ بِالْفِطِيرِ، نُكْرِطُ بِالْفِطِيرِ" وأيضا نجده يقدم فتاوى تتعارض مع التعاليم الإسلامية المتفق عليها، كأن يجب من يسأله عن الصلاة بقوله<sup>1</sup>: "الصلاة في الشتاء لا بالتيم ولا بالماء، أما في الصيف فَصَلِّي بِالسَّيْفِ، وأما في الربيع والخريف كان إِشْتِهَيْتُ صَلِّي كَأَنَّ إِشْتِهَيْتُ حَلِّي"، ومن المقولات التي تردد في شايب عاشوراء "خَافُوا رَبِّي مَا تُصَلُّوْشْ، نَتَّاعُ النَّاسِ مَا تَأْكُلُوْشْ، كَأَنَّ لُقَيْبُوْ مَا تُخَلُّوْشْ"<sup>\*\*</sup>، كما تكثر البذاءات من خلال التلميحات الجنسية، فنجد مثلا شايب عاشوراء لا يرتدي سرواله ما يجعل أعضائه الجنسية بارزة، وأيضا تلك النظرات الشهوانية التي تحصل بينه وبين محبوبته وريدة، وفي مشاهد أخرى فإنه يحضن البنت البكر التي يشتهيها للزواج، وفي بعض المناطق بالمغرب فإن الأمر أدهى يذهبون إلى حد خطف النساء من أزواجهن، و في "بلماون" بالمغرب تُحاكى مشاهد جنسية، يقرأ ممثل شخصية اليهودي سورة الفاتحة أثناء أدائها<sup>2</sup>، وبالتالي نجد التلاعب بالتعاليم الدينية واضحا من خلال "أسلوب القلب في الصلوات يتوضأ الباشيخ تحت أنظار زوجته ويقوم بقية المصلين بغسل رأس الحمار ثم يستدبرون القبلة، أما كلمات القاضي الذي يؤم المصلين فبذئبة وفاحشة بدلا من أن تصدر عن القرآن الكريم، حتى أيدي المصلين التي تكون مضمومة أثناء الدعاء نجدها هنا مقلوبة ظهرا لبطن"<sup>3</sup>، وفي "وادي سوف" فإن النساء يعتقدن أن عاشوراء من المناسبات التي يصلح فيها السحر، وبهذا فإنه في احتفالات شايب عاشوراء تُظهر

<sup>1</sup> الراوية صالحة دريدي، 60 سنة، 05-07-2023، وادي سوف.

\* الصلاة في الشتاء لا بالتيم ولا بالماء، أما في الصيف فصل مرغما، وأما في الربيع والخريف، فإذا أردت صل، وإذا لم ترد فلا تُصل.

\*\* خافوا ربي لا تصلوا، أشياء الناس لا تأكلوها، وإذا وجدتموها لا تتركوها.

<sup>2</sup> ينظر: عبد الله حمودي، الضحية وأقنعتها البحث في الذبيحة والمسخرة بالمغرب، تر: عبد الكبير الشرفاوي، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2010، ص85-99-118-126.

<sup>3</sup> جون ستوري وآخرون، مرجع سابق، ص94.

"الجانب المعكوس من العالم (...). حيث يتم إنزال الأشياء من عليائها إلى الأرض بطريقة كرنفالية، والبذاءة الكرنفالية المتعلقة بقدرة التكاثر لدى الأرض والجسد، والمحاكاة الكرنفالية الساخرة للنصوص والأقوال المقدسة"<sup>1</sup>.

وبالتالي فإن القناع يفضح لوعي الفاعلين الاجتماعيين، إذ يتبين أن الثقافة الشعبية تقاوم الثقافة الرسمية التي تكبح حريتهم وتلزمهم بتعاليم جاء بها الدين الإسلامي الجديد، فالقناع حسب ما أوردنا أعلاه في حقيقة الأمر يجسد فكرة صممت وسكنت أمام قوة الثقافة الإسلامية المتغلغلة في الوعي الجمعي، وبالتالي فالقناع يُعطي مساحة لتحريك السواكن عن طريق تفريغ مكبوتات بقيت تتنازع داخل الحياة النَّفسية تتحين الفرص لتخرج وتعبّر عن ذاتها في ظل هيمنة سلطة دينية تقوم على الرفض، وبهذا يبدو على مستوى الوعي فإن هذا التمثيل هزلي، لكنه على مستوى اللاوعي فهي دوافع حقيقية، وهذا ما دأب إليه جملة من الباحثين الذين يرون أن المسخرات هي بقايا قبل إسلامية، وما هي إلا نوع من التعبير عن رفض الإسلام، فهذا فسترماك "يفسرنا بأنها طريقة استهتارية احتفالية يتمرد من خلالها الناس ضد القداسة التي يفرضها عليهم العيد حتى يتمكنوا من الرجوع إلى مشاغل الحياة العادية دون خطر، وبما أن هذه الحفلة التنكيرية هي بقايا طقس ما قبل إسلامي، فإنها تمثل بمعنى من المعاني روحا معارضة للديانة الجديدة"<sup>2</sup>، فحسبه فإن في هذه المناسبة يبرز التوتر والصراع الخفي بين العوائد الوثنية والدين الجديد، "ولهذا السبب تجده لا يدرك مجاز السخرية والحسن الاحتفالي الذي تزخر به المشاهد التي لا يرى فيها سوى لعبة داعرة ودينئة ربما تكون متمطة بنمط ساتورناليا"<sup>3</sup> وإلى الرأي نفسه يذهب "مولييراف" "فيجعل الاحتفال في مصاف الكثير من العلامات التي يراها ترمز للتفكك ومحاكاة للفساد المرافق لاحتفال ساتورناليا"<sup>4</sup>، وهو أشهر الاحتفالات في روما القديمة، وكانت أعياد زحل Saturn وهو إله الزراعة تتم في ديسمبر وتجري في مرحلة ماجنة، يعني المبالغة في اللهو والمجون والخروج عن التقاليد، أهمها

<sup>1</sup> جون ستوري وآخرون، مرجع سابق، ص 50-51.

<sup>2</sup> عبد الغني مندوب، الدين والمجتمع دراسة سوسولوجية للتدين بالمغرب، أفريقيا الشرق، المغرب، 2006، ص 24.

<sup>3</sup> جون ستوري وآخرون، مرجع سابق، ص 95.

<sup>4</sup> عبد الغني مندوب، مرجع سابق، ص 100.

السماح بالممارسات الجنسية لكل أطراف المجتمع دون قيد، كما كان العبيد يعينون ملكا يحكمهم عدة أيام ثم يتم نحره كما كان يفعل جنود الرومان حسب ما كشفه نص إغريقي<sup>1</sup>، كذلك يرى محمد خير الدين المسخرة على أنها بقايا مُلطفة من الاحتفالات القضيبيية عند قدماء الإغريق، وقد كان يحتفل به قديما، وكان يسمح للكبار فقط بمشاهدته، حيث كان بقشيش (المهرج) يحاكي الممارسة الجنسية للتيس، يصنع في طرفة عين بمهارة فريدة قضيبا بطرف من ثوبه، ويندفع ويرسل أصواتا دالة سائل اللعاب، لم يكن يتردد في الارتداء على المتفرجات<sup>2</sup>، ومنه فإن المشاهد الفرجوية الجنسية هي عبارة عن رفض للثقافة الجديدة التي تقنن السلوكيات الاجتماعية، وفي مشاهد عاشوراء يظهر نقد الأنظمة السلطوية الاجتماعية الدينية والسياسية والأسرية... الخ.

### المبحث الثالث: أنثربولوجيا احتفالات عاشوراء بين المحلية والعالمية

خصصنا هذا المبحث في البحث عن طقوس احتفالات عاشوراء في مناطق ودول مختلفة.

#### 1- احتفالات عاشوراء في بعض المناطق الجزائرية

تتنوع احتفالات عاشوراء في المناطق الجزائرية، ففيمدينة "جانت" بمنطقة الجنوب الشرقي الجزائري، وهي عاصمة الطاسيلي، يطلق لفظ "سببيه" على شهر محرم في رزنامة كيل أزجر عموما، تمر احتفالات سببيه بعدة مراحل، فالمرحلة الأولى تسمى ثمولين، وتتطلق احتفالات هذه المرحلة منذ الفاتح من شهر محرم إلى غاية الثامن منه، ويتم خلال هذه الأيام تحضير مستلزمات اليوم الحاسم، فعلى المستوى المادي يتم تجهيز الألبسة الخاصة بالمناسبة والحلي والآلات الإيقاعية وكذلك السيوف، وعلى المستوى النفسي تعقد حلقات شعرية، حيث يتم فيها تلقين الشباب وتحضيرهن لليوم الحاسم، وتتفرع مرحلة تمولاوين إلى فرعين أساسيين، الأولى يطلق عليها مرحلة تَامُولِي تَ اَنْصَرْتُ وتَامُولِي تَ مَقَرْتُ أي المدح والثناء الأصغر، والمدح الأكبر، تبرز من خلالهما قوة الثمانية أيام ويسمح ببروز مختلف الطقوس التي تشكل الجسد ومورفولوجية الشعيرة في العشر من محرم، أما اليوم العاشر فهو اليوم الفاصل يخرج فيه الرجال والنساء إلى فضاءات

<sup>1</sup> ينظر: دوتي، مرجع سابق، ص 427.

ينظر: جون ستوري وآخرون، مرجع سابق، ص 118.

<sup>2</sup> ينظر: عبد الله حمودي، الضحية وأقنعتها البحث في الذبيحة والمسخرة بالمغرب، مرجع سابق، ص 130.

مقدسة، يشرعون في الرقص والضرب على الطبول، إذ يتسلل الرجال يرتدون أفنعة بهيئة غريبة إلى حلقة النساء للرقص رقصا طقوسيا، كما تشهد سببية عدة طقوس منها: طقس تَنقَار، وطقس آغلاي ن كَمْسِين وطقس آغلاي ن وَتَاي أو دوران العام.<sup>1</sup>

وفي منطقة "تمرنة" بجامعة يحتفل أهالي المنطقة بعاشوراء ابتداء من يوم التاسع، ويُسمى تاسوعاء، حيث يغتسل السكان بماء العين في الصباح الباكر ويقولون أثناء ذهابهم "رايحين نَنْرَمُومُو" لاعتقادهم أن ماء العين يحمل بركة؛ لأنه آت من ماء زمزم بمكة المكرمة، ويحرصون على رش أماكن البهائم والدواجن، كما يُمارس سكان منطقة "تمرنة" طقس "التأمليغ" وهي عبارة عن خلط الحنة بالماء ثم وضعها من الذقن حتى أسفل الرأس، كما يضعون الحنة للحيوانات الأليفة الموجودة بالمنطقة، وكغيرهم من الناس يتركون من لحم الضحية لهذا اليوم الموعود، وتحرق النساء في عاشوراء البخور الطارد للأرواح الشريرة، وفي ليلة الاحتفال تؤدي تمثيلية شايب عاشوراء، بحيث يرتدي شخص زيا ضخما ويلون وجهه بالفحم ليخيف المارة، أما الرجال فإنهم يحاكون ممارساتهم اليومية، فالتاجر تجده يحمل قفة ويردد نفس الشعارات التي يقولها عندما يبيع سلعته، والفلاح تجده يحمل نخلة صغيرة ثم يزرعها في حفرة ويسقيها وهكذا كل يُمثل مهنته، وكذلك تمارس عدة ألعاب أخرى مثل لعبة "البعير" ولعبة "العقرب"، وللنساء كذلك ألعاب خاصة بهذه المناسبة، ومن بين هذه الألعاب لعبة "الستوتة" وتتقمص شخصية الستوت امرأة ترتدي لباسا ممزقا، تجلس لتدق بالمهزار، وتقابلها امرأة تتلوى على الأرض بدافع أوجاع الحمل والولادة، وتؤدي هذه التمثيلات في جو يسوده المرح والضحك، وتُقدم في عاشوراء أطباق خاصة تعارف عليها أفراد المجتمع، ومن هذه الأطباق "القول" ويخرج منه صدقة على روح الأموات وأيضا الأحياء، كما يتشارك الأهالي ليقوموا بطقس المعروف، فتُجمع أموال من عند المحسنين ويشترون شاة أو تيسا ويذبحونه أمام ضريح الولي سيدي علي بن عثمان، وتقدم الذبيحة للنساء اللاتي يطبخن طبق "البركوكش" بلحم الذبيحة، ويأكل منه الجميع.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> ينظر: مريم بوزيد سبابو، ن كيل سيبه في معنى شعيرة عاشوراء بواحة جانت، ص 101 إلى 110.

<sup>2</sup> ينظر: مريم لمام، العادات والتقاليد الأسرية بقصر "تمرنة" (ولاية الوادي): بين الاستمرارية والتغير، إنسانيات المجلة الجزائرية في الأنثربولوجيا والعلوم الإنسانية.

ويقوم أهالي قرية "تكوت" في ولاية باتنة، بالتَّحضير لكرنفال شايب عاشوراء، "أمغار نعشورا"، قبل ليلة الاحتفال الكبرى بأيام، يجتمع مجموعة من الشباب دون دراية أهل القرى، ويتفقدون على الشخصيات التي ستؤدي العروض الفرجية، كما يقومون بتجهيز كل مستلزمات الاحتفالية، وفي ليلة الاحتفال وبعد حلول الظلام يذهب الشباب المعنيون إلى منزل منزوي حتى لا يراهم أحد، ويرتدون مختلف الألبسة التي تم تجهيزها من قبل، ثم يخرجون متجهين إلى ساحة العرض محدثين أصواتا يرمى منها إشعال حماسهم، وما إن يصلوا الساحة تتعالى أصوات الحاضرين تتبعها موسيقى المزمار وإيقاعات الدف، يبدأ الملثمون بالرقص وبعدها يشرعون في تقديم المشاهد كالآتي<sup>1</sup>:

التحية: يؤدي هذه المهمة شخصية القرد، فيأمر الشيايب (الشيخ) بأداء بعض الحركات والاستعداد، إلا أن أحدهم يرفض تنفيذ أوامره، فيطرده القرد ويكلف أحد الشيايب بقتله.

المبارزة: يقوم الشيايب المأمور بقتل العاصي (مِخْلِي لَعْرُوشْ)، وينتهي الصراع بمقتل العاصي فيحزن لموته باقي الجنود، ويتقدم أحدهم إليه، وهو ملقى على الأرض، فيرفع رجله ويقوم بنفخها كما تنفخ الشاة، محاولا إرجاع الروح إليه، لكنه يفشل في ذلك.

الاغتسال: يذهب الرجل الذي حاول إنقاذ العاصي إلى امرأة تدعى "مريامة" ويجلس عند ركبتيها ويغتسل، ثم يتبعه بقية الجنود ويفعلون كما فعل.

الصلاة: أما طريقة الصلاة فلها طابع خاص، فبعد الاغتسال ينحني كل واحد على ظهره بعد أن يقفز على ظهر أخيه، إلى أن ينتهوا مشكلين بذلك دائرة كبيرة، هذه هي صلاتهم، تستجيب مريامة لصلواتهم، وتتجه إلى جثة الميت تمر عليها سبع مرات، كما تقفز عليه يمينا ويسارا، وبعد ذلك يحي العاصي من جديد، فيفرح الجنود لإعادة بعثه، وبعدها يبدأ الاحتفال، حيث يقوم "الشيايب"

<sup>1</sup> ينظر: زرع عبد الحق، الخطاب الدرامي بين آليات التلقي وتقنيات التوثيق السينمائي في احتفالية شايب عاشوراء، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، كلية الأدب العربي والفنون، قسم الفنون، جامعة عبد الحميد بن باديس -مستغانم-، 2019/2018، ص58.

بالاحتفال بعودة العاصي، وتُحمل "مريامة" على ظهر الأسد، يتجولون بها داخل الساحة معبرين عن شكرهم لها، وبدوم الاحتفال إلى وقت متأخر من الليل<sup>1</sup>.

وفي أدرار تبدأ احتفالات عاشوراء في أدار من اليوم التاسع من شهر محرم الذي يُسمى "بيانو" عندهم، وهذا اليوم يطلق عليه الأهالي "عاشور" وأما اليوم العاشر "عاشوراء"، وكغيرهم من المسلمين يخصص الأهالي هذا اليوم للصيام، وأما عن الاحتفالات الشعبية في هذا اليوم مخصصة للأطفال، حيث يشرعون من الصباح الباكر في التجول لجمع الإكراميات، وهم يرددون:

يَا عَيْشَةَ هَاتِي بِيَانُوا

إِلَى مَا طَابَ هَاتِي نُطَيْبُوهُ

إِلَى تُحْرَقَ هَاتِي نَعَاوُدُوهُ

إِلَى مَا كَانَ هَاتِي دَرَاهِمُوا

ويرددون أيضا:

بِيَانُوا بِيَانُوا

الشَّحْمَةَ وَالْقَدِيدَةَ\*

لتخرج ربات البيوت وتقدم لهم الحمص والفول، وفي العادة تكون البقوليات من المنتجات المحلية. أما الكبار فيعطونهم البيض. وعن احتفالات اليوم العاشر، تكون الاحتفالات متنوعة ففي صباحه يتناول الأهالي الفول المطبوخ، أما الكبار الذين بلغوا من الكبر عتيا يناولونهم بما يعرف عندهم بـ"الكَلِيلَةَ"<sup>\*\*</sup>، وبما أنه عيد ديني عظيم حسبهم فإنهم في عاشوراء يزور الناس بعضهم بعضا ليتصافحوا ويتهادوا فيما بينهم، ويكثر من إخراج الصدقات فالمثل الشعبي يقول: "عَلَى مَنْ عَيْدَتْكُمْ تَعَشُرُوا"، ومن عوائدهم في هذا اليوم زيارة القبور ورشها بالماء لاعتقادهم بأنه في يوم عاشوراء يتحول ماء الآبار إلى ماء زمزم، أي أنه يتقدس، وفي الوقت الحالي فإنهم يكتفون برش

<sup>1</sup>ينظر: زرع عبد الحق، الخطاب الدرامي بين آليات التلقي وتقنيات التوثيق السينمائي في احتفالية شايب عاشوراء، ص59-60-61.

\*القديد: ويُطلق عليه في بعض التوتحي بمنطقة "وادي سوف" "الشَّرِيحُ"، وهو اللحم المجفف.

\*\*لبن يجفف وبعد تجفيفه يضعون قطعة منه في حليب آخر سائل أو ماء، يقدم بالطريقة هذه في المناسبات خاصة في الزواج حيث يقدم يوم عقد القران للرجال، وكذلك يقدم لهم في احتفالات بيانو.

الماء في شوارع المدينة التي يقطنون بها ويدعون للأموات والأحياء، ومن عوائدهم إخراج "خبز القلة" أو ما يعرف بـ "خبز الطاجين"، صدقة على أرواح الأموات والأحياء، ومما تعارف عليه الناس في هذا اليوم خاصة النساء فإنهن يلبسن كل جديد، وتزين النساء بوضع الحناء، و أما في الليل يقوم الرجال بأداء طقس الحضرة الدينية<sup>1</sup>.

## 2- احتفالات عاشوراء في الدول المغاربية والعربية

في يوم عاشوراء يصوم التونسيون ويزورون المقابر للترحم على الأموات، كما يعتبر هذا العيد في تونس يوم عيد الفقراء وعيد الأطفال، وإخراج الصدقات وختان أطفال الفقراء، وكان الناس في عاشوراء يتناولون وجبة غذائية دسمة أساسها المقرونة أو الدويذة، ولحم الدواجن التي يتم ذبحها في اليوم التاسع، ومن العروض الفرجوية التي تؤدي يوم الاحتفال ما يشبه "شايب عاشوراء" في منطقة سوف، وفي بعض جهات الوطن، يطلق عليها في تونس تسمية "بن رضوان البدوية"، وقد اشتهرت منطقة الجريد بتونس بعروض "الرحولي" و "دز بقر"، والرحولي هو شخص يتقمص دور الغول، يتنكر وينتقل من بيت إلى بيت لترويع الأطفال، أما دز البقر هو شخص يرتدي في حزامه نطاق من زمزميات النفط غير المستعملة، ويحاكي بها حيوان البقر، ويسير الأطفال عند خروجهم من الكتاب وراء دز بقر وهم ينقرن بأيديهم على ألواح قصديرية يطلق العنان لهدير يصم الآذان، كما تشهد احتفالات عاشوراء في تونس العديد من ألعاب التكر وأهم ما يميز الاحتفالات نيران الفرع<sup>2</sup>.

وفي منطقة "الحامة" التي تقع في ولاية قابس بالجنوب الشرقي التونسي يستقبلون عاشوراء بأطباق خاصة لهذه المناسبة، حيث تواضع الأهالي على طبخ الفول صباح عاشوراء، وأيضا في صباح عاشوراء يأكلون البيض، أما عشاء عاشوراء فيكون كسكسا برأس الخروف. أما أجواء

<sup>1</sup> الراوية فاطمة بعزیز، ولدت خلال 1955، أدار، دائرة تسابيت، قصر عمور.

<sup>2</sup> ينظر: محجوب السميّراني، الأعياد الشعبية التونسية أوسو..النيروز..عاشوراء، سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، ط1،

الاحتفال يحييها الأولاد الصغار والنساء، من ذلك تصنع النساء للبنات الصغار "حَدَاقَةٌ"<sup>\*</sup>، أما الأولاد يصنعون لهم "السيوف"<sup>\*\*</sup>، وفي هذه المناسبة يأخذ الأطفال عرجون تُعلق فيه شرائط من ألبسة بالية بعدد أفراد العائلة، وهذا الطقس يشبه طقس "إِرْفَعْ لُوكَاسْ" في وادي سوف كما مرّ علينا.

ومع حلول الليل ينتشر الأطفال في الأزقة حاملين "قفة" لجمع الصداقات وكل دار يدخلونها ينادون أصحابها بالأهازيج:

"عاشوراء عاشورتيين نَأْكُلْ لَحْمَةَ لَحِمَتَيْنِ وَلَا نُكَسِرُ بُرْمَتَيْنِ"

وأما الطفلة التي تحمل العرجون تقول:

يَا مُو بَلِيلُ كُولْ شُوِيَّةَ وَخَلِي شُوِيَّةَ بَاشْ نِدْمُوا لِعَشَيِّ

وحين يسمع أهل الدار هذا النداء، يُخرجون لهم "الكسكس بلحم الرأس" ليأكلوه، ويعطونهم الفول والبيض ويجمعونه في القفة التي بحوزتهم، وهكذا ينتقل الأطفال من دار إلى دار، ومن الأهازيج التي يرددونها أيضا حين دخولهم البيوت:

هَذِي دَارُ سِيدِنَا تَعْطِينَا وَتَزِيدِنَا

هَذِي دَارُ بُوْبِشِرْ تَعْطِينَا الْقَمِيْحَ وَالشَّعِيرِ

وفي آخر المطاف يتجمعون في مكان معين بعد أن تتضمن إليهم النساء، ويشعلون الحطب ثم يبدؤون في القفز ويغنون ويرقصون ثم يتقاسمون فيما بينهم ما جمعه "كُلْ عَامْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ حَيِّينَ بَخِيرٍ"<sup>1</sup>

وفي المغرب تكون تُسمى آخر يوم من عاشوراء ليلة "الشَّعَالَة" تخرج النساء إلى ساحة الدوار ويرثين عاشور الذي سيودعهن بأغان حزينة، وغالبا ما ينتهي الليل بالبكاء والنحيب، وفي الصباح الباكر وقبل بزوغ الشمس تنهض الفتيات الصغيرات لدفن "عاشور"<sup>2</sup>، كما تمتزج احتفالية عاشوراء

<sup>\*</sup> ويُطلق عليها أيضا خُوَاطِيْطُ وهي عبارة عن خيوط من الصوف يصنعونها على شكل صفائر، تلبسها البنات في أيديهم يوم عاشوراء.

<sup>\*\*</sup>السيوف تصنع من عصي جريد النخل، ويلونها بالألوان.

<sup>1</sup>الرواية شريفة عدوني، 50 سنة، الحامة، تونس، 13-10-2023.

<sup>2</sup>المصطفى فرحات، طقوس وعادات أهل أبزو، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، د.ط، د.ت، ص53.

بين الموت والانبعاث وبين الفرح والحزن، وإلى عهد قريب كما أكد الباحث مصطفى واعراب مازال يصادف في يوم الاحتفال، مجموعة من الشابات يشيعون بالأهازيج ودقات الدفوف جنازة رمزية تنتهي بدفن دمي مصنوعة من القصب أو أغصان الشجر، ترمز إلى دفن <<بابا عيشور>>، كما يطلبن من المارين نقودا حق بابا عيشور. ومن عوائد أهل المغرب في عاشوراء زيارة المقابر ورش القبور بالماء وماء الزهر، وأيضا التصدق بالتين المجفف وقطع الخبز على المتسولين<sup>1</sup>، ولهذه الاحتفالية أكلات شعبية خاصة نلاحظ أنها نفس الوجبات التي تُحضر بمناسبة يناير رأس السنة الفلاحية، حيث تقبل الأسر المغربية على تناول وجبات تتكون من الدجاج والكسكس بسبع خضر والفواكه الجافة، وفي ليلة عاشوراء تضرع نيران المباحج ويفضل أن يجلب حطبها من أشجار مباركة، وأن تضرع من طرف شخص له بعض القداسة، أما دخان النيران فيحبذ أن يمر على الحيوانات والدواب ثم كل أفراد الأسرة، بغية التطهير وطرده الشرور<sup>2</sup>، كما أن هناك طقوسا تصبغ بالصبغة الدينية الإسلامية كطقس "التزمزية" ويسود الاعتقاد أن الماء ليلة عاشوراء تنزل عليه بركة بئر زمزم، لذلك فإن الناس يجلبون من مياه الآبار ما يحتاجونه لأداء أغراضهم السحرية قبل طلوع شمس اليوم الحادي عشر من محرم، أما في بعض المناطق الساحلية فيختمون طقوس نيران المباحج بالاستحمام في الشواطئ لاعتقادهم أنه قادر على تخليصهم من كل الأسرار والشرور. وهي طقوس ما زالت تمارس حتى الوقت الراهن<sup>3</sup>. كما يُمارس في المغرب كرنفال "شايب عاشوراء" ويُعرف بعدة تسميات، والشخصية المركزية تدعى بوجلود، هرمة، بلماون، وأيضا بوإسليخن، وبولبطاين، وأيضا سبع بويطاين<sup>4</sup> وقد أورد عبد الله الحمودي في كتابه الضحية وأقنعتها نماذج تفصيلية.

كما يستقبل الليبيون عاشوراء بإعداد أطباق من الأطعمة الخاصة بهذه المناسبة، و كما هو الحال عند الجزائريين فإن الأهالي في ليبيا يحرصون على الاحتفاظ بجزء من لحم ضحية عيد

<sup>1</sup> مصطفى واعراب، المعتقدات السحرية في المغرب، صدر عن جريدة الأحداث، الدار البيضاء، 2003، من موقع

<http://www.alargam.com/sorts/seherK>، ص 129

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 130.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 132-133-134.

<sup>4</sup> عبد الله حمودي، مرجع سابق، ص 10.

الأضحى لعشاء عاشوراء، وتقام الاحتفالات وتردد بعض الأغاني الخاصة بالمناسبة، كما تقام بعض سباقات الخيل والتي تضيء على المناسبة نوعاً من البهجة والقدسية<sup>1</sup>، ومن الأكلات الشهيرة في ليبيا التي تعد في هذه المناسبة طبق الفول والحمص ويوزع على الأطفال والجيران ليلة عاشوراء، وكغيرهم من المسلمين يصوم الليبيون ليلة تاسوعاء، ويخصصون هذا اليوم لزيارة القبور، وبالنسبة للعادات فإن للأطفال طقوساً خاصة، حيث يخرجون يوم تاسوعاء وليلة عاشوراء ويتبعون رجلاً مثلما بزى من الخيش والجريد يطلق عليه لقب "الشوشباني" وفي طريقهم يجمعون من عند الجيران المال والحمص والفول والحلوى، ويرددون عدة أهازيج تختلف باختلاف المناطق<sup>2</sup>، ففي واحات الجفرة بالجنوب الليبي، يطلق الأطفال على الشخصية المتكررة لقب "الشيشباني"<sup>\*</sup> حيث تلبس الأقنعة على الوجوه وتلبس ملابس قديمة وتردد الأغاني منها:

شيشباني ياباني	هذا حال الشيباني
شيشباني بلحيتا	كيف لقرية الميتة
سلم سلم شيبانينا	يملا مخلاته ويجينا <sup>3</sup>

وأما في طرابلس ترصد الأهازيج التالية:

الشوشباني يا باني	هذا حال الشيباني
هذا حاله وأحواله	ربي يقوي مرَّاله <sup>*</sup>
الي ما تعطيش الفول	راجلها يولي مهبول
والي ما تعطيش الحمص	راجلها يولي في الحبس
وحط ايدك في الجيب	يا عمي طلعي قرشين <sup>4</sup>

<sup>1</sup> أبو القاسم السنوسي قنه محمد، واحات الجفرة في العهد العثماني الثاني 1835-1919م (دراسة تاريخية للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية)، بحث لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الدراسات العليا، قسم التاريخ، جامعة النيلين، جمهورية السودان، ص 174.

<sup>2</sup> استقيت هذه المعلومات من عند صديق في الفايسبوك بشير جمعة بشير من مدينة طرابلس.  
\* ينظر: فهرست الصور (رقم...).

<sup>3</sup> أبو القاسم السنوسي قنه محمد، مرجع السابق، ص 173

\* يقصد بها النصيب والسعد.

<sup>4</sup> الراوي بشير جمعة بشير.

وتعد عاشوراء في العراق حدثًا جليلاً، فبالنسبة إليهم هو يوم وقوع الفاجعة الكبرى التي هزت استقرار العباد، فعاشوراء هو يوم للاحتفاء بمقتل الحسين والتعبير عن الأسف وطلب شفاعته، وأيضاً يعتقدون بطقوسهم أنهم يشاركون معنويًا الحسين وأهله وأنصاره الأمام يوم معركة كربلاء، كما أنه يوم يُخصص لسخط قاتليه الذين نكلوا بجسد الحسين، وتُعود بداية هذه الاحتفالات العلنية إلى زمن معز الدولة البويهري عام 963م<sup>1</sup>، ومن مراسيم العزاء الحسيني في العراق نجد "المجالس الحسينية" أو ما تعرف بالتعزية، وهي مجالس تعقد في أماكن معينة، يُسترجع فيها أحداث فاجعة معركة الطف بكربلاء، وأيضاً يُعرف فيها بالشخصيات التي خاضت معركة كربلاء لشحن نفوس الحاضرين، وتُعد هذه المجالس عشرة أيام، ويخصص الخطيب اليوم الأخير الذي يُصادف يوم عاشوراء برواية قصة الحسين ومقتله، وما حل لأهل البيت من سبي وقتل، فهذه الخطب حسبهم تثبت تكريس معاني التضحية في سبيل الله، ورفض الظلم ومحاربة كل ظالم في سبيل الحق، وما يميز هذه المجالس هو أسلوب الخطيب الذي ينبغي أن يكون خطابه وجدانياً يعتمد على اللحن الحزين، الذي يثير الحزن والأسى في النفوس، ويُشعل الحماس والغضب على الحكام الظالمين، وقد يُلقي الخطيب أبياتاً من الشعر يندب بها شهداء كربلاء ويتفاعل معها الحاضرون<sup>2</sup>، كما تُقام بالعراق مواكب العزاء في الأيام العشرة الأولى من محرم، وهي مواكب شعبية للاحتفال بذكرى مقتل الحسين، يتم في هذه المواكب تجهيز كل ما يلزم لإقامة مجلس التعزية، من مأكولات ومشروبات التي تقدم للمشاركين، كما تجهز المعدات والأدوات واللوازم لإقامة التشابيه، وهي المسرحيات التي تحاكي أحداثاً واقعة الطف بكربلاء صبيحة يوم عاشوراء، وهناك عدة مواكب منها موكب اللطامة، وموكب اللطم بالسلاسل الحديدية، وموكب التطبير بالسيوف...<sup>3</sup>، والجدير بالذكر أن مراسيم احتفالات عاشوراء في العراق تُشبه احتفالات المقامة في دولة إيران مع بعض الاختلافات التي تفرضها طبيعة وثقافة البلاد<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> إبراهيم الحيدري، تراجيدا كربلاء، مرجع سابق، ص 80.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 96 إلى 101.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 104 إلى 114.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 137.

وبالتالي يمكننا القول فعاليات احتفالات عاشوراء تنتوع من منطقة إلى أخرى في كل ربوع الوطن، قد تتشابه في بعض الممارسات وذلك راجع طبعاً إلى الأصل والتاريخ المشترك، وكذلك الثقافة الإسلامية الرسمية المشتركة، ثم الثقافة الشعبية المقاومة التي أنتجها ويحملها اللاوعي الجمعي المشترك، وقد تختلف في بعض الممارسات ونفس ذلك بالخصوصية لكل منطقة بيئة خاصة تُساهم بشكل كبير في صناعة الحدث الاحتفالي، ونسج معتقدات تكون بمثابة المراجع العليا التي تركز إليها الجماعة الشعبية، وأيضاً بتفاوت تأثيرات الثقافات الخارجية التي مرت فوق هذه الأرض واستوطنت عدة مناطق، وبخروجها خلفت تراثاً ثقافياً، ثم بقيت على شكل رواسب ثقافية، كما أن هذا الاختلاف قد يكون سببه التأثير والتأثير بين المناطق المحلية و الدول المجاورة التي تقع على الحدود، ما أدى إلى نزوح ثقافات هنا وهناك، من ذلك مثلاً نشهد تشابه العديد من الممارسات في احتفالات عاشوراء بمنطقة "وادي سوف"، باحتفالات عاشوراء في بلاد تونس وأيضاً ليبيا، ومادام هناك تواصل ثقافي بينهم فإن الحدود السياسية تُلغيها الثقافة المجتمعية المُتفاعلة بطبيعتها إلى حد يصعب معرفة منشأ هذه الثقافة أو تلك.

### 3- احتفالات عاشوراء في بعض الثقافات العالمية

تذكرنا أيام عاشوراء بعيد الفصح عند اليهود، ويطلق عليه بالعبرية "بيساح" وهو عيد خبز الفطير وموسم الحج والعيد الذي يضحى به بحمل أو شاة أو جدي من الماعز، ويجمع هذا العيد اليهودي مناسبتين للاحتفال إحداهما تعود إلى التاريخ والأخرى للطبيعة، أما تاريخياً فإن هذا العيد الذي يُسمى أيضاً بعيد "الفصح" وهي كلمة عبرية تعني العبور أو المرور أو التخطي، لذلك ينسب هذا العيد إلى عبور موسى البحر، ومن الجانب الطبيعي فيعني عيد الربيع عند اليهود، فهو بذلك يعبر عن انقلاب المواسم من الشتاء إلى الربيع<sup>1</sup>، ففي هذا اليوم يستذكر اليهود حدث نجاته موسى، وفي هذا اليوم أمر الرب اليهود بأن "يكون لكم هذا اليوم تذكارة فَنُعِيدُونَهُ عيداً للرب، في أجيالكم، نُعيدونه فريضة أبدية"<sup>2</sup>، و"يبدأ عيد الفصح في الخامس عشر من شهر نيسان "أبريل" ويستمر

<sup>1</sup> ينظر: عازي السعدي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، دار الجليل للنشر، ط1، 1994، ص14-15.

<sup>2</sup> الكتاب المقدس، مرجع سابق، سفر الخروج12-14.

سبعة أيام في إسرائيل، وثمانية عند اليهود المقيمين خارج فلسطين<sup>1</sup>، وبذلك يكون عيد الفصح عند اليهود يصادف مواعده تمام البدر الربيعي<sup>2</sup>، وقد حمل هذا العيد معنى الحج أيضا "وقد فرض على كل يهودي أن يحج ثلاث مرات في العام إلى القدس: عيد الفصح وعيد الأسابيع وعيد المظال"<sup>3</sup>، أما عوائد هذا الاحتفال فمردها إلى أوامر الرب حسب أيام التوراة اليهودية، وتبدأ هذه الاحتفالات بلبلة التفتيش عن الخميرة، فحسب أعرافهم يجب أن تُخلى كل البيوت من الخميرة، وأن يأكل اليهود خبزا "مصه" بمعنى أنه خالٍ من الخميرة والملح، ومن لا يلتزم بأوامر الرب حسب اعتقادهم فإن نفسه تعزل من بني إسرائيل كما ورد في سفر الخروج 12 "سبعة أيام تأكلون فطيرا. اليوم الأول تعزلون الخمير من بيوتكم، فإن كل من أكل خميرا من اليوم الأول إلى اليوم السابع تُقطع تلك النَّفْسُ مِنْ إِسْرَائِيل"<sup>4</sup>، وعادة الخبز بدون خمير نجد أثرها في احتفالات عاشوراء عند القبائل، حيث أن الأطفال الصغار عندما يخرجون لجمع الإكراميات كما تدلهم الأعراف الشعبية القبائلية، فإنهم يطلبون فطائر أحدور ihedduren، وهنا تظهر رواسب الثقافة اليهودية في المنطقة، وعلى وفق التوراة اليهودية فيرجع سبب إحياء هذه إبعاد الخميرة في هذا الاحتفال من كل عام هو التذكير بواقعة فرار موسى وأتباعه من فرعون وجنوده على عجل من أمرهم قبل يختمر الخبز الذي حملوه في زادهم، ففي سفر الخروج ذكر: "فحمل الشعب عجينهم قبل أن يختمر، وَمَعَاجِنَهُمْ مَصْرُورَةٌ فِي ثِيَابِهِمْ عَلَى أَكْتَانِهِمْ"<sup>5</sup>، وفي الآية 39 "...لأنهم طردوا من مِصْرَ ولم يقدرُوا أن يتأخروا، فَلَمْ يَصْنَعُوا لِأَنْفُسِهِمْ زَادًا"<sup>6</sup>، وبهذا يصبح الخبز الخاوي من الخمير رمزا للشعب اليهودي، وفي احتفال الفصح ينبغي على اليهود أن يشتروا شاة، ويذبحونه ويأكلونه بطريقة طقوسية، فوفق ما تمليه عليهم شريعتهم فإنهم يحضرون شاة في اليوم العاشر من شهر نيسان، وعشية اليوم الرابع عشر

<sup>1</sup> غازي السعدي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، ص16.

<sup>2</sup> الأب سامي حلاق اليسوعي، مجتمع يسوع، تقاليده وعاداته، ط1، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1999، ص161.

<sup>3</sup> هويدا عبد العظيم رمضان، اليهود في مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الأيوبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، 2001، ص196.

<sup>4</sup> الكتاب المقدس، مرجع سابق، سفر الخروج12، الآية 15.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، الآية 34.

<sup>6</sup> الكتاب المقدس، مرجع سابق، سفر الخروج 12، الآية 39.

من نفس اليوم يذبحونها عشية ذلك اليوم، وتلطخ بدم الذبيحة قوائم البيوت وعتباتها<sup>1</sup>، وكذلك أمرهم الرب بأن يأكلوا المأكولات بخصائص معينة فيضعون على المائدة خروفا الفصح المشوي بالنَّار رأسه مَعَ أَكَّارِعِهِ وَجَوْفِهِ مع فطير، وبعض الأعشاب المرة، ويأكلونه وأحقاؤهم مشدودة وأحذيتهم في أرجلهم، وعصيتهم في أيديهم، ويأكلونه بعجلة ولا يبقى منه شيء إلى الصباح<sup>2</sup>، وبهذا فإنهم في كل عام يعاودون تقليد أسلافهم ويشاركونهم معنويا آلامهم في رحلة خروجهم من مصر، ومن أدبيات إحياء عيد الفصح عندهم بأن يجتمع جميع أفراد العائلة ويضعون على المائدة أربعة أقذاح من النبيذ يشربها أفراد الأسرة، ويضيفون قدحا خامسا لكن يُمنع الاقتراب منه؛ لأنه قدح النَّبِيِّ إيليا الذي سينزل من السماء قبل نزول المسيح المخلص<sup>3</sup>، وبعد تناول الأكل "يتجه الأصغر سنا إلى كبير العائلة ويسأله عن معنى الفصح، فيشرحه له كما ورد في الشريعة، ويترنمون بصلاة تسمى التهليل..."<sup>4</sup>، وأخيرا ينتهي هذه الاحتفال بتبادل صيغة: "تلقي العام القادم في أورشليم"<sup>5</sup>، وقبيل خراب أورشليم كانوا يحتفلون بذات المكان، يقيمون احتفالا صاخبا زاخرا بالرقص والغناء والموسيقى<sup>6</sup>، ومن الهدايا التي يتبادلونها في عيدهم هذا البيض والأرنب، "فترمز البيضة إلى العودة إلى الحياة، وأما الأرنب فهو رمز الخصوبة"<sup>7</sup>، ونجد مثيلا لهذه العوائد في احتفالاتنا العشورائية في منطقتي الدراسة، ففي منطقة القبائل الأطفال يطلبون الفطائر وأيضا اللحم، وفي منطقة سوف فإن الأهالي كما ذكرنا يشتررون الشياه ويذبحونها ويشوونها على النَّار، وهذه العوائد موجودة في كل مناطق الوطن، ومنهم من يترك قطعة من لحم أضحية العيد لعاشوراء، على اعتبار أنه لحم أضحية مقدس فرضها الله على القادر، مثلما فرض الرب على اليهود في أسفارهم.

<sup>1</sup> ينظر: الكتاب المقدس، سفر الخروج 12: 3-6-7.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، 12: 8-9-11.

<sup>3</sup> ينظر: غازي السعدي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، ص16.

<sup>4</sup> زكي شنودة، المجتمع اليهودي، مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ط، د. ت، ص273.

<sup>5</sup> غازي السعدي، مرجع سابق، ص16.

<sup>6</sup> زكي شنودة، مرجع سابق، ص274.

<sup>7</sup> محمد بن عبد العزيز الداود، أوراق طالب سعودي في الخارج، العبيكان، ط4، 1430هـ - 2009م، ص196.

وكما تذكرنا طقوس عاشوراء الإسلامية، باحتفال "عيد القيامة" وهو من أجل الأعياد عند المسيحيين، ويسمى أيضا عندهم ب"عيد الفصح"، وهو من أعياد النصارى السنوية، ويعدده المسيحيون من الأعياد السيديّة الكبرى الخاصة بالسيد المسيح عليه السلام<sup>1</sup>، ويحتفل به النصارى إلى اليوم، وميقاته أول أحد بعد كمال الهلال من فصل الربيع، وأما مناسبة الاحتفال فإن المسيحيين يزعمون أنهم يحيون في ذكراهم عودة المسيح، وقيامته بعد يومين من موته<sup>2</sup>. ووفقا للتعاليم المسيحية فإن عيد القيامة يكون يوم الأحد فقط، فقد جاء في الدسقولية الباب 31: "أما عيد القيامة الذي لربنا ومخلصنا يسوع المسيح، فلا تصنعوه في يوم من الأيام البتة، إلا يوم الأحد"<sup>3</sup>، وقد خالفت المسيحية اليهودية في تحديد زمن الاحتفال استجابة لتعاليمهم كما وردت: "واحدوا من أن تعيدوا مع اليهود؛ لأنه ليست لكم الآن معهم شركة لأنهم ضلوا وأخطأوا وزلوا"<sup>4</sup>، يهنئ المسيحيون بعضهم في هذا العيد بقولهم: "المسيح قام" "بالحقيقة قام"<sup>5</sup>.

وعملا بالتعاليم المسيحية، يسبق عيد القيامة الصوم الكبير على مثال صوم الرب، ويدوم الصيام المقدس عندهم أربعين يوما وينتهي بعيد الفصح كما جاء في تعاليم الرسل: "قليلكن عندكم جليلا صوم الأربعين تذكارا للفضائل والحسنات التي للرب، وليكمل هذا الصوم قبل الفصح"<sup>6</sup>، وفي مرحلة الصوم يمارس المسيحيون طقوسا خاصة، حيث يبدأ الصوم عندهم يوم الأربعاء ويسمونه "أربعاء الرماد" يضعون فيه الرماد على جباه الحاضرين ويرددون (من التراب نبأ وإليه نعود)<sup>7</sup>، وأما الأسبوع السابق لعيد القيامة فيسمونه أسبوع الآلام، ويبدأ هذا الأسبوع من الأحد ويستمر إلى يوم السبت الذي في عشيتّه تتطلق احتفالات عيد القيامة، ولقدسية هذا الأسبوع بالنسبة إليهم، فقد كان قديما يسمح للعبيد بالتوقف عن العمل، ويشتغل المؤمنون في هذا الأسبوع

<sup>1</sup>حمود بن إبراهيم السلامة، النصارى الأقباط دراسة عقديّة، مركز الفكر الغربي للنشر والتوزيع، ط1، 1438هـ-2017م، ص317.

<sup>2</sup>ينظر: إبراهيم محمد الحقيّل، أعياد الكفار وموقف المسلم منها، ط2، 1420هـ-2000م، ص40-41.

<sup>3</sup>القمص مرقس داود، الدسقولية أو تعاليم الرسل/ مكتبة المحبة، ص155.

<sup>4</sup>المرجع نفسه، ص104.

<sup>5</sup>المنتيج الأنبا غريغوريوس، الأعياد المسيحية، جمعية الأنبا غريغوريوس أسقف للبحث العلمي، د.ط، د.ت، ص101.

<sup>6</sup>الأنبا ديمتريوس، الأصوام والأعياد، ج1، م1، موسوعة الأنبا بيمن، مطبعة مطرانية ملوى، ط3، 2008، ص83.

<sup>7</sup>إبراهيم بن محمد الحقيّل، مرجع سابق، ص40.

بجانِب العبادَة خاصَة الصيام، كما كانت النساء تمتنع عن الزينة، ويلبسون اللون الأسود دلالة على الحزن، كما أنهن يتوقفن عن صنع الكعك، أما الأقباط قديما فكانوا يحرمون أنفسهم من المأكولات الحلوة المذاق، أي أنهم في هذا الأسبوع يتجنبون جميع الأشياء الدالة على الأعياد و الأفرح والمتعة، ومن عوائد الأقباط رجالا ونساء زيارة القبور، وفي هذه الأيام أيضا يقوم المسيحيون المصريون بتوزيع الخبز أو القرص<sup>1</sup>، ويكون برنامج الأسبوع الاحتفالي حسب المتعارف عليه في تعاليمهم وهي كالتالي:

**الأحد:** بداية أسبوع الآلام، ويُعرف كذلك باسم "عيد أحد الشعانين" وهي كلمة عبرانية بمعنى "يا رب خلص"، ومن بين أسمائه أحد السعف، وهذا؛ لأن الجموع التي خرجت لاستقبال المسيح في هذا اليوم كانت تحمل معها فروع سعف النخيل، وأغصان الزيتون<sup>2</sup>. "يمثل أيقونة هذا العيد مناسبة دخول السيد المسيح إلى "أورشليم" يمطي حمارا وحوله موكب الجموع حاملين أغصان الشجر وسعف النخيل. في أحد الشعانين (السعف) كان الأقباط يخرجون من الكنائس حاملين الشموع والمجامر والصلبان خلف كهنتهم، يطوفون الشوارع وهم يرتلون، وكانوا يوزعون النقود على الناس، ويبيعون في أسواقهم البيض الملون، كما يتبادلون فيما بينهم الهدايا والإكراميات من البيض الملون والعدس والسك، ومن عادات الناس أنهم يتبركون بسعف النخيل رمز التجدد فيصنعون منها تمائم، ويضعونها على المقابر، ويعلقونها في منازلهم<sup>3</sup> ويستدلون على هذا العيد بما جاء في إنجيل إنجيل يوحنا: "وفي الغد سمع الجمع الكثير الذي جاء إلى العيد أن يسوع آت إلى أورشليم، فأخذوا سَعُوف النَّخْلِ وَخَرَجُوا لِقَائِهِ، وَكَانُوا يَصْرُخُونَ: "أوصانا مبارك الرب ملك إسرائيل"<sup>4</sup>. يذكرنا عيد أحد الشعانين هذا بطقس "إِرْفَعْ لَوْكَاس" في احتفالات عاشوراء بمنطقة سوف.

**الاثنين الثلاثاء:** في هذين اليومين لا يمارس المسيحيون طقوسا شعبية كثيرة، بل إن جل الممارسات تكون من نصيب الأقباط الذين يتوجهون إلى الكنيسة ويتعبدون هناك، أما يوم الثلاثاء

<sup>1</sup> ينظر: أشرف أيوب معوض، حول الثقافة الشعبية القبطية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2010، ص46.

وينظر: عصام ستاتي، مقدمة في الفولكلور القبطي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2010م، ص122.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص131.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص133-135.

<sup>4</sup> الكتاب المقدس، مرجع سابق، إنجيل يوحنا 12، الآية 12-13.

فهو يوم خاص باستنبات بعض الحبوب مثل الفول الذي يؤكل يوم الجمعة العظيمة، لذلك يقولون عن هذا اليوم (الثلاث بل النبات)<sup>1</sup>.

**الأربعاء:** رابع أيام أسبوع الآلام، وهو الأربعاء الذي تأمر اليهود فيه على السيد المسيح وانفقوا مع يهوذا التلميذ الخائن أن يسلمه لهم مقابل ثلاثين من الفضة، ويُطلق على هذا اليوم "أربعاء أيوب" وحسب المصادر الشعبية فإنه اليوم الذي اغتسل فيه أيوب مدلكا جسده بنبات أخضر يسمى الرعرع، فشفي من أمراضه، ومن هذا المنطلق اتخذ هذا اليوم عند المسيحيين يوما للاغتسال بنبات الرعرع، أو الغطس في النيل وكذلك الاغتسال بالنباتات الخضراء، و توضع النباتات الخضراء في الماء وترش بها البيوت والأبواب<sup>2</sup>.

**الخميس:** ويسمى خميس العهد، وفيه سلم المخلص لتلاميذه سر القربان، وفي هذا اليوم يتذكر المسيح حادثة العشاء الأخير للسيد المسيح مع تلاميذه قبل خيانتته وصلبه، وفي اعتقاد المسيحية سمي "بخميس العهد لأن؛ السيد المسيح أعطى تلاميذه العهد بأن يظل معهم ويعمل من أجلهم، ويتجنب الناس في خميس العهد مصافحة بعضهم، حتى لا يشتركوا في خيانة يهوذا، وأما الطعام المفضل فيه العدس والسمك والبيض<sup>3</sup>.

**الجمعة الحزينة:** ويطلق على هذا اليوم عدة مسميات، فهو الجمعة الكبيرة والجمعة الطويلة، وأيضا الجمعة الطيبة والجمعة العظيمة. يستذكر المسيحون في هذا اليوم حادثة صلب السيد المسيح على يد اليهود، لذلك فإن الصلوات في الكنيسة تطول في هذا اليوم، وقد تبدأ من الصباح وتستمر حتى الساعة السادسة مساء، وبما أن هذا اليوم بالنسبة لهم هو يوم أحزان وآلام فاحتفالاتهم الشعبية تقتصر على إعداد مائدة من الفول النَّابت والسلطة الخضراء، وذلك لسهولة

<sup>1</sup> ينظر: أيوب معوض، حول الثقافة الشعبية القبطية، ص46.

<sup>2</sup>المنتيج الأنبا غريغوريوس، الأعياد المسيحية، جمعية الأنبا غريغوريوس أسقف للبحث العلمي، ص142. و ينظر: عصام سناتي، مقدمة في الفولكلور القبطي، ص140-141.

<sup>3</sup>المنتيج الأنبا غريغوريوس، ص142.

ينظر: عصام سناتي، مقدمة في الفولكلور المصري، ص144-145.

ينظر: أشرف أيوب معوض، مرجع سابق، ص153-154.

تحضيرها وسرعة هضمهم كوجبة خفيفة في الصيام، وهناك من يسرف في شرب الخل في هذا اليوم، ومن الترانيم الحزينة التي تتلى في هذا اليوم (وا حبيبي وا حبيبي / أي حال أنت فيه/ من شجاك من سقاك/ كأس خل ترتضيه/يا حبيبي أي ذنب/ قد صنعت أو كرية)<sup>1</sup>. وفي هذا اليوم الحزين تحدث تعاليم الرسل على صيامه والتوجه للكنيسة لقراءة الإنجيل بخوف ورعدة، ويخرجون حزنهم<sup>2</sup>.

**السبت:** أو كما يعرف في العقيدة المسيحية سبت النور أو سبت الفرح أو السبت الكبير، وسمي كذلك، لأنه اليوم الذي التقى فيه السيد المسيح بعد صلبه ونزوله إلى العالم السفلي، بأرواح القدس المنتظرين للخلاص<sup>3</sup>. ومن شدة فرحهم بلقائه حسب ما ورد في إنجيل متى 27: "والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين"<sup>4</sup>، وسبت النور هو يوم تزقب قيامة المسيح أحد عيد الفصح، ومن عوائدهم في هذا اليوم إقامة المهرجانات، وقص قصة رفع المسيح للسماء، ونقع ورق الشجر في الماء ثم الاكتحال به...<sup>5</sup>

**الأحد:** وهو عيد القيامة أو الفصح، وحسب اعتقاد المسيحية أنه يوم قيامة المسيح كما ورد في الدسقولية "ولما صلب في الجمعة وقام باكر يوم الأحد، كملت النبوة القائلة ((قم يا الله وادن الأرض لأنك ترث الأمم))"، وفي أحد عيد القيامة تُؤدى في الكنيسة تمثيلية القيامة يحاكي فيها الممثلون أحداث نزول المسيح للعالم السفلي، وخلصه للمنتظرين للقداء، وفيه يشيرون إلى إعلان قيامة المسيح حيث يرثل الشاماسة باللحن والصوت المرتفع ثلاث مرات "المسيح قام" ويرد عليه كاهن "بالحقيقة قام، لذلك في أحد القيامة تخلع الكنيسة رداء الأحران، وتقام الأفرح"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: عصام ستاتي، مقدمة في الفولكلور المصري، ص146-147-149.

<sup>2</sup> ينظر: الدسقولية، ص155.

<sup>3</sup> ينظر: لمتنيح الأنبا غريغوريوس، الأعياد المسيحية، مرجع سابق، ص147.

<sup>4</sup> الكتاب المقدس، مرجع سابق، إنجيل متى 27، الآية 52-53.

<sup>5</sup> ينظر: إبراهيم بن محمد الحقل، أعياد الكفار وموقف المسلم منها، مرجع سابق، ص41.

<sup>6</sup> ينظر: عصام ستاتي، مرجع سابق، ص121.

وليم سليمان قلادة، الدسقولية، ط2، / الفصل الثلاثون، ص665 ينظر: ص159.

من خلال عرض بعض الاحتفالات العالمية نلاحظ المشتركات الثقافية بين الشعوب في احتفالات عاشوراء، منها "الصوم والحداد والمحظورات، والبكاء المنظم، والذبيحة، وزيارة القبور"، فكل هذه المظاهر وجدناها في منطقتي الدراسة "وادي سوف" و "منطقة القبائل"، وأيضاً في عدة مجتمعات محلية، وفي دول مغربية وعربية، وقد توسعت هذه المشتركات فوجدناها في ديانات سابقة عن الإسلام كالإهودية والمسيحية، لكن ما يشد الانتباه في احتفالات اليهود والمسيح خاصة، أنها الاحتفالات الشمسية تكون عادة بداية الربيع، وربما نفس ذلك كون اليهود بداية سنتهم تكون في "نيسان" على حسب ما تمليه عليهم عقيدتهم، فقد ورد في سفر الخروج 12: "هذا الشهر يكون لكم رأس الشهر، هو لكم أول شهور السنة"<sup>1</sup> ومن ميزة التقويم العبري أنه "تقويم يجمع بين الأشهر القمرية والسنة الشمسية"<sup>2</sup>، وبالتالي فإنه يصادق مفتح الربيع، لذلك كانت احتفالاتهم محملة بآثار طقوس استقبال الربيع المعروفة في بلاد العراق قديماً، كاحتفالات الزواج المقدس، واحتفالات بعث تموز وعودته إلى الحياة، واحتفالات مواكب الحزن والنواح على الإله تموز<sup>3</sup>، ومن جهة أخرى فإن عقيدة اليهود تلزمهم على تعظيم اليوم العاشر من الشهر الأول، ففي سفر الخروج 12: "...في العاشر من هذا الشهر يأخذون لهم كل واحد شاة بحسب بيوت الآباء، شاة للبيت"<sup>4</sup> و بالتالي مع مجيء الإسلام بقي يهود شبه الجزيرة العربية، يحافظون على وصياهم بتقديس اليوم العاشر من الشهر الأول، وهو ما يوافق في التقويم الهجري عشرة محرم أي عاشوراء، لذلك طقوسهم التي في المنقلب الربيعي، تسربت إلى احتفالات عاشوراء الإسلامية الواقعة في 10 محرم، ذلك أن العرب قبل الإسلام كانوا يتأثرون باحتفالات اليهود، لأنهم أهل كتاب، وربما ما عضد من بقاء هذه الاحتفالات في قلب الإسلام هو فتح باب الصيام من قبل الرسول محمد ﷺ في عاشوراء، فقد روي أن رسول الله ﷺ، لما قدم المدينة، رأى اليهود يصومون عاشوراء فسألهم عنه، فأخبروه أنه اليوم الذي أغرق الله فيه فرعون وآله، ونجى موسى ومن معه، فقال عليه السلام: نحن أحق بموسى منهم، فصام وأمر الصحابة بصومه، فلما فرض صوم شهر رمضان، لم

<sup>1</sup> الكتاب المقدس، مرجع سابق، سفر الخروج 12، الآية 2.

<sup>2</sup> حكمت البخاتي، عاشوراء الجذو والتاريخ والطقس، ص 26.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 27.

<sup>4</sup> الكتاب المقدس، مرجع سابق، سفر الخروج 12، الآية 3.

يأمرهم بصوم عاشوراء ولم ينههم<sup>1</sup>، وبما أن التقويم الإسلامي جاء إلى شمال إفريقيا على يد مسلمين من أصول ومعتقدات متعددة، فمن الطبيعي أن يكون هذا التقويم مشحونا بالمعتقدات الشعبية التي احترمها البدو في الشرق قبل الإسلام<sup>2</sup>، كالمعتقدات الوثنية واليهودية والمسيحية وغيرها، وهكذا دمجت احتفالات السنة القمرية مع احتفالات السنة الشمسية في المنطقة، فعاشوراء القمرية تغطي الاحتفالات الفلاحية إذا سمحت المواسم بذلك، من ذلك نجد في طقوس احتفالات عاشوراء بمنطقتي الدراسة ممارسات لها علاقة بالاحتفالات الموسمية مثل "يناير" و "استقبال الربيع" كطقوس التجدد، وإخراج البيض، وزيارة الموتى، وهذا ما يؤكد "دوتي" في قوله: " إن عاشوراء واعتدال الربيع ومنقلب الشتاء أو فاتح يناير هي بدايات للسنة، وكل الطقوس التي توجد بها هي طقوس للتجدد<sup>3</sup>، ومنه فإن احتفالات عاشوراء بمنطقتي الدراسة ليست شاذة عن كل الاحتفالات العالمية، فهي تحوي معتقدات قبيلة تتمازج فيها العقلية البدائية، مع عقائد ديانات سابقة عن الإسلام، كما أنها تنهل من الموروث المحلي العربي و الأمازيغي، وقد ضمنت احتفالات عاشوراء استمرارها؛ لأنها ارتبطت بحوادث أو أساطير إسلامية ضمنت لها قوالب جاهزة تساعدها على الاستقرار، فبالرغم من إقصاء الفقهاء للعديد من الاحتفالات الشمسية، إلا أن المعتقدات الشعبية المرتبطة بالطبيعة تعود في كل مرة تحت رداء الإسلام، فتأخذ منه الماهية، وتتميز بالعرض.

<sup>1</sup> أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، الآثار الباقية عن القرون الخالية، د.ط، د. ت، ص421.

<sup>2</sup> ينظر: Gean Servi:p407

<sup>3</sup> إدموند دوتي، السحر والدين في شمال إفريقيا، ص450.

## استنتاج

من خلال البحث الاثنوغرافي في منطقتي الدراسة نجد اختلافا في مظاهر الاحتفالات ففي البادية والأرياف يغلب على الاحتفالات طابع الحزن والحداد، وأما في المدن ومناطق الحضر يغلب عليها طابع الصخب والأفراح. كما نجد التنوع في الطقوس الممارسة في احتفالات عاشوراء حتى في المنطقة الواحدة، نفهم من خلال هذا التنوع أن الطبيعة هي التي تؤطر الطقوس بحيث تخضع للمتغيرات الطبيعية والبيئية والثقافية، فمثلا أهل البدو في منطقة "سوف" بما أن اقتصادهم قائم على تربية المواشي، وبالتالي فإن نظامهم الغذائي يقوم على استهلاك، وأما مناطق الحضر فيكتفون غالبا بواحدة في إحدى المواسم ويعتقدون أن لهما القداسة نفسها، ومقارنة بين طقوس منطقتي الدراسة يتضح أن المواد المشكلة للطقوس مستمدة من بيئة المنطقة، ففي وادي سوف يكون للنخلة وأجزائها حضور بارز وهذا ما تعرفنا عليه في طقس "إِرْفَعْ لُوكَاسْ" وفي منطقة القبائل نجد الأهازيج التي يرددونها الأطفال يذكر فيها "الزيتون" وهو المنتج الأساسي الذي تقوم عليه الحياة في منطقة القبائل.

على مستوى الوعي يبرر الأهالي طقوس احتفالات عاشوراء "الحزن، الحداد، البكاء المنظم" بردها إلى حادثة مقتل شخصية إسلامية بارزة، وهو الحسين سبط النبي محمد ﷺ، وبعض الدراسات ترددها إلى جملة من الحوادث الإسلامية كنجاة النبي موسى، وربطها ببعض التعاليم الإسلامية، كالصلاة والزكاة والصوم، لكن على مستوى اللاوعي فإن هذه الطقوس تفتشي بقايا ثقافات قديمة، لاحتفالات زراعية تهدف إلى تجديد الطبيعة، وهناك تتضح العلاقة الارتباطية بين الطقوس الموسمية والدينية.

الأعياد التي تخضع للتقويم القمري، تستعير عناصر موجودة في الأعياد الموسمية التي تعتمد التقويم الفلاحي؛ لأنها احتفالات -دينية- متحركة، أي أنها قد تصادف ميقاتها أي فصل من فصول السنة والطبيعة متغيرة في هذه الفصول، لذلك وجدنا في عاشوراء مفتح السنة الإسلامية طقوس التجديد الموجودة في احتفالات بداية السنة الموسمية، كاحتفالات بداية الربيع ويناير، والخريف وهذه الطقوس متمثلة في: " الحداد، التابوهات، الصوم، طرد الشر، التضحية".

خاتمة

بعد البحث الميداني، والبحث في ثنايا الكتب والدراسات التي اهتمت بموضوع دراستنا "فولكلور الاحتفالات الموسمية والدينية في منطقتي وادي سوف والقبائل"، والانتقال إلى الجانب الاثنولوجي الذي يُعنى بالمقارنة وتحليل الطقوس وما علق بها من رموز، ثم الجانب الأنثروبولوجي الذي يهتم بربط الظاهرة الاحتفالية بالثقافات الإنسانية، توصل البحث إلى جملة من النتائج أهمها:

الاحتفالات بشكل عام قرينة الإنسان عبر الأزمان وفي مختلف الأماكن، فهي وعاء يحوي كل آماله وآلامه مخاوفه ومعتقداته، تأملاته وفلسفته، آدابه وعلومه، في سرائه وضرائه، وقد اعتمد الإنسان نظام الاحتفال لتنظيم حياته، فالاحتفالات الموسمية تنظم إيقاع الكون في أوقات معلومة يحاول من خلالها الإنسان الإحسان إلى الطبيعة لغرض التواصل معها بطقوس معينة، والاحتفالات الدينية يتوجّه من خلالها الإنسان إلى الاعتراف والتسليم للقوى العليا (الله) والدعاء والابتهالات حتى تحل الخيرات والبركات، وأيضاً كنوع من العبادة، وتقوم هذه الاحتفالات على ثنائية المحرمات والمباحات، المقدس والمدنس، و يُمارس المشاركون في الاحتفالات طقوس جمّة منها: طقوس التجديد والتطهير، والحج، والصوم، والصلاة، وممارسة العرافة، وعودة الأموات، وتقوية الخصوبة، وطرده الآثام والشرور، واسترضاء الأرواح الحامية... وغيرها من الطقوس التي عرفها الإنسان واعتقد أنها تُساهم بشكل مطلق في حفظ التوازن وتلبية حاجات الإنسان الضرورية.

الاحتفالات الموسمية والدينية وجهان لعملة واحدة، إذ يستحيل الفصل بينهما، ويمكن تشبيه العلاقة بينهما بالورقة النقدية، تكون الاحتفالات الدينية وجهها والموسمية ظهرها، ومنطقياً إذا أردنا فصل جهة الوجه عن الظهر فإننا نعجز عن بلوغ الأمر، وهذا الاقتران طبعاً يعكس طبيعة العلاقة بين العالم الفيزيقي المادي والعالم الميتافيزيقي الماورائي، فمنذ القدم توصل الإنسان إلى العلاقة السببية بين العالمين، ذلك أن العالم الماورائي هو سبب وجود العالم الطبيعي حسب بعض النظريات في الفكر الشعبي، وأن العالم الطبيعي مسير بقوى غيبية، وبالتالي فإن الاحتفالات الموسمية والدينية على الرغم من اختلاف التّقاويم التي تحدّد مناسبة كل منهما، وعلى الرغم من اختلاف المغزى الأساسي لكل منهما، فالاحتفالات الموسمية غرضها التأثير في الطبيعة، كما أن الدينية تؤثر في القوى الغيبية، إلا أن هذه الاختلافات تبقى ظاهرية ونظرية فقط، وأما عملياً

فهما متلاصقتان ومترابطتان، إذ إن التأثير في الطبيعة لن يحصل إلا إذا نجح التأثير في القوى الماورائية حسب الاعتقاد الشعبي، ونجد هذا المعنى في احتفالات السنة الجديدة واحتفالات استحضار المطر بمنطقتي الدراسة، فعلى الرغم من أنهما من الاحتفالات الموسمية التي تهدف إلى تجديد الكون والطبيعة، والتأثير في الأرض لتقوية الخصوبة، إلا أن هذا النوع من الاحتفالات لا يخلو من ممارسات دينية وسحرية، بل إنها ضرورية لإنجاح الطقس، كالابتهالات والأدعية، الإحسان إلى الحرس (إعسان)، وصلاة الاستسقاء الإسلامية، طقس "تاغنا" و "أم قطنبو" السحري... وفي الأساس فإن الاحتفالات الموسمية هي محاكاة لأعمال الآلهة البدئية، من خلال الرجوع إلى زمن مشحون بالقداسة، على حسب ما تثبته الأساطير الأمازيغية المؤسسة لهذه الاحتفالات، وفي المقابل لا يغيب الجانب الديني في احتفالات عاشوراء، مثل طقوس "ارفع لوكاس" و "عروس عاشوراء" و "سيدي عاشور"، فهي ممارسات ذات أصل زراعي تهدف إلى تقوية الخصوبة و تجديد الطبيعة، والطلب من الله أن تكون مواسم العام جيدة منتجة لحصاد وفير. أما بالنسبة للطقوس الكبرى التي توحى بتداخل الاحتفالات الموسمية والدينية فمردها إلى التأثير العربي الإسلامي في الثقافة الأمازيغية، فمعلوم أن الأمازيغ قبل دخول الإسلام كانوا يعتمدون التقويم الفلاحي اليولياني في تحديد المواسم والفصول، ومع انتشار الإسلام في البلاد الأمازيغية، الذي يعتمد على التقويم القمري، فقد تم حضر العديد من الاحتفالات من قبل الفقهاء والعلماء، وبالتالي فقد تفرقت الطقوس الشمسية واحتضنتها واحتوتها الاحتفالات الدينية، خاصة تلك المعترف بها صراحة في الإسلام، كالعيدين الفطر والأضحى وعاشوراء.

الاحتفالات الموسمية والدينية وما علق بها من طقوس وأساطير وحكايات، وفنون قولية هي مشترك ثقافي عالمي، فالاحتفالات الجماعية التي غالبا ما تكون في بداية السنة، وغالبا ما يكون فيها فرح وحزن ورموز موت وبعث... هي موجودة في العالم كله، وهي نوع من المشتركات الثقافية، قد تختلف في التوقيت والمرجعيات الأسطورية، لكنها تتحد في المعنى، إذ تهدف كلها إلى إعادة خلق العالم وتأثيره كاحتفالات "ينّاير" و "خشوش العام" في منطقتي الدراسة، واحتفالات النيروز عند الفرس والأقباط في مصر، والنويل عند المسيحيين، والأكيتو عند العراقيين القدماء، وعيد رأس السنة "روش هاشاناه" عند اليهود، واحتفالات المطر وجدت كذلك في ثقافات عدة تحت مسميات

منوعة مثل "أم الغيض" في سوريا، والتي هدفها إنعاش الزراعة بماء المطر، وهذا ما يدل على أن الإنسان الشعبي يستجيب لتغيرات الطبيعة وفق ما يمليه عليه خياله.

من خلال الدراسة لاحظنا تشابه عدة عوائد في منطقتي الدراسة، قد يصل إلى حد التّطابق مثل طقس استحضار المطر "أنزار" في منطقة القبائل، وما يقابله طقس "أم قطمبو" في منطقة سوف، وذلك طبعا قد يرجع حسب الدراسة إلى الأرض والتاريخ والمعتقد المشترك أولا، وثانيا: نفس التشابه بالمرجعية المشتركة للثقافات الإنسانية عامة، إذ إن الاحتفالات الإنسانية نجد فيها طقوسا مماثلة للتي هي موجودة في احتفالاتنا ومنطقة القبائل و وادي سوف ليست شاذة عن بقية المناطق، لكن بالنسبة للمجال الثقافي الجغرافي الذي ينهل من الثقافة الإسلامية والأمازيغية بحكم أن هاتين المنطقتين متقاربتان وكلاهما متلفح من الثقافة الأمازيغية ومن الثقافات المتعاقبة على هذه الأرض كالرومان والوندال والفينيقيين... الخ، ما يعني أن التشابه يكون أكبر، والمغزى والأهداف كذلك من هذه الاحتفالات أوضح مما لدى الشعوب الأخرى، فكلها عبارة عن تعبير عن عجز الإنسان أمام جبروت الطبيعة والكوارث الطبيعية، والابتهاال إلى الله مسير الكون بأن ينبت الزرع، وتعيش الحيوانات وتهطل المطر وتمنع الفيضانات، وهذه الممارسات موجودة كلها في منطقة سوف والقبائل، ولكن بأشكال متنوعة جدا عند الشعوب الأخرى، ولكن تبقى كلها تصب في مجرى واحد وهو حفظ البقاء، وبالتالي فالإنسانية وحدة واحدة في العقل.

من جهة أخرى تكشف الاحتفالات الموسمية والدينية في منطقتي الدراسة، عن اختلافات بينة في الطقوس الممارسة في المنطقتين، وأما الاختلاف فيحصل بسبب التنوع الطبيعي والمناخي، فمنطقة سوف صحراوية ومنطقة القبائل جبلية، ورموز اختلاف الطبيعة جعل المواد المستعملة مختلفة، ففي منطقة وادي سوف يكون الارتكاز على النخلة وأجزائها كجزء في تكوين الطقوس، فقد رأينا طقس استحضار المطر يتم من خلال وعد نخلة، ويتم تحريك عشاء "حشوش العام" بجريدة خضراء، وفي احتفالات عاشوراء تُستعمل أعذاق النخيل (الفنط)، فالنخل لطرده أو كاس السنة، وفي منطقة القبائل في الاحتفالات المدروسة يكون الارتكاز على الإنتاج المحلي فالعطايا التي يتم تقديمها للأطفال تكون من إنتاج أرض القبائل مثل التين، وأيضا من المأكولات التي تشتهر بها المنطقة مثل "السفنج" من زيتون والحبوب الجافة التي يتم طهي عشاء "ينّاير" بها على

شجر الزيتون، ونجد ذكر الزيتون في احتفالات عاشوراء الذي يعتبر أساس ازدهار اقتصاد الأسرة، "ليجني لك الزيتون أمام البيت"، كما أنّ هناك عوامل ثقافية أخرى تعضد من طرح الاختلاف منها اللغة، فأهل وادي سوف يتكلمون بلهجة عربية، ومنطقة القبائل يتحدثون بلهجة أمازيغية، وكننتيجة حتمية فإن منطقة وادي سوف يكون فيها التأثير العربي أقوى، وفي منطقة القبائل يكون التأثير الأقوى للثقافة الأمازيغية، وحتى في جانب الاحتفالات الدينية كما رأينا فإن التأثير الشيعي في احتفالات عاشوراء يكون أوضح في منطقة سوف، وذلك من خلال طقوس "الندب" وترديد العبارات التي ترثي "الحسين"، ذلك أن الفاطميين سكنوا زمنا في منطقة سوف، إضافة إلى انزياح عدة طقوس من دول مجاورة من تونس وليبيا بحكم الحدود المشتركة.

تبين من خلال الدراسة أنه في منطقة القبائل يحتفون أكثر بالاحتفالات الموسمية مقارنة بمنطقة وادي سوف، فكما بينا فإن احتفالات السنة الجديدة "يُنَّأير" تنتوع فيها الطقوس، وقد نتلمس هذا التنوع من منطقة إلى أخرى، وكذلك احتفالات المطر "تاغنجا"، وفي الاحتفالين نجد أساطير مؤسسة ومعتقدات واضحة، وحتى إن الناس يستغلونها لأداء طقوس أخرى مثل التكريس والتأهيل والختان، وطقوس العبور، وطقوس فك العقم، وأخرى لإزالة العنوسة، والملاحظ أن هذه الاحتفالات مازالت تُمارس إلى اليوم في المداشر والقرى القبائلية ما يثبت أهميتها، لكن في منطقة سوف فإن هذه الاحتفالات تراجعت في الوقت الحالي (وإن كان رجوعها بطريقة رسمية في السنوات الأخيرة واضح للعيان) أو اندمجت في الاحتفالات الدينية، وحتى لما فتشنا في الذاكرة الشعبية وجدنا أن الطقوس كانت تمارس ولكن بشكل قليل مقارنة بمنطقة القبائل، إضافة إلى غياب شبه تام للأساطير المؤسسة، ويمكن رد هذا إلى تأثير العوامل الطبيعية والبيئية والثقافية، فمنطقة القبائل الجبلية، التي تعرف نزول كميات معتبرة من المطر والثلوج، وأيضا هي منطقة كثيرة الأشجار والنباتات، وهذا ما يجعل قيام مجتمعاتها مرتكزة على خدمة الأرض، وبذلك فإن علاقة القبائلي بالاحتفالات الموسمية طبيعية، لأنها هبة أرضهم.

في المقابل نجد في منطقة وادي سوف، حضورا قويا للاحتفالات الدينية كما في "عاشوراء"، ذلك أن المجتمع السوفي يعتبر نفسه مجتمع متدين، لذلك يبجل الطقوس الدينية؛ لأن الجانب الديني الرسمي غالب على الجانب الشعبي، فمثلا نجد ممارسات عاشوراء فيها جانب ديني وجانب

شعبي، لكن الجانب الديني الرسمي طاغ؛ لأنه مزكى من قبل الجهات الرسمية الفقهاء والعلماء، بينما الجانب الشعبي مغمور نوعاً ما؛ لأن الجهات الرسمية تعتبره من البدع والخرافات. نعم صحيح الشعب بقي يمارس في الجوانب الشعبية، لكنه ألبسها لباساً دينياً، كي لا تظهر ولا ينكرها الجانب الرسمي، وبالتالي فإن الجانب الشعبي طاغ في منطقة القبائل؛ لأن المنطقة لتمييزة شعبياً بالطقوس والأساطير الشعبية، ومنطقة وادي سوف متميزة دينياً.

بصفة عامة تكشف الاحتفالات الموسمية والدينية عن فلسفة الإنسان اتجاه الحياة والإنسان والطبيعة، وإلى التواميس الطبيعية والاجتماعية، والمؤسسات الوضعية سواء أكانت دينية أو سياسية، التي تنظم حياته، فقد قاربها بنفسه، واعتقد أنها تمر بمراحل ولادة، حياة، موت، فهي تولد صفحة بيضاء، ثم في مرحلة شبابها تكون قوية معطاءة، لكنها في نهاية كل فترة يصيبها المرض والخمول، لذلك تحتاج إلى موت وإعادة ولادة وترميم كي تطرد كل المعوقات وتستعيد شبابها من جديد، لذلك مارس الإنسان الألعاب الطقوسية المقدسة التي غرضها تسهيل ولادة العالم مثل لعبة "إمّحي" في عاشوراء، كما مارس ألعاب تهدف إلى تقوية الخصوبة وتقوية الخصوبة، مثل لعبة "الأورار" ولعبة "زّراري" في منطقة القبائل، وأيضاً كما مارس الرقص الطقوسي لاستحضار المطر مثل لعبة "نثر الشعر" في منطقة سوف، وأدى مسرحيات تمثيلية تحاكي موت وبعث الطبيعة، مثل طقس "شايب عاشوراء" و "بوجلود"، ومارس طقوس التّطهير والبركة كإحراق البخور وتخضيب الحناء، فكل هذه الممارسات تؤدي إلى الرخاء الاقتصادي والاجتماعي حسب ذهنية المتفاعلين.

نستنتج من خلال التّعرف عن الاحتفالات الموسمية والدينية محلياً وعالمياً، والحفر في الممارسات بأنه لا وجود لثقافة خالصة داخل أي مجتمع، بل إن ذهنية المجتمعات الحديثة لازالت فيها الكثير من البدائية، تبقى عالقة على شكل رواسب ثقافية، ومن ميزة البقايا الثقافية أنّ لها القدرة على لبس ثوب الثقافة المهيمنة، بحيث تُتقبل عند أهل الثقافة الجديدة، فمثلاً لو طُرح "بوهروس" أو "أنزار" أو عروس المطر أو "أم قطمبو" على أنهم آلهة وثنية، فإنها ترفض في المجتمع، لكن لما يعطوه صبغة دينية لها علاقة بالإسلام، مثل "بوهروس" يرمز إلى رأس الحسين، وأغاني "أنزار" تُلحق بها اسم الله والرسول والأولياء الصالحين، وبذلك يصبح مقبولاً اجتماعياً، ومن ثمّ كراسب ثقافي يستطيع الدخول من ثقافة إلى أخرى.

بعد ما تم إنجاز هذا البحث، الذي تناولنا فيه بعض الاحتفالات الموسمية والدينية في منطقتي الدراسة "وادي سوف"، ومنطقة "القبائل"، فإن هذا البحث يفتح أفقا جديدة لبحوث أخرى لها علاقة بالاحتفالات الموسمية والدينية مثل: احتفالات مقدم الصيف، واحتفالات الخريف، احتفالات العيدين، احتفالات المولد النبوي الشريف، كما أن هناك مواضيع مهمة لم يتناولها هذا البحث بعمق، وبالتالي فهي آفاق لبحوث قادمة، وهذه المواضيع تتمثل في: الاحتفالات الشعبية بين الماضي والحاضر، والاحتفالات الموسمية والدينية على المستوى المحلي والعالمي لهدف معرفة أوجه التشابه بين الثقافات، وبالتالي تهدف البحوث إلى التوسع في الزمان والمكان، ومن المواضيع المهمة التي أشار إليها هذا البحث، وتحتاج إلى تعمق أكثر نذكر: "اثنوغرافيا احتفالات عاشوراء بين البوادي والحواضر بمنطقة وادي سوف"، "مقاومة الثقافة الرسمية في الاحتفالات والألعاب الشعبية -دراسة أنثروبولوجية-"، "دور الأولياء في تكريس الأنظمة الاجتماعية -دراسة أنثروبولوجية-"، "الألم واللذة في الإبداعات الشعبية"، "اثنوغرافيا طقوس صدّ المطر في التراث الشعبي الجزائري. العنف الرمزي في الاحتفالات الشعبية".

# فهارس البحث

1- فهرست مدونة البحث

2- فهرست الصور

3- فهرست الرواة والمخبرين

4- فهرست المصادر والمراجع

5- فهرست الموضوعات

1- فهرست مدونة البحث

1-1 مدونة أغاني "يناير" بمنطقة القبائل

المقطوعة الغنائية الأولى: يناير

تَيْبِي جِيدَا أَيْلِي رُوحَ أَيْدٍ أَوْيَضُ أُرُو

أَسَافِي ذُ يِنَايِرِ أَنْخِذِمِ تَمِّي أَنْزَهُو

أَنْظَلِبُ سِيذِي رَبِّي أَدَغِيْمَنْعُ سِي دَعُوسُو

إِلْعَسَلَامَةَ إِيْنَايِرِ إِدُ يَسَانُ أَدْفُ اشْتُوِي

أَنْزَلُو يَاسُ إِيُوْرَاضُ أَدْفَلُ ذُوْفُ أَدْرَارُ يِقُوِي

أَنْظَلِبُ سِيذِي رَبِّي أَدَغِيْفَاقُ سِي الْبِرْكَاسُ

الْعَسَلَامَةَ إِيْنَايِرِ إِدِيُوْسَانُ دَفُ الْوَقْتِيْسُ

أَنْزَلُو يَاسُ إِيُوْرَاطُ أَدْفَلُ يِرِيْدُ ذِي أَقُوِيْسُنُ

تَمْعَارْتُ اشْخِذِمُ الْمَرْقَهْ تَسْلِيْتُ أَدُورَاوِيْسُ

التَّرْجَمَةُ:

قالت لي جدتي يا بنيتي اذهبي واحضري لي الرماد

اليوم هو يناير نضع الرماد فوق الحاجب ونمرح

نطلب من سيدي ربي أن يحمينا من سوء

مرحبا بيناير الذي جاء في الشتاء

نذبح له الدجاج والتلج في الجبال كثيف

نطلب من سيدي ربي ينزل علينا البركة  
مرحبا بيناير الذي جاء في وقته  
نذبح له الدجاج الثلج دائر كالقوس  
العجوز تحضر المرق للكثة وأولادها  
المقطوعة الغنائية الثانية: إيناير ذ حورة: يناير في قرية حورة  
أث حورة إيرقازن العالِي دَا تَجْرَة يران تيليي  
داسُقاس إيمازين حازند آربي دَا انبي  
أث حورة إداث ساس أُر اقانن أداليي وأس  
كُل تدارث بدن فلاس ربي فلاس دَا عساس  
دَا سُقاس إيمازين حارب أربي فلاس  
الترجمة:

أهل حورة رجال طيبون كشجرة تُظل  
إنه عام الأمازيغ احمينا يا رب والنبي  
أهل حورة أصحاب الرجولة لا ينامون حتى مطلع الفجر  
كل قرية يقفون إلى جانبها ربي عليها حارس  
هو عام الأمازيغ احميها يا ربي

## 1-2 مدونة أغاني "عاشوراء" بمنطقة وادي سوف

ثبريش قمره يا وفادة:

يا قمره يا وفادة والغالي وينهي بلادَه

فَمَرَّةٌ يَا بَقَاصَةَ	فَمَرَّةٌ يَا بَقَاصَةَ
وَحَلِيلٌ لِمَقَارِفُ نَاسِهِ	وَحَلِيلٌ لِمَقَارِفُ نَاسِهِ
فَمَرَّةٌ يَا لُمِيمَةَ	فَمَرَّةٌ يَا لُمِيمَةَ
وَالشَّايِبُ حَشْ دُغِيمَهُ	وَالشَّايِبُ حَشْ دُغِيمَهُ
فَمَرَّةٌ قَالَتْ رِيثَهُ	فَمَرَّةٌ قَالَتْ رِيثَهُ
وَابْنُ أُمِّي يُرُوحُ لُبَيْتَهُ	وَابْنُ أُمِّي يُرُوحُ لُبَيْتَهُ
وَحِسَّ الطَّيْرُ يَغْنِي	وَحِسَّ الطَّيْرُ يَغْنِي
وَرُدُّ سَوَالِي لُمِي	وَرُدُّ سَوَالِي لُمِي
عَاشُورَاءُ يَا مَا بَهَاهَا	عَاشُورَاءُ يَا مَا بَهَاهَا
سَعْدٌ لِنَعْنَا وَجَاهَا	سَعْدٌ لِنَعْنَا وَجَاهَا
فَمَرَّةٌ يَا سَاجُورَةَ	فَمَرَّةٌ يَا سَاجُورَةَ
وَإِنْ شَاءَ اللَّهُ الْحَيُّ نُرُورَهُ	وَإِنْ شَاءَ اللَّهُ الْحَيُّ نُرُورَهُ
وَيَا دَارِي عَيْنِ	وَيَا دَارِي عَيْنِ
وُدْرِي عَنْ بَابَاكَ	وُدْرِي عَنْ بَابَاكَ
يَا وَدْرِي بِالدمعةِ النَّايَةِ	يَا وَدْرِي بِالدمعةِ النَّايَةِ
وَحَلَّى زُورُ بِنَاتِ	وَحَلَّى زُورُ بِنَاتِ
يَا فَمَرَّةٌ يَا لُوخِيَةَ	يَا فَمَرَّةٌ يَا لُوخِيَةَ
عَلَى مَا صَيْرَ فِيهَا	عَلَى مَا صَيْرَ فِيهَا
فَمَرَّةٌ يَا نَفْرَاشَةَ	فَمَرَّةٌ يَا نَفْرَاشَةَ
حَلَّى نِمَشِي نَلْعَبُ	حَلَّى نِمَشِي نَلْعَبُ
فَمَرَّةٌ يَا الضَّوَايَةَ	فَمَرَّةٌ يَا الضَّوَايَةَ
وَالنَّاسُ اللَّيِّ كَانُوا بِحَدَانَا	وَالنَّاسُ اللَّيِّ كَانُوا بِحَدَانَا
إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْغَالِي إِرُوحُ	إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْغَالِي إِرُوحُ
مَا يُفْعُدِشُ إِمْلُوحُ	مَا يُفْعُدِشُ إِمْلُوحُ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْغَالِي يُجِينَا	إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْغَالِي يُجِينَا
إِيحِي رَاسِ فِي أُنْدَادَهُ	إِيحِي رَاسِ فِي أُنْدَادَهُ
وَالْغَالِي حَ بَشْرَةَ	وَالْغَالِي حَ بَشْرَةَ
فِي الْبَحْرِ غَطَّاسَةَ	
كَيْفَاشُ يُكُونُ رُقَادَهُ	
يَا شَكِينَتِكَ بِكَلِيمَةَ	
أَوْ عَزُورَهُ النَّفْرَادَهُ	
وَفَسَطِ الْبَحْرِ خَلِيَّتَهُ	
وَيُحَلِّقُ وَمِيعَادَهُ	
رَاهُ شَعْشَبَنِي أَوْ دَبْلَنِي	
وَلَّ وَحَيْتِي النَّشَادَةَ	
سَعْدٌ لِنَعْنَا وَجَاهَا	
تُكُونُ عَمَاهُ وَعَمَّ وِلَادَهُ	
فِي الْبَحْرِ مَعْمُورَةَ	
وَنَحْلُقُوا كَيْفَ الْعَادَةَ	
وُدْرِي يَا عَيْنِ	
صَعَارُ الْحُرْمَةَ مَاتِ	
الشَّيْخُ عَلِيًّا مَاتِ	
يُنْفُو طُولَ الْحِينِ	
وَنَا جِينَتِكَ بِالنَّيَّةِ	
عَ الْغَالِي وَأَوْلَادَهُ	
فُوقَ رَاسِ الطُّوَيْلَةَ	
مَا دَامَنِي صَعِيرَةَ	
نُضُوي عَن نَزْلَتِنَا	
بَعْدُوا عَن رِدُنَتِنَا	
لَا يَبْعَدُ لَا يُطُوحُ	
إِيحِي رَاسِ مِيعَادَهُ	
لَا يُرْفُدُ فِي مَدِينَتَهُ	
عَاشُورَاءُ فِي عَشْرَةَ	
حَلَّ كُتَابَهُ أَوْ نَشْرَهُ	

قَمْرَةَ يَا ضَوَايَةَ  
 النَّاسُ لَكَأَنَّا خَدَانَا  
 قَمْرَةَ يَا مَسْمَحَهَا  
 هَالجُوبَةَ يَا مَوْسَعَهَا  
 قَمْرَةَ يَا لِشَقْرِشْ  
 خَلِي نِمَشِي نَلْعَبْ  
 سَعْدِ لَجَاه حَبِيْبَهُ  
 كَانَهُ الْمَالُ يُجِيْبَهُ  
 سَعْدِ لَجَاه حَبِيْبْ  
 رَاهِي الْفُرْقَةَ إِشْتِيْبْ  
 إِنْ شَاءَ اللهُ الْحِجْ أَنْزُورَهُ  
 النَّجْعَ لِنَبْعُوهُ  
 حَتَّى إِيَا ضَرْبُهَا  
 النَّجْعَ إِيَا تَبْعِيْنَا  
 نَجْعَكَ شَرْفُ وَبِيْنْ  
 دَخَلَةَ بِيْرَ عَوِيْنْ  
 نَجْعَكَ يَا وَدَادَةَ  
 نَجْعَكَ أَيَا وَدَّةَ  
 تُضْوِي عَنْ عَمَّارَ  
 بَعْدُوا عَنْ الدَّارِ  
 مَا كَانِشْ مَنْ يَرْدَعَهَا  
 دُونَكَ يَا نَشَادَهُ  
 فُؤْفُ رَاسِ الْعَلَالِي  
 فِي نَزْلَةِ خُوَالِي  
 رُوحَ بَعْدِ الْغَيْبَةِ  
 مَا نَعَزَّةَ عَنْ غَادَهُ  
 لِلظُّهْرَةِ مُغِيْبْ  
 عَنْ رَابِسِ مِيْعَادَهُ  
 وَأَنْرُوحَ كِي الْعَادَةَ  
 مِنْ الْبُعْدِ نُجِيْبُوهُ  
 نُعِيْطُ تَحْلِفُ بِيْنَا  
 شَرَفُ رَاحَ عَلِيْنَا  
 قَصِدَتْ إِيْنَاوِيْنْ  
 وَمَجَابِيْبُ تُقْسِيْنَا  
 شَرَفُ خَشْ حَمَادَةَ  
 رَاحَ بَعْدَ الرَّدَّةِ

تبريش "حبيوه يا حبيوه"

حَبِيْبُوهُ يَا حَبِيْبُوهُ  
 نَبْغِي مُوَلَا الدَّارِ  
 حَتَّى عِنْدَ أَضْرَارِ  
 نَبْغِي مُوَلَا الْبَلِّ  
 حَتَّى أَعْمَى فُوقَ جَمَلْ  
 نَبْغِي مُوَلَا الْبَيْتِ  
 حَتَّى كَانَ بُكِيْتُ  
 وَالْفَقْرِي مَا نَبْغُوهُ  
 وَالنَّخْلُ أَسْطَارَ أَسْطَارِ  
 وَاشْ عَلِيْكُمْ فِيهِ  
 وَالْخَرْصُ مَكْلَلْ  
 رَاؤُ بِيْدِي نُفُوْدُ فِيهِ  
 وَالْكَسْرَةَ وَالزِّيْتُ  
 وَاشْ عَلِيْكُمْ فِيهِ

نَبِغِي مُوَلَا النَّاقَةَ  
وَحَتَّى فِيهِ شِقَاقَةٌ  
وَالْخَرَصُ وَالْعَلَّاقَةُ  
نَبِغِي مُوَلَا الْغَرَايَا  
وَحَتَّى عِنْدَهُ الضَّرَّةُ  
وَعُزْرُ امْدَحْرَجِ كُمَّه  
وَأَشْ عَلَيْكُمْ فِيهِ  
نَبِغِي مُوَلَا الشَّاشِ  
وَأَشْ عَلَيْكُمْ فِيهِ  
وَالْمَهْرِي شَوَّاشِ  
وَأَشْ عَلَيْكُمْ فِيهِ  
وَالْفَقْرِي مَا نُبْغُوهُ  
حَتَّى مَا عِنْدَاشِ  
حَيَّبُوهُ يَا حَيَّبُوهُ

تبريش "برشت بين الدواوير"

بَرَشْتِ بَيْنَ الدَّوَاوِيرِ  
وَنِدْعِي عَلَى اللَّيِّ فَرَقْنَا  
نَبِغِي مَلَمَ الصُّبَايَا  
يَا سَعِدْكَنْ يَا لِبْنِيَاتِ  
وَحَرْبٍ وَدَقَّتْ صَنْعَايَا  
وَنِي جِي مَسْكِنِي حُوشِ عَالِي  
يَا تَلْعِبْنِ فِي الْمَدِينَةِ  
وَيَا سَعِدْكَنْ يَا لِبْنِيَاتِ  
وَبِيْبَانَهُمْ غَافِلِينَ  
وَنِي جِي مَسْكِنِي حُوشِ عَالِي  
يَا تَلْعِبْنِ فِي الْحَمَادَةِ  
وَالْبِلْ حَنْتْ أُووَنْتْ  
وَقَطَعُو عَنِّي الشَّهَادَةَ  
وَكَانَ حَبْلُكَ مَا يَدْرِيْشِ  
وَوَطَّلَبُوا مُدُودَ الرُّمَالِي  
وَالْبِلْ يَا بِنِ حَمِيدَا  
وَكَمَلْ بَعُكُوسَا الصُّبَايَا  
وَكَانَ حَبْلُكَ مَا يَدْرِيْشِ  
رَاهِي عَطَاشَا الضَّمَايَا  
وَكَمَلْ بَعُكُوسَا الصُّبَايَا<sup>1</sup>

تبريش "ديدي يا حني"

يَا دِيْدِي يَا حَنِّي وَرَاسِ لِيْغْدَارِي  
وَصَلَّنِي نَجْعُ أُمِي يَا زَهُوْ بَالِي

<sup>1</sup>سجلنا الأغنية عن: الراوية خديجة قرافية، 70 سنة، تم اللقاء معها 11-09-2024، بلدية الرقيبة، ولاية: وادي سوف. ينظر التسجيل الصوتي رقم: (11).

وَأَشْ قَالَتْ النَّعْجَةَ عَزُّوا ضِنَايَا  
وَأَشْ قَالَتْ النَّخْلَةَ الْعَرْجُونَ مَايِلُ  
وَأَشْ قَالَتْ النَّاقَةَ عَزُّوا ضِنَايَا  
مَا طَحْنَأَشْ شَوْمَزُ الْقَمَحِ قَاسِي  
حَطِينَا لِمَجْبِرٍ مَا نَرَحْلُوشِي  
يَا دِيدِي يَا حَنِّي وَرَأْسُ لِعَدَارِي  
يَا سَعِدُكُمْ بِيَّ نَكْسِي الْعَرَايَا  
يَا سَعِدُكُمْ بِيَّ نَمَلَا الْعَرَايِرُ  
يَا سَعِدُكُمْ بِيَّ نَهَزُ الْعَيَايَا  
أُمِّي بَعِيدَةَ يَا شَيْبُ رَاسِي  
بِلَادُ الْجِلْمَةِ وَالشَّقَارَةَ تَرْبِي الْحَوَاشِي  
وَصَلَّنِي نَجْعُ أُمِّي يَا زَهُو بَالِي

2- فهرست الصور



الصورة -ج-



الصورة -ب-



الصورة -أ-

صوّر رقم (1): تمثل الصورة -أ- نبة ثينكث/Lentisque/تم التقاط هذه الصورة من قبل سلمى تشينة من بومرداس، يوم 23-11-2024.

تمثل الصورة -ب- مائدة عشاء احتفال يناير.

تمثل للصورة-ج- عادة رمي خليط من المكسرات والحلويات على أصغر فرد في العائلة. كلفنا الراوية نجاة او عمران بالتقاط الصورة، يوم 12 يناير 2023.



الصورة-ج-



الصورة-ب-



الصورة-أ-

صوّر رقم (02): تمثل الصورة -أ- سكسو سفعة إيسوفار.

تمثل الصورة -ب- أكلة البركوكس

تمثل الصورة -ج- أكلة لِمَقْطَعَة (تاركما) بعض الأطباق التي تحضر في احتفالات يناير

كلفنا الراوية نجاة أو عمران بالتقاط الصور، يوم 12 يناير 2023.



الصورة-ج-



الصورة-ب-



الصورة-أ-

صوّر رقم (03): تمثل الصورة -أ- المسمن

تمثل الصورة-ب- ثيغرفين tighrifin

تمثل الصورة -ج- لخفاف Lakhfaf. التقطت الصور نجاة او عمران يوم 12 يناير 2024.



الصورة ب-



الصورة أ-

صوّر رقم (04): تمثل الصوّر أ-، ب- احتفال عروس المطر "أنزار"، أخذنا الصور من موقع:  
<https://images.app.goo.gl/YKjUyvDWgQeL1iyw8>



الصورة ج-



الصورة ب-



الصورة أ-

صوّر رقم (05): تمثل الصورة أ- "تيمشراط" (لوزيعة) خاص باحتفال عاشوراء، تحصلنا على الصورة من صفحة الشيخ النذير جعفر، يوم 16 جويلية 2024. رابط الصفحة: <http://www.facebook.com/profil.php?id=100076038306333>  
 تمثل الصورة ب- مقام الولي "آيت أو الحاج".  
 تمثل الصورة ج- وعدة عاشوراء في مقام الولي "آيت أو الحاج".  
 تحصلنا على هذه الصور ( ب-، ج-) من عند الراوية حسينة طالب يوم 09 أوت 2022.



الصورة (06): تمثل "طلوف أشفاح" تم التقاط الصورة يوم 28 مارس 2024.



الصورة -ج-



الصورة -ب-



الصورة -أ-

صوّر رقم (07): تمثل الصوّر -أ-، -ب-، -ج-، العُوف، "ارفع لوگاس"، تم التقاط الصور يوم 28 جويلية 2023



الصورة- ب-



الصورة-أ-

صوّر رقم (08):تمثل الصورة -أ- رفيس التمر- تم التقاط الصورة في 15-03-2022.  
تمثل الصورة -ب- أكلة العصيدة، تم التقاط الصورة في 03 جانفي 2023.



الصورة-ج-



الصورة - ب-



الصورة-أ-

صوّر رقم (09):تمثل الصور -أ-، -ب-، -ج-، بعض مظاهر احتفالات عاشوراء الليلية في بلدية الرقيبة بولاية وادي سوف، تم التقاط الصور يوم 07 أوت 2022.



الصورة -ج-



الصورة -ب-



الصورة -أ-

صوّر رقم (10): تمثل الصورة -أ- عروس عاشوراء، صنعتها لنا الموردة زهرة بن لخضر كرطي، تم التقاط الصورة يوم 07 أوت 2022. تمثل الصورة -ب- جباسة عاشوراء، صنعتها لنا الموردة فطيمة عمامرة، تم التقاط الصورة يوم 28 جويلية 2023. تمثل الصورة -ج- قلب الرحي مملوءة بالقمح والشعير ليلة عاشوراء، تم التقاط الصورة يوم 15 جويلية 2024.



الصورة -ب-



الصورة -أ-

صوّر رقم (11): تمثل الصوّر -أ-، -ب- الخابية، تم التقاط الصور يوم 2022-10-05، بلدية الرقيبة، ولاية وادي سوف.

\*يرفق هذا الملحق، بملاحق أخرى:

-أغاني احتفال "يناير" بقرية بوزقان بتيزي وزو.

-حوارات مع موريات من منطقة القبائل عن احتفالات موضوع الدراسة "يناير- استحضر المطر- عاشوراء".

-حوار مع موردة من منطقة وادي سوف تتحدث عن دور جدهم الولي الحاج "عطية" في استحضر المطر.

-مقاطع فيديو لاحتفالات عاشوراء في قرية "أيت أو الحاج" بتيزي وزو.

-مقطع مصور لطريقة تحضير العُوف "ارفع لوكاس" في منطقة "وادي سوف".

-تسجيل صوتي لأغاني -التبريش- عاشوراء (قَمْرَة يَا وَقَادَة -بِيْدِي يَا حَنِّي - حَيُّوهُ يَا حَيُّوهُ- بَرَّشْتْ بَيْنَ الدَّوَابِرِ) بمنطقة وادي سوف.

3-فهرست الرواة و المخبرين

- 1- أحمد غريسي: 70 سنة، فلاح، أمي، تم اللقاء معه يوم 25-02-2022، بلدية: الرقيبة، ولاية: وادي سوف.
- 2- أحمد مشري، 63 سنة، مستشار بلدية الدبيلة (الوادي)، تم الحوار معه يوم 22 فيفري 2022، بلدية: الدبيلة، ولاية: وادي سوف.
- 3- أحمد نصيرة: 67، مقدم في الطريقة التيجانية، تم اللقاء معه يوم 09-10-2023، وأيضا يوم 10-10-2023، بلدية: الرقيبة، ولاية: وادي سوف.
- 4- أم الخير منّي: 70 سنة، تم اللقاء معها يوم 18-12-2023، قرية: آث مهني، ولاية: البويرة.
- 5- بشير جمعة بشير: 28 سنة، طالب جامعي ليبي مقيم في مصر، أجرينا حوار معه عبر الفايسبوك يوم 28 فيفري 2024، من مدينة طرابلس.
- 6- بشير كازوز: 70 سنة، تم اللقاء معه يوم 05-02-2021، بلدية: الرقيبة، ولاية: وادي سوف.
- 7- بلقاسم بعزیز نقلا عن فاطنة بعزیز: ولدت خلال 1955، أدرار، تسابيت، قصر عمور.
- 8- بن مبارك بن علي بن الهادي: 80 سنة، مشهور بالقيافة أو عراف الجرّة كما يطلق عليها في منطقة وادي سوف، أمي، تم اللقاء معه يوم 24-04-2024، بلدية: الرقيبة، ولاية: وادي سوف.
- 9- حسينة طالب نقلا عن كساي علجة، 55 سنة، قرية "أيت أو الحاج"، تيزي وزو، تم اللقاء معها 19 أوت، 2022.
- 10- خديجة فرحات: 88 سنة، أمية، تم اللقاء معها يوم 15-10-2022، بلدية: الرقيبة، ولاية: وادي سوف.
- 11- خديجة قرافية، 70 سنة، تم اللقاء معها 11-09-2024، بلدية الرقيبة، ولاية: وادي سوف .

- 12- خوخة بغدادی: 32سنة، طالبة دكتوراه بجامعة تيزي وزو، تم اللقاء معها 13-04-2023، من بلدية بوغني، تيزي وزو.
- 13- خولة سوفات: اشتغلت في مذكرة الماستر على موضوع "طقوس وأراجيز جني الزيتون في منطقة القبائل البويرة "بودريالة" أنموذجا، تم اللقاء معها يوم 25-10-2023، وأيضا يوم 27-07-2024، بلدية: قمار، ولاية: وادي سوف.
- 14- ریح مصباحی: 65سنة، معروفة بأنها تقيم الحضرة الشعبية لعلاج الأمراض المستعصية، تم اللقاء معها يوم 20-09-2022، وأيضا يوم، 25-03-2023، ويوم 30-01-2024
- 15- زهرة بن لخضر كرطي: 62سنة، أمية، ربة بيت، تم اللقاء معها يوم 20-09-2022، وأيضا يوم 29-12-2023، بلدية: الرقيبة، ولاية: وادي سوف.
- 16- زهرة زغدي: 75 سنة، أمية، تم اللقاء معها يوم 20-01-2023، بلدية: الرقيبة، ولاية: وادي سوف.
- 17- زهرة صوالح: 75 سنة، أمية، تم اللقاء معها يوم 20-11-2022، بلدية: الرقيبة، ولاية: وادي سوف.
- 18- زهية قعري: 80 سنة، ربة بيت، أمية، تم اللقاء معها يوم 1-02-2022 مساء، بلدية: الرقيبة، ولاية: وادي سوف.
- 19- زهيرة فرحات: 80 سنة، ربة بيت، تم اللقاء معها يوم 15-10-2023، وأيضا يوم 25-10-2023، بلدية: الرقيبة، ولاية: وادي سوف.
- 20- سعدية أوعمران: 42 سنة، تم اللقاء معها يوم 22-10-2023، قرية: آث مهني، ولاية: البويرة.
- 21- سعيدة فاطنة: 85 سنة، تم اللقاء معها يوم 07-01-2024، بلدية: الرقيبة، ولاية: وادي سوف.
- 22- سعيدة بيات: 88سنة، ربة بيت، تم اللقاء معها يوم 12-10-2022، بلدية: الرقيبة، ولاية: وادي سوف.

- 23- شريفة عدوني: 50 سنة، تم اللقاء معها يوم 13-10-2023، الحامة، تونس.
- 24- شعبان زهية، طالبة بجامعة تيزي وزو، تم اللقاء معها يوم 11-06-2023، من تيزي وزو.
- 25- صالحة دريدي: 60 سنة، أمية، ربة بيت، تم اللقاء معها يوم 05-07-2023، بلدية: الرقيبة، ولاية: وادي سوف.
- 26- عبد الرزاق ابراهيمي: 77 سنة، مؤذن مسجد، تم اللقاء معه يوم 03-07-2022، بلدية: الرقيبة، ولاية: وادي سوف.
- 27- علي بن خليفة: 63 سنة، تم اللقاء معه يوم 15-04-2024، بلدية: الرقيبة، ولاية: وادي سوف.
- 28- علي بن عيشة: 90 سنة، فلاح، أمي، تم اللقاء معه يوم 25-09-2023، بلدية: الرقيبة، ولاية: وادي سوف.
- 29- علي حمادي: 79 سنة، فلاح، تم اللقاء معه يوم 17-10-2022، بلدية: الرقيبة، ولاية: وادي سوف.
- 30- فاطنة كرطي: 60 سنة، أمية، ربة بيت، تم اللقاء معها يوم 22-02-2022، بلدية: الرقيبة، ولاية: وادي سوف.
- 31- فتيحة حرم وكواك: 70 سنة، أمية، تم اللقاء معها يوم 03-10-2021، بلدية: الرقيبة، ولاية: وادي سوف.
- 32- فرجة مدير: طالبة في الجامعة -تيزي وزو- سجلت لنا مادة بحثنا من عند الجدة حجيلا ن ساعيد: 76 سنة، يوم 25-03-2022، بلدية: ولاية: تيزي وزو.
- 33- فطيمة عزوق: 87 سنة، قرية حورة، بلدية بوزغن، تيزي وزو، يوم 1-10-2024
- 34- فطيمة عامرة: 60 سنة، ربة بيت، أمية، تم اللقاء معها يوم 20-10-2022، وأيضا يوم 15-12-2023، بلدية: الرقيبة، ولاية: وادي سوف.

- 35- لخضر بيات: 70 سنة، تم اللقاء معه يوم 05-10-2022، بلدية: الرقبية، ولاية: وادي سوف.
- 36- لخضر عون الله: 50 سنة، فلاح، تم اللقاء معه يوم 15-03-2022، ولاية: وادي سوف.
- 37- لوبزة دوايدي، 56 سنة، تم اللقاء معها يوم 14-04-2023، قرية: آث مهني، ولاية: البويرة.
- 38- مبروكة الحاج أحمد: 82 سنة، أمية، تم اللقاء معه يوم 20-02-2023، بلدية: الرقبية، ولاية: وادي سوف.
- 39- مبروكة عزوز: 81 سنة، تم اللقاء معها يوم 24-01-2024، بلدية: قمار، ولاية: وادي سوف.
- 40- مبروكة فايزة، 67 سنة، تم اللقاء معها يوم 25-03-2023، وادي سوف.
- 41- محمد الصالح بن علي: 70 سنة، كاتب وباحت أكاديمي مهتم بجمع التراث المحلي السّوفي وفنان تشكيلي، تم اللقاء معه يوم 09 جويلية 2023، وأيضا يوم 15-01-2024، ولاية: وادي سوف.
- 42- مريم عزوق: 19 سنة، طالبة جامعية في قسم الترجمة، سردت لنا طقسا اعتادت جدتها على ممارسته في احتفالات يناير، تم اللقاء معها يوم 01-10-2024.
- 43- مريم عامرة: 91 سنة، أمية، تم اللقاء معها يوم 10-10-2022، وأيضا يوم 17-11-2023، بلدية: الرقبية، ولاية: وادي سوف.
- 44- مسعودة بيات: 80 سنة، أمية، ربة بيت، تم اللقاء معها يوم 22-02-2023، وأيضا يوم 23-03-2023، بلدية: الرقبية، ولاية: وادي سوف.
- 45- مسعودة كازوز: 60 سنة، أمية، تم اللقاء معها يوم 21-10-2022، بلدية: الرقبية، ولاية: وادي سوف.
- 46- نصيرة قعري: 66 سنة، ربة بيت، تم اللقاء معها يوم 07-11-2022، بلدية: الرقبية، ولاية: وادي سوف.

- 47- نور الدين مسعودي، 44 سنة، مهندس دراسات بسونالغاز، قرية البور بلدية أنقوسة، ولاية ورقلة، 06-12-2023، ورقلة.
- 48- هنية كازوز: 67 سنة، أمية، تم اللقاء معها يوم 03-10-2022، بلدية: الرقيبة، ولاية: وادي سوف.
- 49- واغد جروة: 92 سنة، تم اللقاء معها يوم 03-01-2024، بلدية: قمار، ولاية: وادي سوف.
- 50- وريدة بوراس، تم اللقاء معها يوم 11-02-2023، بلدية الرقيبة، ولاية: وادي سوف.
- 51- وريدة بيات: 75 سنة، ربة بيت، أمية، تم اللقاء معها يوم 03-01-2024، وأيضا يوم 04-03-2024، بلدية: الرقيبة، ولاية: وادي سوف.
- 52- وهيبة حمادي: 33 سنة، أستاذة، تم اللقاء معها يوم 14-11-2022، تيزي وزو.
- 53- يمينة بيات: أمية، تم اللقاء يوم 03-04-2021، وأيضا يوم 09-10-2022، بلدية: الرقيبة، ولاية: وادي سوف.

4- فهرست المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع بالعربية

القرآن الكريم (برواية حفص).

الكتاب المقدس، أي كتب العهد القديم والعهد الجديد، دار الكتاب المقدس بمصر، ط5، 2006.

1- الأب سامي حلاق اليسوعي، مجتمع يسوع، تقاليده وعاداته، ط1، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1999.

2- إبراهيم الحيدري، تراجم كربلاء سوسيلوجيا الخطاب الشيعي، دار الساقى 1999، بيروت، لبنان، ط1، 1999.

3- إبراهيم بن محمد الحقييل، أعياد الكفار وموقف المسلم منها، ط2، 1420هـ-2000م.

4- إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصُروف في تاريخ الصّحراء وسوف، تع: الجيلاني بن إبراهيم العوامر، منشورات ثالثة، الأبيار، الجزائر، د. ط، 2007.

5- أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ)، تر: مصطفى أعشي، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2009.

6- أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن علي بن الرسام الحنبلي، عقد الدرر واللالّي في فضائل الشهور والأيام والليالي، تح: سمير محمد إسماعيل محمد، ج2، مؤسسة بينونة للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1434هـ/2013م.

7- أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، موسوعة الشعر الشعبي، دار الثقافة، ولاية الوادي، ج2، د. ط، د. ت.

8- أحمد زغب، الفولكلور المنهج النظرية التطبيق، دار هومة، الجزائر، د. ط، 2015.

9- أحمد زغب، أنطولوجيا الشعر الشعبي في سوف مائة شاعر شعبي من منطقة وادي سوف، دار المثقف، ط1، 1441هـ-2020م.

10- أحمد زغب، دراسات في الشعر الشفاهي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2018.

- 11- أحمد زغب، ديوان إبراهيم بن سميئة، جمع وتوثيق وشرح وتعليق أحمد زغب. رابطة الفكر والإبداع ولاية الوادي، د. ط، 2004.
- 12- أحمد زغب، ديوان أحمد بن عطا الله -دراسة-، مديرية الثقافة لولاية الوادي، ط1، 2012.
- 13- أحمد زغب، عمود الدخان، رواسب الآخر في ثقافتنا الشعبية، دار الثقافة، ولاية الوادي، ط1، 2015.
- 14- أحمد زغب، لهجة واد سوف دراسة لسانية في ضوء علم الدلالة الحديث، مطبعة مزوار، ط1، 2012.
- 15- أحمد ساحي، الزواوة من القرن السادس عشر حتى الثامن عشر عهد إمارة كوكو 1512م- 1767م، دار الأمل، المدينة الجديدة، تيزي وزو، د. ط، د. ت.
- 16- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، المجلد 1، ط1، 1429هـ-2008م
- 17- أحمد مرسي الصباغ، دراسات في الثقافة الشعبية، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2001.
- 18- آدموند دوتي، السحر والدين في شمال إفريقيا، تر: فريد الزاهي، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2018.
- 19- آدموند دوتي، الصلحاء، مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر، تر: محمد ناجي بن عمر، أفريقيا الشرق، المغرب، 2014.
- 20- أدوار ويسترمارك، موسوعة تاريخ الزواج (دراسة انثربولوجية)، تر: مصباح الصمد وآخرون، مكتبة طريق العلم، ط1، 2001م.

- 21- إدواردو كاليانو، ذاكرة النار، تر: أسامة إسبر، سفر التكوين، ط1، 1995.
- 22- إرنست فيشر، ضرورة الفن، تر: أسعد حليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، دت.
- 23- أرنست كاسيرر، اللغة والاسطورة، تر: سعيد الغانمي، دار كلمة، أبو ظبي، ط1، 1430هـ-2009.
- 24- أشرف أيوب معوض، حول الثقافة الشعبية القبطية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2010.
- 25- اصطفياىل اكصيل، تاريخ شمال افريقيا القديم، محمد التازي سعود، ج4، الحضارة القرطاجية، الرباط، 2007.
- 26- اصطفيفان اكصيل، تاريخ شمال إفريقيا القديم، تر: محمد التازي سعود، ج1، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007.
- 27- الإمام البوصيري، البردة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1411هـ-1991م.
- 28- الأنبا ديمتريوس، الأصوام والأعياد، ج1، م1، موسوعة الأنبا بيمن، مطبعة مطرانية ملوى، ط3، 2008.
- 29- أندري-روجي فوازن، ANDRE-ROGER VOISIN، سوف مونوغرافيا، تر: أبو بكر مراد، دار المعرفة، ط1، د، ت.
- 30- أنيس فريحة، أسماء الأشهر في العربية ومعانيها دراسة فيلولوجية تاريخية، دار العلم للملايين، بيروت، 1952.
- 31- ايكه هولتكرانس، قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفولكلور، تر: محمد الجوهري، حسن الشامي، دار المعارف، مصر، ط1، 1972.
- 32- بان ريمان، نظريات الأيديولوجيا قوى الاغتراب والإخضاع، تر: أشرف منصور، المركز القومي للترجمة، ط1، 2022.
- 33- برتراند راسل، عبادة الإنسان الحر، تر: محمد قدرى عمارة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005.

- 34- ابن بصال، كتاب الفلاحة، تر: خوسي ماريه مياس ببيكروسا ومحمد عزيما، معهد مولاي الحسن، تطوان، المغرب، 1955.
- 35- بوحبيب حميد، الشعر الشفوي القبائلي، السياق والبنيات والوظائف -مقاربة أنثربولوجية- دار التنوير، الجزائر، ط1، 2011.
- 36- بول غليونجي، طب وسحر، دار القلم-دار النهضة، القاهرة، 1999.
- 37- بيار بونت وميشال ايزار وآخرون، معجم الإثنولوجيا والانثربولوجيا، تر: مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع "مجد"، بيروت، لبنان، ط2، 1432هـ-2011م.
- 38- تركي علي الربيعو، العنف والمقدس والجنس في الميثولوجيا الإسلامية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 1995.
- 39- تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقرئزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزية، ج2، الهيئة العامة لقصور الثقافة، د. ط، 2002.
- 40- تقي الدين أحمد بن علي القرئزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخط القرئزية، تح: محمد زينهم، مديحة الشراوي، ج1، مكتبة مدبولي 1998.
- 41- توماس هايلاند إيركسون وفين سيفرت نيلسون، تاريخ النظرية الانثربولوجية، تر: لاهاي عبد الحسين، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1434هـ-2013م.
- 42- جاك لومبار، مدخل إلى الانثربولوجيا، تر: حسن قببسي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1997.
- 43- جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير 1923-1990.
- 44- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تاريخ الخلفاء، دار بن حزم، ط1، 1464هـ-2003م.
- 45- جميل حمداوي، معالم الحضارة الأمازيغية، ط2، 2016.

- 46- جون ستوري وآخرون، الكرنفال في الثقافة الشعبية، تر: خالدة حامد، مكتبة الفكر الجديد، ط1، 2017.
- 47- جيل فيريول، معجم مصطلحات علم الاجتماع، تر: أنسام محمد الأسعد، دار وكتبة الهلال، بيروت، ط1، 2011.
- 48- جيلبير دوران، الانثروبولوجيا رموزها أساطيرها أنساقها، تر: مصباح الصمد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1426، 3-2006.
- 49- جيمس جورج فريزر، الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين، تر: نايف الخوص، دار الفرقد، ط1، 2014.
- 50- ابن الحاج أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري المالكي الفاسي، المدخل، مكتبة دار التراث، القاهرة، د. ط، د. ت.
- 51- حسان الجلاني، التراث الغنائي بواد سوف، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، د. ط، د. ت.
- 52- أبو حسن بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر2، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1425-2005.
- 53- حسن بن موسى الصفار، عاشوراء.. ثقافة النهضة والبناء، ط1، 1434هـ-2013م.
- 54- حسن نعمة، موسوعةميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، دط، 1994.
- 55- حسين فهيم، قصة الأنثروبولوجيا فصول في تاريخ علم الإنسان، سلسلة كتب ثقافية شهرية يُصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، جمادى الأولى 1406هـ -فبراير 1986م.
- 56- حكمت البخاتي، عاشوراء الجذر والتاريخ والطقس، د. ط، د. ت.
- 57- حمود بن إبراهيم السلامة، النصارى الأقباط دراسة عقديّة، مركز الفكر الغربي للنشر والتوزيع، ط1، 1438هـ-2017م.

- 58- خالد عواء الأحمد، عادات ومعتقدات في محافظة حمص، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011.
- 59- خالد عيقون، القصص الشفوي الديني جمع ميداني ودراسة في الأنماط الأصول الدلالات، بدء الخليقة، الأنبياء، الصحابة، المغازي، الأولياء، الرؤيا والمستقبلية، دار إمل، تيزي وزو، الجزائر، 2020.
- 60- خالد عيقون، عجوز يناير، دراسة ميدانية انثربولوجية، دار خيال، دط، دت.
- 61- خزعل الماجدي، أدب الكالا...أدب النّار دراسة في الأدب والفن والجنس في العالم القديم/ ميثولوجيا، دار الفارس، الأردن، ط1، 2001.
- 62- خزعل الماجدي، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، دار الشروق، الأردن، ط1، 1997.
- 63- ذكر بلاد الأندلس لمجهول مؤلف، تح، تر: لويس مولينا، ج1، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، المعهد ميغيل أسين، مدريد، 1983.
- 64- راجحة خضر عباس النعيمي، الأعياد في حضارة بلاد واديالرافدين، صفحات للدراسات والنشر، سورية، دمشق، ط1، 2011.
- 65- رمضان رمضان متولي، عمر الخيام عالم الفلك والرياضيات وكتابه نوروز نامه، مر: السباعي محمد السباعي، المركز القومي للترجمة، د. ط، د. ت.
- 66- روبرت إيه سيغال، الأسطورة مقدمة قصيرة جدا، تر: محمد سعد طنطاوي، هنداوي، د. ط، 2014.
- 67- روجيه كايوا، الإنسان والمقدس، تر: سميرة ريشا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2010.
- 68- روني باصي، أبحاث في دين الأمازيغ، تر: حمو بوشخار، دفاتر وجهة نظر، ط1، 2012.
- 69- أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، الآثار الباقية عن القرون الخالية. د.ط، د.ت
- 70- زكي شنودة، المجتمع اليهودي، مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ط، د. ت.

- 71- زهية طراحة، إثنوغرافيا الحكاية الشعبية الجزائرية/ القبائلية، حكايات من الأرباع ناث واسيف، رواتها، ظروف وفنيات روايتها، أنواعها وتحولاتها، دار الخيال للنشر والترجمة، برج بوعريريج، الجزائر، د. ط، د.ت.
- 72- زهية طراحة، فضاء النوع بين تنظيم الخيال وتنظيم الواقع، دراسة أنثروبولوجية للحكاية القبائلية العجيبة، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2011.
- 73- ساكر محمد، العادات والتقاليد في واد سوف، في الفترة ما بين 1945 إلى 1962، مديرية الثقافة لولاية الوادي، ط1، 2016.
- 74- سليم حسن، مصر القديمة، مطبعة جامعة فؤاد الأول، ج9، 1952.
- 75- شارل قيروالو، أساطير بابل وكنعان، تع: ماجد خيريك، 1990.
- 76- شارلوت سيمور-سميث-، موسوعة علم الانسان المفاهيم والمصطلحات الانثروبولوجية، تر: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع، المركز القومي للترجمة، ط2، 2009.
- 77- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الارب في فنون الأدب، تح: مفيد قميحة، ج1، د. ط، د. ت.
- 78- شهيرة بوخونوف، طقس أنزار في منطقة خراطة ببجاية -مقارنة انثولوجية- دار الأمل للطباعة والنشر.
- 79- شوقي عبد الحكيم، مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، د. ط، 2012.
- 80- أبيالعباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ج2، دار الكتب الخديوية، 1331هـ-1913م.
- 81- عباس محمود العقاد، الله، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط4، 2005.
- 82- عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، دار الكتب، ليبيا، ط1، 2001.
- 83- عبد الحميد بواريو بن الطاهر، القصص الشعبي في منطقة بسكرة دراسة ميدانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1986.

- 84- عبد الحميد يونس، معجم الفولكلور مع مسرد انجليزي عربي، كتب عربية، د. ط، د. ت.
- 85- عبد الرحمان الصفوري الشافعي، نزهة المجالس ومنتخب النفايس، ج1، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998.
- 86- عبد العظيم إبراهيم المطعني، الهمزية في مدح خير البرية ﷺ رائعة الإمام البوصيري رضي الله عنه، دار الأنصار، القاهرة، د. ط، د. ت،
- 87- عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والاشكاليات من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 2008.
- 88- عبد الغني مندوب، الدين والمجتمع دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، افريقيا الشرق ، المغرب، دط، 2006.
- 89- عبد اللطيف هسوف، الأمازيغ قصة شعب، دار الساقي، د. ط، د. ت.
- 90- عبد الله حمودي، الضحية وأفئعتها البحث في الذبيحة والمسخرة بالمغرب، تر: عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2010.
- 91- عبد الوهاب جعفر، البنيوية في الانثروبولوجيا وموقف سارتر منها، دار المعارف، د. ط، 1989.
- 92- عثمان سعدي، البربر الأمازيغ عرب عاربة وعروبة الشمال الإفريقي عبر التاريخ، دار الأمة، د.ط، 2018.
- 93- ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري، كتاب المحاسن والأضداد، طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، ط1، 1324.
- 94- عصام ستاتي، شم النسيم (أساطير وتاريخ وعادات وطقوس)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط، 2006.
- 95- عصام ستاتي، مقدمة في الفولكلور القبلي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د. ط، د. ت، 2010.

- 96- على عبد الواحد وافي، الأدب اليوناني القديم ودلالاته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعي، دار المعارف، مصر، د. ط، 1960.
- 97- علي بوصبيح، الغوط الهود او الهرم المقلوب، مديرية الثقافة ، ولاية الوادي، ط1، 2015.
- 98- علي غنابزية، مجتمع وادي سوف منذ فجر التاريخ إلى أواخر العصور الوسطى، سامي للطباعة والنشر، د. ط، 2023.
- 99- بن علي محمد الصالح وحمادي محمد نافع، الشاعر الشعبي الساسي حمادي حياته ومختارات من أشعاره، إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي، ط1، 2006.
- 100- بن علي محمد الصالح، من روائع الشاعر علي عناد، من إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي، ط1، 2008.
- 101- عيد مرعي، معجم الآلهة والكائنات الأسطورية في الشرق الأدنى، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2018.
- 102- غابرييل كامب، البربر ذاكرة وهوية، تر: عبد الرحيم حزل، أفريقيا الشرق، 2014.
- 103- غازي السعدي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، دار الجليل، عمان، ط1، 1994.
- 104- غستون كوفي، Gaston cauet، غراسة النخيل في سوف مذكرات 1900-1901، تر: عبد القادر ميهي، دار الثقافة، الوادي، ط1، 2013.
- 105- أبو الفتح محمد عبد الكريم ابن ابي بكر أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، تح: عبد العزيز محمد الوكيل، ج2، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، 1387-1968.
- 106- فراس السواح، الأسطورة والمعنى -دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية، دار علاء الدين، دمشق، ط2، 2001.
- 107- فراس السواح، دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنتشأ الدافع الديني، منشورات دار علاء الدين، دمشق، سورية، ط4، 2002.

- 108- فراس السواح، لغز عشتار الالهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، دار علاء الدين، سورية، ط1، 1985.
- 109- فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان الشعوب البدائية والعصر الحجري، الكتاب الأول، تر: غادة جاويش وآخرون، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط4، 2017.
- 110- فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، الشرق القديم، الكتاب الثاني، تر: ديميتري أفينيريوس وآخرون، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط4، 2017.
- 111- فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، اليونان وأوروبا قبل المسيحية، الكتاب الثالث، تر: أسامة منزلي وآخرون، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ط4، 2017، ص251، 252.
- 112- فضل بن عماد العمار، الشعر والغناء في ضوء النظرية الشفوية، مكتبة التوبة، الرياض، دط، دت.
- 113- أبو فضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، المجلد الحادي عشر، دار صادر، بيروت، د. ط، د. ت.
- 114- أبو فضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، المجلد السادس، دار صادر، بيروت، ط1، 1310هـ-1990م.
- 115- فوزي العنتيل، الفولكلور، ما هو؟، دراسات في التراث الشعبي، دار الميسرة، القاهرة، ط2، 1407هـ - 1987.
- 116- فيليب سيرنج، الرموز في الفن - الأديان - الحياة، تر: عبد الهادي عباس، دار دمشق، ط1، 1992.
- 117- فيليب لايبورت-تولر، جان. بيار فارنييه، إثنولوجيا أنثروبولوجيا، تر: مصباح الصمد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1423هـ-2004م.
- 118- قاسم الشواف، ديوان الأساطير سومر وآكاد وأشور، الكتاب الرابع، الموت والبعث والحياة الأبدية، دار الساقى، ط1، 2001.

- 119- القمص مرقس داود، الدسقولية أو تعاليم الرسل/ مكتبة المحبة.
- 120- كاسد ياسر الزيدي، لطبيعة في القرآن الكريم، دار الرشيد، 1980.
- 121- كلثم علي غانم الغانم، الاحتفالات الجماعية وبعض الأشكال الثقافية المصاحبة في مجتمع الغوص، ج1(احتفالات بدء موسم الغوص)، قسم الدراسات والبحوث بإدارة الثقافة والفنون، قطر، ط1، د. ت.
- 122- كلود ليفي سترأوس، الأنثروبولوجيا البنيوية، تر: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، د. ط، 1977.
- 123- كوفي، جيستون، مذكرات حول سوف والسوافة، تر: عبد القادر ميهي، مطبعة مزوار، الوادي، د. ط، 2016.
- 124- لمارمول كرفجال، إفريقيا، تر: محمد خجي وآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ج1، د. ط، 1984.
- 125- ليو فروبينوس، أساطير قبائلية في خلق الكون وتصور العالم، تر: نبيل حويلي، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2020.
- 126- مارك أوجيه، جان بول كولايين، الأنثروبولوجيا، تر: جورج كتوره، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2008.
- 127- مانفرد لوركر، معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة، تر: صلاح الدين رمضان، مر: محمود ماهر، مكتبة مديولي، القاهرة، ط1، 2000.
- 128- مبروك المناعي، الشعر والسحر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2004.
- 129- المنتيح الأنبا غريغوريوس، الأعياد المسيحية، جمعية الأنبا غريغوريوس أسقف للبحث العلمي، د. ط، د. ت.
- 130- محجوب السميراني، الأعياد الشعبية التونسية أوسو..التيروز..عاشوراء، سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2018.
- 131- محمد أسوس، كوكرا في الميثولوجيا الأمازيغية، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، 2008.

- 132- محمد الجوهري وآخرون، النظرية في علم الفولكلور، الأسس العامة ودراسات تطبيقية، القاهرة، د. ط، 2003.
- 133- محمد الجوهري وآخرون، النظرية في علم الفولكلور، الأسس العامة ودراسات تطبيقية، القاهرة، 2003.
- 134- محمد الجوهري وعلياء شكري وآخرون، مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا، القاهرة، 2007.
- 135- محمد الشتاوي، منتزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعشاني، دار الأفاق العربية، ط1، 1419، 1999.
- 136- محمد الصادق رزقي، الأغاني التونسية، الدار التونسية للنشر، ط2، 1967.
- 137- محمد الصغير غانم، الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، دار الهدى، د. ط، د.ت.
- 138- محمد بن الطاهر التنير البيروني، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، تح: محمد عبد الله الشرقاوي، دار الصحو للنشر، القاهرة، دط، دت.
- 139- محمد بن سيرين، عبد الغني النَّابلسي، تفسير الأحلام، مكتبة الصفاء، اليمامة، دمشق-بيروت، ط1، 1429-2008.
- 140- محمد بن عبد العزيز الداود، أوراق طالب سعودي في الخارج، العبيكان، ط4، 1430هـ - 2009م.
- 141- محمد بن عبد العزيز بن عبد الله، الماء في الفكر الإسلامي والأدب العربي، ج1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية، 1417-1996.
- 142- محمد بن محمد بن عمر العدواني، تاريخ العدواني، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996.
- 143- محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية وآثرها في شعر التروبادور، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، مستغانم، الجزائر، ط1، 1433-2012.

- 144- محمد ماني، العُرف المعروف في: طريقة قسمة أغواط وتراب سوف -دراسة-، مديرية الثقافة لولاية الوادي، ط1، 2015.
- 145- محمود حسين الأمين، اكيثو أو أعياد رأس السنة البابلية وعقيد الخلود والبعث بعد الموت، اشور بانبيال للكتاب، ط1، 2018.
- 146- محمود سليم الحوت، في طريق الميثولوجيا عند العرب، وهو بحث مسهب في المعتقدات والأساطير العربية قبل الإسلام، ط1، 1900.
- 147- محمود شكري الألوسي البغدادي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ط، د. ت.
- 148- محند سعيد لعربي، العزازقة عبر التاريخ، دار الأمل، المدينة الجديدة، تيزي وزو، د. ط، 2017.
- 149- مرسيا إلياد، أسطورة العود الأبدي، تر: نهاد خياطة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 1987.
- 150- مرسيا الياد: مظاهر الأسطورة، تر: نهاد خياطة، دار كنعان، دمشق، ط1، 1991.
- 151- مرسيا الياد، المقدس والعادي، تر: عادل العوا، دار التنوير، دط، 2009.
- 152- مرسيا الياد، المقدس والمدنس، تر: عبد الهادي عباس، دار دمشق، دمشق، ط1، 1988.
- 153- مرسيا الياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، تر: عبد الهادي عباس، ج1، دار دمشق، ط1، 1986-1987.
- 154- مريم بوزيد سبابو، نن كيل سببيه في معنى شعيرة عاشوراء بواحة جانت، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ علم الانسان والتاريخ، العدد 19.
- 155- مصطفى أعشي، أحاديث هيروديت عن الليبيين الأمازيغ، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، د. ط، 2009.
- 156- مصطفى شاكر سليم، قاموس الانثربولوجيا، جامعة الكويت، ط1، 1981.

- 157- المصطفى فرحات، طقوس وعادات أهل "أبزو"، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات الفنية والتعبير الأدبية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2017.
- 158- المغرب في حُلَى المغرب، حققه وعلق عليه شوقي ضيف، ط2، دار المعارف، مصر، 1964.
- 159- مفتاح محمد سعد البركي، الصراع القرطاجي الاغريقي من القرن السادس حتى منتصف القرن الثالث ق.م وأثره على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في قرطاج، مجلس الثقافة العامة، 2008.
- 160- ميرسيا الياد، البحث في التاريخ والمعنى، تر: سعود المولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2007.
- 161- ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
- 162- هانوتو و لوتورنو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، تر: مخلوف عبد الحميد، ج1، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع.
- 163- هانوتو وأ. لوتورنو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، تر: إبراهيم سعدي، ج2، دار الأمل، المدينة الجديدة، تيزي وزو.
- 164- هوبير ديشان، الديانات في إفريقيا السوداء، تر: أحمد صادق حمدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2011.
- 165- هويدا عبد العظيم رمضان، اليهود في مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الأيوبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، 2001.
- 166- هيرش محمد أمين، نوروز ودلالته في الشعر العربي القديم والحديث، قسم اللغة العربية، كلية اللغات، جامعة السليمانية، 2017.
- 167- وردة زرقين، تيزيمت من التراث الشفوي القبائلي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2021.

168- وليد فكري، آرياب الشر، المعبودون والملعونون في أساطير الشعوب القديمة، الرواق للنشر والتوزيع، 2019.

169- وليم سليمان قلادة، الدسقولية، ط2، / الفصل الثلاثون.

170- يوهان كوتسينغا، ديناميكية اللعب في الحضارات والثقافات الإنسانية، تر: صديق محمد جوهر، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، ط1، 1433-2012.

### ثانيا: المجالات العلمية

1- أحمد شمس الدين الحجاجي، الأسطورة والشعر العربي، المكونات الأولى، مجلة فصول، العدد 2، 1 مارس 1984.

2- أروى عبده عثمان، فولكلور المطر في الذاكرة اليمنية، مجلة الثقافة الشعبية، السنة الثالثة، العدد 11، خريف 2010.

3- أسماء عبد الرحمن عبد الرحيم أحمد، أساطير حول الماء وأساطيله (دراسة مثيولوجية في الحكايات الشعبية)، جامعة الأهر، حولية كلية اللغة العربية، العدد 24 للعام 2020، الجزء 11.

4- أليساندرو فالسي، الاحتفال مفهومه وتشكله، تر: ثروت مرسي، مجلة الفنون الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد 100، يناير-ديسمبر، 2015.

5- أم الخير العقون، يناير حقيقة أم مغالطة تاريخية: أو الحقيقة بين الرواية الشفوية والكتابة التاريخية، مجلة العلوم الإنسانية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران 1 (أحمد بن بلة).

6- بوزيد فؤاد، العادات والتقاليد الشعبية بقري حوض الصومام بجاية، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، المجلد 02، العدد 9، ديسمبر 2018.

7- الحسن الكامح ومجموعة من الكتاب، إينايِر: الذاكرة والمُتَخَيَّل، مجلة مدارات للثقافة والفنون، دجنبر 2022.

- 8- حسن يوسف، القناع بين المقدس والمتخيل السردى، مجلة علامات، العدد الخامس، المدرسة العليا، مكناس، 23 اغسطس 2020.
- 9- خالد خواني، أشكال التضامن الاجتماعي في الموروث الثقافي الجزائري -التوزيع ولوزية أنموذجا، مجلة أنثربولوجيا، مجلد 8، العدد 1، 2022.
- 10- ديانا ووفتر، الفن الهندي في أمريكا الشمالية، مجلة فنون عربية، العدد 7، المجلد الثاني، السنة الثانية، 1982.
- 11- رضا بن النية، الموروث اللامادي الإسماعيلي في مجال كتامة الدعوة قاعدة إيكان وأحوازها أنموذجا، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد الثامن العدد الثالث، جوان 2023.
- 12- زمام ربيع، راشدي بن يمينة، رأس السنة الجديدة في بني سوس: عادات ومعتقدات، مجلة الأنثربولوجيا، مجلد 4، العدد 07، 2018.
- 13- شريف أردراك، رأس السنة الأمازيغية (لحاكوز): عادات ودلالات تراثية، مجلة تيدخين للأبحاث الأمازيغية والتنمية، العدد 1، السنة الأولى، 1434هـ-2963أ-2013م.
- 14- صحرة شعوية، خضرة براك، المؤتلف والمختلف في الفضاء الطقسي لاحتفالية يتأير بين طقسنة الثبات وحتمية التغير قراءة أنثربولوجية في الدلالات والوظائف بالمجتمع التبسي، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة قسنطينة 2، عبد الحميد مهريين المجلد 6، العدد 2، ديسمبر 2020.
- 15- صفاء زغدي، تعاويذ صد العقم وفكه والطقوس المرافقة لها في منطقة وادي سوف -دراسة أنثربولوجية-، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 7، العدد 2، ماي، 2023.
- 16- طه باقر، بشير فرنسيس، عقائد سكان العراق القدماء في العالم الآخر، سومر، مجلة علمية تبحث في آثار العراق القديمة، المجلد العاشر، الجزء الأول، 1954.

- 17- عبد السلام جدرأوي، سهام وناسي، ممارسات المرأة الأوراسية في الاحتفال بالعيد الفلاحي يناير ورمزيته منطقة -عرش علي بن صابور- أنموذجا، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 07، العدد 2، ديسمبر، 2022.
- 18- عبد الكريم بركة، طقوس الاحتفال بالمناسبات والأعياد بشمال إفريقيا، مجلة الثقافة الشعبية، فصيلة علمية متخصصة، العدد 19، خريف 2012.
- 19- فارس كعوان، احتفالات يناير بالجزائر جذورها التاريخية، تمظهراتها ودلالاتها الرمزية (مقاربة تاريخية أنثروبولوجية)، مجلة التاريخ المتوسطي، العدد الأول، ديسمبر 2019.
- 20- كيسة بولجنت، المرأة القبائلية في العهد العثماني: عادات ومعتقدات، مجلة أفاق وأفكار، المجلد 9، العدد 3، 2021.
- 21- محمد أسوس، طقوس الاستمطار الأمازيغية (البربرية) وأساطيرها بشمال إفريقيا، مجلة الثقافة الشعبية، فصيلة علمية متخصصة، السنة الرابع عشر، صيف 2011.
- 22- محمد علي أبو شحمة، المعتقدات الدينية الفينيقية في المدن الثلاث الليبية، مجلة البحوث الأكاديمية.
- 23- مريم لمام، العادات والتقاليد الأسرية بقصر "تمرنة" (ولاية الوادي): بين الاستمرارية والتغير، إنسانيات المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الإنسانية.
- 24- ناجي التباب، الموروث الشعبي ودوره في تجذر هوية الطفل العربي، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 48، السنة الثالثة عشر شتاء 2020.

### ثالثا: الرسائل الجامعية

- 25- زرع عبد الحق، الخطاب الدرامي بين آليات التلقي وتقنيات التوثيق السينمائي في احتفالية شايب عاشوراء، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، كلية الأدب العربي والفنون، قسم الفنون، جامعة عبد الحميد بن باديس -مستغانم-، 2019/2018.

- 26- شهيرة بوخوف، تمثّلات الربيع محليا وعالميا -دراسة أنثروبولوجية-، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة مولود معمري -تيزي وزو-، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2016.
- 27- صبرينة حفّاد، الشعر النسائي في قرية رافور (البويرة)-مقاربة أنثروبولوجية رمزية-ن مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود معمري، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2013/2012.
- 28- طيب نسيم، الأبعاد الأسطورية للطقوس الاحتفالية في منطقة القبائل بالجزائر دراسة سيميولوجية لعينة من الطقوس الاحتفالية في "بني معوش" ببجاية، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في علوم الاعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والاعلام، قسم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، 2010-2011.
- 29- علي غنازية، مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1300م-1374هـ/1882-1954م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، السنة الجامعية: 1428-1429هـ/2008-2009م، ص324.
- 30- علي غنازية، مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن 13هـ 19م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2001.
- 31- أبو القاسم السنوسي قنه محمد، واحات الجفرة في العهد العثماني الثاني 1835-1919م(دراسة تاريخية لأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية)، بحث لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الدراسات العليا، قسم التاريخ، جامعة النيلين، جمهورية السودان.
- 32- محمد عبد المعيد خان، الأساطير العربية قبل الإسلام، رسالة قدمها لكلية الآداب بالجامعة المصرية لنيل الدكتوراه، القاهرة، 1973.
- 33- نبيل حويلي، منظومة الأسطورة في منطقة القبائل -دراسة انثروبولوجية-، أطروحة لمناقشة شهادة الدكتوراه، جامعة مولود معمري -تيزي وزو- 06-10-2016.

34- نصيرة ريلي، الأمثال الشعبية القبائلية في منطقة بجاية دراسة تصنيفية تحليلية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر 2، كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية، قسم اللغة العربية وآدابها، 2015-2016.

رابعاً: المراجع باللغة الأجنبية

35- Ahmed NAJAH, Le Souf des Oasis. Editions La Maison Des Livres. ALGER.

36- Camille Lacoste-Dujardin ،Dictionnaire de la culture berbère en kabylie ،la Decouverte ،Paris2005 ،  
Gean Servier, Tradition et civilisation Berberer. éditions du Rocher,

خامساً: المقالات الإلكترونية والجرائد

1- سامية إخليف، الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في تيزي وزو، جريدة النصر، 02 يناير 2015.

<http://www.annasronline.com>

2- سمير آيت أومغار، المعبودات المائية في المغرب بين العصر القديم والزمن الراهن، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الدراسات الدينية، الرباط، المملكة المغربية. <https://www.mominoun.com>

3- عبد الستار البدراني، السحر المضاد: دراسة انثروبولوجية في المكونات الأولى للقناع، ج2، موقع أنتروبوس <https://www.aranthropos.com>

4- محمد حسين الشيخ، عبادة الماء في المغرب تخصيص للنساء، وشفاء للمرضى، 19-12-2021، <https://www.ida2at.com>

5- مصطفى واعراب، المعتقدات السحرية في المغرب، صدر عن جريدة الأحداث، الدار البيضاء، 2003، من موقع <http://www.alargam.com/sorts/seherK>

6- نصيرة سيد علي، عادات احتفالية تفردت بها منطقة القبائل في ليلة السابع والعشرين من رمضان، موقع الحوار، 11 يوليو 2015. <https://elhiwar.dz>

فهرست المحتويات	
	العنوان
	الإهداء
	شكر وعرّفان
أ-ط	مقدمة
11	مدخل مفاهيم مصطلحات البحث
11	أولاً: مفهوم الفولكلور
14	ثانياً: تعريف الاحتفال والاحتفالات الشّعبية
21	ثالثاً: الانثربولوجيا
29	رابعاً: منطقة وادي سوف
37	خامساً: منطقة القبائل
الفصل الأول: اثنوغرافيا بعض الاحتفالات الموسمية والدينية في منطقتي وادي سوف والقبائل	
48	تقديم
49	المبحث الأول: فولكلور الاحتفالات الموسمية في منطقتي البحث
49	أولاً: الاحتفالات الموسمية في منطقة وادي سوف
63	ثانياً: الاحتفالات الموسمية في منطقة القبائل
70	المبحث الثاني: فولكلور الاحتفالات الدينية في منطقتي البحث
70	أولاً: الاحتفالات الدينية في منطقة وادي سوف
91	ثانياً: الاحتفالات الدينية في منطقة القبائل
98	استنتاج

<p>الفصل الثاني: أنثربولوجيا احتفالات السنة الجديدة في منطقتي وادي سوف والقبائل</p>	
100	تقديم
101	المبحث الأول: اثنوغرافيا احتفالات السنة الجديدة في منطقتي الدراسة: "خشوش العام" في منطقة سوف، "يناير" في منطقة القبائل.
101	أولاً: اثنوغرافيا "خشوش العام" في منطقة سوف
103	ثانياً: اثنوغرافيا "يناير" في منطقة القبائل
108	ثالثاً: فولكلور احتفالات السنة الجديدة في بعض المناطق الجزائرية وبعض الدول المغاربية
113	المبحث الثاني: التحليل الاثنولوجي لطقوس احتفالات السنة الجديدة في منطقتي الدراسة
114	أولاً: طقوس تجديد البيت
126	ثانياً: الطقوس التأثيرية
139	المبحث الثالث: انثربولوجيا احتفالات السنة الجديدة بين المحلية والعالمية
139	أولاً: احتفالات النيروز ونويل عند المسيحيين
144	ثانياً: الخصوصية المحلية لاحتفالات السنة الجديدة "خشوش العام" في منطقة وادي سوف، "يناير" في منطقة القبائل
152	ثالثاً: المشتركات الثقافية بين الشعوب في احتفالات السنة الجديدة
161	استنتاج
<p>الفصل الثالث: أنثربولوجيا استحضر المطر في منطقتي وادي سوف والقبائل</p>	
164	تقديم
166	المبحث الأول: اثنوغرافيا احتفالات استحضر المطر في منطقتي وادي سوف والقبائل

166	أولاً: اثنوغرافيا احتفالات استحضر المطر في منطقة وادي سوف
172	ثانياً: اثنوغرافيا احتفالات استحضر المطر بمنطقة القبائل
177	المبحث الثاني: اثنولوجيا استحضر المطر في منطقتي وادي سوف والقبائل
177	أولاً: زيارة الأولياء وتقديم الذبائح
188	ثانياً: الطقوس السحر-دينية لجلب المطر (أنزار، أم قطمبُو)
214	المبحث الثالث: اثنولوجيا استحضر المطر بين المحلية والعالمية.
226	استنتاج
<b>الفصل الرابع: اثنولوجيا احتفالات عاشوراء في منطقتي "وادي سوف" و "القبائل"</b>	
229	تقديم
229	المبحث الأول: اثنوغرافيا احتفالات عاشوراء في منطقتي وادي سوف والقبائل
229	أولاً: احتفالات عاشوراء في منطقة وادي سوف
244	ثانياً: احتفالات عاشوراء في منطقة القبائل
249	المبحث الثاني: اثنولوجيا احتفالات عاشوراء في منطقتي وادي سوف والقبائل
249	أولاً: ولادة العالم وطرد شرور العام في احتفالات عاشوراء
257	ثانياً: طقوس الخصب في احتفالات عاشوراء
260	ثالثاً: طقوس البكاء الجماعي في احتفالات عاشوراء بين الإرث الشيعي والإنساني.
273	رابعاً: اثنولوجيا تمثيلات شايب عاشوراء
282	المبحث الثالث: اثنولوجيا احتفالات عاشوراء بين المحلية والعالمية
300	استنتاج
302	خاتمة
309	فهرست مدونة البحث
314	فهرست الصور

## فهرست الموضوعات

320	فهرست الرواة والمخبرين
325	فهرست المصادر والمراجع
344	فهرست الموضوعات
	الملخص

## المخلص:

تناول هذا البحث "فولكلور الاحتفالات الموسمية والدينية في منطقتي وادي سوف والقبائل"، استعانة بالدراسات الأنثروبولوجية، ليجيب عن إشكالية التشابه والاختلاف بينهما. تناولت الدراسة من الاحتفالات الموسمية: "احتفالات السنة الجديدة" و"احتفالات استحضر المطر"، ومن الاحتفالات الدينية "احتفالات عاشوراء" التي تمّ التركيز عليها. استخدمت الدراسة بعض النظريات الأنثروبولوجية في تحليل الموضوع، بدءاً بالدراسة الإثنوغرافية التي اهتمت بجمع المادة من المنطقتين، ثمّ الدراسة الإثنولوجية التي اختصت بتحليل مقارن لتلك الاحتفالات، واستكمل التحليل بالدراسة الأنثروبولوجية التي توسّعت في تناول الموضوع في ثقافات عالمية متقاربة حيناً ومتباعدة حيناً آخر، وتمّ استخلاص التشابهات والاختلافات بينهما، وأهم نتيجة توصلت إليها الدراسة هي التشابه الكبير بين احتفالات المنطقتين، بل ومناطق أخرى في العالم، وهذا ما يثبت وحدة الفكر الإنساني.

**الكلمات المفتاحية:** الفولكلور - الاحتفالات - وادي سوف - القبائل - الأنثروبولوجيا.

## Abstract

This research deals with "The Folklore of Seasonal and Religious Celebrations in the Wadi Souf and Kabylie Regions". It uses anthropological studies to answer the problematic of the similarities and differences between them. The study examines the seasonal celebrations of new year and rain-invoking celebrations. Among the religious celebrations, Ashura was chosen and focused on. The study uses some anthropological theories in analyzing the subject, starting with the ethnographic study that focuses on collecting material from the two regions, also the ethnological study that is specialized in a comparative analysis of these celebrations. The analysis ends with the anthropological study that expands on the subject in global cultures that are close at times and far apart at other times. The similarities and differences between them were drawn, eventually. The most important result reached by this study is the great similarity between the celebrations of the two regions, and even other regions in the world, and this proves the unity of human thought.

**Keywords:** Folklore- Celebrations- Oued Souf- Kabile- Anthropology.